

د. محمد عبد المنعم خفاجي

قصة الأراب

في ليبيا العربية

دار الحديث
بيروت

قِصَّةُ الْإِسْبَاطِ

قصة الأديب

في ليبيا العربية

تأليف

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ والعيد بجامعة الزقزقر

دار الحديث

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

د. ابراهيم رفيدة

- ١ -

أحمد الله ولى الحمد، والهادى إلى سواء السبيل، وأصلى وأسلم على
رسوله الكريم محمد النبى العربى الأمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا الكتاب «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى
إلى اليوم» الذى ألفه الأخ العلامة الأديب الكبير محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، بأقسامه الثلاثة عمل علمى جليل،
وصورة مشرفة لقراءات طويلة فاحصة، وجهد مشكور، لا يتسنى القيام به
لغير المؤلف فى دأبه وغوصه فى تيارات الثقافة القديمة والحديثة على السواء.

والتراث الروحى والفكرى والثقافى والأدبى لوطننا المجيد، ليبيا، العربية
المسلمة لا يزال أكثره مفقوداً، والقليل الأقل منه هو الذى يمكن مع الإجهاد
الكثير، والعناء المضنى، الاهتداء إليه، والتعرف عليه.

وأشهد أن العمل الذى قام به الصديق العلامة رائع وجليل ومفيد
وجديد، وفيه النفع لكل من يريد الوقوف على أخبار الماضى الأدبى لليبيا
العربية الخالدة.

والتاريخ الأدبي والثقافي لوطننا العزيز مرتبط أشد الارتباط بتاريخها السياسي في مختلف مراحلها وعصوره: عصر الولاة - والأغالبة - والفاطميين - والصنهاجيين - والموحدين - والحفصيين - وعصر الأتراك العثمانيين بما احتوى عليه من الفترة المزدهرة في تاريخ ليبيا، فترة الاستقلال في عهد الأسرة القره مانلية - ثم عهد الاحتلال والنضال - فعهد الاستقلال في العصر الحديث - فعهد الثورة المباركة، ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩. ومن ثم فقد تتبع المؤلف هذه العصور السياسية بالدراسة والبحث، وكشف عن نهضات الأدب العربي في ليبيا في كل عصر منها، كما كشف عن أعلامها من علماء وأدباء وشعراء وكتاب مشيراً إلى كل المراجع والمصادر التي عول عليها، ووقف لديها.

والكتاب بأقسامه الثلاثة جهد مشرف ودراسة علمية، ولا ننسى أنه أفاد من البحوث التي سبقته والتي كتبها عن أدبنا المعاصر أمثال الدكتور الحاجري، ومحمد صادق عفيفي، أو التي كتبها الأدباء والكتاب الليبيون الأفاضل، مثل: الأستاذ خليفة محمد التليسي، والقويري، والمقهور، وعلى مصطفى المصراي، والغناي، وسواهم.

وعلى الجملة فإننا نحمد للمؤلف عنايته بالمراجع، والإشارة إليها، مما يعين الباحثين على متابعة السير في هذا المضمار لخدمة الثقافة والأدب في ليبيا العزيزة.

ولا شك أن صدور مثل هذا الكتاب قد سد ثغرة كبيرة في بناء الأدب العربي القديم والحديث.

ومن محاسن الكتاب اشتماله على باب طويل تحدث فيه المؤلف عن الأدب الحديث في دول شمال أفريقية، ليبيا، ومصر، وسائر بلدان المغرب

العربي، وهو باب مفيد وموجز معاً.

ولا أجد ما أقوله للمؤلف إلا أن أشد على يديه بقوة وحرارة مصافحاً ومهنثاً على ما بذله في تأليف هذا الكتاب من مجهود.

وليبييا تقدر أدباء العالم العربي وكتابه وشعرائه وعلمائه، وهي تعرف الفضل لأولى الفضل، ولا تنسى الأيادي النبيلة التي تمتد إليها كل حين، تدعم من نهضتها، وتشارك في حقل الثقافة والأدب فيها.

والتوفيق من الله، وإليه نتضرع، ليلهمنا الرشداً، ويقينا شر العثرة، ويرشدنا إلى الجادة، ويهديننا سواء السبيل.

وما توفيقى إلا بالله؟

إبراهيم رفيدة

ليبيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

- ١ -

أحمد الله وأستعينه وأستهديه، وأصلى وأسلم على رسوله العظيم، ونبيه الكريم، سيدنا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإنني أقدم للقارئ العربي - في كل مكان من بلاد العروبة، استظل بلوائها الخفاق، المنتصر، واستهدي بهدي كتابها الحكيم الخالد، القرآن الكريم، وتذوق آداب لغتها الشريفة الباقية على الزمن - هذا الكتاب «قصة الأدب في ليبيا العربية من الفتح الإسلامي إلى اليوم» بأقسامه الثلاثة، تاريخاً لماضي الأدب العربي، ولتياراته واتجاهاته، في الوطن الليبي العريق العزيز، وكشفاً عن تراث الأدباء الليبيين، وأعمالهم في القديم والحديث، في هذه الرقعة الحرة من الأرض العربية، وتسجيلاً لشتى التيارات اللغوية والثقافية والأدبية التي عاشت على أرض ليبيا، أو دارت في خلد أدبائها وشعرائها وكتابها وعلماؤها، ونشراً للمطوى المجهول من حديث أعلامها في شتى مجالات الفكر والحياة والأدب.

- ٢ -

ولقد كانت فكرة راودتني منذ وطئت قدماي أرض ليبيا الحرة، أن أكتب عن أدبها وأدبائها؛ ثم أخذت أدرس هذه البيئة العربية المسلمة،

- ٩ -

وأتعمق في دراسة الفكر الليبي، في قديمها وحديثها، ووكلت إلى جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية بليبيا، حين كنت أقوم بأعباء التدريس فيها منذ سنوات لطلاب كلية اللغة العربية، إحدى كلياتها الثلاث المزدهرة، تدريس مادة «الأدب الليبي» على النمط الذي تدرس به الآداب العربية في مصر والعراق والشام والجزيرة العربية وشتى بلاد العروبة والمغرب العربي؛ فقبلت المهمة، واستعنت الله، واستلهمته الرشد والصواب والسداد.

ولم يكن درس الأدب الليبي بالسهل، ولا الممكن المتاح، فليس في تاريخ الآداب الليبية كتاب، وليس هناك تقسيمات لعصور الأدب، ولا معرفة بالنهضات الثقافية والأدبية في شتى هذه العصور وعواملها ونتائجها، وليس هناك معرفة بقدامى الأدباء والشعراء الليبيين العرب، ولا دراسات لحياتهم ونتائجهم وتراثهم؛ وكل ما عرف أو يعرف، وما كتب أو يكتب، إنما هو عن التاريخ الأدبي الحديث والمعاصر، وعن الأدباء الليبيين الأحياء، أو الذين رحلوا إلى جوار الله في العهد القريب، وعن بعض الأعلام القديمة المشهورة التي خلد التاريخ الأدبي العربي ذكرها.

وبدأت أضع التقسيمات لعصور الأدب، وأتبع الأدب في كل عصر، والعوامل التي أثرت فيه، والحركات الفكرية والعلمية والثقافية التي سادته، وأدرس أشهر أعلامه في الأدب والشعر ومختلف فنون الكتابة.

وأرخت للأدب الحديث في ليبيا الحديثة.

ومن أجل بلوغ هذه الغاية استعنت بشتى المراجع القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، وشتى الصحف والمجلات في ليبيا وفي العالم العربي، ورجعت إلى المعاصرين أخذ منهم وأستمع إليهم، وقمت برحلات إلى ما أمكنني الرحلة إليه من بلدان ليبيا القريبة والبعيدة؛ ولم أدع وسيلة من الوسائل الممكنة المساعدة على بلوغ الهدف إلا لجأت إليها.

ومن الله التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

تمهيد

- ١ -

اجتاحت المغرب العربي الكبير في العصر الحديث جيوش الاحتلال، ووراءها وفود المهاجرين ومحاولات كثيرة لفصله عن العروبة والإسلام وعن الشرق العربي الكبير.

وكان الاستعمار الفرنسي للجزائر وتونس ومراكش والإيطالي لليبيا حجر عثرة في طريق تقدم هذه الأمم العريقة، وحائلاً بينها وبين شعورها بالذاتية والكرامة. كما صنع الاستعمار الانجليزي في مصر مثل هذا الصنيع.

ونشر الاستعمار في أرض المغرب العربي لغته وثقافته، وحاول أن يصد شعوبه عن العربية التي حرم تدريسها في المدارس، ولولا الزوايا السنوسية في ليبيا، وجمعية العلماء في الجزائر وما أنشأته من مدارس أهلية تدرس العربية والدين، وجامعة الزيتونة في تونس، والقرويين في مراكش، لضاعت اللغة العربية والثقافة العربية من هذه البلاد.

وكانت المدارس الإيطالية في ليبيا والمدارس الفرنسية في تونس ومراكش والجزائر من دعائم الدعاية ضد اللغة العربية والقومية الإسلامية، توجه الكثير من الاتهامات الظالمة إلى الجنس العربي وإلى الإسلام. . . وأقوال هانوتو ورينان مشهورة، وكان رينان يزعم أن الشعوب السامية لا تعرف إلا بالصفات السلبية، وليست لها ثقافة ولا فنون ولا علوم، ولم تستطع أن تنشئ الفنون

التي تحتاج إلى الخيال.

وتناسى المستعمرون عروبة المغرب العربي وروحه الإسلامية العميقة، وطابعه المميز الأصيل، ونسوا دوره الكبير في تاريخ الحضارة والنهضات، والفتوحات العربية الكبيرة التي قام بها أبطال المغرب في حوض البحر الأبيض المتوسط: سواء في الجزر، أو في الجنوب الأوربي المطل على هذا البحر؛ كما نسوا دور مساجد طرابلس والقيروان، وجامعة الزيتونة وجامعة القرويين، وما خرّجت من أعلام مثل سحنون وأسد بن الفرات وابن رشيق وابن شرف وابن عرفة وابن بطوطة والشريف الإدريسي وابن خلدون وغيرهم من أعلام الفكر الإسلامي في هذه البلاد.

وكان التقاء شعوب المغرب العربي بالإسلام أكبر حدث تاريخي في حوض البحر الأبيض المتوسط، بل في حياة هذه الشعوب نفسها وأصبحت هذه الشعوب عربية مسلمة، اعتنقت الإسلام إحساساً وشعوراً وعقيدة ومبادئ وقيماً، واعتنقت العروبة لغة وفكراً وثقافة وفناً وأدباً، فصارت جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ومن الروح العربي الإسلامي الإنساني، وامتزجت هذه الشعوب بالإسلام والعروبة امتزاجاً كاملاً في كل مجالات الحياة، وميادين النشاط الإنساني، وفي شتى المناحي الروحية والحضارية واللغوية والفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية.

وكانت ثقافات الإسلام وانتصاراته وحضارته، وكذلك آداب لغة كتابه العظيم وعلومها، هي الأساس العقلي والثقافي لشعوب هذه البقعة الكبيرة من العالم العربي الفسيح الأرجاء.

وشاهدت هذه الشعوب العريقة، في أرض المغرب العربي، الغزو الفكري الأوربي، وقابله بسخرية وازدراء، فكان السنوسيون في ليبيا وعلماء الزيتونة في تونس، وجمعية العلماء في الجزائر، ممثلة في شخص عبد الحميد ابن باديس الذي كان يؤكد طابع شخصية الجزائر، هذا الطابع الإسلامي العربي، كانوا من طلائع الكفاح، وحينما كان الفرنسيون قد أوقفوا تدريس

اللغة العربية في مدارس الجزائر^(١)، كانت جمعية العلماء تفتح المدارس الأهلية في المساجد، وأحيا ابن باديس^(٢) وجماعته الجانب العربي الإسلامي في الشخصية الجزائرية، وصنعت جامعة القرويين مثل هذا الصنيع.

وهكذا تصدى التيار القومي العربي للاستعمار ودعائه من غربيين ووطنيين، وقابل كل الآراء المستوردة من معامل الاستعمار، والتي تطعن في العرب والإسلام وفي التاريخ العربي، قابلهما بسخرية عميقة.

وكان أظهر جوانب المقاومة السياسية والدينية والعربية يتمثل في كفاح ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي البائد.

وانتصرت هذه الشعوب، ونالت استقلالها، ومحت كل مظاهر الاستعمار السياسي والفكري من بلادها، وصارت اللغة العربية مرة أخرى هي لغة التعليم في هذه البلاد الإسلامية.

- ٢ -

وقد اقترح عثمان الكعاك من أدباء تونس إنشاء موسوعة مغربية، للأقطار العربية الممتدة من الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي، وذلك لتحريير الثقافة العربية، وتصحيح أوضاعها؛ كما دعا إلى تطهير اللسان العربي في المغرب من الدخيل الأجنبي، ويتضمن هذا المشروع ما يلي^(٣):

١ - تحديد منطقة المغرب العربي جغرافياً وحضارياً بالقيام بأبحاث دقيقة يتحقق منها وجه المغرب الحقيقي في كل المجالات.

(١) يقول عثمان سعدى، إن الفرنسيين جعلوا تدريس اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون، ولم يسمحوا إلا بتحفيظ القرآن.

(٢) كان يرى أن اللغة العربية والدين الإسلامي هما أولى مقومات شخصية الجزائري، وقامت أراؤه على الأساس التربوي، ونادى بأن الفكر الجزائري فكر عربي إسلامي.

(٣) راجع مجلة المعرفة السورية عام ١٩٦٤.

٢ - التعريف بالأشخاص المغاربة من حيث مهمتهم وإنتاجهم ومنجزاتهم في ميدان البناء والتعمير والسياسة والأدب والعلم والدين، وتقسيم العصور إلى تسعة: الحجري - البربري - الفينيقي - الروماني - الوندالي البيزنطي - العربي - الاستعماري - وأخيراً عهد الاستقلال. والترجمة لكل شخص ترجمة جامعة مركزة.

٣ - التعريف بالمواضع والأمكنة بغاية التوسع والتدقيق وذلك بإيراد الوصف الحقيقي الجامع والتذييل بالمصادر ويجب التنصيص على المسميات الجغرافية الأسبانية والصقلية والمالطية والسرديانية باللفظ العربي مع مقابله الأفرنجي.

٤ - ذكر العشائر المغربية (بربرية وعربية ورومانية).

٥ - بيان اللهجات المغربية من الأندلسية إلى الليبية.

٦ - بيان العلوم المغربية وتقسيمها إلى دينية ودخيلة وفلسفية وتصوفية وإيرادها على الترتيب الأبجدي مع التنصيص على مراحل النمو والتطور فيها.

٧ - بيان المعالم والآثار المغربية وإيراد وصفها الدقيق المحكم والتنصيص على أنواعها وأجناسها.

٨ - الترجمة للأدب المغربي في أنواعه: ملحمة - موشح - زجل - مديح - ملزومة - الخ. وفي لغاته (بربرية - بونيقية - لاتينية - عربية - تركية) وفي أمكنته: (أندلس - صقلية - مالطة - الجزائر الخ) وفي رجاله مع الإحالة على أماكنهم الأبجدية وفي أغراضه (تاريخ - تفسير - ونقد - أو وصف) وفي مقارناته تأثيراً أو تأثيراً.

٩ - ذكر الفنون المغربية من رسم ونحت وموسيقى ورقص وفولكلور وتمثيل الخ.

- ٣ -

وفي هذا المجال سوف نحاول إبراز الشخصية الليبية العربية في مجال الأدب على مر العصور والأجيال، هذه الشخصية التي تعد مجهولة أو

كالمجهولة في جميع البلاد العربية، وبين أدبائها، فهم حين يذكرون الآداب العربية في ليبيا أو ما يصح أن نسميه الآدب الليبي لا يذكرون إلا ما عرفوه من آداب في ليبيا في العصر الحديث، ولا يرددون إلا جملة أعلام حديثة نالت شهرتها الأدبية والثقافية في آخر العصر التركي، وفي عصر النضال القومي ضد الاستعمار الإيطالي، وفي عهد الاستقلال.

وقد أجهدني البحث خلال العصور والأجيال عن تاريخ الآدب الليبي منذ الفتح العربي الإسلامي لليبيا حتى اليوم، وحاولت في هذه الدراسة أن أبرز أصول هذا الآدب وأعلامه، وأن أقسمه إلى عصور ومراحل، وأن أتبعه بالدراسة في كل عصر وكل جيل، مستعيناً في ذلك بكل ما يمكن أن يفيد من مصادر ومراجع.

القسم الاول

.

ليبيا والليبيون

تمهيد

- ١ -

ما مدلول هذا الاسم القريب إلى الأذهان والأرواح «ليبيا»؟
لقد صار لفظ ليبيا علماً علم شعب عربي أصيل، يتكلم العربية،
ويدين بالإسلام، ويشاطر إخوانه العرب في كل مكان أمالهم وآلامهم،
ويتخذ من التراث العربي الإسلامي زاده العقلى والثقافى والروحى، وكذلك
يشاطره العرب الحب والشعور بالأخوة والتعاقد والتعاون في كل مجالات
الحياة.

ليبيا العربية المسلمة، هى بنت الماضى البعيد، وهى كذلك حاملة راية
الإسلام والعروبة فى مختلف العصور والأجيال؛ وهى موطن لذكرىات عزيزة
على كل مسلم وعربي، ومسرح لنضال الأبطال العرب فى شتى الأحداث
ومواقف الجهاد وميادين البطولة.

- ٢ -

ورد هذا اللفظ فى «الأوديسة»، لشاعر الإغريق القديم «هوميروس» -
الذى عاش فى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، علماً على إلهة من آلهة
«العناية» اختلقت مع زوجها، فبرحت أرضها فى عربة ذهبية إلى أرض نائية
نزلت بها، وخلعت عليها اسمها.. وهذا على نمط الأساطير الإغريقية القديمة
التي يطلق عليها وعلى ما شابهها اسم الميثولوجيا.

- ١٩ -

وفي التوراة اسم «ليابيم» لأنثى الأسد، ولأرض تكثر فيها السباع. وجاء هيرودوت المؤرخ اليوناني القديم (٤٨٤ - ٤٢٥ ق م) وأخذ يبحث عن أرض السباع في القرن الخامس قبل الميلاد، فلم تكن إلا ليبيا، ونزلها هيرودوت ووصل إلى جبال السوداء في منطقة «الجفرة»^(١)، ووصفها بأنها كثيرة الأحراش والغابات، غزيرة المياه والينابيع، وتحدث عن سكانها، وذكر من قبائلهم «المشواش»، اللوتوفاجس، الماساي، الناساميون» وشاهد كثيراً من حيواناتها، وسأل عن الأسد فقليل له إنه يتوالد في تلك البقاع.. ولكن العوامل الطبيعية عصفت بليبيا القديمة وغبرت الكثير مما ذكره هيرودوت من جوها وحيواناتها ونباتاتها.

وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين بالمعنى القديم الواسع للكلمة ذوو أصول جنسية مختلفة حتى يمكن تقسيمهم إلى أربعة شعوب: اثنان منها أصيلان، والآخران دخيلان، فالأصيلان هما الجنس الأثيوبي والليبي، والدخيلان هما الفينيقيون والإغريق^(٢). والجنسان الأصيلان أصلهما في أغلب الآراء حامى، والوطن الأصلي للحاميين هو آسيا في رأى ذائع، أو أفريقيا في رأى آخر..

وقيل إن كلمة ليبيا اشتقت من اسم قبيلة لوبا أو اللواتا، ثم تغيرت على ألسنة المستعمرين اليونان إلى ليس؛ وقد استعمل الرومان كلمة أفريقيا تمييزاً لها عن ليبيا، وكانت أول الأمر لا تعنى سوى «قرطاجنة» ثم أطلقت على القارة كلها، ويذهب كاريت إلى أن كلمة بربر حلت محلها كلمة الليبيين منذ الفتح الإسلامي، وقد أطلق الجغرافيون العرب اسم بلاد البربر على كل شمال أفريقيا بين برقة والمحيط الأطلسي وإن يكن ابن خلدون ذكر أن أقطار بلاد المغرب كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام^(٣).

أما المؤرخون العرب فنطقوا بالاسم هكذا «لوبياء»، وقالوا إنه نسبة إلى «لوبي» بن حام بن نوح عليه السلام^(٤).

(١) تعرف اليوم باسم الجفرة وهي منطقة زراعية حصبة قريبة من طرابلس.

(٢) ٥٤ ملامح المغرب العربي للشرقاوي والصيد - ١٩٥٩ دار المعارف.

(٣) ٥٥ و٥٦ المرجع.

(٤) ويؤكد بعبير ذلك مستنداً بكلام ابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ وابن رسته والمفريزي والسيوطي =

وقد اتسع لفظ ليبيا قديماً فأطلق على شمال إفريقيا من غرب الإسكندرية، ثم ضاق اللفظ حتى أصبح علماً على هذا الإقليم، الشامل لبرقة وطرابلس، الواقع بين مصر وتونس والجزائر.

- ٣ -

والليبيون القدماء خليط من البربر وبعض العناصر الأخرى الطارئة عليهم من أوربا عن طريق جبل طارق كما يقول كثير من المؤرخين الغربيين، فهم أخلاط من الآريين والساميين في رأيهم، ويذهب كثير من المؤرخين العرب إلى أن الليبيين القدامى من أصل سامى، ويقولون إن هجرتهم كانت من الجزيرة العربية بعد انهيار سد مأرب، أو من العراق عقب الطوفان، أو من الأردن في أحداث تاريخية قديمة، والعناصر التي هاجرت إلى ليبيا مرت بمصر وأقامت بها بعض الوقت، ومن هنا اعتقد بعض المؤرخين المحدثين أن الليبيين القدامى فرع لأصل مصرى^(١).

= (١١ دراسات في التاريخ اللوى)، وكذلك ذكر بعض الباحثين الإيطاليين في القرن الثامن عشر أن اسم ليبيا محرف عن لوب بمعنى الحر والعطش في بعض اللغات السامية - ونحن نعلم أن اللغة العربية تقول: لوب لوبا ولوبا، بهذا المعنى نفسه، وهو الحر والعطش، ولابت الإبل بحثت عن الماء فلم تجده، وأرض لوب حرة العطش، ويرى مصطفى بعيو أن «ليبيا» محرفة عن «لوبياء» ص ١٠ دراسات في التاريخ اللوى تأليف بعيو.

(١) مجلة القلم الجديد - تموز ١٩٥٣ - من مقال لمظفر فوزى الأمير من طرابلس؛ ويقول بعض المؤرخين: إن سكان الجهات الداخية، كإقليم فزان من أصل إفريقى (أثيو)، فهم من الأمم الحامية؛ وأطلق عليهم اسم البربر لعجمتهم، وإن ذهب الكثيرون من نسابيهم إلى أنهم كلهم أو بعضهم من سلائل عربية حميرية أو مصرية. وأهم البربر أنواع كثيرة، ولهم لغات لا تحصى، وهم أهل بدو في معيشتهم لم يخضعوا لأمة من الأمم لشدة شجاعتهم وعصيتهم.

وقد لاقى العرب منهم الكثير من الأهوال في بدء الفتح الإسلامى، فقد أسلموا وارتدوا بضع عشرة مرة وغدروا في كل مرة منها بالعرب، وفتكوا بهم، إلى أن دانوا للإسلام نهائياً في عهد موسى بن نصير وحكمه لأفريقيا في نهاية القرن الأول الهجرى؛ وعززت الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، والحفصية، ودولة الأغالبة بأفريقيا، روح الإسلام والعروبة فيهم، وقد انتشرت في أوساطهم بعض المذاهب الإسلامية. كالأعتزال والخوارج الصفرية والأباضية والتشيع، وقامت بينهم للعلوين دول عربية: كدولة الأدراسة (١٧٢ - ١٧٥ هـ) والدولة الفاطمية وغيرهما. وقد بقيت بعض اللهجات البربرية حتى اليوم بينهم في المغرب، وخاصة في =

ومهما كان فقد وفدت على ليبيا عناصر أخرى من الإغريق الذين قدم أكثرهم من كريت في القرن السابع ق م، ثم عناصر من الرومان التي استولت على طرابلس من أيدي القرطاجنيين عام ١٠٦ ق م ثم استولوا على برقة عام ٩٦ م.

ثم دخلها العرب فاتحين، وامتزجوا بأهلها، ونشروا الإسلام واللغة العربية فيها، ثم جاء العنصر التركي خلال سيادة الخلافة العثمانية ونزلها وكان له السيادة فيها قرونًا طويلاً، ثم وفد عليها الأوربيون وخاصة في عهد الاستعمار الإيطالي البغيض. ومع ذلك كله فقد بقي لليبيا أصلها العربي، وروحها الإسلامية، وذهب كل شيء فيها ما عدا عروبته وإسلامها، فهي دولة عربية دينها الإسلام كما ينص على ذلك دستور ليبيا وقوانينها.

والليبي يعتز دائماً بصبغته العربية، وبعقيدته الإسلامية، ولا تزال القبائل العربية في ليبيا كثيرة معروفة، وصاحبة نفوذ وسلطان. . ومنها تفرعت البطون والعشائر، وتناسل أكثر السكان.

- ٤ -

والوطن الليبي يشمل مساحة شاسعة تقارب المليون والسبعمائة ألف من الكيلومترات المربعة، والحدود الشرقية لليبيا تجاور الحدود الغربية لمصر وشمال السودان، ومن الغرب تجاور ليبيا تونس، وكذلك جزءاً كبيراً من شرقي الجزائر، وفي الشمال البحر الأبيض المتوسط الذي تقع على شاطئه أهم المدن الليبية، مثل طبرق - درنة - بنيغازي - طرابلس، ويقع على حدودها الجنوبية بعض أقاليم الجزائر، وكذلك كل من جمهورية النيجر وجمهورية تشاد. وفي هذه البقعة المترامية الأطراف يقيم الشعب الليبي البالغ تعدادة نحو المليون والنصف من الأنفس، بينهم عدد قليل من الجاليات الأوربية.

= الجبال والجهات المنبئة من البلاد وفي داخل بعض البلاد كإقليم فزان غير أن هذه اللغة لم تكن لغة قراءة وكتابة وعلم وأدب، وقد عامل العرب البربر معاملة حسنة، واعتبروهم مساوين لهم في الحقوق والواجبات، وأشركوهم معهم في الإدارة وقيادة الجيوش ومنهم طارق ابن زياد وغيره من القواد.

والإقليم الشرقي هو برقة، والإقليم الغربي هو طرابلس، وفي الجنوب فزان وأشهر مدينة فيه «سبها».

وفي طرابلس^(١) يقع كثير من الهياكل والقصور الرومانية واليونانية وكذلك في: صبراته^(٢) ولبدة^(٣) مسقط رأس الأمبراطور الروماني سبتيميوس سافاروس (١٩٣ - ٢١١ م) وفي طرابلس كذلك متاحف عديدة، منها المتحف الروماني والمتحف الإسلامي، أما في برقة فنشاهد آثار الشحات^(٤) بهياكلها الجميلة، وأعمدتها الرخامية الفارعة على الهضبات العالية فوق الجبل الأخضر ذي الخضرة الدائمة طول العام، والأمطار الغزيرة في موسم الشتاء والربيع والجو المعتدل في الصيف، ومن مدن الإقليم الشرقي البيضاء وسوسة واسمها القديم أبولونيا، والمرج واسمها القديم برقة وقد أطلق اسم برقة على هذا الإقليم كله.

(١) أنشئت طرابلس في القرن السابع قبل الميلاد، بعد هجرة الفينيقيين إلى ليبيا، حيث أقاموا الأسواق على طول ساحل البحر الأبيض، وأهمها سوق «أويات» أو «أويا» في مكان طرابلس اليوم.

(٢) كانت إحدى الأسواق الفينيقية القديمة، ثم سقطت في أيدي القرطاجنيين والرومان والبيزنطيين والعرب، وقد بدأت أعمال الحفر في صبراته عام ١٩٣٣، وكشف فيها عن كثير من الآثار الرومانية وتقع صبراته على ساحل البحر الأبيض وتبعد عن طرابلس نحو السبعين من الكيلومترات.

(٣) يسميها الرومان «لبس مانيا» وتبعد عن طرابلس بنحو ١٢٠ كيلومتراً إلى الشرق، وهي قرية من بلدة الخمس. وقد أنشأها الفينيقيون سوقاً تجارياً في القرن السابع ق م في منطقة زراعية خصبة، وباحتكاك الفينيقيين بالسكان الليبيين نشأت لغة عرفت فيما بعد باسم «اللغة البونيقية الجديدة» وتداولها القرطاجنيون ثم الرومان، وفيها ولد الامبراطور سبتيميوس سافاروس عام ١٤٦ م، وكان سكانها آنذاك نحو المائة ألف، واضمحلت لبدّة بعد تلاشي الامبراطورية الرومانية وغزو الفندال فاكسحتها الرمال وغطتها.

(٤) اسمها الأول «سيربي أو سيرينيا» وقد أنشأها الاغريق قبل الميلاد بزمان طويل على ساحل برقة واستقروا بها، وصارت مركزاً لنشاط ثقافي كبير، إذ شيدت فيها المدارس ووفد إليها الطلاب من كل مكان، وظهر فيها الفلاسفة والادباء والشعراء؛ وكان في وسطها المدينة المقدسة والمسرح والمعبد الفخم المخصص لزيوس، والملاعب ويتسع لأربعين ألفاً من المشاهدين وحولها تقع الاحياء المخصصة للسكنى. وكانت سيرينيا المدينة المقدسة مدينة أبولوس إله النور والغناء والجمال وقد انهارت عقب انهيار حضارة روما. ومن المفكرين والفلاسفة الذين ظهوروا في هذه المدينة في العصر الاغريقي: سينيقيوس (٤٢٠ م)، واريستيوس، وكربياس، وكلبياس، واراتوستيس.

وتقع مدينة بنغازى القديمة على شبه جزيرة يحيط بها البحر من جهة وملاحة السليمانى من جهة أخرى. وقد تأسست عام ٤٤٦ ق.م. باسم يوسبريدس على يد أحد أخوة ملك قورينا، وبعد ذلك تكون منها ومن قورينا وأبولونيا وبرقة وتوكره ما عرف فى التاريخ باسم المدن الخمس. وفى عام ٣٤٧ ق.م أطلق على المدينة اسم برنيق.

وكان يحكمها البطالة آنذاك؛ وهذا الاسم نسبة إلى أميرة بطلمية غدت ملكة واشتهرت بالشجاعة والجمال. وبقيت هذه التسمية طوال العهدين الرومان والبيزنطى. وجاء الفتح الإسلامى فوجدها مدينة صغيرة ثم تحولت إلى مركز حربى وتجارى.

أما اسمها المعروف حالياً أى بنغازى، فيعود إلى رجل صالح عرف بسيدى غازى واستوطن فيها عام ١٤٥٠ م. وفى ذلك الوقت أخذ يقطن المدينة أناس نزحوا من مصراته وساحل طرابلس.

وفى عام ١٥٧٨ استولى الأتراك على مدينة بنغازى، ثم حكمها القرمانليون سنة ١٧١١، وعادت إلى الأتراك فى ١٨٣٥، وفى ١٩١١ احتلها الإيطاليون وبقوا فيها إلى عام ١٩٤٢، وفى تلك الفترة كان الليبيون يجاهدون من أجل الاستقلال وبعد ذلك أصبحت المدينة مقراً للإدارة العسكرية البريطانية فى برقة، وفى عام ١٩٤٦ أصبحت عاصمة حكومة برقة، ومنذ الاستقلال صارت إحدى عاصمتى المملكة الليبية.

- ٥ -

ونحن إذا ذكرنا «لبدة» و«سابراته» و«طرابلس» وآثارها الشهيرة فى غرب ليبيا (إقليم طرابلس)، فإن: شحات، وسوسة، وتوكره، والمرج، وبنغازى فى شرق ليبيا (إقليم برقة)، تقف معها من الجانب الأثرى على قدم المساواة، أهمية وشهرة.

وأعظم هذه المدن الأثرية على الإطلاق مدينة «شحات» الشهيرة بآثارها

الإغريقية والرومانية.

فعلى سفح الجبل الأخضر، وبين البيضاء ودرنة وسوسة، تقع «شحات» المدينة الحاملة، التي خلدها التاريخ، وروت آثارها الباقية ذكريات المجد الغابر للشعب الليبي العريق.

والجبل الأخضر بارتفاعه الشاهق، وأمطاره الغزيرة ومروجه الخضراء، ومراعيه الواسعة، يضافى على «شحات» جمالاً أخاذاً، ويجعلها أشبه ما تكون بمدينة الأحلام والشعر والخيال، حتى لتحسبها - وأنت تسير في أرجائها - قصوراً، من قصور الفردوس، أو قطعة حية من مدن «ألف ليلة وليلة» المسحورة، يقودك إليها خيال شارد، أو يطير بك نحوها جنى مارد.

وعمر «شحات» اليوم هو ٢٦٠٠ عام فحسب، فقد أنشئت نحو عام ٦٣١ ق.م، باسم «قورينة»، قرية من شاطئ البحر المتوسط، وفي موقع فريد، على ربوة عالية، وبجوار عين ماء جارية. ومنظر شاطئ البحر، الذي لا يبعد عنها أكثر من ١٨ ك.م، وهي تطل عليه، وترنو ببصرها إليه، منظر فريد بالغ غاية الروعة.

لقد كانت «قورينة» (شحات) أول المدن الإغريقية، التي شيدها الأغريق في أفريقية، قبل الميلاد بقرون، ولا تزال آثارها باقية شاهقة، تدل على عظمة هذه المدينة وعلى حضارتها القديمة.

كانت المدن الثلاث الفينيقية: سابرته، واويا (طرابلس) ولبدة، التي أنشأها القرطاجيون، في غرب ليبيا، في القرن التاسع قبل الميلاد، قد طارت شهرتها، وازدهرت حضارتها، ونمت تجارتها، وأصبحت قبلة الأنظار.

وفي القرن السابع قبل الميلاد، كان الإغريق القدماء يعيشون في ظلال تنافس شديد بين المدن الإغريقية المستقلة، وكان هذا التنافس عاملاً رئيسياً في نشوب الحرب بين بعضها والبعض الآخر من جانب، وسبباً كذلك في ازدهار الحضارة الإغريقية من جانب آخر، لأن كل مدينة كانت تنافس أختها في تشجيع العلوم والفنون والآداب. وضائق هذه المدن الإغريقية بسكانها،

وأخذت موارد الإنتاج فيها تقل يوماً بعد يوم، ولأن الإغريقين يحبون المغامرة، ولهم ولم بركوب البحر، ولاضطرار بعضهم إلى الفرار من وجه خصومهم السياسيين، لذلك خرجت جماعات منهم تبحث عن بقعة هادئة خصبة حول شواطئ البحر المتوسط، رغبة في الاستقرار بها، وتلتهم جماعات وجماعات، واستوطن هؤلاء وهؤلاء في جزر بحر إيجه وعلى شواطئ الشام ومصر، وأنشأ هؤلاء المهاجرون، مدناً إغريقية في مواطنهم الجديدة، وعاشوا فيها كما كانوا يعيشون في بلادهم الأصلية، يتكلمون الإغريقية، وينشرون فيها حضارة بلادهم القديمة.

وفي عام ٦٣١ ق.م. هاجرت جماعات من جزيرة يثرا اليونانية (سانتورين حالياً) الواقعة جنوبي بحر إيجه، وركبوا البحر، بقيادة مغامر منهم اسمه «باتوس» قاصدين ليبيا، ونزلوا في إقليم برقة؛ فرحب بهم الليبيون، وتخبروا لهم في بلادهم موقعاً فريداً نزلوا فيه، وشيدوا عليه أول مدينة إغريقية في الشمال الإفريقي، سموها قورينة (شحات)، وكان موقعها أكثر شبهاً بمواقع مدنهم اليونانية.

وفي هذه المدينة بدأ الإغريق حياتهم الجديدة في ليبيا بقيادة زعيمهم باتوس الذي اختاروه ملكاً لمدينتهم، وأخذ يحكمهم حكماً عادلاً مستنيراً طوال أربعين عاماً. . وفي آثار (شحات) مقبرة الملك باتوس الدائرية الشكل وحوها عدد كبير من المقابر الإغريقية ذات الأشكال المختلفة.

امتزج الإغريق بالليبيين، وأصهروا إليهم، وتعاونوا معهم في كل شئون الحياة؛ وأخذت المدينة الجديدة تنظم نفسها على غرار المدن الإغريقية في اليونان، سواء في الحكم، أو في المعيشة، ونظام الحياة. . ومد باتوس الطرق إلى قورينة، وشيد لها ميناء قريباً منها على شاطئ المتوسط هو ميناء أبولونيا (سوسة الآن) فازدهرت هذه المنطقة وشملت الحضارة في الشمال الإفريقي.

وتوالت الهجرة الإغريقية إلى المدينة، فكثر سكانها، وخرج فريق منهم، فأنشأوا مدينة جديدة في الجنوب الغربي من قورينة، سموها برقة (المرج)، وأصبحت بعد قليل كذلك من مراكز الحضارة الإغريقية في ليبيا. . ثم أسسوا

«يوسبيريديس» (بنغازى الآن) لتكون ميناء تجارياً لبرقة. كما أنشأوا مدينة خامسة على شاطئ المتوسط سموها تيوخيرا (توكرة الحالية)، فأصبح إقليم برقة كله يسمى إقليم المدن الخمس، ونمت وازدهرت هذه البقعة الفسيحة الممتدة كما نمت مدنها نمواً مطرداً، حتى أصبحت من مراكز الحضارة في شمال إفريقيا.

كانت كل مدينة من المدن الخمس مستقلة بحكومتها ونظامها الإداري، الذي اقتبسته من نظام المدن اليونانية، وكان أكثر سكانها من الإغريق، وأقليتهم من الوطنيين، وقد اندمج الوطنيون من سكان هذه المدن في الحياة الإغريقية، وشاركوا الإغريق في حضارتهم، فظهرت في هذه الرقعة الأهلة من الأرض حضارة مشتركة ذات طابع إغريقي، وانفردت قورينة من بينها بشهرة كبيرة ومنزلة ممتازة، إذ كانت أعظم المدن الإغريقية في المنطقة كلها، وأقدمها تأسيساً، وتولت أسرة باتوس الحكم فيها نحواً من مائتي عام (٦٣١ - ٤٤٠ ق.م)، وكان نظام الحكم فيها ملكياً وراثياً في الأسرة المالكة، ويعاون الملك مجلس شيوخ ومجلس قضائي.

وظلت قورينة محافظة على استقلالها حتى جاء عصر البطالسة، فحدث نزاع بين المدن الإغريقية في ليبيا، والتجأ بعض حكام هذه المدن إلى مصر يطلبون مساعدة ملكها بطليموس الأول لهم، وبعث بطليموس معهم جيشاً بقيادة (أوفيلاس)، فوطد الأمر لهؤلاء الأصدقاء، ثم ضم الإقليم كله إلى مصر، وفي عام ٣٢٢ ق.م زار بطليموس قورينة، واحتفى به أهلها... ومنذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد قام اتحاد بين المدن الخمس، وأصبحت المنطقة كلها تعرف باسم (بنتابوليس).

وفي متحف شحات نسخة من الدستور الذي منحه بطليموس لمدينة قورينة، وهي منقوشة باللغة الإغريقية على لوحة حجرية مستطيلة.

بذل الإغريق كل جهودهم لرفعة شأن قورينة، وإعلاء مكانتها، وتنمية حضارتها، فصارت منارةً عالياً يرسل أنواره إلى كل مكان، ومركزاً خطيراً من مراكز الثقافة الإغريقية على شواطئ البحر المتوسط، وازدهرت فيها العلوم

والفنون والأدب، كما ازدهرت حياتها الحضارية والاقتصادية، وظهر من أبنائها عدد كبير من الفلاسفة والعلماء والأدباء والشعراء، الذين ذاع صيتهم في كل مكان.

ومن أشهر فلاسفتها (ارستيبوس)، الذى أسس مدرسة فلسفية كبيرة فيها، وتجمع حوله تلامذته وأتباعه الكثيرون، ومنهم ابنته التى علمها عقائده الفلسفية فخلفته فى تزعم مدرسته ونشر مذهبه الفلسفى.

ومن أشهر شعرائها كاليماخوس الذى كان من أساتذة الأدب وسدنته فى عصره، وكان عالماً كبيراً من علماء اللغة والنحو، واختاره بطليموس الثانى ملك مصر أميناً عاماً لمكتبة الإسكندرية، فظل فى هذا المنصب حتى عصر بطليموس الثالث، وكان بالإضافة إلى عمله الرسمى شاعر العهد البطلمى (أو البطلسى).

ومن علماء قورينة المشهورين (أرستيبوس) الذى خلف أستاذه كاليماخوس فى منصب أمين مكتبة الإسكندرية، وهو من أعظم الجغرافيين القدماء، وقد نجح فى قياس محيط الكرة الأرضية قياساً لم يختلف كثيراً عن القياس العلمى الذى توصل إليه العلماء بعد ذلك.

خصص الإغريق فى قورينة الأماكن المجاورة لعين أبولو للأغراض الدينية، ولهذا شيدوا حولها عدداً كبيراً من المعابد للآلهة الإغريقية، ومن بينها معبد أبولو، ومعبد أرطيمس، وجددت هذه المعابد فى عهد البطالسة (أو البطالمة) وزيدت عليها معابد لآلهة أخرى، كمعبد الإله زيوس كبير آلهة الإغريق.

وشيدوا فيها مسرحاً لعرض التمثيليات عليه، وآثاره باقية فيها حتى اليوم، كما شيدوا أسواقاً عامة ونادياً رياضياً للشباب، وعدداً كبيراً من الإدارات الحكومية، ولا تزال مقبرة الملك باتوس وكثير من المقابر الإغريقية باقية حتى اليوم، ومن آثار شحات (قورينة) التى يراها الزائر لها: الينابيع، والساحة والمجمع، وهياكل بعض المعابد، وغير ذلك من الآثار النفيسة.

وهكذا نمت المدينة وتقدمت في العلوم والمعارف والفنون، وأقيمت فيها الأبنية الجميلة، والمنشآت العامة، من حمامات وملاعب ومسارح ومعابد، وقد زار هيرودوت المؤرخ اليوناني الكبير هذه المدينة، وتحدث عن معالم نهضتها، ومما كتبه وهو يقص مشاهداته فيها «إن نساء قورينة الإغريقيات حرمن على أنفسهن أكل لحم البقر، كما تفعل الليبيات تماماً، مشاركة لهن في شعورهن الخاص، واشتركن معهن كذلك في احترام الآلهة إيزيس، وفي الأعياد الوطنية ومواسم الصيام».

ومما النشاط الزراعي في قورينة، فأنتجت أراضيها الزيتون، والقمح والكروم، كما امتدت مراعيها الوافرة الكلاً ونشطت تجارتها، وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً لتصدير القمح والزيتون والخيول إلى اليونان، وكانت تصدر كذلك إليها السلفيوم، وهو نبات طبي له قيمة كبيرة، وكان ينبت على حافة المراعي، ويستخدم في العقاقير الطبية والروائح العطرية، ولأهميته كانت تطبع صورته على النقود في قورينة، وقد انقرض الآن، وكانت كذلك تصدر الذهب والعاج ونباتات وسط إفريقية إلى شواطئ البحر المتوسط.

وبعد حكم البطالسة بسط الرومان سلطانهم على إقليم طرابلس، ثم على إقليم برقة ابتداء من عام ٩٦ ق.م، وهاجر كثيرون من الرومانيين إلى قورينة، وأثروا ثراء كبيراً، وأقاموا المباني الفخمة، والمنشآت الضخمة، كالحمامات الكبرى والمسارح المدرجة والملاعب وأقواس النصر، والتماثيل الجميلة، واقتبسوا الكثير من ألوان الحضارتين الفينيقية والإغريقية، وزادوا عليها العديد من مظاهر الحضارة في شتى فنونها، ومما أنشأوه الحمامات الساخنة الجميلة التي فرشت أرضها بالفسيفساء، وكذلك مسرح جديد يشاهد السكان فيه مصارعة الحيوانات المقترسة.

دمر كثير من هذه المباني الرائعة في ثورة اليهود في قورينة عام ١١٥ م، وقد قضى الرومان على الثورة بشدة وقسوة.

وكان في قورينة وغيرها أيام الرومان كثير من المدارس يتعلم فيها أبناء البلاد العلوم والفلسفة والآداب، وكان بعضهم يتمم علومه في روما، ويحصل

على أعلى المراكز في الأمبراطورية الرومانية، ومنهم (سبتيموس سيفيروس) (١٤٦ - ٢١١ م) وقد تولى منصب الأمبراطور في روما عام ١٩٣ م، وهو لبي من لبة بإقليم طرابلس، وله تمثال في ميدان الشهداء بطرابلس.

ولما انقسمت الأمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥ م إلى شرقية وغربية، وضعت الغربية ثم سقطت عام ٤٧٦ م، خضعت قورينة للحكم البيزنطي (حكم الأمبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها بيزنطة - القسطنطينية) منذ عهد جستنيان عام ٥٣٣ م، وظلت تحت الحكم الروماني إلى أن فتحها عقبة ابن نافع عام ٦٤٣ م، فدخلت قورينة تحت الحكم الإسلامي.

إن آثار قورينة (شحات) آثار فريدة، وقد بقي الكثير منها يناطح الزمن، ويشير إلى حضارة قديمة ترعرعت في ليبيا منذ عشرات القرون.

وفي متحف الشحات مجموعات كبيرة من التماثيل الإغريقية والرومانية.

ويزور الشحات ومتحفها كل يوم مئات من السائحين من مختلف الدول؛ وفي المدينة فندق بني حديثاً على الطراز الروماني. وفيها الكثير من معالم هذه الحضارة القديمة التي بقيت آثارها شاهدة عليها.

- ٦ -

وهكذا نرى أثر الفينيقيين والإغريق، والرومان في التاريخ الليبي القديم واضحاً.

ولما فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ - ٦٤١ م أرسل جيشاً إسلامياً لفتح ليبيا، فاستولى الجيش على برقة ثم طرابلس، وصنع بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح صنيعة، وكذلك عقبة بن نافع؛ وبذلك خضعت ليبيا لحكم الإسلام والعرب من عام ٢٢ هـ / ٦٤٣ م، وإن قام الروم والبربر بثورات وحروب كثيرة لطرد العرب والمسلمين من ليبيا، وانتهت كلها بالفشل.

ففى عام ٥٠ هـ فى عهد معاوية أخضع عقبة بن نافع شمال إفريقيا وهزم الروم وأسس القيروان عام ٥٣ هـ (٦٧٢ م)، وقتل عقبة فى حروبه مع البربر فخلفه زهير بن قيس عام ٦٢ هـ، الذى قتله البربر أيضاً، ثم أكمل موسى بن نصير فتح الشمال الإفريقى كله، وبذلك خضع البربر لحكم العرب نهائياً^(١)، وهاجرت قبائل عربية كثيرة من جزيرة العرب إلى ليبيا، وأصبحت السيادة فيها للعنصر العربى الذى نشر الإسلام واللغة العربية فى ربوعها بالتدريج.

وخضعت ليبيا لحكم الأمويين ثم العباسيين وتعاقب عليها الولاة العرب الذين أكدوا سيادة العرب فى ليبيا ومن حيث كان الشعب الليبى فى القديم يعيش فى عزلة داخل بلاده، وتعيش العناصر الأجنبية الوافدة عليه فى الشواطئ، الفينيقيون فى الشواطئ الغربية والإغريقون فى الشواطئ الشرقية، وخلف هؤلاء وهؤلاء الرومان، فإن العرب اندمجوا بالشعب الليبى اندماجاً تاماً، ولم يمض قرن على فتح العرب لليبيا حتى صار الفاتحون لبيين وصار الليبيون عرباً فى الدين واللغة والثقافة، وأصبح الجميع شعباً واحداً له قوميته العربية الإسلامية، وله ميوله الحضارية والإنسانية، ويقطن أرض بلاده شواطئها وجبالها ووديانها وصحراءها وكل مكان فيها، معتزلاً بهذه الروابط الكبيرة بين إخوانه فى الدين واللغة والجوار.

(١) من أعلام الفتح الإسلامى لليبيا: عبدالله بن سعد بن أبى سرح الذى تولى مصر فى خلافة عثمان وهو أخوه رضاعاً، ثم فى عهد معاوية من عام ٤٣ حتى عام ٥٥ هـ، ودفن فى عسقلان بالشام، وهو الذى تم على يديه فتح المغرب، ومنه ليبيا، وله ضريح باسمه فى واحة «أوجلة» ببرقة، ومنهم كذلك عقبة بن عامر الجهنى ومعاوية بن خديج الكندى (٥١ هـ)، ورويفع بن ثابت الأنصارى (٥٦ هـ)، وعقبة بن نافع الفهرى (٦٣ هـ) (١: ٩٢ حسن المحاضرة، ٤١: ١ المنهل العذب)، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، وخالد بن ثابت الفهرى، ومسلمة بن مخلد الأنصارى، وزهير ابن قيس (٦٩ هـ) وحسان بن النعمان الغسانى وهو أول من دخل أفريقية من أهل الشام فى زمن بنى أمية (راجع ص ١٣ وما بعدها الدرر السنية للإمام السنوسى)، وقد حكم أفريقية من عام ٧٦ هـ، وتوفى حسان عام ٨٩ هـ.

الباب الاول

اللغة العربية في ليبيا

في عهد الولاة الأمويين والعباسيين
٤١ - ١٨٤ هـ

الفصل الاول

التشاط العربي في ليبيا في هذا العهد

- ١ -

أخذت القبائل العربية بالتدريج تهاجر إلى أرض ليبيا والمغرب العربي^(١) الكبير كله، وبدأ العنصر العربي يكثر في هذه البلاد بالتدريج، ولا سيما بعد استقرار الفتح الإسلامي فيها منذ عهد موسى بن نصير وما تلاه من حكم الأغالبة ثم الفاطميين، وأخذت طرابلس^(٢) تتصدر مدن ليبيا العربية، وتكثر

(١) يقسم المغرب العربي إلى ثلاثة أقسام:

أ - المغرب الأدنى أو أفريقية، ويشمل بلاد طرابلس وتونس.

ب - المغرب الأوسط، ويشمل بلاد الجزائر.

ج - المغرب الأقصى وهو مراكش.

وكانت أرض المغرب في أحيان كثيرة تابعة للوالي العربي في مصر، وبعد إنشاء القيروان واستقرار الفتح صارت ولاية إسلامية مستقلة الشخصية يتولى أمورها وال من قبل دمشق أو بغداد، وقد اتخذ العرب مدينة القيروان مركزاً إدارياً، وأنشأوا بها الدواوين المختلفة، وعينوا العمال للإشراف على شئون الولاية، وبني حسان بن النعمان مدينة تونس ميناء لها يحل محل مدينة قرطاجنة.

(٢) أما مدينة برنيق فاختلفت كمدينة قائمة بذاتها على أثر الفتح العربي واختفاء المجتمع الإغريقي الروماني أمام العرب الزاحفين، وظلت مهجورة، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) عندما عادت إليها الحياة من جديد بوفود الجماعات إليها من مهاجري وتجار مدن الساحل الطرابلسي، وكان من بينهم أولئك الذين أتوا من مدينة مسرارة، وقد تزايد عددهم على مر الأيام حتى اليوم، إذ نرى فيها أحياء مأهولة عملة للقرى المسراتية في موطنها الأصلي الذي نزحت منه، وشوارع تحمل أسماء قرى معروفة في مدينة «مسرارة»؛ وهؤلاء المهاجرون هم الذين أحيوا مدينة «برنيق» من جديد، تحت اسم بنغازي. أما مدينة درنة فلأنها بقيت بعد الفتح العربي قائمة، وإن غمت بعد هجرة المسراتيين إليها في القرن الخامس عشر الميلادي (راجع ٩٨ و ٩٩ دراسات في التاريخ اللوي لبعي).

فيها الحلقات العلمية والمدارس، وتقام فيها المساجد والأبنية العربية المختلفة، ويفد إليها العلماء المسلمون من المشرق؛ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، يعلمون الناس القرآن وفرائض الإسلام، كما يعلمونهم العربية لغة الكتاب الكريم وكذلك قامت القيروان في تونس عام ٥٣ هـ مركزاً إسلامياً وثقافياً كبيراً في المغرب الأدنى، كما قامت تونس عام ٧٨ هـ، وفاس عام ١٨٨ هـ.

وصارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في السياسة والعلم والأدب في ليبيا، بها يتكلم العرب الفاتحون، ويتعلمها السكان الأصليون في الوطن الليبي بالتدريج، وصار للعرب وللغة العربية النفوذ الأعلى في هذه البلاد التي سادتها مظاهر الحضارة العربية.

أخذ السكان الأصليون بأسباب الحضارة الإسلامية، وزاد تعلقهم بدين العرب ولغتهم، واندمجوا شيئاً فشيئاً في العنصر العربي؛ وكان لدعوة الخوارج والمعتزلة والأباضية والتشييع التي سادت بين القبائل البربرية أثر عظيم في انتشار الإسلام واللغة العربية، ولما تولى خلافة المسلمين عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ: ٧١٧ - ٧١٩ م) وجه عنايته إلى نشر الإسلام في المغرب، والتمكين للغة العربية فيه، فأرسل جماعة من مشاهير التابعين لأداء هذه المهمة، وبناء صرح المغرب الإسلامي، فأسسوا المساجد في سائر أنحاء البلاد لنشر الإسلام في ربوعها، وأنشأوا الكتاتيب لتعليم اللغة العربية^(١). وقامت مساجد كثيرة في طرابلس، كما بنى جامع الزيتونة في تونس عام ٧٩ هـ في ولاية حسان بن النعمان^(٢)، كما بنى مسجد القيروان من قبل عام ٥٣ هـ (٦٧٣ م) وقامت فاس عام ١٨٨ هـ، ثم قام مسجدها مسجد القرويين بفاس ٢٤٥ هـ، وغيرها من المساجد الكبرى، التي صار الكثير منها جامعات ومدارس إسلامية.

(١) راجع ٢: ٢٩٧ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف.

(٢) صار بعد خمس وثلاثين سنة من إنشائه (أي عام ١١٤ هـ) معهداً علمياً تدرس فيه العلوم الإسلامية والعربية.

ومع ذلك كله فقد كانت سيادة اللغة العربية في المدن الكبرى، التي تنتظم المدارس والجامعات والمساجد وعواصم الملك. أما خارج هذه المدن، فأكثر السكان من البربر الذين تسودهم اللهجات البربرية، والذين لم يتعود لسانهم العربية بعد؛ ولم يستطيعوا النطق بها^(١)، ولشدة العجمة في ألسنتهم، لم يجيدوا العربية إلا بعد زمن طويل، وقد ضرب ابن خلدون المثل بالبربر في قلة استفادة الأعجمي من اللسان العربي، إذ كان معرقاً في العجمة، قال: «وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العجمة، وأبعد عن لسان مضر، قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية، وحصول ملكتها؛ لتمكن المنافاة حيثئذ؛ واعتبر في ذلك أهل الأمصار، فأهل إفريقية والمغرب، لما كانوا أعرق في العجمة، وأبعد عن اللسان الأول، كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم؛ وهناك أمثلة كثيرة لفساد البلاغة في نفوس البربر، وقلة درايتهم بأسباب فصاحة الكلام العربي، وعدم استطاعتهم التجويد والبيان فيما ينشئون من أدب^(٢)، ومع ذلك فقد نبغ من بين البربر بعض الشخصيات التي أثر عنها أرفع النماذج الأدبية، ومن بين هؤلاء طارق بن زياد البربري، الذي أثرت عنه خطبة مشهورة في أثناء الفتح العربي للأندلس

(١) راجع ٣: ١٧٣ الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى، ٢: ٣٣٧ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف.

(٢) ٢: ٢٣٧ و ٣٣٨ قصة الأدب في الأندلس، وذكروا أن يوسف بن تاشفين فيما بعد لما حضر إلى الأندلس رغب الشعراء عن مدحه، ولم يرضوا بالتقدم إليه، لعلمهم بمكان الأدب من نفسه، حتى رجاهم المعتمد فمدحوه، وبينما كان الشعراء ينشدون، قال له المعتمد: هل يعلم أمير المسلمين ما يقولون؟ قال: لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخير، ولما انصرف يوسف إلى حاضرة ملكه، كتب المعتمد له رسالة فيها:

بنتم وينا فما ابتلت جوانحننا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكمو أيامنا ففدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
فلما قرئ عليه هذان البيتان، قال للقارئ: يطلب منا جوارى سوداً وبيضاً؟ فقال القارئ: لا يا مولانا!، ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهاراً، لأن ليالي السرور بيض، فعاد نهاره ببعده ليلاً، لأن ليالي الحزن سود، فقال: والله جيد! اكتب له في جوابه: «إن دموعنا تجري عليه، ورووسنا توجعنا من بعده» وهذا ملك، وذلك هو شأنه حتى فيما بعد، في قلة حصول ملكة العربية وبلاغتها في نفسه.

عام ٩٢ هـ : ٧١١ م ، وهي كما وردت في كتب التاريخ والأدب ، وكما جاء في رواية نفع الطيب للمقرئ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة موسى ابن نصير؛ قال طارق، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر فضل الجهاد، ورغب في الشهادة^(١) :

«أيها الناس: أين المفر^(٢)، البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق^(٣) والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة^(٤) اللثام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة^(٥)، وأنتم لا وزر^(٦) لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم. . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهب ربحكم^(٧)، وتعوضت القلوب من رعبها الجراءة^(٨) عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم، بمناجزة^(٩) هذا الطاغية^(١٠)، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة؛ وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن، إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإن لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة^(١١)، ولا حملتكم على خطة - أرخص متاع فيها النفوس - أرباً^(١٢)، عنها بنفسى،

(١) راجع ١ : ٣٤٢ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف.

(٢) اسم مكان، أى موضع الفرار، وقيل إنه يجوز فيه كسر الفاء على القياس.

(٣) الصدق: البسالة في الحرب.

(٤) بفتح الدال وضمها: الطعام يصنع لدعوة.

(٥) كثيرة.

(٦) الوزر: بالتحريك، الجبل المنيع، وكل معقل، والملجأ، والسلاح لأنه يعصم صاحبه، والوزير من الوزر (بالكسر فالسكون) وهو الحمل الثقيل، لأنه يحمل ثقل الأمر ويعين الملك برأيه، أو من الوزر (بالتحريك) لأن الملجأ إليه في التدبير.

(٧) من معاني الريح المجازية: الغلبة والقوة والدولة، والريح تذكر وتؤنث.

(٨) من جرؤ بمعنى شجع.

(٩) المناجزة: المقاتلة.

(١٠) ملك النصارى.

(١١) أي ببعد، والنجوة المكان المرتفع.

(١٢) من ربأ كمنع بمعنى ارتفع.

واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً، استمتعتم بالأرفه^(١) الألد طويلاً،
فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فيما^(٢) حظكم فيه أوفر من حظي . .

وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسن، من بنات
الرومان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان^(٣)،
المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد
الملك^(٤)، أمير المؤمنين، من الأبطال عزبانا^(٥)، ورضيكم للملك هذه الجزيرة
أصهاراً وأختاناً^(٦)، ثقة منه بارتياحكم للطعان، وإسماحكم^(٧) بمجالدة^(٨)
الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار
دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين
سواكم؛ والله تعالى ولى إنجازكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . .
واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وإنى عند ملتقى الجمعين حامل
بنفسي على طاغية القوم (لذريق)^(٩)، فقاتله إن شاء الله تعالى، فإن هلك
بعده فقد كفيتهم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه؛ وإن
هلك قبل وصولي إليه، فاخلفوني في عزمي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه،
واكشفوا لهم^(١٠) من فتح الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون».

(١) من رفه عيش الرجل إذا لان.

(٢) في رواية «الفتح»: فما، والمعنى عليها لا يستقيم.

(٣) الذهب.

(٤) هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦ هـ: ٧٠٥-٧١٥ م) الذي كان

فتح الأندلس في عهده وبأمره بقيادة واليه عن إفريقية موسى بن نصير.

(٥) جمع عزب (بالتحريك) وهو من لا زوج له. ويصح أن يكون جمع عازب. أو جمع عزيب؛
أو أعزب على القول بوجوده.

(٦) الصهر: القرابة، وزوج بنت الرجل أو أخته، والختن (بالتحريك): الصهر، أو كل ما كان
من قبل المرأة كالأب والأخ.

(٧) من سمح الرجل كمنع، وأسمح، بمعنى جاد وكرم. أما سمح بضم الميم فمعناها صار من
أهل السباحة.

(٨) المجالدة: المضاربة بالسيوف.

(٩) هو ملك الأسبان أثناء الفتح الإسلامي.

(١٠) بمعنى أزيحوه وأبعدوه عن أنفسكم.

وكما تدل هذه الخطبة البليغة على الحنكة السياسية والعبقورية العسكرية، تدل أيضاً على تمكن البلاغة من نفوس بعض أهل البربر، الذين تعلموا البلاغة العربية وبدأوا يتذوقونها؛ وهؤلاء قليلون جداً، فلا يصح أن ينسب فضلهم إلى بيتهم، وإنما ينسب إلى امتياز ملكتهم، بما وهبهم الله من خصائص في الإدراك، وإلى ظروف أخرى أحاطت بهم^(١)، كتربيتهم في بيئة عربية إسلامية منذ الطفولة.

يرتاب بعض الباحثين في هذه الخطبة لأن كثيراً من المتقدمين لم يشيروا إليها، فلم يذكرها ابن عبد الحكم ولا البلاذري، وهما أقدم رواة الفتوحات الإسلامية، ولم تشر إليها المصادر الأندلسية المتقدمة، ولا ابن الأثير وابن خلدون^(٢)، وهذا الشك ليس بمستساغ ما دامت الخطبة قد وردت في أكثر من مرجع ومن بين مصادرها وفيات الأعيان لابن خلكان ونفع الطيب للمقرئ، وغيرهما. . وهذه الخطبة لا ضير إن عددناها من نماذج الأدب العربي في ليبيا العربية. .

- ٢ -

وبانتشار الإسلام واللغة العربية في ليبيا، أخذت الثقافة العربية الإسلامية في الظهور، وكانت الصبغة الغالبة على العلماء هي الصبغة الدينية، والثقافة الذائعة في البلاد هي ثقافات الشريعة وعلومها؛ وكان لمذهب مالك السيادة الروحية في هذه البلاد، التي عنت بعلوم القرآن والحديث والفقه عناية فائقة، وأخذ سكانها الفقه عن صاحب مالك ابن قاسم المصري. ومن علماء الفقه المالكي فيما بعد أسد بن الفرات (٢١٣ هـ) مفتي الجماعة بالقيروان زمن الأغالبة^(٣)، وتلميذه سحنون^(٤) (٢٤٣ هـ)، الذي نقل مدونة الفقه التي

(١) ٢ : ٣٣٨ قصة الأدب في الأندلس.

(٢) ١ : ٣٤٦ المرجع نفسه.

(٣) للأستاذ على مصطفى المصراقي كتاب مطبوع عنوانه «أسد بن الفرات فاتح صقلية».

(٤) راجع ١ : ١١٧ المنهل العذب، وكان يدرس بأجدابية ثلاث سنين، وقال سحنون: سمع =

رواها ابن قاسم عن مالك ولخصها ابن أبي زيد القيرواني، وعنهم انتشر مذهب مالك في ليبيا وفي المغرب كله، إلا في فترات كان يروج فيها فقه الشيعة أو الخوارج^(١) والاباضية من بينهم خاصة.

- ٣ -

وكان النفوذ العباسي في ليبيا والمغرب ضعيفاً، لبعدها عن السلطة المركزية في بغداد، ولقوة الخوارج في هذه البلاد واستعانتهم بالبربر، ومن أجل ذلك تمكن الإدارة من تأسيس دولتهم في المغرب الأقصى (١٧٢ هـ - ٣٧٥ هـ)، ثم استقل الأغالبة في تونس وليبيا وشرقي الجزائر منذ ولي أمور هذه البلاد إبراهيم بن الأغلب عام ١٨٤ هـ.

بل إن محمد بن الأشعث الذي تولى حكم هذه البلاد في عهد المنصور العباسي خرج عن طاعة الخليفة المنصور، وحاول الاستقلال بأفريقية، فعزله الخليفة وولى مكانه الأغلب بن سالم وهو أبو إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة، وذكر ابن الأثير أن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي كان من دعاة أبي مسلم الخراساني وقواده، ثم جاء إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث؛ وقدم الأغلب بن سالم القيروان عام ١٤٧ هـ إلا أن البربر وأنصار ابن الأشعث من القواد العرب قتلوه عام ١٥٠ هـ، وقبره في القيروان معروف يعرف بقبر الشهيد، فولى المنصور والياً جديداً على هذه البلاد هو عمر بن حفص المهلبى عام ١٥١ هـ، وظلت ثورات الخوارج في هذه البلاد ضد

= أهل أجدابية منى العلم سنة ١٩١ هـ (١ : ١١٧ المهمل العذب)، وقد ضرب بنو سليم وبنو هلال مدينة أجدابية عام ٤٤٤ هـ (راجع ١ : ١١٦ المهمل).

(١) كان من أعظم المؤيدين فيما بعد لفقه الإمام مالك في ليبيا وأنحاء المغرب كلها المعز بن باديس الذي قضى على الفقه الشيعي في هذه البلاد بعد أن خلع طاعة مصر وخلفائها من الفاطميين.. وقد انتقل فقه الإمام مالك كذلك إلى الأندلس على أيدي تلامذة مالك ومنهم يحيى بن يحيى بن كثير الليثي (المتوفى بقرطبة عام ٢٣٤ هـ) وأستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمي، ومنهم كذلك عبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي (١٧٤ - ٢٣٨ هـ) وكان من كبار فقهاء مذهب مالك: ومنذر بن سعيد البلوطي (٣٥٦ هـ).

الحكم العباسي قائمة، فبعث الرشيد قائده هرثمة بن أعين على رأس جيش ضخم إلى إفريقيا عام ١٧٩ هـ للقضاء على ثوراتهم ففشل في ذلك، وأخيراً ولي الرشيد إبراهيم بن الأغلب حكم هذه البلاد فأسس دولة الأغالبة فيها (١٨٤ - ٢٩٦ هـ)، واستقلت ولايات كثيرة عن الخلافة العباسية وأكثرها من الخوارج الذين تحالفوا مع البربر، ومنها ولاية تاهرت^(١) (١٣٧ - ٢٩٧ هـ)، وولاية سجلماسة (١٦٧ - ٢٥٧ هـ)، وولاية تلمسان وغيرها من ولايات المغرب، وأكثر هذه الدول المستقلة عربية يحكمها أمراء عرب، يعملون ما وسعهم الجهد على نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد المغرب كله، ويتنافسون فيما بينهم على تشجيع العلماء وتقريب الأدباء والشعراء إليهم، وبذلك أثمر هذا الخلاف السياسي الشديد قوة وازدهاراً للغة العربية وآدابها في هذا العهد. . كما حدث للأدب في العصر العباسي الثاني حين نشأت الدول المستقلة، وتنافست فيما بينها على تشجيع الأدب ورعاية الأدباء والشعراء والعناية بالثقافة العربية بمختلف ألوانها وفنونها.

واللغة العربية، والأدب العربي، والثقافة الإسلامية تسير حيثما كانت تسير الفتوحات الإسلامية، فحيثما يفتح المسلمون البلاد، تقيم فيها حاميات من الجند الإسلامي، وعلى هذه الحاميات قواد من العرب، وبجانب الجيش أمراء يحكمون هذه البلاد؛ وغالباً ما يكونون هم أمراء الجيوش، وبجانبها تنزل القبائل العربية المهاجرة، تتكلم اللغة العربية، وتذيع الأدب العربي وتأخذ لهجتها ولغتها العربية في الذيوع بين سكان البلاد الأصليين، ببواعث الجوار والاختلاط والسيادة والمصالح المشتركة. ويقبل من يدخلون في الإسلام من أهل البلاد الصميمين على تعلم لغة العرب، والتأدب بآدابهم، وحفظ

(١) كانت مدينة تاهرت مركزاً كبيراً من مراكز المعتزلة في المغرب العربي، ويذكر ياقوت أن عددهم في تاهرت كان نحو ثلاثين ألف بيت (معجم البلدان - مادة تاهرت)، وكان المعتزلة منذ القرن الثاني الهجري قد بثوا الدعوة إلى كل جهة (٣ : ٩٢ ضحى الإسلام)، ولصفوان الأنصاري قصيدة في واصل وأصحابه ودعوتهم وفي بثهم للدعاة في كل مصر (١ : ٢٥ و ٢٦ البيان والتبيين للجاحظ طبعة الخانجي). . كما قامت دولة أباضية في تاهرت أيضاً ودولة صفورية في سجلماسة.

أشعارهم، وتعلم علومهم. ومن ثم انتشرت اللغة وذاع الأدب في كثير من البلاد المفتوحة، وقامت مواطن الأدب في نواحي المملكة الإسلامية المترامية الأطراف التي كانت تستظل بلواء الإسلام؛ ومن هذه المواطن العزيزة ليبيا العربية المسلمة..

كانت قبيلة (لواته) تنزل برقة، ونزلت هواره مدينة لبدة، وسكنت نفوسة مدينة صبرة^(١)؛ وهي كلها قبائل بربرية؛ فلما جاء الإسلام وفتحت برقة وطرابلس أخذت القبائل العربية تهاجر إلى هذه البلاد.

وهاجر إليها عدد كبير من الصحابة^(٢)، وكان مع موسى بن نصير سبعة وعشرون ألفاً من العرب أمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه واللغة^(٣)، ومن الأعلام المشهورة في هذا العصر: الشيخ عبد الوهاب القيسي المتوفى عام ٢٠٠ هـ والمدفون في طرابلس، وضريحه في مسجده بها^(٤).

(١) ١ : ٢٨ و ٦٩ المنهل العذب.

(٢) ١ : ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ المرجع.

(٣) راجع ١ : ٥٣ المرجع.

(٤) ١ : ٧٥ و ٧٦ المرجع - وراجع كتاب تاريخ المغرب العربي من الفتح العربي حتى قيام دولة الأغالبة والرسميين والادارسة تأليف د. سعد زغلول.

الفصل الثاني

العرب الأولون في ليبيا والمأثور من بلاغتهم

- ١ -

عقبة بن نافع الفهري - أحد أبطال الفتح الإسلامي لليبيا والمغرب العربي الكبير - يوصي أولاده وقد خرج من القيروان ليتابع الجهاد في سبيل الله :

يا بني : إني بعت نفسي من الله ، لا أدري ما يقضى علي في سفري ؛
وإني أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها :

إياكم أن تملأوا صدوركم شعراً ، وتتركوا القرآن . . املأوا صدوركم من كتاب الله ، فإنه دليل على الله ، وخذوا من كلام العرب ما تهذبون به ألسنتكم ، وبذلكم على مكارم الأخلاق ؛ ثم انتهوا عما وراءه .

وأوصيكم أن لا تدانوا ولو لبستم العباء ، فإن الدين ذل بالنهار ، وهم بالليل ؛ فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم ، وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم .

ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين ، يحملونكم دين الله ، ويفرقون بينكم وبين الله . ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والحيلة فإنه أسلم لكم ؛ ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا . .

ثم قال : عليكم سلام الله ، وأرى ألا تروني بعد يومي هذا ، ثم قال :

اللهم تقبل نفسي في رضاك، واجعل الجهاد رحمتي من دار كرامتي عندك^(١).

- ٢ -

عقبة يخطب في جيش المسلمين، وهو يستعد لملاقاة الأعداء في زحفه الكبير إلى شاطئ المحيط الأطلسي^(٢):

أيها الناس: إن أشرافكم وخياركم، الذين رضي الله عنهم، وأنزل عليهم كتابه، بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة، فهم أشرافكم والسابقون منكم للبيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة، وإنما بايعتم رب العالمين، فقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لرضاه، وإعزازاً لدينه، فأبشروا، فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل إن شاء الله تعالى، وربكم عز وجل لا يسلمكم فاصبروا والقوهم بقلوب صادقة، فإن الله تعالى جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه.

- ٣ -

عقبة بن نافع على شاطئ المحيط الأطلسي يقحم فيه فرسه، وينادي بأعلى صوته، وهو يشير بسوطه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال له بعض أصحابه: على من تسلم يا ولي الله؟

فقال: على قوم يونس من وراء هذا البحر، ولولا هذا لوقفت بكم عليهم.

(١) راجع ص ١٩ الدرر السنية للإمام السنوسي.

(٢) ص ٢٠ المرجع السابق.

ثم رفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم اشهد، إني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد
أقاتل من كفر بك، حتى لا يعبد أحد من دونك^(١)،
وفي طريق عودته إلى القيروان قتل وهو يقاتل جموعاً غفيرة من الأعداء
وذلك عام ٦٢ هـ^(٢).

- ٤ -

ولى موسى بن نصير إفريقية عام ٨٩ هـ ففتح المغرب كله، وولى طارق
ابن زياد البربري على ولاية طنجة، وترك موسى معه عدداً قليلاً من العرب
يعلمون البربر القرآن وفرائض الإسلام، وبعد قليل أصدر أمره إلى طارق
بغزو الأندلس، وعبر طارق بجيشه البحر، وصعد إلى جبل سمي جبل طارق
عام ٩٢ هـ، وسار إليه لذريق ملك أسبانيا في جيش كثيف، فلما بلغ طارقاً
ذلك، قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطبهم خطبته المشهورة:
«أيها الناس^(٣)، أين المفر، والبحر من وراءكم، والعدو أمامكم، فليس لكم
والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيّع من الأيتام في
مأدبة اللثام...»

وهذه الخطبة الطويلة الماثورة أثر من بلاغة العرب في المغرب، سواء
كان خطب بها طارق في الأندلس، أو كان خطب بها في طرابلس، وقد
سلفت بنصها الكامل كما وردت في وفيات الأعيان وفي نفح الطيب وغيرهما
من المصادر الأدبية.

(١) ص ٣١ المرجع السابق.

(٢) ٩٢: ١ حسن المحاضرة للسيوطي.

(٣) راجعها في جميع كتب الأدب والتاريخ، وفي ص ٣٣ الدرر السنية.

الفصل الثالث

مقومات الأدب العربي في ليبيا في هذا العصر

- ١ -

ظهر الأدب العربي في هذا العصر في ليبيا العربية بإقليميهما: برقة وطرابلس، وذلك بتأثير العوامل الجديدة التي من أهمها:

- ١ - الفتح العربي الإسلامي لليبيا، واستقراره نهائياً قبل نهاية القرن الأول الهجري.
- ٢ - هجرة القبائل العربية المتتالية من الحجاز ونجد واليمن إلى سهول وجبال وصحاري ليبيا العربية.
- ٣ - إنشاء المساجد واتخاذها حلقات علمية في طرابلس ودرنة وغيرها من مدن ومعامل ليبيا، وكان جامع الناقة الكبير في طرابلس أول المساجد التي أنشئت في طرابلس.
- ٤ - إقامة الجنود الفاتحين في ليبيا، ومنهم أعلام مشهورون من الصحابة والتابعين، واتخاذ طرابلس أول الفتح مقراً للحكم الإسلامي في الشمال الإفريقي كله.
- ٥ - هجرة كثير من دعاة الفرق والمذاهب الدينية والسياسية إلى ليبيا فراراً من جور الخلفاء ويطشهم، ويقص التاريخ علينا هجرة كثير من الشيعة والخوارج والمعتزلة إلى هذه البلاد ومن الذين قدموا إلى ليبيا سلمة بن سعيد الذي وفد على هذه البلاد في أوائل المائة الثانية لنشر المذهب

الإباضى والدعوة إليه .

٦ - هجرة المسلمين الأولين إلى طرابلس ودرنة وزويلة وغيرها واتخاذ كل مكان نزلوا فيه مركزاً ثقافياً عربياً إسلامياً، وقد عنى عمر بن عبد العزيز بيعث الصحابة والتابعين إلى الشمال الإفريقى لتعليم أهله فروض الإسلام ولغة الكتاب الحكيم .

٧ - اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للحكم الإسلامى فى ليبيا، فهى لغة الوالى والقواد والجنود والعرب المهاجرين، ولغة الدولة ولغة العلم والدين والثقافة، وهى أولا وقبل كل شىء لغة القرآن الكريم .

- ٢ -

وكان العرب حينما ينتقل من الجزيرة العربية تنتقل معه لغته وأدبها، لذلك كان الكثير من الولاة وقواد الفتح والجنود والعرب المهاجرين، ومن الصحابة والتابعين، بلغاء مقاول، وفصحاء موهوبين، وطالما نطقوا فأبانوا، وقالوا فأفصحوا، وعبروا عن كل ما يختلج فى نفوسهم، ويتصل بمشاعرهم، ووصفوا الفتح ومعاركه، والمدن الجديدة التى نزلوها، وأجواءها ومشاهدها، وحنينهم إلى الوطن العربى الأم؛ كما تحدثوا عن آمالهم وآلامهم؛ وكان الأدب العربى على ألسنة قواد الفتح فى هذا العصر يتمثل فى الخطب الحماسية التى يلقونها فى الجنود، يرغبونهم فى الجهاد فى سبيل الله، والاستشهاد من أجل دينه، أو ييشرون فيها بنصر، أو يوجهون بها الجنود لخطط المعركة وسير أحداثها؛ وفى غير ذلك من الشئون والأغراض .

وإذا كان الكثير من نصوص هذا الأدب لم يدون، أو دون وفقدت مصادره، فإن مابقى منه هو صورة موجزة تمثل الأدب العربى فى ليبيا العربية المسلمة فى هذا العصر البعيد .

ومن الضرورى أن يتعلم بعض شباب البربر من السكان الأصليين، من الأسرى وغيرهم، فى طرابلس وغيرها من مراكز الدعوة الإسلامية الجديدة اللغة العربية والدين الإسلامى وآداب العرب وبلاغتها، على أيدى جلة

العلماء المسلمين في هذا العصر، وعلى أيدي الدعاة إلى المذاهب والفرق الإسلامية الذين كثروا في ليبيا في هذا العهد، وأن ينبغ بعضهم في اللغة والبلاغة والفصاحة والأدب، ومنهم طارق بن زياد الذي تروى بلاغته العربية في خطبته المشهورة التي خطب بها جنده في بدء الفتح العربي للأندلس.

هذه وغيرها هي مقومات الأدب العربي الجديد في ليبيا، الذي ظهر لأول مرة في هذه البلاد، في عصر الولاة الأمويين والعباسيين.

- ٣ -

ولا نخص بذلك كله النثر دون الشعر، فهما في الحكم سواء، فكما عبر العربي في هذا العصر عن أغراض الكلام بالنثر، كذلك عبر بالشعر في وصف المعارك، والدعوة إلى الجهاد، وتحسيس الجند، والحض على النضال والقتال، وفي وصف الحنين إلى الوطن وذكرياته وأحبابه، وفي كل ما يحتاج العربي للشعر فيه من دواع وأغراض.

وكما رحل الشعراء من الحجاز إلى مصر كنصيب وجميل وكثير وغيرهم، كذلك رحلوا إلى ليبيا مقيمين حيناً، وزائرين حيناً آخر.

ومن نصوص الشعر العربي القديم في ليبيا ما وجد منقوشاً على قبر عتيق بمقبرة المنذر الصحابي الجليل المدفون بطرابلس عام ٩٦هـ، فقد وجد عليه هذان البيتان:

هي في جوارك يا منيذر فاحمها ومن المروءة أن يعز الجار
حاشا لفضلك يا رفيق محمد من أن تمس مجاوريك النار^(١)
ولا يعرف تاريخ كتابة هذين البيتين.

ومن آثار شعر الفتح الإسلامي العربي للبيبا أبيات لأبي ذؤيب الهذلي

(١) ١ : ٥٥ المنهل العذب، وراجع في ترجمة المنيلر ص ٦٤ من كتاب «نقحات النسرين والريحان»، لأحمد الناتب.

يمدح فيها عبد الله بن الزبير أحد قادة الفتح، والذي تولى قتل جرجير بعد معارك دامية، ويقول أبو ذؤيب من هذه الأبيات:

وصاحب صدق كسيد الضرا ينهض في الغزو نهضاً نجيحاً
وشيك الفضول بطيء الفقو ل إلا مشاحاً به أو مشيحاً^(١)

ويبدو أن الفاتحين في معارك الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي، كان أكثرهم من اليمن القحطانيين، فلم يؤثر لهم نشاط كبير في مجال الشعر والبلاغة أثناء الفتح الإسلامي في شمال أفريقيا، وكانت أكثر القبائل المهاجرة إلى هناك من اليمن؛ والشعر في مضر لا في اليمن^(٢).

ومن قصيدة لشاعر ليبي الكبير أحمد الشارف عنوانها «أمة ومجد» يقول الشاعر:

حيوا بني وطني من أمة العرب تمثلت فيهم روح من الأدب
لا غرو أن يدعى الليبي أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب
لديه من لغة القرآن معجزة تلوح كالدركالياقوت كالذهب^(٣)

(١) ١٣٥ و ١٣٦: ١ ديوان الهذليين، ٦: ٢٦٦ الأغاني (دار الكتب)، ٢: ٦٣٥ ابن قتيبة.

(٢) ١٦٦-١٦٨ شعر الفتوح الإسلامية - النعمان عبد المتعال القاضي - الدار القومية ١٩٦٥.

(٣) ٩٠ أحمد الشارف المصراي - ط بيروت ١٩٦٣.

الباب الثاني

الأدب في ليبيا

في عهد الأغالة

١٨٤ - ٢٩٦ هـ : ٨٠٠ - ٩٠٨ م

الفصل الأول

ليبيا العربية في عهد الأغالبة

- ١ -

بعد الفتح الإسلامى لليبيا صار أمرها بيد وال عربى يعينه خليفة المسلمين ويعاونه فى حكم البلاد الجيش العربى الفاتح ورؤساؤه من القواد، ثم زعماء القبائل العربية التى بدأت تهاجر من جزيرة العرب عن طريق مصر إلى هذه الديار، ثم الموظفون الكبار الذين كان الخليفة يعينهم ليساعدوا الوالى العربى فى الحكم.

وتتابع الولاة من قبل خلفاء بنى أمية، فخلفاء بنى العباس كما أسلفنا. وفى عهد الرشيد ولى الخليفة على أفريقيا، هرثمة بن أعين القائد (ربيع الأول ١٧٩ هـ - رمضان ١٨١ هـ)، فأشار على الخليفة الرشيد أن يخلفه إبراهيم بن الأغلب فى حكم البلاد، الذى لم يل أمورها أحسن سيرة ولا سياسة منه^(١)، ففى عام ١٨٤ هـ جعل الرشيد الحكم لابن الأغلب طيلة حياته، ويظل يتوارث فى أسرته فى ظلال النفوذ العباسى، فظهرت بذلك دولة الأغالبة العربية التى استمرت أكثر من قرن من الزمان (١٨٤ - ٢٩٦ هـ)، وكانت عاصمتها القيروان، وتشمل ليبيا وتونس وجزءاً من الجزائر - مقاطعة قسطنطينة - ونقل ابن الأغلب دواوين الدولة إلى مدينة جديدة أنشأها فى

(١) راجع ابن الأثير ٦: ٥٥، تاريخ الإسلام السياسى ٢: ١٧٩.

ضواحي القيروان سماها «العباسية»، وتعاقب على حكم هذه البلاد أحد عشر أميراً^(١).

وكان يحكم ليبيا ولاية عرب من قبل الأمير الأغلب، ومنهم سفيان بن المضاء والي طرابلس في عهد إبراهيم بن الأغلب^(٢)، وإبراهيم بن سفيان التميمي الذي تولى طرابلس بعده، وعبد الله بن محمد بن الأغلب، ومحمد ابن قهر، وغيرهم.

وفي عهد الأغلبة استحكمت الصبغة العربية للبلاد، وعمها الأمن والرخاء، وكان لهم قوات برية وبحرية قوية، واحتل الأغلبة صقلية عام ٢١٢ هـ، ثم مالطة وجنوبي إيطاليا حتى هددوا مدينة روما، وأغاروا على جنوبي فرنسا، وأصبح البحر الأبيض بفضلهم بحيرة عربية إسلامية، ونشروا الثقافة العربية الإسلامية في صقلية وجنوبي إيطاليا: نابلي وروما، وفي عهد أبي الغرائق أسندت ولاية إيطاليا لخفاجة ففتح جنوة عام ٢٥١ هـ^(٣) واستولى حاكم صقلية محمد بن خفاجة على مالطة عام ٢٥٥ هـ، وكانت طرابلس محطة بحرية ضخمة لأساطيل الأغلبة^(٤) وغزا الأغلبة فرنسا، وتقدموا إلى مرسيليا.

- ٢ -

ازدهرت ليبيا في عهد الأغلبة، وصارت معقلاً من معاقل الحضارة

(١) منهم: إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٦ هـ)، وعبد الله بن الأغلب (١٩٦ - ٢٠١ هـ)، وزيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ)، والأغلب أبو عقاب (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ)، وابنه أبو العباس محمد (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ)، وأحمد بن محمد (٢٤٢ - ٢٤٩ هـ)، وأبو الغرائق محمد زيادة الله الثاني (٢٤٩ - ٢٥٠ هـ)، ثم محمد الثاني (٢٥٠ - ٢٦١ هـ)، وإبراهيم (٢٦١ - ٢٨٩ هـ)، ثم عبد الله (٢٨٩ - ٢٩٠ هـ) وزيادة الله (٢٩٠ - ٢٩٦ هـ)، وفي عهده فتح الفاطميون البلاد واستولوا على مقاليد الحكم فيها.

(٢) ص ٦٠ المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب.

(٣) راجع تاريخ غزوات العرب ص ١٥٢، وكتاب المجلد في تاريخ ليبيا ص ٧٣.

(٤) راجع ص ١٢٠ دراسات في التاريخ اللوي لبعير.

والإسلام، وانتظم فيها التعليم، في الكتاتيب والمساجد والمدارس، وأنشئت المكتبات العامة، وظهر كثير من العلماء منهم عبد الوهاب القيسي الزاهد (٢٠٠ هـ)، وعبد الله الشعاب (٢٤٣ هـ) ولكل منهم مسجد باسمه في طرابلس.

وقد نهضت الآداب في عهد الأغالبة، وكثر الأدباء والشعراء^(١) في ليبيا، بل في المغرب العربي كافة^(٢)، ولما فر زيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة من مدينة رقادة^(٣) أمام زحف أبي عبد الله الشيعي عام ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م حمل معه ما خف وزنه وغلا ثمنه، ثم ركب فرسه وتقلد سيفه، وقدم الأحمال تمر بين يديه هارباً على عيون أهله وولده، فأخذت جارية من جواريه عوداً ووضعت على صدرها، وغنته لتحركه على حملها معه فقالت:

لم أنس يوم الوداع موقفها وجفنها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة تتركنا سيدي وتسطلق
استودع الله ظبية جزعت للبين والبين فيه لي حرق

فدمعت عينا زيادة، وشغله سوء الموقف عن حملها معه، وخرج من مدينة رقادة، ولحق بمدينة طرابلس^(٤)؛ فمكث فيها سبعة عشر يوماً ذهب بعدها إلى مصر، وفيها مات، وتفرق الأغالبة في نواحي البلاد.

(١) راجع كتاب التذكار قيمن ملك طرابلس وما كان فيها من اخبار لابن غلبون، وكتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس العرب لأحمد الأنصاري.

(٢) يراد بالمغرب في عرف المؤرخين القدماء ما وراء الاسكندرية غرباً إلى ساحل المحيط الاطلي (راجع ١٠ الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية للإمام محمد بن علي السنوسي ط، ١٩٦ بالقاهرة).

(٣) كانت مقراً للإمارة منذ عهد إبراهيم الثاني الأغلي (٢٦١ - ٢٨٩ هـ).

(٤) ٣: ١٦١ تاريخ الإسلام السياسي - حسن إبراهيم حسن.

وكما استطاعت هذه الدولة تحقيق الأمن والرخاء في البلاد، وزيادة قواتها العسكرية البرية والبحرية الضاربة، ونشر الحضارة بمختلف فنونها ومظاهرها في أنحاء الدولة.. فقد عنت بالجوانب الفكرية والثقافية والأدبية عناية كبيرة، فأصبحت مدينة القيروان في هذا العصر معقلاً من معاقل الحضارة الإسلامية، ومنبعاً من منابع الفكر العربي، فانتظم التعليم في الكتاتيب والمساجد والجوامع، وتكونت المكتبات العامة التي تضم الكثير من الكتب الدينية والعربية والأدبية والعلمية، وزادت العناية بالفن المعماري الذي تمثل بعظمته وأبهته في قصور الملوك الأغالبة بالقيروان^(١)، وظهر في ذلك العصر من العلماء القاضي أسد بن الفرات (المتوفى ٢٢٠ هـ)، والقاضي سحنون (المتوفى عام ٢٤٠ هـ) من أئمة المذهب المالكي.

- ٣ -

ولقد كان معظم عرب برقة من قبائل بني سليم؛ أما عرب طرابلس فأغلبهم، وخاصة فيما بعد عهد الأغالبة من عصور، من عرب بني هلال الذين انتشروا في طرابلس وتونس، وتحتفظ طرابلس حتى يومنا هذا ببقية من العنصر البربري بين سكانها^(٢)، كما نرح إليها بعض الأقباط الذين كان كلامهم بالقبطية^(٣) في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، وكانت قبيلة المجابرة سكان واحة جالو، وقبيلة زوية سكان واحة جخرة، من أشهر القبائل في برقة نشاطاً تجارياً وإماماً بطرق القوافل^(٤)؛ ولشهرة ليبيا بالقوافل التجارية منذ القدم نجد التمازج بين سكانها واضحاً، ولولا هذه

(١) أنشأ الأغالبة فيها معهداً لدراسة الرياضيات والطب والصيدلة ولترجمة الكتب اللاتينية، وسمي هذا المعهد بيت الحكمة. ومن الأطباء في عهدهم أحمد بن الجزار.

(٢) ٩٨ دراسات في التاريخ اللوي لمصطفى بعيو، وراجع كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري طبع الجزائر عام ١٨٥٧ م.

(٣) ص ٥ المغرب للبكري.

(٤) ٢٠٥ دراسات في التاريخ اللوي لبعيو.

القوافل لكنت تلك الواحات المنتشرة في الصحراء الجنوبية أحسن ما يمثل مناطق العزلة في التكوين البشري، ولكن بسبب هذه القوافل التجارية اختلط السكان بعضهم ببعض، وتأثروا بما تأثرت به الجهات الساحلية الشمالية من عناصر أجنبية طارئة، بل كان تأثر الجهات الجنوبية بالعنصر العربي - بعد الفتح الإسلامي - بما في ذلك واحات إقليم فزان، عظيماً، حتى إن الدم العربي انتشر جنوباً بشكل واضح، وظهرت آثاره في ملامح السكان، وما زالت بعض القبائل إلى يومنا هذا تحتفظ بأنسابها العربية، وكثير من أفرادها ينتمون إلى البيت النبوي الشريف، وقد حملت هذه القوافل - فيما حملت معها من بضائع - هذه الدماء العربية ووصلت بها جنوباً إلى السودان، حيث انتشرت واستقرت، وكذلك بالمثل فيما يتعلق بنشر اللغة العربية، فإنه يرجع إلى تجارة القوافل الفضل الأكبر في نشرها في الصحراء والوصول بها إلى مشارف السودان؛ وكذلك كان التجار المرافقون للقوافل التجارية خير دعاة للإسلام، فسرعان ما انتشر جنوباً، وإذا كانت القوافل التجارية في إقليم ليبيا قد ساعدت على نشر الدم العربي واللغة العربية، فإن نجاحها في نشر العقيدة الإسلامية كان أكثر حتى اليوم، إذ نرى الدين الإسلامي منتشرًا في جهات جنوبية نائية على الرغم مما يقف دون ذلك من مصاعب وعراقيل^(١).

- ٤ -

ولقد كانت الصلات قوية آنذاك بين ليبيا وصقلية وكثير من جزر البحر الأبيض المتوسط التي خضعت لحكم المسلمين مدة طويلة وخاصة في هذا العصر، واستمرت هجرة المسلمين من ليبيا إلى هذه الجزر، وسار كثير من العلماء إليها ينشرون فيها الإسلام ولغته وثقافته، وكان فاتح صقلية هو الإمام الفقيه الورع أسد بن الفرات عام ٢١٢ هـ، وفاتح جزيرة كريت هو الإمام أبو حفص عمر بن شعيب، واستقرت اللغة والثقافة العربية في

(١) ٢٠٧ و ٢٠٨ دراسات في التاريخ اللوي لبيعو.

صقلية، ونبغ فيها الكثير من العلماء والأدباء، في عصور ازدهار الثقافة العربية فيها^(١)، ووصلت الثقافة العربية عن طريقها إلى أوربا، ومهد الأساتذة العرب في صقلية لنهضة أوربا.

- ٥ -

وزاد من تمكن العربية وآدابها في ليبيا في عهد الأغالبة أن أمراء الدولة كانوا عرباً، يهزمهم البيان الجيد، وتدفعهم أريجيتهم إلى تقريب الأدباء والشعراء إليهم، بل كان الكثير منهم أدباء وشعراء؛ فإبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة كان على ما وصفه ابن عذارى^(٢) - فقيهاً أديباً شاعراً خطيباً كما كان ذا رأى ونجدة وحزم وبأس، وعلم بالحروب ومكايدها، وكذلك كان أبناؤه من بعده مثله طلاقة لسان وقوة بيان وتشجيعاً للأدب، وتقريباً للأدباء والشعراء، وكان الأغالبة يشجعون الفنون كما كانوا يشجعون الآداب، وقد وفد عليهم زرياب المغنى، ونزل في القيروان على أميرها زيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ)، ثم تآقت نفسه إلى الذهاب للأندلس وكتب إلى الحكم بذلك فبعث إليه يرحب به في بلاده فذهب إليها عام ٢٠٦ هـ وأقام في قرطبة في ظلال أميرها الأموي الجديد عبد الرحمن بن الحكم، وكان زرياب تلميذاً لإسحاق الموصلى وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الشعر بألحانها، وكان لذلك زرياب شاعراً مطبوعاً وأديباً بليغاً^(٣).

(١) من بينهم بعد العصر الأغلبى: ابن القطاع الصقلى (٤٢٣ - ٥١٥ هـ)، ومحمد بن ظفر الصقلى (٥٦٥ هـ)، وأبو محمد بن سابق الصقلى (٤٩٣ هـ)، وابن حديس الصقلى الشاعر (٤٤٧ - ٥٣٧ هـ)، ومصعب القرشى (٤٢٣ - ٤٧٠ هـ) .. وقد سقطت صقلية في أيدي النورماندين عام ٤٦١ هـ، وظلت العربية منتشرة فيها بعد ذلك، حتى ليروى بن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ) في رحلته أن ملك الجزيرة يقرأ ويكتب بالعربية (٣٠٨ و ٣٠٩ رحلة ابن جبير).

(٢) البيان المغرب ج ١ ص ٨٠.

(٣) راجع ٤٠٢ - ٤٠٥. ٢ تاريخ الإسلام السياسى - حسن إبراهيم حسن، ص ٩٢ - ٩٨ ح ١ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف في وصف رحلة زرياب إلى الأندلس.

وهكذا كانت القيروان تحاكي بغداد في زعامة الحركة العلمية والأدبية والحضارية في المغرب العربي الكبير ومن بيته الوطن الليبي، وشاركتها طرابلس في حمل عبء الثقافة.

- ٦ -

أشهر العلماء والأدباء في عهد الأغالبة

نبغ في عهد الأغالبة الكثير من العلماء والأدباء من أشهرهم.

- ١ - إبراهيم بن حسان الأطرابلسي، مولى عبد الرحمن بن معاوية، توفي في رحلته إلى المشرق عام ٢١٨ هـ^(١).
- ٢ - إبراهيم بن حماد، مولى ينسب إلى زياد بن حبش من برقة، وهو محدث، مات بمصر عام ٢٤٥ هـ^(٢).
- ٣ - إبراهيم البرقي: من الفقهاء من أصحاب مالك أخذ الناس عنه بمصر، وتوفي عام ٢٤٥ هـ^(٣).
- ٤ - إبراهيم الغافقي الأطرابلسي قاضي طرابلس توفي عام ٢٥٣ هـ بالمغرب^(٤).
- ٥ - خيثمة بن سليمان المحدث (٢٥٠ - ٣٤٣ هـ)^(٥).
- ٦ - سعيد بن خلف السرقى المحدث، رحل إلى مكة ومصر وقرطبة وكان أديباً معدوداً من العلماء^(٦).
- ٧ - العباس بن محمد الصوفي (٢١٣ - ٣٠٩ هـ)^(٧).

(١) ٢ : ١٧ تاريخ العلماء، ٥ أعلام من ليبيا لبراوي.

(٢) ٦ أعلام من ليبيا.

(٣) ص ٨ المرجع

(٤) ص ١٣ المرجع.

(٥) ١٠٦ : ٣ المرجع، ٣١٢ النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة

(٦) ١ : ٢٠٩ تاريخ العلماء، ١٢٥ أعلام من ليبيا.

(٧) ١٤٦ - ١٤٨ أعلام من ليبيا.

٨ - عبد الجبار بن خالد السرقى الفقيه الورع (١٩٤ - ٢٨١ هـ) ولما ختن الأمير إبراهيم بن الأغلب أولاده، دعا عبد الجبار ليدعو لهم، فقال له: أيها الأمير، قد أنعم الله عليك بهؤلاء البنين، وعلمتهم كتاب الله، وأحييت فيهم سنة رسوله، وبلغنى أنك بالغت فى الطعام، ودعوت إليه الأغنياء، فلو استكملت هذه المسرة ودعوت إليه الفقراء، فقال له الأمير: صدقت، وأعطاه خمسين ألف دينار، وقال له: تصدق بها على الفقراء^(١).

٩ - عبد الرحيم البرقى المحدث توفى عام ٢٨٦ هـ^(٢).

١٠ - عبد السلام البرقى ولى قضاء برقة ليزيد بن حاتم عام ١٥٥ هـ، وعمر طويلاً^(٣).

١١ - عبد الكريم البرقى المحدث مات قريباً من عام ٢٣٠ هـ^(٤).

١٢ - عبد الله الكوفى الأطرابلسي وهو وبته من المحدثين^(٥).

١٣ - عبد الله بن محمد البرقى من فقهاء المالكية ومن المحدثين مات عام ٢٩١ هـ^(٦).

١٤ - عبد الله الشعاب الزاهد الصوفى توفى ٢٤٣ هـ بطرابلس^(٧).

١٥ - علي بن زياد الفقيه شيخ المغرب، سمع من مالك والليث والثورى^(٨).

١٦ - محمد بن ربيعة الحضرمى الطرابلسى روى عن مالك^(٩).

١٧ - محمد بن صدقة الأطرابلسى المرادى، كان عالماً بالعربية يتقعر فى كلامه، وكان يقرض الشعر^(١٠).

(١) ١٤٩ و ١٥٠ المرجع، ١ : ٨٥ - ٩١ المنهل العذب.

(٢) ١٦٩ أعلام من ليبيا.

(٣) راجع ١٧٣ المرجع.

(٤) ١٨٤ المرجع.

(٥) ١٨٨ المرجع.

(٦) ١٩٣ و ١٩٤ المرجع.

(٧) ١٩٦ أعلام من ليبيا، ١ : ١٧٩ المنهل العذب، ٦٧ نفحات السرير والريحان.

(٨) ٢٠٧ المرجع.

(٩) ٢٧٥ المرجع، ٢٠٤ رياض النفوس.

(١٠) بغية الوعاة للسيوطى، ٢٧٦ أعلام من ليبيا.

١٨ - محمد بن سالم الطرابلسي كان مترسلاً شاعراً صاحب نحو ولغة مع علم بالجدل ونظر فيه، وكان معتزلياً^(١).

١٩ - محمد بن غلبون^(٢).

٢٠ - محمد بن عبد الله السبرقي من أصحاب الحديث، وتوفي عام ٢٤٩ هـ^(٣).

٢١ - محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي المحدث روى عن مالك وغيره^(٤).

٢٢ - أبو الأسود موسى القطان الطرابلسي قاضي طرابلس (٢٣٢ - ٣٠٦ هـ)، وله أحكام القرآن في ١٢ جزءاً^(٥).

٢٣ - يونس الأطرابلسي المؤدب توفي عام ٣٠٥ هـ^(٦).

دعبل الخزاعي في برقة

دعبل الخزاعي الشاعر العباسي المشهور (١٥٩ - ٢٤٩ هـ) صاحب القصائد الرنانة في آل البيت، والذي طار ذكره في المهجاء السياسي^(٧)، ويذكر البكري الجغرافي الرحالة العربي أن قبر دعبل في زويلة^(٨)، ويروي بيت بكر

(١) ٢٧٥ أعلام من ليبيا.

(٢) ٢٨١ المرجع.

(٣) ٢٨٢ المرجع.

(٤) ٢٩٧ و ٢٩٨ المرجع.

(٥) ٣٥١ و ٣٥٢ المرجع.

(٦) ٣٦٥ المرجع.

(٧) راجع ١١ : ١٠٨ معجم لأدباء لياقوت، والجزء الثامن عشر من الأغاني، ٢ : ١٠٢ شذرات الذهب، ودائرة معارف البستاني المجلد السابع (مادة دعبل)، ومعجم البلدان في زويلة (بوزن سفينة)، وغيرها.

(٨) أثبت هذه المدينة الرحالة الإدريسي في خريطته، وسماها المؤرخون العرب «زويلة بني الخطاب» إذ كانت عامرة في عهد بني الخطاب الهواريين، وقد فتحها عقبة بن نافع وكان أول حاكم عربي لها، وتعتبر من أرض فزان وبينها وبين مدينة «مرزوق» نحو ١٥٠ كم، وزويلة فوق «ودان» وهي أقرب إلى أجداية، وفيها مات كثير من الصحابة والتابعين والأشراف.

ابن حماد الشاعر^(١) في ذلك وهو:

المسوت غادر دعبلاً بزويلة في أرض برقصة أحمد بن خصيب
وقد كان دعبل ولي ولاية أسوان في مصر، ولكنه تركها واتجه إلى ليبيا
يقصد زويلة وأشرفها من آل البيت لمجد يناله لديهم، ومات بها^(٢).

وزويلة فتحها عقبة من بين ما فتح من مدن فزان عام ٦٥٠ م، وما إن
حل مطلع القرن الثامن الميلادي حتى كانت زويلة وفزان كلها قد دانتا
بالإسلام وآل حكم المنطقة إلى بنى خطاب، وهي أسرة تنتمي إلى قبيلة هواره
اتخذت زويلة عاصمة لها ومقرّاً لسلاطينها، والقبور الثمانية الجميلة التي تقوم
على حدود المدينة هي دون شك آثار أولئك الملوك الذين حكموا هناك، وكان
آخرهم محمد بن عبد الله بن خطاب، ويقول المؤرخ العربي ابن خلدون إن
هذا الملك لقي حتفه (عام ١١٩٠ للميلاد) على يد قراقوش الغزى الذي
تولى بعده حكم فزان.

ولا يرد أى ذكر لزويلة خلال السنوات الستمئة التالية، إلى أن حط
فيها أول أوروبي منذ الفتح الروماني رحاله. وكان هذا الأوروبي رحالة ألمانيا
اسمه فردريك هورنمان، جاء في قافلة من القاهرة في طريقه إلى نهر النيجر
عام ١٧٩٦. ولسوء الحظ، لم يعد هورنمان إلى أوروبا ليكتب عما شاهد في
تلك الرحلة المدهشة؛ إذ لقي حتفه في مكان ما بنيجيريا، إلا أنه أرسل من
مرزوق وصفاً موجزاً لزويلة يقول فيه:

= وقد ظل حكم بنى الخطاب الهواريين ها حتى عام ٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م (راجع ٢٤
تاريخ الفتح العربى فى ليبيا للزاوى).

(١) هو بكر بن حماد بن سهل الزناتى، شاعر أديب مشهور كان من الخوارج (إباضى) المذهب أو
(صفري) الرأى، ولد فى تاهرت بالجزائر ورحل إلى الشرق عام ٢١٧ هـ، ومدح الخلفاء ونال
جوائزهم، وهجا دعبلاً شر هجاء، ثم عاد إلى أفريقية يقصد القيروان عاصمة الأغالبة
آنذاك، وقتل ابنه فى الطريق، وكان يفتك به هو، حتى وصل تاهرت.

(٢) راجع فى تحقيق ذلك كله ٢٥ - ٢٣ لمحات أدبية عن ليبيا - على مصطفى المصراق.

«هذه الواحة المزدهرة كانت في وقت ما ملتقى القوافل من الشرق والغرب ومقر السلطان، وبالقرب من مركز المدينة يقوم حصن ضخم، بينما يوجد خارج الأسوار مسجد قديم، لم يلحق به سوى قليل من التلف، يحكى روعة زويلة القديمة، ويقوم في وسطه صحن كبير تحيط به أعمدة مهيبة، وإلى شرقي المدينة تقوم قبور الأشراف الذين ماتوا في ساحة القتال عندما هاجم الكفار بلادهم».

والمهم في هذا الوصف هو إشارة هورنمان إلى أن المسجد لم يكن قد لحق به سوى قليل من التلف عندما شاهده. أما اليوم، فلم يبق من هذا البناء سوى عقد أو عقدين يذكران المشاهد بمعمار الكنائس المسيحية.

الفصل الثاني

الأدب في ليبيا في عهد الأغالبة

زاد تمكن اللغة العربية في ليبيا في عهد الأغالبة لقدم الفتح العربي لهذه البلاد، وكثرة الهجرات العربية إليها، وكثرة ما أسس في أنحائها من مدن ومدارس ومساجد تقوم بنشر اللغة العربية والدين الإسلامى بين السكان الأصليين في أرض ليبيا العربية، ولرحلات العلماء من المشرق وقيامهم برسالة ثقافية ولغوية ودينية جلية بين سكان هذه البلاد ولنشوء أجيال من الشباب العربى في ليبيا، لغتهم هى اللغة العربية، ودينهم هو الإسلام، سواء كانوا من أصول عربية أم من سلالات السكان الأولين في ليبيا، ثم لرعاية هذه الدولة وملوكها للغة العربية لغة القرآن الكريم.

ولقد ازدهر الأدب العربى في ليبيا في عهد الأغالبة، تبعاً لازدهار اللغة العربية والثقافة العربية في هذا العصر، فنهض الأدب، وكثر الأدباء والشعراء، وبخاصة أن أمراء هذه الدولة كانوا عرباً، يهزمهم البيان الجيد، والشعر البليغ، بل كان الكثير منهم أدباء وشعراء، فكان إبراهيم بن الأغلب رأس هذه الدولة أديباً شاعراً خطيباً، وكذلك كان أبناؤه من بعده مثله طلاقة لسان وبلاغة بيان، وتشجيعاً للأدب، ورعاية للأدباء والشعراء. وكانت رعايتهم للفنون تشبه رعايتهم للأدب، فأسسوا في مدن دولتهم القصور والمساجد وأنشأوا المدن الفخمة، والحدائق والميادين والآثار العظيمة، ونزل في رحابهم الكثير من العلماء والأدباء ورجال الفنون.

وحاكت القيروان ببغداد وقرطبة في زعامة الحركة الحضارية والعلمية والأدبية في شمال أفريقية وشاركتها في ذلك طرابلس وغيرها من مدن المغرب.

وفي ظلّهم عاش إبراهيم بن أحمد الشيباني الذي توفي بالقيروان عام ٢٩٨ هـ، وكان يكتب للأغلبية وكان أيام زيادة الله على بيت الحكمة، وأدخل في إفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم، وله تأليف كثيرة^(١).

ومن الأدباء والشعراء في ليبيا في عهد الأغلبية:

- ١ - محمد بن سالم الطرابلسي وكان كاتباً شاعراً أديباً.
 - ٢ - بكر بن حماد وهو شاعر أديب مشهور.
 - ٣ - محمد بن صدقة الأطرابلسي المرادي، وكان عالماً بالعربية، وشاعراً مجيداً - كما يقول السيوطي (٩١١ هـ) في «بغية الوعاة».
- وفي «البيان المغرب في أخبار المغرب» لابن عذارى، كثير من صور الأدب في عهد الأغلبية.

ولإبراهيم بن الأغلب شعر في زوجه، وكان قد خلفها بمصر ومنه:

ما سرت ميلاً ولا جاوزت مرحلة إلا وذكرك يثني دائماً عنقى
ولا ذكرتك إلا بت مرتقباً أرعى النجوم كأن الموت معتقى

هذه صور خاطفة عن الأدب العربي في ليبيا في عهد الأغلبية، هذا العصر الذي سجل للعرب والمسلمين مفاخر خالدة، لا تزال ذكرها ماثلة في كتابات المؤرخين من عرب ومستشرقين حتى اليوم وفي المكتبة العربية الصقلية لميشيل آمارى - طبع ليبسك - صور كثيرة من مآثر هذه الدولة في نشر الإسلام واللغة العربية في صقلية وجنوبي إيطاليا في القرن التاسع الميلادي.

(١) راجع ٢ : ١٣٩ تاريخ الجزائر.

الفصل الثالث

الشعر العربي في ليبيا في عصر الأغالبة

كان الشعر أسبق أنواع الأدب ظهوراً، لأنه مظهر الثقافة العربية، ومرآة لحياة العرب العقلية والاجتماعية، يشدو به العرب حيثما نزل وأينما ارتحل، فيذكر فيه ما يمر بخاطره من حب وبغض، ويصف فيه ما يحول بنفسه، وما يراه في بيئته.

على أن العرب امتزجوا بسكان البلاد، واعتنق الإسلام فريق من السكان الأصليين، فنشأ جيل جديد من المولدين خفت لديه العصبية، ولكنها لم تترك الفخر، فظل يحتل مكانة بارزة في الشعر، وظل القوم يحتفظون بالتراث العربي وصاروا يتبادلون مع المسلمين بالشرق آثار القرائح والأفكار من أدب وشعر وتأليف.

وهكذا عندما دخل العرب ليبيا واستراحوا من الغزو، رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وهي قرض الشعر، فالشعر هو متعتهم النفسية وغذاؤهم الروحي، ومرآة لحياة العرب الاجتماعية والنفسية يتغنى به في حله وترحاله. ويذكر فيه ما يمر بخلد من حب وبغض، ويرسم ما يحيط به من جمال الطبيعة وما تلهمه روحه من خيال بديع، فأخذوا يقولونه في أغراضه التي فشت في الشرق وفي أغراض أخرى جديدة، وكان من الأسباب التي دعت إلى قيام الشعر في ليبيا ما علمناه من مؤثرات وعوامل ولا سيما هذه العوامل الثلاثة وهي:

١ - طبيعة البلاد وما فيها من المناظر المختلفة، والجبال المكسوة والمروج

الموشاة بألوان الزهر، مما أكسب الوجدان لطفاً، والمعاني دقة، والألفاظ
جمالاً وروعة.

٢ - عناية الولاة بالشعر حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب، وجمالاً لكل
عالم، أولع به الفقهاء والنحاة والعلماء.

٣ - كثرة جمهرة العرب في ليبيا وتمكن السلطان في أيديهم، وشدة محافظتهم
على تقويم لسانهم.

فعندما أقام العرب في ليبيا، واستقر في جبالها، وسهولها، ظهر الشعر
العربي في هذه البيئة التي كانت صورة لبيئة العرب الأولى في الجزيرة العربية،
وأخذ الشعر يذيع بين الناس... ولما قام ملك الأغالبة وعظم شأن دولتهم،
واتسع نفوذها، وكثرت فتوحاتها، وازدهرت الحضارة في طرابلس والقيروان
في أيامهم، بدأ الشعر نهضته وازدهاره، وخاصة أن ملوك الأغالبة وجهوا
الكثير من عنايتهم إلى الشعراء والأدباء والعلماء، وقامت المكتبات العامة في
عهدهم، وكثرت حلقات العلم والأدب في كل مكان.

وازدهرت الفنون، وجلب العلماء نفائس المؤلفات والآداب والثقافات
من المشرق، ورحل زرياب إلى القيروان فأقام فيها فترة من الوقت قبل أن
يرحل منها إلى قرطبة في الأندلس.

وقد حافظ العرب في ليبيا على تقاليد الشعر العربي وأوزانه وقبوع القافية
فيه. ونسج الشعراء شعرهم على غرار شعر المشرق وثابروا على النظم في
موضوعاته المختلفة كالغزل والنسيب والمدح والرثاء والفخر.

وبعد تمكن سلطان العرب في ليبيا، ونقل دواوين المشرق، أخذوا
يعنون بالشعر في أغراض شتى، إذ شملت فنونه كل مرافق الحياة، فنظموا في
كل ما نظم فيه شعراء المشرق من: مدح وهجاء وفخر وحجاسة، وتهنئة ورثاء،
ووصف، وغزل، وزهد ونصوف.

وأما سميات الشعر في ألفاظه وأساليبه: فإننا نرى في الشعر سهولة في
الألفاظ وسلاسة في التراكيب.

ويرجع ذلك إلى أن الشعراء لم يحملوا الألفاظ ما لا تطيق من المعاني المزدحمة، فالسر في هذه السلاسة والعذوبة: سهولة طباعهم، ولين أخلاقهم وإرسالهم القول من غير تكلف ولا تصنع، فجاء أكثره جارياً مع الطبع، ولم يبالغوا في الأخذ بفنون البديع من تورية وجناس وطباق وغيرها، وما كان يقع لهم منه في عباراتهم جميل مقبول، لأنهم كانوا يأخذون من الأنواع البديعية ما تجود به القريحة من غير تعمل ولا إجهاد خاطر.

وأما مميزاته في معانيه: فإننا نجد لها واضحة جليلة بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء، لقلة المشتغلين منهم بالحكمة، وبغض العامة لها. . . وغلب على الشعر الخيال البديع الذي نشأ فيهم من تأثير الشعر الأندلسي، وساعدهم ذلك على أن يجودوا التشبيه، ويكثرُوا من استعمال المجاز والكناية في شعرهم.

ابن سعدون الوريثي

من شعراء الأغالبة وكان متشيعاً يقول في حضرة المهدي عبيد الله وأبي عبيد الله الشيعي:

هذا أمير المؤمنين تشعشت	لقدومه أركان كل أمير
هذا الإمام الفاطمي ومن به	أمنت مغاربيها من المحظور
يا من تخير من خيار دعائه	أرجاهم للعسر والميسر

الباب الثالث

الأدب العربي في ليبيا

في العصرين الفاطمي والصنهاجي
٢٩٧ - ٥٥٦ هـ

الفصل الاول

الأحداث السياسية في هذه الحقبة

كان المغرب العربى، ومن بينه الوطن اللبى، مسرحاً للدعوات الدينية والسياسية، فقد هاجرت إليه من المشرق جماعات كثيرة من أصحاب الآراء والمذاهب، ليأمنوا فيه على أنفسهم من بطش الخلافة العباسية، لسعة أرض المغرب وبعده عن بغداد مركز الخلافة، وكثرة ما فيه من جبال وصحارى وواحات لا يهتدى للاجئين إليها. ومن ثم وجدنا دعوة المعتزلة ودعوات الخوارج وخاصة الإباضية ودعوات العلويين، تنتشر في ربوعه، فقد ذاعت آراء هذه الفرق الدينية والسياسية بسرعة بين قبائل البربر، ووجد البربر في فرقة الخوارج وصلابتهم في الدين تلاؤماً مع طبيعتهم، وسرعان ما أقبلوا على اعتناق مذهبهم؛ فانتشر مذهب الإباضية^(١) وهم فرقة من فرق الخوارج - بين القبائل التى تسكن جنوب المغرب - أما قبائل الشمال، مثل: كتامة وصنهاجة وغيرهما، فقد كانت تؤيد آل البيت ودعواتهم، وقامت دولة الأدارسة في فاس (١٧٢ - ٣٧٥ هـ)^(٢)، ثم قامت الدعوة الفاطمية في المغرب.

ومن الدول المستقلة في المغرب الدولة الرستمية بتاهرت بالجزائر (١٣٧ - ٢٩٧ هـ)^(٣)، وفي أيامها عاش الشيخ أبو سهل، وكان أفصح أهل زمانه في اللسان البربرى، وألف به تآليف، ومن عاشوا في تاهرت بعد الدولة

(١) وقد حارب إدريس الثانى (١٧٧ - ٢١٣ هـ) - وهو من ملوك الأدارسة - الصفريّة من الخوارج وهزمهم.

(٢) راجع ٢: ٢٢٠ - ٢٢٣، ٣: ١٦٢ - ١٦٨ تاريخ الإسلام السياسى.

(٣) راجع ٤٧ - ٧٨: ٢ تاريخ الجزائر فى القديم والحديث لمبارك الميلى - مكتبة النهضة الجزائرية.

الرستمية يهود بن قريش التاهرتي من أهل القرن الرابع، وكان يجيد العربية والعبرية والبربرية والفارسية والآرامية، وقد اهتم بالبحث في اللغات، وبالمقارنة بين العربية والبربرية والعبرية وهو واضع أساس النحو التنظيري وله في ذلك كتاب بالعربية مخطوط بمكتبة أوكسفورد^(١).

قضى الفاطميون على دولة الأغالبة عام ٢٩٦ هـ، ودخل أبو عبد الله الشيعي القيروان، ثم استقدم عبيد الله المهدي فقدم إليها عام ٢٩٧ هـ، وبويع بالخلافة ولقب أمير المؤمنين وبذلك قامت الدولة الفاطمية في أفريقيا^(٢)، والخلافة العباسية ما تزال قائمة في بغداد، والخلافة الأموية في قرطبة بالأندلس، وأسس الفاطميون عام ٣٠٥ هـ عاصمة جديدة بالقرب من القيروان سموها المهديّة^(٣)، واستطاعوا أن يخضعوا لسلطانهم كافة بلاد المغرب^(٤) وكما قضوا على الأغالبة قضوا كذلك على الدولة الإخشيدية في مصر، وعلى الدولة الإدريسية في فاس، وعلى الدولة الإباضية في تاهرت، وعلى الدولة الصفيرية في سجلماسة.

وبانتقال عاصمة الفاطميين من المنصورية إلى القاهرة كون خلفائهم، إمبراطورية واسعة خضع لها الشام والحجاز واليمن وكافة بلاد المغرب، وجزر البحر الأبيض المتوسط، واحتفظ الفاطميون بالسيادة البحرية في هذا البحر، وأنشأوا أسطولاً ضخماً، كان يجوب البحار، ويشن الغارات على موانئ الأبيض المتوسط وعلى جزر اليونان.

(١) ٢ : ٦٩ و ٧٠ المرجع نفسه. وراجع عنه المجلة الآسيوية الفرنسية الصادرة عام ١٨٤٣.

(٢) راجع ١٤٢ و ٢٥١ : ٣ المرجع السابق.

(٣) ظلت هذه المدينة أهلة بالسكان إلى استيلاء النورماندين عليها عام ٥٤٣ هـ، ثم أخذها منهم عبد المؤمن عام ٥٥٥ هـ.

(٤) حاول أول الخلفاء الفاطميين وهو عبيد الله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ) فتح مصر، واستولى جيشه على الإسكندرية، وخلفه القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ثم المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ)، وقد بنى عاصمة أخرى له سماها المنصورية بالقرب من المهديّة، وخلفه المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وعلى يديه تم فتح مصر عام ٣٥٨ هـ، وبنيت القاهرة وصارت هي عاصمة الدولة الفاطمية منذ دخلها المعز في ٧ من رمضان ٣٦٢ هـ - ١١ يونيو ٩٧٣ م.

وصارت أرض ليبيا واسطة عقد الدولة الفاطمية، وولاية الفاطميين يتولون أمورها، ويشرفون على شئونها. على أن نقل المعز خلافته إلى القاهرة جعل نفوذ الفاطميين يضعف بالتدريج في أرض المغرب العربي، فاستقل بلكين بن زيري شيخ صنهاجة، وأسس الدولة الزيرية عام ٣٦٢ هـ، وتسمى الدولة الصنهاجية؛ وحذا حذوه الحماديون عام ٣٩٨ هـ، وحكمت الدولة الصنهاجية طرابلس والقيروان، وتعد أول دولة بربرية في إفريقيا بعد الفتح الإسلامي، وقد ورثوا حضارة الأغالبة والفاطميين، وشاركوا في بناء صرح الحضارة العربية، ووصلت النهضة الأدبية والفكرية في أيامهم إلى درجة لم تبلغها من قبل، فكثرت العلماء والأدباء والشعراء كثرة حافلة؛ واستمر الحكم الصنهاجيون يحكمون هذه البلاد مدة طويلة^(١).

وبوفاة المعز الفاطمي عام ٣٦٥ هـ خلفه ابنه العزيز (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ)، وقد بلغ نفوذ الفاطميين في عهده حداً كبيراً، وازدهرت الحضارة الفاطمية في عهده ازدهاراً عظيماً، ونبغ في أيامه طائفة من الشعراء والأدباء والكتاب؛

(١) من ملوكهم: باديس بن منصور حفيد يوسف بن بلكين وقد مات باديس عام ٤٠٦ هـ، فخلفه ابنه المعز بن باديس الذي خلع بيعة الفاطميين عام ٤٤٣ هـ، وأعلن انضمامه للعباسيين في بغداد، وخطب في المساجد باسم خليفتهم، ثم نشر في المغرب المذهب المالكي، فرأى المستنصر الفاطمي أن يتقم من المعز بن باديس ملك صنهاجة، فأرسل إلى إفريقية قبائل بني هلال وبني سليم ورباح العربية التي كانت تقيم في صعيد مصر، وشجعها على هذه الهجرة بمختلف لوسائل. فوصلت هذه القبائل إلى إفريقية عام ٤٤٣ هـ في موجات كبيرة، وقد أحدث هذا الزحف العربي الكبير انقلاباً عميقاً في مختلف جوانب الحياة بإفريقية. إذ تم بسببه استعراش البلاد بصورة نهائية، وإن عمتها الاضطرابات والفتنة الداخلية، فتمزقت أوصال الدولة الصنهاجية، وشأت دويلات صغيرة في أنحاء ليبيا وتونس أشبه بملوك الطوائف في الأندلس، ولكن بقي بنو زيري محتفظين بالمهدية والمناطق المجاورة لها، وفي تلك الفترة غزا النورمانديون صقلية وأسقطوا حكم العرب الإسلامي فيها عام ٤٦١ هـ، كما غزوا من قبل المهدية واستولوا عليها عام ٥٤٣ هـ، ثم استولوا على بعض سواحل ليبيا وتونس، بينما كانت مدن الداخل تخضع لحكم القبائل العربية، وهكذا سقطت الدولة الصنهاجية، ولما استنجد الملك الحسن بن علي الصنهاجي آخر ملوك هذه الدولة بعبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين في المغرب الأقصى لإنقاذ البلاد من أيدي النورمانديين سار بجيش كبير فطردهم واحتل البلاد عام ٥٥٥ هـ من طرابلس حتى شاطئ المحيط الأطلسي.

وخلفه ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ)، ثم الظاهر (٤١١ - ٤٢٧ هـ)، ثم المستنصر الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ)، والمستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ)، ثم الأمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)، والحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ) والظافر (٥٤٤ - ٥٤٨ هـ)، والفائز (٥٤٩ - صفر ٥٥٥ هـ)، ثم العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ)، وهو آخر الخلفاء الفاطميين^(١).

أما الصنهاجيون فقد بسطوا نفوذهم على تونس وشرقي الجزائر، وعلى طرابلس وبرقة، وسارت البلاد في عهدهم في طريق الرخاء والحضارة، وكان الناس في أيامهم يفتنون في الأبهة وركوب الخيل ونوعوا في أطعمتهم وبالغوا فيها، وزينوا مجالس شربهم بالجوارى الحسان والمغنيات المطربات.

وكان للرونق الرائع والاشراقة البهية التي أحاطت بالبلاط الصنهاجي في القيروان أن شد الشعراء والأدباء والفنانون رحالهم إليه، عليهم يصيبون سهام خير ونعمة، حتى إنه كان يقف بباب المعز فيها أكثر من مائة شاعر.

وفي كتب التراجم أخبار كثيرة عن ترف القوم وكثرة الخطايا والسرايا: فيحيى بن تميم بن المعز حين يقوم إلى مجلس الطعام يشير إلى جارية من حظاياه ليتكئ عليها، ومحمد بن سحنون يتمتع بتسعة أسرة لكل سرير سرية^(٢).

وأخذت ليبيا تنهل في عهد الصنهاجين من هذه المناهل العذبة، وخاصة مدينة طرابلس التي هاجر إليها عدد كبير من سكان إفريقية.

(١) راجع ٢. ١٤ - ١٧ حسن المحاضرة للسيوطي.

(٢) دكتور عبد الرحمن ياغي - حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها - ص ٧٨.

الفصل الثاني

اللغة العربية في ليبيا في عهد الفاطميين

كانت اللغة العربية هي السائدة قبيل حكم الفاطميين في برقة وطرابلس، ثم زادت قوة ونفوذاً بفضل عناية الخلفاء بها وعملهم على نشرها، ولما هاجرت عام ٤٤٣ هـ قبائل بني هلال وبني سليم من مصر إلى أرض المغرب، استحكمت عروبة الألسنة في أنحائه، وصار للعربية في هذه البلاد السيادة والهيمنة، وقد حارب المعز بن باديس الصنهاجي هذه القبائل العربية، بمنتهى الشجاعة والصبر، ولكنها تغلبت عليه عام ٤٤٤ هـ في معركة حيدران بتونس^(١)، واستقر أبناء هذه القبائل في ليبيا وتونس، واندمجوا مع أهالي هذه البلاد، وامتزجوا بهم في المعاملة والتجارة والمعايشة والمصاهرة، ولنشأة هذه القبائل على البداوة، وإلفهم لها لم يطمعوا في الملك؛ بل تركوا المدن يحكمها الولاة الخاضعون للنفوذ الفاطمي، وتقاسموا هم الأراضي الصحراوية التي ألفوا الحياة فيها في حرية شاملة، وفراغ كثير، وطمأنينة موفورة، فحازت قبائل بني هلال أراضي تونس الجنوبية، وانفردت قبائل بني سليم بأراضي ليبيا المجاورة للبلدان الساحلية القريبة من مصر، لأن أكثر بني سليم بقي في مصر والحجاز، ولم يأت منهم للمغرب إلا القليل، أما بنو هلال فقد جاءوا

(١) توفي المعز بن باديس عام ٤٥٤ هـ، وخلفه ابنه تميم (٤٥٤ - ٥٠١ هـ) وكان ميلاد تميم عام ٤٢٢ هـ، وانتقل بعده حكم الصنهاجيين إلى يحيى وعلى والحسن، وفي عام ٥٤٣ هـ استولى النورمانديون على المهدية وفيها جميع كنوز الصنهاجيين، إذ هرب الحسن منها دون أن يتمكن من إنقاذها. ولما استنجد بعبد المؤمن ملك الموحيدين احتل بلاد الصنهاجيين وطرد النورمانديين منها وبذلك انقرضت الدولة الصنهاجية. وفي عهد الصنهاجيين استقلت الأسرة الخزرونية بطرابلس حيناً من الزمن، ثم سقطت طرابلس في أيدي النورمانديين الذين ظلوا فيها ستة أشهر، ثم رجعوا بأسطولهم، بعد أن تركوا مدينة طرابلس تحت نفوذهم وتحكمها بالنيابة عنهم أسرة بني مطروح.

بجميع فرووعهم، وبنو سليم أصلهم من فرعين كبيرين: الكعوب وأبو الليل، وقد توطنت الكعوب أرض إقليم طرابلس الساحلية ومنهم: المحاميد، والنوائل، وترهونة، وأولاد سليمان، ورقلة، وأما أبو الليل فقد تزوج من زناته، واستقر هو وأبناؤه في إقليم برقة، ومن قبائلهم: العبيد، والعرفاء، والعواقير، والحراي، ومن فرووعهم في مصر قبائل أولاد علي^(١).

واختلط العرب الجدد بالأجناس الليبية، والمغربية، وبالسلاط العربية القديمة اختلاطاً شديداً، حتى صار لهجرتهم تأثير اجتماعي عظيم من حيث انتشار اللغة العربية والعادات التي كانت لهم في الحجاز ومصر، وإن كانوا قد تأثروا بالليبيين كذلك في كثير من نواحي التقاليد وطرز الحياة والمعيشة، وكانت موجة بنى سليم وبنى هلال في القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٤٥ م)، ويتراوح عددهم بين مائتى ألف وثلاثمائة ألف نسمة فيما يروى المؤرخون.

كان للعهد الفاطمى، والحكم الصنهاجى، لليبياء، وهجرة القبائل العربية إليها من مصر، تأثير شديد في عروبة الألسنة، واستحكام اللغة العربية وسيادتها في هذه البلاد^(٢)، يقول مصطفى بعيو: إن من أهم الموجات العربية التي أثرت في ليبيا هجرة بنى هلال وبنى سليم، فاستوطن معظم قبائل بنى سليم في برقة، وغالبية بنى هلال في طرابلس وتونس^(٣).

وفي عهد الفاطميين ذاعت في ليبيا العلوم الإسلامية والعربية والعقلية، وقد أدخل الفاطميون إلى المغرب عقائدهم في الدين ممزوجة بالفلسفة، مما

(١) راجع ٢٢-٢٨ من كتاب برقة لنقولا زيادة، وراجع ١: ١٢١-١٢٧ المنهل العذب.

(٢) راجع ١: ١٤٩ و١٥٦ تاريخ ليبيا العام لابن مسعود.

(٣) ٩٧ دراسات في التاريخ اللوى لمصطفى بعيو؛ ويقول كذلك نقولا زيادة في كتابه «برقة» ص ٤٤ و٤٥: إن الذى أتم لبرقة عروبتها هو عجم قبائل بنى سليم وبنى هلال في أواسط القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، واستوطن بنو سليم برقة، واستقر بنو هلال في طرابلس وتونس، وقبائل برقة المتحدرة من بنى سليم والتي تعرف بالسعدية هي التي تعمّر تلك البقاع، وامتزج ما تبقى من البربر بهم، حتى صارت برقة عربية لا ييزها في عروبتها قطر عربى آخر باستثناء الجزيرة العربية؛ ويبدو أن الألسنة - قبل هذه الهجرات للقبائل العربية =

أدى إلى ذبوع الفلسفة وعلومها. وكانت عناية المغاربة بعلوم العربية في ذلك العهد لا تقل كثيراً عن عنايتهم بعلوم الدين، وكان أكثر اعتمادهم فيها على ما نقلوه من كتب البصريين والكوفيين، ولم يكن لهم في النحو رواية عن الأعراب، ولا مذهب خاص فيه، كما كان للأندلسيين.

وفي أثناء العصر الفاطمي العظيم انتقلت مظاهر الحضارة الفاطمية إلى مدن طرابلس وبرقة التي تأثرت بالقاهرة وحاكتها إلى حد ما. . وزاد نصيب ليبيا من الحضارة في ظلال الدولة الصنهاجية (٣٦٢ - ٥٤٣ هـ) التي انفصلت عن الدولة الفاطمية، واستقلت بأمور تونس وطرابلس عنها، مع خضوع لنفوذ الفاطميين حيناً، والعباسيين حيناً ثانياً، والأمويين في الأندلس حيناً ثالثاً؛ ومن أشهر ملوك الصنهاجيين عناية باللغة العربية وعلومها وثقافتها وآدابها المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٤٩ هـ)، الذي ازدهرت في عهده حلقات القيروان وطرابلس العلمية ازدهاراً كبيراً، وظهر في عهده أئمة النحو واللغة والأدب، ومن بينهم الإمام ابن القزاز محمد بن جعفر صاحب المعجم الكبير المسمى «الجامع في اللغة»، وهو من أمهات كتبها، ورتبه على حروف المعجم، وانتهى من تأليفه عام ٤١٢ هـ؛ وعلى يديه تخرج ابن رشيق وابن شرف وغيرهما^(١). وكذلك ابن فضال المجاشعي القيرواني (٤٧٩ هـ ببغداد) صاحب التصانيف المتمعة في اللغة والأدب والحديث والتفسير، ومن أشهر

= الجديدة إلى أرض ليبيا وتونس - كانت تشوبها اللكنة والعي، وأن لغة التخاطب بما فيها من لهجات بربرية كانت بعيدة عن العربية بعداً كثيراً، ودليلنا على ذلك أن أبا علي القالي صاحب كتاب الأمل المشهور (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ) قد دخل طرابلس عام ٣٢٨ هـ في هجرته من بغداد إلى قرطبة، ثم دخل القيروان، ولما وصل القيروان تعجب من غرابة اللهجات العامية ومن بعد لغة التخاطب عن العربية، يقول ابن بسام في الذخيرة رواية عن القالي: لما وصلت القيروان وأنا أميز من أمره من أهل الأمصار، فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة ومقايسة، فقلت: إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت في إفهامهم، بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان في هذه الأوطان. قال ابن بسام: فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم (٩٨ صور من الفكر العربي وتاريخ الإسلام للمؤلف).

(١) ذكره جرجي زيدان (٢: ٣٥٩ تاريخ آداب اللغة العربية)، وقال: هو أبو عبد الله محمد بن =

علماء اللغة بصقلية في عصره على بن القطاع صاحب كتاب الأسماء وكتاب الأفعال وتوفي في القاهرة عام ٥١٤ هـ؛ ومن علماء المغاربة الذين برزوا في مختلف العلوم، وخاصة في الفلك والجغرافيا: الشريف الإدريسي. ومن رحل إلى المغرب من الأندلسيين: محمد بن أبي الخصال، وأخوه أبو مروان، وابن عبدون، وقد تخرج عليهم من أبناء البلاد كثيرون، مثل: ابن الميمون، وابن محشوة، وهاجر ابن هانيء الشاعر من الأندلس إلى المغرب وأقام فيه حيناً من الزمان وهكذا تم للعرب أن يجعلوا من ليبيا قطراً عربياً مسلماً نفّض عنه غبار البربرية، وأقبل أهله على الحضارة العربية الإسلامية يعبون منها، فتكونت لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة^(١).

الشريف الإدريسي ٤٩٣ - ٥٧٥ هـ

عالم عربي مغربي جغرافي كبير، ورحالة مشهور، تعلم في قرطبة، وأخذ عن علمائها، ونبغ في الجغرافيا والطب والنجوم، وكان إلى ذلك أديباً ذواقاً للأدب. وطاف في تركيا وآسيا الصغرى ومصر ومراكش والأندلس وزار فرنسا، وعبر البحر إلى إنجلترا، ثم عاد إلى جزيرة صقلية، فرحب به ملكها روجر الثاني (١١٠١ - ١١٥٤ م : ٤٩٣ - ٥٤٨ هـ)^(٢)، وقص عليه قصص رحلاته، وصنع له كرة أرضية من الفضة، وكتب عليها بأحرف عربية كل ما كان يعرفه من البلدان؛ وقد ألف الإدريسي كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» الذي كان عوناً للجغرافيين الأوروبيين في القرن الخامس عشر الميلادي، وقد وصف فيه المدن التي زارها وصفاً دقيقاً علمياً ولا يزال حتى اليوم مصدراً من المصادر المهمة عند الباحثين والعلماء.

= جعفر التميمي النحوي القزاز القيرواني، كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر، وكان مقدماً وجيهاً وصف له كتاباً من حملتها كتاب «الجامع في اللغة» وذكر وفاته عام ٤١٢ هـ. وقد ترجم له ابن خلكان (١ : ٥١٤)، وياقوت في معجم الأدباء (١٧ : ١٠٥) والوافي بالوفيات (٢ : ٢٠٤) والسيوطي في بغية الوعاة ص ٣٩.

(١) راجع ص ٥٠ برقة - نقولاً زيادة.

(٢) شهرته في الكتب العربية رجار، وامتد حكمه طويلاً (١١٣٠ - ١١٥٤ م).

والشريف الإدريسي أصله من سبته، وهاجر آباؤه إلى صقلية.

وهو وإن كان ليس بليبي إلا أنه ينتمي إلى المغرب العربي الكبير الذي كانت الفواصل بين أقاليمه واهية، وكان أبناؤه من برقة حتى المحيط الأطلسي يخضعون لمؤثرات واحدة.

وقد تلقى الإدريسي دراساته في قرطبة، وأتيح له أن يقوم بأسفار عديدة فزار لشبونة، والأندلس، ومراكش، وقسطنطينة، وسواحل فرنسا وإنجلترا كما زار صقلية وآسيا الصغرى وكتابه المشهور، «نزهة المشتاق» في مجمله تصنيف ممتاز للمعلومات التي أوردها المسافرون، والتجار، والحجاج. كما نجد فيه تفاصيل على جانب كبير من الفراسة والطرافة، عن إيطاليا، وفرنسا، وبلاد البلقان، وألمانيا، حتى جزر اسكندناوة، وكل هذا مزين بكثير من الخرائط التي لها أهميتها على الرغم من أنها ناقصة، ومنه نسخة خطية بمكتبة باريس ترجمها «جويرت» إلى اللغة الفرنسية، ونشرت بين عامي ١٨٢٦، ١٨٤٠، وقد ترجمه يوحنا الحصري، وجبرائيل الصهيوني إلى اللغة اللاتينية، ونشراه مع النسخة العربية. وهاتان النسختان المنشورتان اختصار لنسخة موجودة في مكتبة الاسكوريال بأسبانيا، وقد طبعت ترجمة الحصري وجبرائيل في باريس.

ونشر الأستاذان دوزي ودي غويه مختصراً للكتاب أطلقا عليه «صفة المغرب والسودان» وطبع قسم من الكتاب في «نانورمي» عام ١٧٩٠ ومنه «ذكر الأندلس» ومعه ترجمة أسبانية بقلم المستشرق كوندى عام ١٧٩٩ م. وطبع الكتاب أيضاً في مدريد عام ١٨٨١ ومعه ترجمة أسبانية للأستاذ ساندراس. وترجم أميدي جوبار إلى الفرنسية جغرافية الشريف الإدريسي عن النسخة الموجودة في مكتبة باريس وطبعها بين عامي ١٨٧٧، ١٨٧٩، ومنه جزء يشتمل على مقدمة وصفة البلاد التي هي الآن مملكة إيطالية ومعه ترجمة إيطالية وشروح وتعليقات بقلم أماري وشيبارلي.

وطبع الكتاب في مدينة ليزج عام ١٨٢٨ بإشراف روزن ملر: ومن طريف ما وصف به الإدريسي أهل برقة أن ثيابهم حمراء دائماً،

وبذلك يعرف أهلها من سائر البلاد المحيطة بها، والصادر عنها والوارد إليها؛ ومن الطريف كذلك قوله إن أرضها تمتاز بزراعة القطن الذي لا يجانسه صنف من أصناف القطن، كما أن تربتها ينتفع بها في علاج بعض الأمراض إذ تعجن مع الزيت وتستخدم في علاج الجرب والحكة!

ووصف الإدريسي برقة، وقال إن أسواقها كاسدة، وكانت فيها سلف على غير هذه الصفة، وكان لها من الغلات في سائر الزمان القطن المنسوب إليها، وبها ديار لدبغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجلة؛ وهي الآن يتجهز منها المراكب والمسافرون الواصلون إليها من الإسكندرية. ويتحدث الإدريسي عن أجداية، وسرت وأوجلة.

وكذلك، وصف ابن حوقل الرحالة برقة في كتابه «المسالك» حيث قال: إن برقة مدينة وسط، وهي في بقعة فسيحة، ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها، وأرضها حمراء خلوقية التربة، وثياب أهلها أبدأ محمرة، ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر، وهي برية بحرية جبلية، ووجوه أموالها حمة، وهي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان؛ وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع، طلاباً لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين. ثم يتحدث ابن حوقل عن مدينة أجداية ويصفها ويقول: إنه لطيف بها من أحياء البربر خلق كثير، وليس بها ولا ببرقة ماء جار. . إلى آخر ما كتب ابن حوقل عن ليبيا ومدنها من أوصاف شائقة.

ويقول ابن الفقيه صاحب كتاب البلدان عن مدينة برقة: إنها مدينة حسنة في صحراء، وهي خصبة ممتعة. . ويقول المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم»: تحمل من برقة ثياب الصوف والأكسية، ويقول: برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة، وكثيرة الفواكه والخيرات، وقد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع. . وهي على جادة مصر، وأهلها يحسنون إلى الغرباء، وهم أهل خير وصلاح.

أشهر العلماء والأدباء في هذا العصر

- ١ - إبراهيم بن أحمد بن جعفر الأزدي الطرابلسي البرقي الزاهد عاش في القرن الرابع الهجري^(١).
- ٢ - إبراهيم الاجدابي الطرابلسي، كان من أعلم أهل زمانه بجميع علوم العربية وأصله من قبيلة لواتة البربرية، وعاش في القرن الخامس الهجري^(٢).
- ٣ - أبو بكر بن دحمان الأطرابلسي المحدث من القرن الرابع الهجري^(٣).
- ٤ - أبو الحسن السيقاطي الفقيه الصالح توفي عام ٤٢٠ هـ^(٤).
- ٥ - أبو الحسن الاجدابي المؤرخ، كان واحد زمانه علماً وفضلاً توفي عام ٤٢٢ هـ^(٥).
- ٦ - أحمد الأطرابلسي العابد المجتهد الإمام، توفي عام ٣٤٦ هـ^(٦).
- ٧ - أحمد بن الحسين الأطرابلسي المحدث من أهل القرن الرابع^(٧).
- ٨ - أحمد بن خلف الأجداي، كان فقيهاً بارعاً، له معرفة بفن الجدل والأدب توفي ٣٩١ هـ^(٨).
- ٩ - أحمد بن نصر الطرابلسي من أئمة المالكية^(٩).
- ١٠ - حاتم الطرابلسي المحدث توفي عام ٥١٦ هـ^(١٠).
- ١١ - الحسن الطرابلسي له كتاب في تاريخ طرابلس توفي ٥٢١ هـ^(١١).

(١) ١ : ١٠١ الصلة لابن بشكوال، ٣ أعلام من ليبيا.

(٢) ٤ وه أعلام من ليبيا.

(٣) ١٨ المرجع.

(٤) ٢٥ المرجع.

(٥) ٢٥ و ٢٦ المرجع.

(٦) ٢٩ المرجع.

(٧) ٣١ المرجع.

(٨) ٣١ و ٣٢ المرجع، ١ : ١٠٨ المنهل العذب.

(٩) ٤٩ أعلام من ليبيا.

(١٠) ٩٧ و ٩٨ المرجع.

(١١) ٦٩ المرجع.

- ١٢ - الحسن الاجدابی عالم محدث مؤرخ توفى عام ٤٣٢ هـ^(١).
- ١٣ - خليل بن إسحاق له حظ في العلم وباع واسع في الأدب قتل عام ٢٣٢ هـ^(٢).
- ١٤ - رافع البرقي فقيه متكلم محدث له شعر موزون وأكثره ملحون^(٣).
- ١٥ - رافع بن مطروح من أسرة بني مطروح وحكم طرابلس عام ٥٤٣ هـ نيابة عن النورماندين حتى عام ٥٥٢ هـ وله شعر^(٤).
- ١٦ - عبد الله الاجدابی المحدث المؤرخ توفى عام ٣٨٤ هـ^(٥).
- ١٧ - عبد الله الطرابلسي القاضي الفقيه ولي القضاء ٣٢ عاماً (٤٤٤ - ٤٧٦ هـ)^(٦).
- ١٨ - علي بن ذكرون الطرابلسي المحدث توفى عام ٣٧٥ هـ^(٧).
- ١٩ - علي بن علي البرقي نحوي شاعر مات عام ٥٢٣ هـ^(٨).
- ٢٠ - علي الطرابلسي (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) محدث نحوي بارع، نشر السنة في المغرب وخاصم العبيدين^(٩).
- ٢١ - فلقل بن سعيد أمير طرابلس من رجالات البربر من بني خزرون توفى عام ٤٠٠ هـ^(١٠).
- ٢٢ - محمد الطرابلسي الصوفي الورع^(١١).
- ٢٣ - محمد بن الجيل قاضي برقة توفى عام ٣٤١ هـ^(١٢).

(١) ١٠٠ المرجع، ١: ١١٤ المنهل العذب.

(٢) ١٠٥ أعلام من ليبيا.

(٣) ١٠٩ المرجع.

(٤) ١١٠ و ١١١ المرجع، ١: ١٣٦ المنهل العذب.

(٥) ١٩٠ أعلام ليبيا، المنهل العذب ١: ١٠٥.

(٦) ١٩٣ أعلام ليبيا.

(٧) ٢٠٥ المرجع.

(٨) ٢١٢ المرجع، وراجع بغية الوعاة، ومعجم الأدباء.

(٩) ٢١٦ و ٢١٧ أعلام ليبيا.

(١٠) ٢٥٣ المرجع، وقد حكمت أسرته طرابلس نحواً من ١٥٠ عاماً.

(١١) ٢٦٤ أعلام من ليبيا.

(١٢) ٢٦٩ المرجع.

- ٢٤ - محمد بن الحسن قاضي طرابلس توفي بعد عام ٣٦٩ هـ^(١).
- ٢٥ - محمد السرقى المحدث (٢٩٨ - ٣٨٣ هـ)^(٢).
- ٢٦ - محمد بن سالم الطرابلسى كان مترسلاً شاعراً نحوياً لغوياً وكان معتزلياً^(٣).
- ٢٧ - محمد بن سعيد بن شرف الاجداني القيروانى (٤٦٠ هـ) كان أديباً بليغاً وكاتباً مترسلاً وحامل لواء المنثور والمنظوم مات بالأندلس^(٤).
- ٢٨ - موسى الطرابلسى الفقيه توفي ٤٢٢ هـ^(٥).
- ٢٩ - هاشم الطرابلسى المحدث (٣٥١ - ٤٣٣ هـ)^(٦).
- ٣٠ - الوليد بن هشام كان معلماً عالماً^(٧).
- ٣١ - يحيى اللخمي المحدث الأخبارى^(٨).
- ٣٢ - يحيى المؤدب الزاهد الطرابلسى توفي عام ٣٠٥ هـ^(٩).
- ٣٣ - خطاب البرقى، أبو نزار الصوفى المتوفى عام ٣٧٣ هـ^(١٠).
- ٣٤ - أبو الحسن محمد بن أحمد المتيم الأفريقى، وله كتاب «أشعار الندماء» وقد ذكره الثعالبى فى اليتيمة^(١١)، وقد ذكر الثعالبى فى اليتيمة علماً آخر هو أحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوى الشاعر، وروى له شعراً^(١٢).
- ٣٥ - سعيد بن خلفون الزاهد المتوفى ٣٦٢ هـ^(١٣).

(١) ٢٧٠ المرجع.

(٢) ٢٧١ المرجع و١ : ١٠٤ المنهل العذب.

(٣) ٢٧٥ أعلام ليبيا.

(٤) ٣٥٢ المرجع.

(٥) ٣٥٨ المرجع.

(٦) ٣٥٨ المرجع.

(٧) ٣٥٩ المرجع.

(٨) ٣٦١ المرجع.

(٩) ٣٦٥ المرجع.

(١٠) ١ : ١٠٣ المنهل العذب.

(١١) ٣٠٦ اليتيمة - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(١٢) ٣١١ : ١ المرجع السابق.

(١٣) ١ : ١٠٢ المنهل العذب.

الفصل الثالث

الأدب في هذا العصر

في هذا العصر نبغ العلماء والمثرون والمفكرون وخطت ليبيا الإسلامية العربية خطوات كبيرة في سبيل التقدم والحضارة والرفاهية.

ونضت الآداب العربية في ربوعها ولقيت من تشجيع الفاطميين والصنهاجيين ومن رعايتهم الفائقة ما لم تلقه من قبل وظهر كثير من العلماء والأدباء والكتاب والشعراء، وقامت حركة أدبية كبيرة في طرابلس وبقية المدن الليبية، كما ازدهرت الآداب في القيروان العاصمة السياسية الكبيرة، وكان بعض ملوك هذه البلاد أدباء وشعراء ومن بينهم تميم بن المعز الصنهاجي (٤٥٤ - ٥٠١ هـ) الذي كان شاعراً أديباً ذا ذوق عربي سليم وبلاغة متمكنة طيبة ويروي له أدب وفير وشعر كثير^(١).

ومن الأدباء المشهورين الذين عاشوا في ظلال الفاطميين في ليبيا ابن هانيء الأندلسي ٣٦٢ هـ، وخليل بن إسحاق ٢٣٢ هـ، وله باع واسع في العلم والأدب، وأحمد بن خلف الأجداي ٣٩١ هـ، وكان ملماً بالجدل والأدب وابن زرعة البرقي الشاعر.

ومن الأدباء الذين عاشوا في ظلال الصنهاجيين ابن شرف الأجداي ثم القيرواني (٤٦٠ هـ)، وكان كاتب المعز بن باديس. ويعاصره ابن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) صاحب كتاب العمدة المشهور، وكان ابن رشيق كاتب المعز وشاعره أيضاً، ولابن شرف كتاب أعلام الكلام، وكتاب أبكار الأفكار، وكتاب رسائل الانتقاد وهو مشهور، ومن الأدباء الذين عاشوا في ظلال

(١) راجع ١٤١ - ١٦٤ خريدة القصر قسم شعراء المغرب ط ١٩٦٦.

الصنهاجيين أيضاً إبراهيم الاجداني الطرابلسي وكان أعلم أهل زمانه بجميع علوم العربية، وعاش في القرن الخامس الهجري، ومحمد بن سالم الطرابلسي وهو معتزلي أديب شاعر ملم بجميع العلوم العربية، وعلى بن علي البرقي ٥٢٢ هـ وهو شاعر مجيد، وابن خراسان الطرابلسي الشاعر، والوداني الشاعر وغيرهم.

وهكذا نهضت الآداب العربية في ليبيا في هذا العصر الطويل، وأثمرت هذه الحركة الفكرية، وتلك التيارات الأدبية، تراثاً غالياً لا يزال مدفوناً في كثير من المخطوطات العربية الباقية في مكتبات طرابلس والقيروان والزيتونة والقاهرة.

نماذج وصور من شعر هذا العصر

- ١ -

ابن شرف القيرواني (٤٦٠ هـ) شاعر وكاتب المعز بن باديس:
إن تدعك الغربية في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

- ٢ -

ابن رشيق القيرواني الأزدي المتوفى عام ٤٥٦ هـ بجزيرة صقلية، وكان كاتب وشاعر المعز بن باديس، وكان أبوه رومياً؛ وله كتاب العمدة:
في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مس باضرار
كالعود لا تطمع في طيبه إن أنت لم تمسسه بالنار

- ٣ -

ولابن رشيق أيضاً:

أحب أخى وإن أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض كما قطبت في وجه المدام
ورب تجهم من غير بغض وضغن كامن تحت ابتسام

- ٤ -

أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (٤٥٣ هـ) صاحب زهر
الآداب:

كتمت هواك حتى عيل صبري وأدنتني مكاتني لرمسي
ولم أقدر على إخفاء حال يجول بها الأسى دون التأسى
وحبك مالك لحظي ولفظي وإظهارى وإضمارى وحسى

- ٥ -

اضطهد المعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٥ - ٤٥٤ هـ) الشيعة في أيام
حكمه الذي استمر ٤٩ عاماً، فقال في ذلك القاسم بن مروان الشاعر:
وسوف يقتلون بكل أرض كما قتلوا بأرض القيروان
وقال شاعر آخر:

يا معز الدين عش في رفعة وسرور واغتيال وجذل
أنت أرضيت النبي المصطفى وعتيقاً^(١) في الملاحين السفلى
وجعلت القتل فيهم سنة بأقاصي الأرض في كل الدول

- ٦ -

ابن رشيق في الأمير تميم بن المعز بن باديس (٤٥٤ - ٥٠١ هـ).

أصح وأقوى ما روينا في الندي من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث تروها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم^(٢)

(١) هو سيدنا أبو بكر الصديق، والملاحين يقصد بهم الشيعة.

(٢) ١: ١٣٢ المنهل العذب.

تميم بن المعز بن باديس وكان عالماً فاضلاً وشاعراً رقيق العاطفة :
فلما الملك في شرف وعز محلّ التساج في أعلى السرير
ولما الموت بين ظبى العوالى فليست بخالد أبدا الدهور
ومن رقيق شعره :

وخمر قد شربت على وجوه إذا وصفت تجل عن القياس
خدود مثل ورد في ثغور كدر في شعور مثل آس
وكان تميم بن المعز بن باديس شهياً شجاعاً ذكياً، وله شعر حسن،
وكان حسن السيرة، محباً للعلماء مقبلاً على الشعراء وأهل الأدب، وقصده
الشعراء وغيرهم من كل مكان^(١).

وقال ابن هانئ الأندلسي من قصيدة يمدح بها القائد جوهرأ، ويصف
الجيش الذي غزا به مصر، ويودعه عند خروجه من القيروان :
رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع^(٢)
غداة كأن الأفق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع^(٣)

(١) ١ : ١٣٢ المنهل العذب.

(٢) راعني : هالني وأدهشني. يوم الحشر : يوم القيامة. أروع : أكثر هولاً ودهشة وفزعاً.
المعنى : كنت أسمع عن عظمة جيش المعز لدين الله الذي يقوده القائد جوهر وعن
قوته، ولقد رأيت اليوم بعيني رأسي فعجبت لقوته وعظمته، وخيل إلي لكثرة عدده وازدحام
الخلق فيه أن اليوم الذي رأيته مجتمعاً فيه أشد هولاً وفزعاً من يوم القيامة، وكان ما سمعته
عنه أقل مما رأيته عليه.

(٣) الغداة والقعدة : أول النهار المبكر.

المعنى : رأيت الجيش في الصباح المبكر وقد أحدث بسيره طبقة من الغبار في الجو
أخفت الجوالطبيعي، وحجبت الشمس عن الناس فخيّل إلينا أن الشمس غربت من مكان
طلوعها.

فلم أدر إذ سلمت كيف أشيع ولم أدر إذ شيعت كيف أودع^(١)
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة وإن بمن قاد الجيوش لمولع^(٢)
وأين؟ وما لي بين ذا الجمع مسلك ولا لجوادي في البسيطة موضع^(٣)
ألا إن هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن ولا بات يهجع^(٤)
نصيحته للملك سدت مذهبى فما بين قيد الرمح والرمح إصبع^(٥)
فقد ضرعت حتى الرواسى لما رأت فكيف قلوب الإنس والإنس أضرع^(٦)
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر تحب المطايا فيه عشرا وتوضع^(٧)

(١) المعنى: قد حير عقلى هول الموقف وروعة المنظر، فلم أدر كيف أسلم ولا كيف أشيع من أردت تشيعهم وتوديعهم.

(٢، ٣) المعنى: وكيف أصل إلى من أريد توديعه في وسط هذا الجيش العظيم وكيف أجتاز تلك الكتل البشرية إلى القائد العظيم لأودعه؟ وأين أذهب ولا طريق لي في هذا الجمع الحافل، ولا يستطيع جوادى أن يشق طريقه في هذا الزحام الهائل.

(٤) الغرار: القليل. الكرى: النوم، يهجع: ينام.
المعنى: ولقد جمع هذا الجيش العظيم شخص لم يذق طعم الراحة، لأن هذا الاستعداد الهائل يتطلب مجهوداً مضياً وعملاً متواصلاً، وهذا ما فعله جوهر.

(٥) مذهبى: طرقى. القيد: القدر. وقيد الرمح والرمح: أي بين الرمحين.
المعنى: المقصود بالنصيحة هنا المشورة بغزو مصر وإخلاصه لدولة المعز، فمشورة جوهر على المعز وإخلاصه لدولة المعز كانا سبباً في حشد هذا الجيش الكبير الذى سد على طرقى في السير، فلا يستطيع المرء أن يشق لنفسه طريقاً وسط هذا الجمع الذي بلغ من شدة زحامه أن المسافة التي بين الرمحين لا تتسع لأكثر من إصبع، وهذا كناية عن شدة الزحام.

(٦) ضرع: خضع وذل وسلكان. الرواسى: الجبال الراسيات.
المعنى: ليس لدينا من مظاهر ذلة الجبال وخضوعها لهذا الجيش العظيم إلا انهيارها وعدم ثباتها أمام قوته. فكان الشاعر يقول: إن الجبال الرواسى لا تقوى على الشات أمام هذه القوة الكبيرة فكيف بالإنس وهم أقل احتمالاً من الجبال؟ وكأنه أيضاً يقول: لقد فزعت الجبال مما رأت من قوة الجيش، ومن الطبيعي أن فزع الإنسان الذى له قلب وعاطفة يكون أعظم من فزع الجهاد الذى لا عاطفة له. وفي هذا كله مبالغة في قوة جيش جوهر.

(٧) الخيب: صرب من العدو. والإيضاع: الإسراع في السير.
المعنى: لقد بلغ من كبر المسافة التي يشغلها الجيش على الأرض أن الدواب تقطع هذه المسافة وهي مسرعة في عشر ليال، وفي هذا مبالغة في تقدير الكثرة.

تسير الجبال الجامدات لسيره وتسجد من أدنى الخفيف وتركع^(١)
إذا حل في أرض بناها مدائننا وإن سار في أرض ثوت وهي بلمقع^(٢)

- ٩ -

ومن غرر مدائح ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٣٧ هـ) قوله في المعتمد بن عباد:

أنكرت سقم مذاب الجسد	وهو من جنس عيون الخرد
وبكت فالدمع في وجنتها	كجمال الطل في الورد الندي
ما الذي يبكي بحزن ظبية	فتكت مقلتها بالأسد
والظباء الحور إما قتلت	لحظات العين منها لا تدي
غادة إن (ينط) منها موعده	بغد فر إلى بعد غد
هكذا عندي يجري مظهرها	بخلاف عندها مطرد
وهي من عجب ومن تيه لها	كبد ترحم منها كبدي
ذات عين بالهوى نابغة	ضل في الحب بها من يهتدي
وهي نجلاء حكاها سعة	جرحها في كل قلب مكمد
لا يذوق الميل فيها إثمدا	ما لأحداق المها والإثمدا
قذفت حبة قلبي في الهوى	هل رأيت الجمر في المفتاد
سحرها وحى بنجوى ناظر	لا نفاث للنهى في عقد

(١) الخفيف: الصوت. وأدنى الخفيف: أقل الصوت.

المعنى: أن الجبال تسير لسيره وتسجد وترجع لأقل صوت منه، وأقل صوت وأقل حركة من الجيش تكون كبيرة لكثرة عدد الجيش وضخامته، وفي هذا كناية عن عظمة الجيش وشديد هيئته.

(٢) ثوت: أقامت. البلمقع: الأرض التي لا شيء بها. المعنى: لا يزال الشاعر يعطينا صورة عن كثرة عدد المحاربين وضخامة الجيش، فهو يقول: إن الجيش إذا قام في جهة احتاج إلى مساكن كثيرة، وثكنات للأجناد، فبني مدائن تؤوى هذا الجيش الضخم، وإذا لم يحل في جهة بل سار عنها ولم يقيم فيها تركها قفراً لا أثر فيها للعميران ولا لنبات.

ما لآس في محب عمل
خفى البرء على إطفائه
إن في ظلم ظلوم لجنى
ذاب لي بالراح منها برد
هاتها صفراء ما اخترت لها
خارج في راحتي مقتنص
جرد المزج عليها صارماً
عتقت ما عتقت في خرف
حيث أبلى جسمها لا روحها
ما أطاق الدهر أن يسلبها
فاقض أوطار اللذات على
فلحون العود والكأس لنا
ملك إن بدأ الحمد به
معرق في الملك موصولاً به
من غدا في كل فضل أوحدا
من حمى الإسلام من طاغية
وكست أسيفه عارية
ذو يد حمراء من قتلهمو
تقتدى الأملاك في العدل به
كيف لا يمل على الناس العلا
عارض ينهل بالويل إذا
وهصور يفرس القرن إذا
قومت عزمته عن نية
لا تلمه في عطاياء التي
فنداه البحر والبحرمتي
ومحال نقتلك الطبع الذي
كم لحام جر في أوله

غير داء الروح داء الجسد
وهو في بعض ثنايا العود
شهد، واهال ذلك الشهد
هل يكون الراح ذوب البرد
أفق الشمس على أفق يدي
كل هم كامن في خلدي
فاتقته بدموع الزبد
برداء القمار منه ترتدي
مر أيام الزمان الجدد
أرج المسك ولون العسجد
نقر أوتار الغزال الغرد
والندي والبأس للمعتمد
ختم الفخر به ما يبتدي
شرف المجد ومحض السؤدد
ذلك الأوحده كل العدد
كان منه في المقيم المقعد
ذل أهل السبب أهل الأحد
وهي عند الله بيضاء اليد
وهو فيه بأبيه يقتدى
مستمد من علا المعتضد
كان للعارض كف الجلمد
جرد المرهف فوق الأجرد
من منار الدين ميل العمد
إن ترم منهن نقصاً تزدد
تعصف الريح عليه يزبد
كان منه في كريم المولد
رمحه فهو له كالمقود

وليست صال فيهم فانشنوا
بحسام مطفى أرواحهم
لعواريه على هاماتهم
كم تغنى بالمنايا في الطلا
وسنان مشرع في صعدة
في سماء النقع منه كوكب
أبدأ يدعو إلى مآدبة
يا بني البأس من الذمر الذي
شيب الحرب اقتحاماً بعدما
يرعف اللهزم في راحته
سمهري أحرقت شعلته
أنت ذاك الأسد الورد فهل
أعناق اليهم استحسنته
دمت في الملك لمعنى ماح
وبنات من فصيح مفلق
فهو بالإحسان في ألفاظها
في بيوت أذنت فيها العلا
قد بناها من عروض فهي لا
فلذا أثنت عليكم فتقت
وإذا استحييت من المجد أت

وضوارهم له كالنقد
بشواظ البارق المتقد
عن شرار القدح ما في الزند
فشناء عن مغانى معبد
كلسان في فم الأيم الصدى
طالع في يزنى أملد
حوم الوحش ضحاً بالقدفد
جاء في كاهل عزم أيد
ربيت في حجره كالولد
كلما شم قلوب الأسد
كل روح في غدير الزرد
كان في رمحك سم الأسود
وهو برد أم عناق الخرد
ينظم الفخر وجدوى المجتدي
يشهد الفضل له في الشهيد
محسن صيد المعاني الشرد
لك بالتقريظ في كل ندى
يعرض الهدم لها في السنند
لكم مسك الشناء الأبدى
معرباً عنها لسان المنشد

- ١٠ -

وله من قصيدة طويلة يصف فيها الطبيعة ويشواق الى وطنه :

وريح خفيفة روح النسيم
سرت وحياتها شقيق الحياة
فمن صوت رعد يسوق السحاب
أطت بليلاً وهبت رخاء
على ميت الأرض تبكى السماء
كما يسمع الفحل شولا رغاء

- ٩١ -

وتشعل في جانبها البروق بريق السيوف تهز انتضاء
فبت من الليل في ظلمة فيا غرة الصبح هاق الضياء
ويا ريح إما مريت الحيا ورويت منه الربوع الظاء
فسوقى إلى جهام السحاب لأملأهن من الدمع ماء
ويسقى بكائي ربع الصبا فما زال في المحل يسقى البكاء

أشهر الشعراء في هذا العصر^(١)

١ - أبو الحسن الحصري^(٢)

أبو الحسن علي بن علي بن عبد الغنى الفهرى الضرير القيروانى، المعروف بالحصرى، ذكره ابن بسام فى الذخيرة وقال عنه: إنه بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة، وفد على الأندلس نحو عام ٤٥٠ هـ، وتوفى عام ٤٨٨ هـ بطنجة، وهو رقيق الشعر عذبه، وأشهر شعره داليته المشهورة التى افتن بها الشعراء وعارضوها فى كل زمن، ومن عارضها شوقى وصبرى ويكنى؛ وهو غير الحصرى القيروانى صاحب زهر الآداب المتوفى عام ٤٥٣ هـ، وهو شاعر أيضاً^(٣).

ومن دالية الحصرى فى الغزل والصبابة قوله:

يا ليل، الصب متى غده أقيام الساعة موعده
رقد السمار وأرقه أسف للبين يردده

(١) راجع كثيراً من شعراء هذا العصر فى كتاب «خريدة القصر قسم شعراء المغرب» وهو مطبوع عام ١٩٦٦ م.

(٢) راجع كتاب «أبو الحسن الحصرى»، تأليف محمد المرزوقى والجلال بن الحاج يحيى ط تونس ١٩٦٤ م.

(٣) ذكر جورجى زيدان أن وفاته عام ٤١٣ هـ (٢: ٣٣٥) تاريخ آداب اللغة العربية). . . وترجم للحصرى هذا ابن خلكان (١: ١٣)، وياقوت فى معجم الأدباء (١: ٣٥٨).

فبكاه النجم ورق له
كلف بغزال ذي هيف^(٢)
نصبت عيناي له شركا
وكفى عجباً أنى قنص^(٣)
صنم للفتنة منتصب
صاح والخمر جنى فمه
ينضومن مقلته سيفاً
فيريق دم العشاق به
كلا لا ذنب^(٦) لمن قتلت
يا من جحدت عيناه دمي
خداك قد اعترفا بدمي
إنى لأعيذك من قتلى
بالله هب المشتاق كرى
ما ضرك لو داويت ضنى
لم يبق هواك له رمقا
وغدا يقضى أو بعد غد
يا أهل الشوق لنا شرق^(٧)
يهوى المشتاق لقاءكم

عما يرعاه ويرصده^(١)
خوف الواشين يشرده
فى النوم فمز تصيده
للسرب سباني أغيده^(٤)
أهواه ولا أتعبده
سكران اللحظ معربده
وكأن نعاساً يغمده
والويل لمن يتقلده^(٥)
عيناه ولم تقتل يده
وعلى خديه تورده
فعلام جفونك تجحده؟
وأظنك لا تتعمده
فلعل خيالك يسعده
صب يدنيك وتبعده
فليبك عليه عوده
هل من نظر يتزوده؟
بالدمع يفيض مورده
وصروف الدهر تبعده

(١) رصده بالخير وغيره يرصده رصداً ورصداً: رقبه.

(٢) هو ضمور الخصر.

(٣) القنص: ما اقتنص.

(٤) الأغيد من النبات: الناعم المتثنى، والوسنان المائل العنق من الناس.

(٥) تقلد السيف: حمله.

(٦) الذنب: الاثم «وكلا» تأتي بمعنى حقاً وبمعنى لا النبيهية ومعنى لا النافية

(٧) الشرق: الشجاء ولغصة والشرق بالماء والريق ونحوهما، كالغصص بالطعام. والشرق: دخول

الماء فى الخلق حتى يغص به، مورده: يقال ورد فلان أى حضر وأورده غيره وتورده كورده

أحضره فمورده اسم مكان من ورده.

ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تنكده
بالبن وبالهجران فيا لفؤادي كيف تجلده؟

وقد عارضن شوقي هذه القصيدة بقصيدته:

مضناك جفاه مرقده	وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه	مقروح الجفن مسهده
أودى حرقاً ^(١) إلا رمقاً ^(٢)	يبقيه عليك وتنفده
يستهوئ ^(٣) الورق ^(٤) تأوّه	ويذيب الصخر تهده
ويناجي النجم ويتبعه	ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة ^(٥)	شجننا في الدوح تردده
كم مدلطيفك من شرك ^(٦)	وتأدب لا يتصيد
فعساك بغمض مسعفه	ولعل خيالك مسعده
الحسن حلفت بيوسفه	والسورة أنك مفرده
قد ود جالك أوقبسا	حوراء الخلد وأمرده
وتمنت كل مقطعة	يدها لو تبعث تشهده
جحدت عيناك زكى دمي	أكذلك خدك يجحده؟
قد عز شهودي إذ رمتا	فأشرت لخدك أشهده
وهممت بجيدك أشركه ^(٧)	فأبى واستكبر أصيد ^(٨)

(١) الحرق: من حرقة النار. وفي الحديث: الحرق والفرق والشرق شهادة، وفيه: أيضاً الحرق شهيد.

(٢) الرمق: بقية الحياة.

(٣) يستهوئ: يستهيم ويحير.

(٤) الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة والورقة السمرة.

(٥) المطوقة: الحمامة التي في عنقها طوق.

(٦) الشرك: حائل الصيد.

(٧) أشركه، أشركه بفتح الهمزة وبضمها، من شركه.

(٨) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً ومنه قيل للملك أصيد لأنه لا يلتفت يمياً أو شمالاً والفعل صيد يصيد.

وهزرت ^(١) قوامك أعطفه	فنبها وتمنع أمله
سبب لرضاك أمهده	ما بال الخصر يعقده
بيني في الحب وبينك ما	لا يقدر واش يفسده
ما بال العاذل يفتح لي	باب السلوان وأوصده
ويقول تكاد تجن به	فأقول وأوشك أعبدته
مولاي وروحي في يده	قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له	وحنايا الأضلع سعبدته
حسادى فيه أعذرهم	وأحق بعذرى حسده
قسما بثنايا لؤلؤها	قسم ^(٢) الياقوت منضده
ورضاب يوعد كوثره	مقتول العشق ومشهده ^(٣)
وبخال كاد يحج له	لو كان يقبل أسوده
وقوام يروى الغصن له	نسبا والرمح تفنننه
وبخصر أوهن من جلدى	وعوادى الهجر تبذره
ما خنت هواك ولا خطرت	سلوى بالقلب تبرده

وعارض قصيدة الحصرى أيضاً الشاعر إسماعيل صبرى. والشاعر ولى الدين يكن، ومطلع قصيدة ولى الدين:

الحسن مكانك معبدته	واللحظ فؤادى مغمده
يا سيدى هذا حر	لم يعرف قبلك سيده

ومنها:

للصبح سناؤك أبيضه	ليل غرامى أسوده
أحببت قلاك فمطلقه	عندى عذب ومقيده

(١) هزرت قوامك: من هزرت فلاناً خير فاهتز أى حركته فتحرك.

(٢) قسم: كفرح ومتضد اسم مفعول أو اسم فاعل.

(٣) مشهده: أشهد الرجل إذا استشهد فى سبيل الله فهو مشهد، ومنه: أنا أقول سأموت مشهداً.

فأنا بولوعى أرشده	إن ضل حنانك عن قلبى
وجمالك كان يؤيده	قد بات دلالك يخذله
كلفى إن رث أجسده	زىدى تيهأ ازدد كلفاً
(صبرى) إن جرت يؤكده	(شوقى) إن بنت يضاعفه
طرفى مع طرفك يرصده	خلان هما شمساً فلك
(مضناك جفاه مرقده)	فصلى بالله ولو حلما
الصب يماطله غده	وعديه اليوم ولو كذباً

٢ - الودانى الشاعر

ينسب إلى ودان - بلد من البلاد الطرابلسية الجنوبية - سكن صقلية وكان أديباً رقيق الشعر، وله ديوان أجاد فيه وأبدع ما شاء له الإبداع؛ واسمه أبو الحسن على بن أبي إسحاق بن إبراهيم الودانى، وكان صاحب الديوان بصقلية، وله أدب كثير، ذكره ابن القطاع وأنشد له:

من يشتري منى النهار بليلة	لا فرق بين نجومها وصحابي
دارت على فلك الزمان ونحن قد	دنا على فلك من الآداب
ودنا الصبح ولا أنى وكأنه	شيب أطل على سواد شباب

وله فى المشيب وقد ذكره صاحب خريدة القصر:

وبرغمى لما أتانى مشيبى	قلت يا أهلاً بالضحوك القطوب
ولعمري ما كنت ممن يحويه	ولكن تملق بالقلوب

وكان معاصراً لابن رشيق، وبينهما مكاتبات وتراسل^(١).

(١) ٢٣ و ٢٠٤ أعلام من ليبيا، ١: ٢٧١ و ٢٧٢ المنهل العذب.

٣ - ابن خراسان الطرابلسي الشاعر

هو أحمد بن الحسين بن حيدرة، المعروف بابن خراسان الطرابلسي الشاعر، ذكره ياقوت في معجم البلدان عند الكلام على طرابلس الغرب، وأنشد له من نظمه:

أحبابنا غير زهد في محبتكم	كون بمصر وأنتم في طرابلس
إن زرتكم فالمنايا في زيارتكم	وإن هجرتكم فالهجر مفترسي
ولست أرجو نجاحاً في زيارتكم	إلا إذا خاض بحراً من دم فرسي
وأنثى ورماح الخط قد حطمت	في كل أروع لا وان ولا نكس
حتى يظل عميد الجيش ينشدنا	نظماً يضيء كضوء الفجر في الغلس ^(١)

٤ - ابن زرعة الشاعر

هو أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة، الزهري البرقي أبو بكر مولى بني زهرة، الشاعر، قال وقد حدثت في مصر زلزلة:

بالحاكم العدل أضحي الدين معتلياً نجم العلي وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا
وهو يشير هنا إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وقال أيضاً في الحاكم وقد مات وجاء في عقب ذلك مطر:

أذرى لفقدك يوم العيد أدمعه من بعدما كان يبدى البشر والضحكا
لأنه جاء يطوى الأرض من بعد شوقاً إليك فلما لم يجده بكى^(٢)

(١) ٣٠ أعلام من ليبيا.

(٢) ٤٠ أعلام من ليبيا.

٥ - اللكى الشاعر

هو الحسين بن مروان بن عثمان اللكى الشاعر، منسوب إلى لك بلدة ببرقة، شاعر مجيد رقيق الإحساس، دقيق الوصف، ومن شعره:

تمكن منى السقم حتى كأننى تمكن معنى فى خفى سؤال
ولو سالت عيناه عيني فى الكرى لأشكل من طيف الخيال خيالى
سمحت بروحى وهى عندى عزيزة وجدت بقلبي وهو عندى غال^(١)

٦ - ابن البرقى الشاعر

أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن البرقى، ذكره العماد فى الخريدة، وأثبتته ابن أبى الصلت، وكان بينه وبين أبى النضر مودة، وأورد له شعراً:

رمانى الدهر منه بكل سهم وفرق بين أحبابى وبينى
ففى قلبى حرارة كل قلب وفى عيني مدامع كل عين
وأنشد له ابن سعيد فى «المغرب»:

ولى سنة لم أدر ما سنة الكرى كأن جفونى مسمع والكرى عذل
وكتب ابن النضر له يوبخه فرد عليه:

لا تكذبين فما كنا لنوجب من حق وأنت تراه عنك قد سقطا
وليت عصر شبابى شاغل أملى بك اغتباطا وها فوداى قد شمطا
وتوفى فى ربيع الأول عام ٥٦٢ هـ، وقد سبق أن ذكر أن اسمه على بن على البرقى نقلا عن كتاب أعلام ليبيا (ص ٢١٢).

(١) ١٠١ المرجع.

٧ - ابن شرف الاجداني القيرواني الشاعر^(١)

محمد بن أبي سعيد بن شرف الاجداني من إجدانية إحدى مدن ليبيا، تتلمذ على أبي الحسن القابسي، وأثنى عليه الباجي ووصفه بالعلم والذكاء وأن^(٢) علم الأدب بعض علومه، وابن شرف عالم أديب متمكن، تعلم في القيروان، وكان من أساتذته فيها أبو عمران الفاسي، وأبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز شيخ علماء العربية في القيروان، وكان صديقاً لأبي الحسن الحصري صاحب كتاب زهر الآداب (المتوفى عام ٤٥٣ هـ) يحضر مجالسه الأدبية، وقد كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه، ورأس عندهم، وشرف لديهم كما يقول ابن رشيق. واتصل بالمعز بن باديس، كما اتصل بوزيره ابن أبي الرجال الذي كان شاعراً أديباً، وكان المعز قد نشأ على حب الأدب وتذوقه وعلى تقدير الأدباء، وعلى الرغبة فيهم والحفاوة بهم، وصار ابن شرف أحد شعراء حضرة المعز.

ولما نكبت القيروان بتخريب الهلالية لها هاجر ابن شرف مع المعز إلى المهديّة، التي هاجر إليها كذلك ابن رشيق. ثم اتخذ ابن شرف طريقه إلى صقلية، ولحقه فيها كذلك ابن رشيق.

ولابن شرف قصيدة مشهورة في رثاء القيروان، قال فيها:

آه للقيروان! أنة شجو	من فؤاد بجاحم الحزن يصلي
حين عادت بها الديار قبوراً	بل أقول الديار منهن أخلى
ثم لا شمعة، سوى أنجم تخ	طوعلى أفاقها نواعس كلى
بعد زهر الشماع توقد وقد	ومتان الذبال تفتل فتلا
والوجوه الحسان أشرق منهن	ن، ويفضلنهن معنى وشكلا

(١) راجع ١ : ١٢٩ المنهل العذب، وكتاب (حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها).

(٢) ١ : ١٢٩ و ١٣٠ المنهل العذب.

ويصف جلاء أهل هذه المدينة عنها: رجالها ونسائها، شيوخها وأطفالها، وقد سألت بهم الطرق، وازدحت بهم مسالك البادية، وما تعرضوا له في خلال ذلك من عدوان وحشي، لا يعرف ضميراً، ولا يرقب في هؤلاء إلا ولا ذمة فيقول:

ق حفاة به، عواري، رجل
زحمة الحشر والصحائف قتلى
ق يبكون والسرائر تبلى
ملئوا حسرة وشجوا وثكلاً
كنفتها الأطمار، نجلاء، كحلا
في ثياب الجلاء للناس تجلى
مرفقوا يرجون في الأرض عدلاً
قل، لا حامل من الناس ثقلاً
ف، وعاد النبيه في الناس غفلاً
وسعاد تجيب بالنوح جملاً
لا، ولا حرمة تشيع أهلاً
فاقتحمن الجلاء حفلاً فحفلاً
ر لهم غير ذلك النبل نبلاً
عصلاً: ذابلاً ونبلاً ونصلاً
ن بجوف الفلا مساكين عزلاً
وتشق البطون تفسل غسلاً
شاء قوم غموا بذلك كلاً
راحلاً بالخلاص يحمل رحلاً
كان في سائر البلاد وحلاً
طالباً عنده حقوداً وذلاً
ناكساً رأسه يلاطف ندلاً
ض مطايا الفراق خيلاً ورجلاً

... بعد يوم كأنما حشر الخلد
ولهم زحمة هنالك تحكى
وعجيج وضجة كعجيج الخلد
من أيامى وراءهن يتامى
وحصان كأنها الشمس حسنا
فات كرسيتها الجلاء فأضحت
جار فيهم زمانهم وأولو ألا
تركوا الربع والأثاث وما يث
لبسوا الباليات من خشن الصو
نادبات: عفراء تسعد سعدى
ليس منهن من يودع جارا
كلهن اعتدى الفراق عليه
فإذا القفر ضمهم فرق الدهر
من ثعابين حاملين نيوبا
وشياطين راحين يلاقو
فتعري الظهور تعتل عتلاً
فإذا مطمع أصابوه في أح
فإذا نجت المقادير منهم
لقى الهون والمذلة أنى
ليس يلقى إلا امراً مستطيلاً
فترى أشرف البرية نفساً
فهمو كلما نبت بهم أر

مزقوا في البلاد شرقا وغربا يسكبون الدمع هطلا ووبلا
لا يلاقى النسيب منهم نسيباً يتعزى به، ولا الخل خلا

ولم يلبث ابن شرف أن ضاق بصقلية، فطمع ببصره إلى الأندلس،
وعاد مرة أخرى إلى مكابدة السفر في البحر، مما يقول فيه:

كأنى وأفراخى - إذا الليل جتنا
حمائم أضللن الوكور فضمها
إذا أفزعتهم نبوة زاحموا لها
ويصغر جسمى عن جميع احتضانهم
كأنهم لم يسكنوا ظل نعمة
إلى أن غدوا قن الفيافي فتارة
وطورا على موج البحار، كأننا
ونحن نفوس تسعة ليس بيننا
ويقول أيضاً:

أطفال ما سمعت بالفلا
ولا رأت أبصارها شاطئا
وكانت الأستار آفاقها
ولم تكن تعلو سريرا علا
ثم علت كل عشور الخطا
ولم تكن تلحظها مقلة
فأصبحت لا تتقى لحظة
قط، فعماينت الفلا دارها
ثم جلت بالبحر أبصارها
فعادت الأفاق أستارها
إلا إذا وافق مقدارها
ترمى بها الأرض وأحجارها
لو كحلت بالشمس أشفارها
إلا بأن تجمع أطهارها

وأقام ابن شرف في الأندلس منذ عام ٤٤٧ هـ في غرناطة والمرية حيناً،
وفي شرق الأندلس وغربها حيناً آخر. وظل مع ذلك يذكر وطنه القيروان
ويحن إليه، فيقول فيما يقول:

يا قيروان! وددت أنى طائر فأراك رؤية باحث متأمل

أها! وأية آهة تشفى جوى قلب بنيران الصبابة مصطلى
لا كثرة الإحسان تنسى حسرة هيهات تذهب علة بتعلل
وإذا تجدد لى أخ ومنادم جددت ذكر أخ هنالك أول
(لو كنت أعلم أن آخر عهدهم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل)

وأخذ ابن شرف ينظم قلائد الأدب شعراً ونثراً، وألف فيها ألف:
«أعلام الكلام» و«أبكار الأفكار»، وكان يعاصر ابن رشيق..

ولما قال ابن رشيق:

مما يبغضنى فى أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها كاهل يحكى انتفاخاً صولة الأسد

أجابه ابن شرف الاجدابی بقوله:

إن ترمك الغربية فى معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت فى دارهم وأرضهم ما دمت فى أرضهم

وله من قصيدة:

كسيت قناع الشيب قبل أوانه وجسمى عليه للشباب وشاح
ويا رب وجه فيه للعين نزهة أمانع عيني منه وهو مباح
وأهجره وهو اقتراحى من الورى وقد تهجر الأمواه وهى قراح

ووصفه الباجى بالعلم والذكاء^(١)، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب «رسائل الانتقاد» عارض به كتاب «العمدة» لابن رشيق، وقد تأنق فيه فسجعه وزينه بالتشابه والكنائيات، يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب؛ وضمنه انتقاداً على الشعراء الجاهليين ومن بعدهم، وشتان بينه وبين كتاب ابن رشيق، وقد نشرت رسائل الانتقاد فى مجلة المقتبس فى السنة السادسة.

وتوفى ابن شرف عام ٤٦٠ هـ^(٢) بالأندلس ودفن فى المرية.

(١) ٢٦٠ أعلام ليبيا.

(٢) راجع ٢ : ٢٨٣ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان.

٨ - ابن رشيق القيرواني

٣٩٢ - ٤٥٦ هـ

أبو العباس الحسن بن رشيق أبوه مملوك رومي من موالى الأزد، كان صائغاً في بلدة المحمدية^(١) فعلمه أبوه صناعته، وقرأ الأدب وقال الشعر، وأخذ عن علماء المغرب العربي في طرابلس وغيرها، ورحل إلى القيروان عام ٤٠٦ هـ وأقام فيها واشتهر بها ومدح أميرها المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٤٩ هـ) وابنه الأمير تميم (٤٤٩ - ٥٠١ هـ)؛ ولما هجم عليها العرب من بني هلال وقتلوا أهلها وخربوها انتقل إلى صقلية وأقام في مازر إلى أن مات؛ وله كتاب تزييف نقد قدامة، وكتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده» وهو من أشهر كتب النقد في الأدب العربي^(٢)، وكتاب «قراضة الذهب في نشر أشعار العرب»^(٣)، وتوفي عام ٤٥٦ هـ، أو عام ٤٦٣ هـ؛ وقد ألف فيه كتاب «ابن رشيق» لعبد الرؤوف مخلوف (عدد ٤٥ من سلسلة أعلام العرب)، ويساط العقيق في حضارة ابن القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسني عبد الوهاب، وابن رشيق لعبد العزيز الميمنى، والتنف من شعر ابن رشيق وابن شرف للميمنى؛ وحياة القيروان وموقف ابن رشيق منها للياغى.

ابن هاني الأندلسي في القيروان وبرقة

ابن هاني الأندلسي (٣٢٠ - ٣٦٢ هـ) شخصية مشهورة، وعلم من أعلام الشعر في القرن الرابع الهجري، ويقرن بالمتنبي في روعة الشعر وبلاغته.

ولما بلغ ابن هاني الخامسة والعشرين من عمره هاجر من الأندلس إلى

(١) من أعمال برقة (٣ : ٧٧ المنهل العذب)، وراجع : ١ : ٢٧٧ إنباه الرواة للفقطى.

(٢) دراسات في النقد الأدبي ص ٢٦١ للمؤلف، ٢ : ٣٣٤ و ٢٨٣ جورجى زيدان.

(٣) ١ : ١٣٣ ابن خلكان، ١ : ١٣٧ معجم الأدباء لياقوت.

المغرب عام ٣٤٧ هـ ونزل في المهديّة وطن والده، واتصل بجوهر قائد المعز ومدحه، كما مدح جعفر بن علي القائد الفاطمي أمير ولاية الزاب والمسيلة.

وفي عام ٣٥٠ هـ وصل الشاعر إلى القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية، فسعى إلى الخليفة ومثل بين يديه، وأنشده شعره ومدائحه فيه وفي الخلافة وجلال الدولة وعظمة أيامها، وتصوير عزها الشامخ، ومجدها المكين.

ومن مدائح الشاعر في المعز قصيدة قيل عنها إنها أول شعر مدح به ابن هانيّ الخليفة المعز، وفيها يقول الشاعر:

ملك أناخ على الزمان بكلّ كل
فأذلّ صعباً في القياد جموحاً
ويحذر أعداءه سطوته ويشيد بانتصارات جيوشه فيقول:

ونصرت بالجيش اللهم وإثما أعددته قبل الفتوح فتوحاً
يزجيه أروع لويدافع باسمه علوى أفلاك السماء أزيحاً
فكأنما ملك القضاء مقدراً في كل أوب، والهام متيحاً
ويصف الأسرى وبؤسهم، وأسطول المعز وقوته، وتتبع بني أمية لحركاته البحرية، ويذكر مأثمهم الذي تجاوزت به الدنيا، ورزء فقيدهم الذي فقدوه، ويدعو إلى القضاء على دولتهم في الأندلس، فيقول:

وأمية تحفى السؤال وما لمن أودى به الطوفان يذكر نوحاً؟
تتجاوب الدنيا عليهم مأثماً فكأنما صبحتهم تصبيحاً
لبسوا معايبهم ورزء فقيدهم كاللبسات على الحداد مسوحاً
أنفذ قضاء الله في أعدائه لراح من أوتارها وتريحاً
إلى أن يقول:

أعليك تختلف المنابر بعدما جنحت إليك المشرقان جنوحاً؟
أم فيك تختلج الخلائق مريبة كلاً وقد وضح الصباح وضوحاً
صورت من ملكوت ربك صورة وأمدها علماً فكنت الروحاً

والقصيدة قوية رائعة، ويتجلى من قراءتها أنها نظمت على أثر انتصار
حرب جيوش المعز، ولكن لا ندري في أى عام كان هذا الانتصار. ونتساءل:
من هو هذا الفقيد الذى لبست أمية رزعه فى الأندلس، وتجاوبت بمآتمه الدنيا؟
لم يفصح الشاعر بشيء، ولا يبعد عندى أن يكون هو الملك الناصر الذى
توفى عام ٣٥٠ هـ، وإذا يكون تاريخ القصيدة هو هذا التاريخ؛ وإذا صح
أنها أول ما أنشده ابن هانئ أمام الخليفة فيكون إذاً بدء اتصاله به هو عام
٣٥٠ هـ.

ولابن هانئ قصيدة أخرى نالت إعجاب الخليفة، وكوفئ عليها مكافأة
طائلة بلغت خمسة عشر ألف دينار وذكر الديوان أنه قد قيل فيها إنها أول ما
أنشده الشاعر بالقيروان من شعر فى المعز ومطلعها:
هل من أعقة عالج يبرين أم منها بقر الحدوج العين؟
ويقول فيها:

هذا معد والخلائق كلها هذا المعز متوجا والدين
هذا ضمير النشأة الأولى التى بدأ الإله، وسرها المكنون
ويحرض فيها المعز على العبور إلى الأندلس والقضاء على دولة بنى أمية
فيها؛ والقصيدة رائعة، قوية فى نظمها وفى روحها وفى العقيدة التى تملأ
جوانبها بالحياة الفنية المشبوبة: وهى على أى حال من أوائل القصائد التى
نظمها ابن هانئ فى المعز، بعد إقامة الشاعر فى القيروان عام ٣٥٠ هـ؛ أقام
ابن هانئ فى فناء الخليفة، واستظل بظله، وعاش فى القيروان عاصمة دولته،
يروح ويغدو كل يوم إلى الخليفة، ينشر أمامه الثناء المحبر والشعر الساحر،
والقوافى البليغة، التى يشيد فيها بالدولة والخليفة، ويدعم حقها فى تراث
الرسول، ويدود عنها أعداءها من الأمويين والعباسيين، ويشدو بأيامها
وانتصاراتها؛ كل هذا والخليفة يزيد عطفاً ورعاية وتمكيناً.

وبذلك ابتدأت صفحة جديدة فى حياة الشاعر، فعاش فى مجد الدولة
وظلها، وبين سمع الزمان وبصره..

وصار ابن هاني في القيروان شاعر الخليفة، والشاعر السياسي لدولة الخلافة الفاطمية، ينطق بمجدها، ويتحدث عن عظمتها الروحية والسياسة والحربية، وكان يجد في عظمة المعز وعصره مجالاً فسيحاً ينظم الشعر فيه.

نعم إن قصائده كانت في أول اتصاله ببلاط المعز تدور حول إثبات وجود الشاعر والتمكين لنفسه ولشخصيته في الدولة، وتصوير آلامه والخطوب التي احتملها، وشكر أيادي الخليفة التي تغدق عليه المال والعطاء، ولكنها مع ذلك كله لم تخل من الحديث في مجد الخلافة والدولة وعاهلها العظيم، وفي انتصارات الفاطميين الحربية والبحرية على الروم عام ٣٥١ هـ إلى ٣٥٤ هـ، نظم ابن هاني كثيراً من القصائد الرائعة التي صور فيها هذه الانتصارات الباهرة أبلغ تصوير، ثم كان فتح مصر عام ٣٥٨ هـ فألهم الشاعر بآيات ساحرة من القريض، ونظم ابن هاني بعد ذلك قصائد هي صورة صادقة لما تلا ذلك من أحداث حتى وفاته عام ٣٦٢ هـ مقتولاً في برقة، ولما بلغ المعز خبر وفاته حزن حزناً شديداً وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن تفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك^(١).

كان ابن هاني في هذه الفترة العظيمة التي قضها في بلاط المعز شاعر الخليفة، والشاعر السياسي، وشاعر العقيدة الفاطمية بمبادئها الروحية وآرائها السياسية ومعتقداتها الدينية، وصارت شخصيته في هذا العهد أظهر شخصية بين الأدباء والشعراء وبين رجال الدولة والسياسة، وأغدق عليه المعز المال إغداقاً، وحسبك أن نونيته وحدها كافأه المعز عليها بخمسة عشر ألف دينار، ولنتقل بعد ذلك إلى مرحلة جديدة من التحليل الأدبي لبعض قصائد الشاعر في هذه الفترة الحافلة.. لابن هاني كثير من القصائد التي نظمها في المعز وتسمى «المعزيات».

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٤، ٥ - ويروى أن ابن هاني قتل غنوقاً بتكة سرواله، وربط في شجرة بعد ليلة معرودة، وكان موته في برقة بأيدي بعض اللصوص أو بفعل مؤامرة سياسية كما أرجح.

لما وصل إلى المعز نبأ فتح مصر على يد قائده جوهر صور ابن هاني
الفتح وأنباءه ونتائج السياسة تصويراً باهراً في قصيدة بالغة نهاية الروعة
والسحر والبلاغة، وهي المثل الأول لقوة العقيدة في نفس الشاعر، ولأثر هذه
العقيدة في فنه الشعري الموهوب، ومطلعها:

يقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟ فقل لبني العباس: قد قضى الأمر
وقيل إن الشاعر بدأها بدعوة المعز إلى فتح بغداد:

تجهز إلى بغداد قد فتحت مصر وأنجز صرف الدهر ما وعد الدهر
تقول بنو العباس هل بلغ المدى فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وهو يدل على طموح الفاطميين السياسي أبعد غايات الطموح،
ويترسل ابن هاني في قصيدته استرسالاً جليلاً، فيصور الفتح وأثره ومداه
وما ترتب عليه من نتائج ويقرر حق الفاطميين في تراث الرسول، ويذود
عنهم خصومهم السياسيين، ويصف الجيش الفاتح، ودخوله الإسكندرية،
ورسول القاهرة إلى جوهر، ثم سيره إليها، وقضائه على الدولة الإخشيدية،
ويدعو الشاعر العالم الإسلامي إلى أن يستظل بلواء الفاطميين، وأن يدخل في
نطاقهم السياسي، وإلا فالويل لمن يقف في طريق السيل المنهر، ويتحكم بيني
العباس إلى أن يقول:

ألا تلکم الأرض العریضة أصبحت وما لبني العباس في عرضها فتر
فقد دالت الدنيا لآل محمد وقد جررت أذيالها الدولة البكر
ويشيد بالمعز ويده على العلويين:

من انتاشهم في كل شرق ومغرب فبدل أمنا ذلك الخوف والذعر
فكل إمامي يجيء كأنما على خده الشعري وفي وجهه البدر
ويبشر بهذا الفتح العالم الإسلامي، لا سيما قلبه الخافق، البيت
المحرم، الذي يراه عما قريب سيكون في قبضة المعز وسلطانه، إلى أن يقول:
حبيب إلى بطحاء مكة موسم تحمي «معدا» فيه مكة والحجر

ويصور آثار الفتح، ويشيد بالخليفة، ويهنته به، في حرارة وقوة إيمان
ويصف الأمن والعدل اللذين سادا مصر على يد جوهر، وينوه بجوهر وأعماله
ومجده وولائه إلى أن يقول:

رضينا لكم يا أهل مصر بدولة أطاع لكم في ظلها الأمن والوفر
لكم أسوة فينا قديما فلم يكن بأحوالنا عنكم خفاء ولا ستر
إلى أن يقول:

ألا إنما الأيام أيامك التي لك الشطر من نعمائها ولي الشطر
والقصيدة من أروع شعر ابن هانئ، ومعجزة من معجزات فنه الخالد.
وفي المغرب وجد الشاعر شعراء، اتخذهم أندادا لا أساتذة؛ كان من شعرائه
على التونسي الشاعر، الذي قال فيه ابن هانئ لما هجاه شعراء المغرب بعد
هجرته: «لا أجيب منهم أحداً إلا أن يهجوني على التونسي فأجيبه»^(١). وكان
منهم عبد الله بن الحسن الجعفري، ومقداد بن الحسن الكتامي وسواهم من
الشعراء؛ وهكذا عاش ابن هانئ في القيروان وبرقة وربوع المغرب خمسة عشر
عاماً، كل ثروته الشعرية هي من إنتاجه الأدبي في هذه الفترة الصغيرة في حياة
الشاعر..

(١) ١ : ٧١ عملة.

الباب الرابع

الأدب العربي في ليبيا

في ظلال الموحدين والحفصيين
٥٥٦ - ٩٥٨ هـ

الفصل الاول

هذا العصر التاريخي

- ١ -

قام محمد بن تومرت المهدي بسوس: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وآزره في دعوته عبد المؤمن بن علي، وبايع الناس ابن تومرت بالإمارة عام ٥٣٢ هـ، فأنشأ في المغرب دولة جديدة سميت دولة الموحدين، وصارت بلاد المغرب تحت حكمهم.

وعاصرت دولة الموحدين دولاً كثيرة، منها: دولة المرابطين (٤٣٤ - ٥٣٩ هـ) - والدولة الحمادية بالجزائر^(١) (٤٠٠ - ٥٤٧ هـ)، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية؛ ومات ابن تومرت^(٢) عام ٥٣٤ هـ، فخلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي^(٣)، الذي فتح البلاد، وطوى الممالك، وضم الأندلس إلى مملكته حيث انتزعها من أيدي المرابطين، وقضى على دولتهم عام ٥٤١ هـ بعد أن استمرت نحو ستة وخمسين عاماً (٤٨٤ - ٥٤١ هـ)، وأصبحت دولة

(١) كان محمد بن حمد بيجاية في القرن الخامس الهجري، ولوعاً بنذب آثار أسلافه الحماديين بالقلعة وما حولها من الأمكنة، وله في ذلك شعر كثير، (راجع ٢: ٢١٣ و ٢١٤ تاريخ الجزائر).

(٢) لابن تومرت كتاب في أصول الدين على مذهب الأشاعرة، وكان أشعرياً، وتأثر بأراء أستاذه الغزالي، وحاول نشرها في المغرب، وقد سموا الموحدين تسجيلاً لوحيدهم الله. وتعريضاً بمن جنح عن التأويل ووقف عند الطاهر.

(٣) بنى عبد المؤمن بن علي مدينة الرباط في مراكش عام ٥٤٥ هـ: ١١٥٠ م لتكون مركزاً لتجمع الجيوش الموحدية الغازية.

الموحدين تشمل شمال بلاد المغرب من طرابلس إلى مراكش، وكذلك الأندلس، وتوفي عبد المؤمن فخلفه ابنه يوسف على الملك (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ)، ثم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ)، ثم محمد بن يعقوب (٥٨٥ - ٦١٠ هـ)، ثم يوسف بن محمد بن يعقوب (٦١٠ - ٦٢١ هـ)، وحكم الموحدون البلاد نحو خمس وسبعين سنة (٥٥٤ - ٦٢٩ هـ) وكان بدء دولتهم عام ٥٢٤ هـ.

كانت أسرة بني مطروح^(١) في طرابلس خاضعة لنفوذ النورماندين في صقلية، فلما عظم شأن الموحدين في عهد عبد المؤمن بن علي طرح يحيى بن مطروح طاعتهم وسار على رأس وفد من الشعب الليبي إلى المهدي وبايعوا عبد المؤمن بن علي بالخلافة، وبذلك دخلت ليبيا في حكم الموحدين وصار يحيى بن مطروح والياً عليها من قبلهم، وشغل وظيفته نحو اثنتي عشرة سنة، وفي عام ٥٦٨ هـ استأذن من ملك الموحدين يوسف بن عبد المؤمن في الحج، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وهياً لوازمه، وغادر طرابلس، حيث ركب إحدى السفن التجارية، واستقر عام ٥٦٨ هـ غرب الإسكندرية، وقيل للمكان الذي نزل فيه مرسى مطروح في عهد صلاح الدين الأيوبي، وكثر الطامعون في الإمارة والحكم من الثائرين، في ذلك العهد، ممن حكموا ليبيا، وإن ظل نفوذ الموحدين غالباً فيها^(٢)، وينافسهم في هذا النفوذ ملوك الدولة الحفصية (٦٢٥ - ٩٨١ هـ) ..

وبعد انتهاء دولة الموحدين اتسعت المملكة الحفصية^(٣)، فشملت

(١) راجع ١: ١٣٦ و ١٤٠ المتبل العذب.

(٢) راجع وصف لأثار الموحدين في مراكش والأندلس (أشبيلية) في عدد رجب ١٣٨٤ م من مجلة قافلة الزيت بالظهران - في مقال للمؤرخ محمد عبد الله عنان بعنوان «أطلال مغربية».

(٣) عاصر الحفصيون دولة المماليك في مصر، ودولة بني مرين بقماس (٦٥٧ - ٧٦٩ هـ)، والدولة الزيانية بتلمسان (٦٣٣ - ٩٥٧ هـ)، ودولة بني الأحمر في غرناطة، وسواها (راجع الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد الزركشي، تاريخ الموحدين والحفصيين لابن الشباع، والخلاصة النقية في أمراء إفريقية لمحمد الباجي، وتاريخ ابن خلدون، وكتاب «عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس لمحمد عبد الله عنان، وسوى ذلك من المصادر).

طرابلس وتونس والجزائر ومراكش التي انضم ملوكها من بني مرين إلى الحفصيين، وقدموا لهم فروض الولاء؛ وقد أسس دولة الحفصيين أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، وكان والياً على إفريقية من قبل الموحدين منذ رجب ٦٢٥ هـ، وما لبث أن استقل عنهم سنة ٦٢٦ هـ، وبعث أبو زكريا إلى طرابلس بولاته... ولما ضعف نفوذ الحفصيين أغار لويس التاسع ملك فرنسا على تونس عام ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) في الحملة الصليبية الثامنة بعد أن هزم من قبل في المنصورة عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م)، ولقى لويس حتفه في تونس عام ١٢٧٠م ٦٦٩ هـ، وشاهدت الخلافة الحفصية عهداً مضطرباً دام مائة عام، فاستقلت أسرة بني ثابت بطرابلس^(١)، ثم غزا أهالي جنوا بإيطاليا مدينة طرابلس، وقيمت الخلافة الحفصية مرة أخرى في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري، فعادت البلاد إلى وحدتها القديمة ومجدها السالف، وسادها الأمن، وفي آخر القرن التاسع الهجري حدثت نكبة الأندلس عام ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢م وطرد العرب منها، فأخذوا يهاجرون جماعات وأفراداً إلى أرض المغرب الكبير وينزلون في طرابلس وتونس والجزائر ومراكش، فعاد لهذه البلاد ازدهارها.

وقد عقدت الدولة الحفصية معاهدات تجارية وسياسية مع مدن أوروبا التجارية كبرشلونة وجنوة وصقلية والبندقية ومرسيليا، واشتهرت أسواق طرابلس وتونس بين التجار الأوروبيين، وبتأثير هجرة الأندلسيين والصقليين إليها ازدهرت الفنون والصناعات والعلوم والآداب، فظهر أثر الفن الأندلسي فيما أنشئ من المباني: كجامع القضاء بتونس وصومعته المشهورة وأسواق المدينة وأبوابها التي ما تزال موجودة إلى الآن؛ ونهضت العلوم والآداب،

(١) منهم أبو بكر بن محمد بن ثابت الطرابلسي أمير طرابلس، وقد حارب أهل جنوا الذين استولوا على طرابلس وهزمهم، ومات وهو أمير على المدينة عام ٧٩٢ هـ (١٩ أعلام ليبيا) ومنهم ثابت بن محمد أول أمير من الأسرة (٧٣٠ هـ) وثابت الثاني (نحوه ٧٣٥ هـ) ومحمد بن ثابت (٧٥٠ هـ).

وعمل الملوك الحفصيون على تشجيع العلم والأدب في أنحاء بلادهم، فأسسوا المدارس، ونظموا التعليم بجامع الزيتونة، وأنشأوا المكتبات، وظهر في أيامهم كثير من الأدباء والشعراء. ومن مشاهير هذا العصر ابن خلدون والأطباء من آل الصقلي، وكذلك الإمام المازري (٧٣١ هـ) وابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) وغيرهم^(١)؛ ومن الأدباء ابن حازم القرطاجني (٦٠٨ - ٦٨٤ هـ)، ومن الرحالة ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩ هـ: ١٣٧٧ م)، ومن أدباء أهل المغرب أبو إسحاق إبراهيم التلمساني الأنصاري الكاتب الشاعر الرحالة الذي دخل مصر والشام وغيرهما ومات بسبته عام ٦٩٠ هـ.

وظل نفوذ الحفصيين سائداً في ليبيا إلى بدء الحكم العثماني لها عام ٩٥٨ هـ (١٥٥١ م)، وإن كان إقليم برقة يخضع لنفوذ المماليك في مصر ولسلطانهم الأسمى.

- ٢ -

أربعة قرون كاملة عاشتها ليبيا العربية في ظلال نفوذ الموحدين والحفصيين، وفي ظلال حكام من بيوت ليبية صميمة مثل بيت بني مطروح وبيت بني ثابت.

وفي هذه القرون الأربعة وعلى الرغم من كثرة الحروب والخلافات السياسية فيها، والثورات التي كثيراً ما تنشب من آن لآخر، قويت العربية واستحكمت الألسنة، وصقلت الطباع، وازدهر الأدب، وكثر الأدباء والشعراء، وتعددت حلقات العلم في كل مدينة، من مدن ليبيا وقراها، وأثمر هذا العهد نهضة أدبية زاهرة في النثر والشعر، وبتأثير ازدهار الحياة العلمية والأدبية نهضت الكتابة، وهي أهم ألوان الأدب، فوجدنا كتابة الرسائل وكتابة التأليف قوية رصينة دقيقة؛ وبعد أن كانت الكتابة والنثر الفني مقصورة على الأمراء والعلماء تخرج في الفصاحة والبلاغة الموالي من البربر، فشاركوهم

(١) راجع ٢: ٣٠٨ - ٣١٩ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف.

فيها؛ وأصبحت الكتابة صناعة اقتدى الكتاب فيها بكتاب مصر والأندلس وبغداد، ففسا فيها السجع والتأنق في المجاز والاستعارة. وما جاءت الدولة الفاطمية والصنهاجية إلا ولصناعة الكتابة منزلة عند ملوكهم ليس وراءها إلا منزلة أمراء الجيوش وأمراء الأساطيل، فكان من كتاب عصر الصنهاجيين: على ابن أبي الرجال، وابن رشيق، وابن شرف، وابن القزاز.

وفي عهد الموحدين والحفصيين هاجر كثير من أعلام كتاب الأندلس إلى بلاد المغرب العربي، حتى اجتمع منهم في بلاد العدو الإفريقية ما لم يجتمع مثله لملك من ملوك الطوائف في الأندلس، فكان منهم: أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، وأخوه أبو مروان، وأبو محمد عبد المجيد بن عبدون، وابن عياش، وابن محشوة، وابن الميمون، فنشروا طريقة الأندلسيين في الكتابة، وتخرج عليهم كثيرون ثم اضمحل أمر الكتابة بالتدريج، حتى أصبحت مجرد سجع قليل البلاغة، متكلف التقفية.

- ٣ -

وهذا فصل من رسالة كتب بها ابن الميمون عن المستنصر بالله أحد ملوك الحفصيين (٦٨٣ - ٦٩٤ هـ) إلى بعض نوابه، وقد نقض العهد على بعض المهادين من النصارى قال بعد الديباجة:

بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً، ونخوة تعقب هواناً وذللاً؛ وقد أخطأتم في فعلتكم الشنيعة من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه خلاف ما أمر الله به من الوفاء بالعهد، والوقوف مع العقد.

الثاني: عصيان الأمر العزيز، وفيه التغرير بالمهج، وترك السعة للخرج.

الثالث: أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم، قصمه الله، شرراً، يستعر ضراماً يعدم فيه المنتصر، فليتكم إذ تحليتكم بالعصيان، ورضيتم الغدر المحرم في سائر الأديان، ثبتم للعدو إذ دهمكم، ولقيتموه بالجانب القوى حين زحمكم.

فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته، فادوا من أسرتكم إلى مأمنه، وردوا ما انتهبتكم إلى مسرجه، ولا تمسكوا من الأسارى بشعرة، ولا من الماشية بوبرة، ومن سمعنا عنه بعد وصول هذا الكتاب أنه تعدى هذا الرسم، وخالف هذا الحكم، أنقذنا عليه الواجب، وحكمنا فيه المهند الغاضب فلتسرع من نومة الغفلة إفاقتكم، ولا تتعرضوا من الشر لما تعجز عنه طاقتكم. ونحن متعرفون ما يكون منكم من تأن أو بدار، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم من إقرار وإنكار... وهو يرشدكم بمنه.

الفصل الثاني

أشهر العلماء والأدباء في هذا العصر

نبت في هذا العصر الكبير (٥٥٦ - ٩٥٨ هـ)، الذي استمر أربعة قرون كاملة، فحول العلماء والأدباء والشعراء ممن عاشوا في ظلال نهضة علمية كبيرة ازدهرت في مدن ليبيا والمغرب العربي كله، على الرغم من كثرة الاضطرابات السياسية والدينية في هذه الفترة.

وسوف نذكر هنا بعض هؤلاء الأعلام الخالدين:

- ١ - أحمد بن محمد الأبى من ناحية برقة أديب شاعر توفي عام ٥٩٨ هـ، وأقام بالإسكندرية والقاهرة مدة طويلة، وترجم له ياقوت في معجم الأدباء (ج ٥ ص ٥٥ - ٥٩).
- ٢ - أبو إسحاق إبراهيم المصراقي، تولى الخطابة بجامع القيروان؛ وتوفي بها عام ٧٠٤ هـ^(١).
- ٣ - أبو علي الحسن الطرابلسي (٦٠٩ - ٦٨٣ هـ) كان فقيهاً عالماً، كاتباً بارعاً أديباً (٩٢ و ٩٣ نفحات النسرین والريحان) وكان خطيباً أديباً، وله شعر كثير، ومنه قوله:

أهأ نردد لو تشفى لنا كرباً وبالنعلات نحى لوقضت أرباً
وبالأمان ينال القلب بغيته وقد تحقق من معتادها كذباً^(٢)

وتوفي في تونس عام ٦٨٣ هـ وستأتي ترجمة له ..

(١) ٨ أعلام ليبيا للزاوي، ١: ١٧١، ١٧٢ المنهل العذب.

(٢) ٢٣ - ٢٥ أعلام ليبيا، و ٢٨ - ٣٠ مجلة القلم الجديد (تموز ١٩٣)، وأعلام من طرابلس للمصراقي.

- ٤ - أبو القاسم الطرابلسي الرماح (٧٨٥ - ٨٨٧ هـ) ^(١).
- ٥ - أبو موسى الهوارى الطرابلسي توفى عام ٧٦٠ هـ ^(١).
- ٦ - أحمد القروى (٨١٤ - ٨٩٦ هـ) أحد الأئمة الفقهاء ^(٢).
- ٧ - أحمد التاجورى كان حافظاً للأدب والتاريخ (٦٣٥ - ٧٠٨) ^(٣).
- ٨ - أحمد بن محمد (٩٨٩ هـ) من أصحاب عبد السلام الأسمر ^(٤).
- ٩ - أحمد القيروانى من تلامذة عبد السلام الأسمر ومن أعلام المائة التاسعة ^(٥).
- ١٠ - أحمد بحر السباح (٩٧٩ هـ) ^(٦).
- ١١ - أحمد زروق (٤٨٦ - ٨٩٩ هـ) من أئمة العلماء، شرح حكم ابن عطاء الله، ومنه نسخة خطية بمكتبة الأزهر (١٠٦) ٦١٥٠، و ١٣١٤ بخيت، وشرح العقيدة القدسية للغزالي وله مؤلفات كثيرة ^(٧) منها كتابه «قواعد التصوف»، وهو مطبوع بالمطبعة العلمية بالقاهرة عام ١٣١٨ هـ.
- ١٢ - راشد بن أبي زيد من تلامذة عبد السلام الأسمر توفى ٩٨٩ هـ ^(٨).
- ١٣ - سالم بن طاهر (٩٩٩ هـ) لقي الأسمر عام ٩١٠ هـ كان مشاركاً في جميع العلوم ^(٩).
- ١٤ - شعبان الفرارى من تلامذة الأسمر توفى عام ٩٩٧ هـ بغريان ^(١٠).

(١) ٢٨ أعلام ليبيا.
 (٢) ٣٧ و ٣٨ المرجع.
 (٣) ٣٨ و ٣٩ المرجع.
 (٤) ٤٦ المرجع.
 (٥) ٥٣ و ٥٤ المرجع.
 (٦) ٥٥ المرجع.
 (٧) ٦٥ - ٦٧ أعلام من ليبيا.
 (٨) ١٠٩ المرجع، ١: ١٩٣ المتل العذب.
 (٩) ١٢٠ المرجع.
 (١٠) ١٣٤ المرجع.

- ١٥ - صالح الطرابلسي من العلماء الفضلاء وتلمذ على الأسمر، توفي ٩٨٩ هـ^(١).
- ١٦ - عبد الحميد بن أبي الدنيا الطرابلسي من أئمة العلماء وكان شاعراً مجيداً وله تأليف كثيرة (٦٠٦ - ٦٨٤ هـ)^(٢)، وله من شعره قصيدته:
- طرق السلامة والفلاح قناعة ولزوم بيت بالتوحش مؤنس
- ١٧ - عبد الحميد الكمودي (٩٠٥ - ٩٩١ هـ) من أئمة العلماء، تلقى عن الأسمر^(٣).
- ١٨ - عبد الرحمن التاجوري الطرابلسي (٩٦٠ هـ) من أعلام العلماء^(٤).
- ١٩ - عبد الرحمن الطرابلسي المحدث (٥٧٠ - ٦٥١ هـ)^(٥).
- ٢٠ - عبد الرحمن السليمي من مشاهير العلماء توفي عام ٨٩٩ هـ^(٦).
- ٢١ - عبد السلام الأسمر (٨٨٠ - ٩٨١ هـ) من أعظم علماء عصره ومن كبار الصوفية^(٧).
- ٢٢ - عبد السلام المصراقي (٦٤٦ هـ) عالم صوفي^(٨).
- ٢٣ - عبد العزيز الطرابلسي (٦٢٩ - ٧٠٨ هـ) من أئمة العلماء في عصره^(٩).
- ٢٤ - عبد الله بن شرف الطرابلسي (٩٤٠ هـ) من قواد الدفاع عن طرابلس ضد الأسبان^(١٠).

(١) ١٣٦ أعلام من ليبيا، ص ٩٠ نفحات النسرين والريحان.

(٢) ١٥٤ و ١٥٥ أعلام.

(٣) ١٥٦ المرجع.

(٤) ١٥٨ - ١٦٠ المرجع، ١ : ٢١١ المنهل العذب.

(٥) ١٦٠ أعلام من ليبيا.

(٦) ١٦١ المرجع.

(٧) ١٦٩ - ١٧٢ المرجع.

(٨) ١٧٣ المرجع، ١ : ٢٢١ - ٢٢٣ المنهل العذب.

(٩) ١٧٨ و ١٧٩ أعلام من ليبيا.

(١٠) ١٨٩ المرجع.

- ٢٥ - عبد النبي الصنهاجى عالم متصوف من القرن التاسع الهجرى^(١).
- ٢٦ - على بن أبى عجيبة عالم متصوف (٩٨٩ هـ)^(٢).
- ٢٧ - أبو الحسن على بن محمد (٩٩٧ هـ)^(٣) من العلماء والنسك.
- ٢٨ - عمر القريوى (٩٠٦ - ٩٩٩ هـ)^(٤) من كبار العلماء، كانت له حلقة علمية بطرابلس.
- ٢٩ - عمران بن عبد السلام الأسمر (٩٩٥ هـ) من العلماء والنسك^(٥).
- ٣٠ - عمران الطرابلسى (٦٦٠ هـ) من العلماء والخطباء^(٦).
- ٣١ - غلبون السالمى (٧١٠ هـ) من أسرة عليمة جليلة^(٧).
- ٣٢ - كريم الدين البرموفى المصراقى من مشهورى المؤرخين (٨٩٣ - ٩٩٩ هـ) وتاريخه «روضة الأزهار» مشهور^(٨).
- ٣٣ - محمد الجبالى من علماء طرابلس المشهورين (٩٩٨ هـ)^(٩).
- ٣٤ - محمد الهجرسى (٩٠٧ - ٩٨٨ هـ) من العلماء والنسك^(١٠).
- ٣٥ - محمد الخروبى (٩٦٧ هـ) من العلماء المعروفين وله تفسير مخطوط فى دار الكتب المصرية فى ثمانية أجزاء^(١١) اسمه، «رياض الأزهار»^(١٢).

(١) ١٩٧ المرجع.

(٢) ٢٠٤ المرجع.

(٣) ٢١٥ المرجع.

(٤) ٢٢٧ المرجع.

(٥) ٢٣٩ المرجع.

(٦) ٢٤٠ أعلام ليبيا.

(٧) ٢٤٤ المرجع.

(٨) ٢٥٥ و ٢٥٦ المرجع.

(٩) ٢٨٤ المرجع.

(١٠) ٢٨٦ المرجع.

(١١) ٢٨٦ و ٢٨٧ المرجع، وراجع عنه ٤٣ - ٤٨ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراق، ويذكر عن الكثيرين أن وفاته عام ٩٦٣ هـ.

(١٢) دار الكتب المصرية - مكتبة طلعت رقم ٣٦٤ تفسير، ١ : ٢١٢ المنهل العذب، وص ١١٦ نفحات التشرين والريحان.

- ٣٦ - محمد البرقي (٨٢٣ هـ) من العلماء^(١).
 ٣٧ - محمد أبو طبل (٨٨٥ - ٩٨٧ هـ) من أصحاب الأسمر^(٢).
 ٣٨ - محمد الخطاب الطرابلسي (٨٥٦ - ٨٩٦ هـ) من العلماء^(٣).
 ٣٩ - محمد الخطاب الكبير هو أخو السابق، (٨٦١ - ٩٤٥ هـ) عالم ناسك^(٤).

٤٠ - محمد الخطاب الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ) من سادات العلماء ومشهوري المؤلفين في عصره^(٥).

- ٤١ - يحيى الخطاب (٩٩٣ هـ) كان علامة مؤلفاً متفتناً^(٦).
 ٤٢ - مساعد المصراقي (٨٧٢ هـ) له اشتغال بالعربية والمنطق^(٧).
 ٤٣ - يوسف بن علي (٩٨٩ هـ) له معرفة بسائر العلوم^(٨).
 ٤٤ - أبو محمد بن أبي الدنيا (٦٨٤ هـ) من العلماء الأجلاء والشيخ الفضلاء، وله مؤلفات كثيرة، ومن شعره:

طرق السلامة والفلاح قناعة	ولزوم بيت بالتوحش مونس
يكفيه أنساً أن يكون أيسه	أي الكتاب ونوره في الحنّس
وإذا رأت عيناه إنساناً أقي	فلينفرن نفور ظبي المكّس
ولقلما ينفك صاحب مقول	من عثرة أو زلة في المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل	حتى يراها في مقام المفلس ^(٩)

(١) ٢٩٢ أعلام ليبيا.
 (٢) ٣٠٨ المرجع.
 (٣) ٣٠٩ المرجع، وراجع ص ١٠٤ نفحات النسرين والريحان.
 (٤) ٣٠٩ - ٣١١ أعلام، وراجع الضوء اللامع للسخاوي، والمنهل العذب للنائب ١: ٢٠٣، وص ٤٤ نفحات النسرين والريحان.
 (٥) ١: ٢٠٧ - ٢١٠ المنهل العذب، ١١١ - ١١٤ نفحات النسرين والريحان.
 (٦) ٣٦١ أعلام ليبيا.
 (٧) ٣٢٧ أعلام ليبيا.
 (٨) ٢٦٣ المرجع.
 (٩) ١: ١٦٤ المنهل العذب، و ٨٥ - ٨٨ نفحات النسرين والريحان.

٤٥ - أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن الأجدابي من أئمة العلم والدين والعربية ومشاهير الفضلاء في عصره، ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغة وعروضاً ونظماً ونثراً، وله عدة كتب^(١)، وقد توفي عام ٦٥٠ هـ، وكتابه «الأزمة والأنواء» طبع في دمشق في سلسلة إحياء التراث القديم بتحقيق عزة حسن.

و«الأزمة والأنواء» كتاب طريف^(٢) ألفه أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن الأجدابي المتوفى سنة ٦٥٠ للهجرة؛ والكتاب يتناول الأزمة والأنواء؛ والمؤلف إجدابي الأصل، وإن كان ولد في طرابلس الغرب، واجدانية بلدة من نواحي إفريقية، تقع قريباً من طرابلس الغرب، إلى الشرق منها، وتبعد عنها ما يزيد عن ثمانمائة كيلومتر.

وأبو إسحاق بن الأجدابي كان أحد شيوخ العلم واللغة في القرن السابع الهجري؛ وطرابلس الغرب مثل مصراته واجدانية، لها في العلم والعناية به باع طويل، وكانت دوماً موئلاً لعلماء كبار.

ولابن الأجدابي «كفاية المتحفظ» وهو كتاب مختصر في اللغة، ومختصر في الأنساب، وألف في العروض، أما كتاب «الأزمة والأنواء»، فقد قدم ابن الأجدابي كتابه بقوله: «هذا كتاب مختصر أودعناه أبواباً حسنة في علم الأزمة وأساساتها، والفصول وأوقاتها، ومناظر النجوم وهيئاتها، بأوضح ما أمكننا من التبيين، وبأسهل ما حضرنا من التقريب. وبالله نستعين، على ما نحاول من جميع أمورنا، وإليه نرغب في التوفيق لما يرضيه عنا. وحسبنا الله وعليه توكلنا».

(١) ١: ١٦٦ و ١٦٧ المنهل، ص ٨٦ ففحات السرير والريحان، وراجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي، ومن كتبه «كفاية المتحفظ ونهاية التلطف»، ومنه نسخة خطية في مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف في ١٠٢ صفحة، وقد طبع في القاهرة عام ١٣٢٣ هـ، وفي بيروت أيضاً، ومنه نسخة خطية أخرى في مكتبة الحسينية بالنجف.

(٢) راجع مجلة المعرفة عدد ١٣/٢/١٩٦٥.

والقسم الأول من الكتاب يتناول فيه مؤلفه الأصل في حساب الأزمنة، وعلامات السنين والشهور، الشمسية منها والقمرية. ثم ينتقل من ذلك إلى باب يعرض فيه إلى مشاهير الكواكب ومواقعها في القبة الزرقاء. ويلى ذلك ذكر النجوم السيارة. فإذا فرغ من ذلك عدل بنا إلى أزمنة السنة وفصولها وبروج الشمس ومزلتها، وذكر الرياح وأسمائهن وآخر أبواب الكتاب هو في معرفة الشهور الشمسية وأسمائها عند الأعاجم وما يحدث في كل شهر منها من طلوع المنازل أو سقوطها.

ويقول ابن الجدابی عن أيام السنة الشمسية عند الأعاجم: «واعلم أن الروم والسريانيين والقبط بنوا حساب أزمتهم على مسير الشمس. فجعلوا مدة سنتهم ثلاثمائة يوم وخمسة وستين يوماً. وزادوا المكان الربع الذي في سنة الشمس يوماً في كل أربع سنين من سنيهم مساوية في عدة الأيام لأربع سنين شمسية، وصارت شهورهم من أجل ذلك ثابتة في أزمنة الشمس، غير منتقلة من مواضعها منها. إلا أنهم لم يجعلوا ابتداء سنتهم موافقاً لابتداء سنة الشمس. بل افتتح كل فريق منهم السنة في وقت من سنة الشمس غير موافق لأولها. فكان افتتاح السريانيين سنتهم في الربع الثالث من سنة الشمس وهو فصل الخريف، والشمس حينئذ ببرج الميزان. وكانت الروم في أول أمرها موافقة لهم على ذلك، ثم افتتحت الروم السنة بعد ذلك في الربع الآخر من سنة الشمس، وهو فصل الشتاء، والشمس حينئذ ببرج الجدى. وافتتحت القبط سنتها في الربع الثاني من سنة الشمس، وهو فصل الصيف، والشمس حينئذ ببرج السنبلة. وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر دون غيرهم من العجم، لأن حسابهم هو المحفوظ في بلاد المسلمين والمستعمل فيها وأشهر ذلك وأغلبه على استعمال الناس حساب الروم والسريانيين. وعليه اعتمدنا في كتابنا هذا في تحديد أوقات تداخل الفصول، وأوقات الطلوع والسقوط، وغير ذلك مما يحدث في الأزمنة، ويختص بوقت من أوقات السنة.

ومن فصول الكتاب ذكر أوقات الليل وهو فصل لغوى بقدر ما هو تلخيص للأزمنة، ففي ذلك يقول المؤلف: فأما أوقات الليل فأولها العشاء،

وآخر العشاء عند مغيب الشفق، ثم الهدوء وهو حين يهدأ الناس وينامون.
والوهن والهزيع من أول الليل إلى نحو من ثلثه».

ويكثر المؤلف النقل عن ساجع العرب، والذي يقصده الأمثال المسجوعة المرتبطة بمواعيد معينة من الشهر أو منازل معينة من النجوم. فهو يقول، في ذكره شهر نيسان «أي إبريل»: إن السماك الأعزل يسقط فيه، ويضيف إلى ذلك واحداً من الأقوال الدالة على الطقس «وعند سقوط السماك يتدئ بحصاد الشعير بالعراق، وحينئذ تطلع السمكة، ثم ينقل قول ساجع العرب: «إذا طلعت السمكة، أمكنت الحركة، وتعلقت الحسكة، ونصبت الشبكة» وهذه الأسجاع تبلغ الأربعين عدداً.

والكتاب محقق عن نسخة فريدة وهو مطبوع في دمشق بتحقيق الدكتور عزة حسن في سلسلة إحياء التراث القديم.

٤٦ - ومن هؤلاء الأعلام عبد العزيز الطرابلسي^(١)، (٦٣٩ - نحو ٧٠٠هـ) وهو من العلماء الفحول، حسن العبارة، شارك في علوم كثيرة، ومدحه العلامة التيجاني الرحالة بقصيدة.

٤٧ - أبو سعيد فرج المسراق من العلماء الزاهدين^(٢)، وراجع بعض الأعلام الأخرى في كتاب «المنهل العذب»^(٣) وكتاب «نفحات النسرين والريحان».

(١) ١ : ١٠٧ - ١٠٩ المنهل العذب.

(٢) ١ : ١٧٢ المرجع نفسه

(٣) ١ : ١٨٨ - ١٩٦ المرجع نفسه.

صور شعرية

- ١ -

رافع بن مطروح الطرابلسي ينشد في الحنين إلى طرابلس وهو مقيم في
مرسى مطروح:

لوقفة بين باب البحر ضاحية وباب هواره وموقف الغنم^(١)
أشهى إلى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطئ بركة الخدم^(٢)

- ٢ -

الشاعر أبو محمد عبد الله التيفاشي يمدح عبد المؤمن بن علي (٥٢٥ هـ -
٥٥٨ هـ) ملك الموحدين بقصيدة مطلعها:

ماهر عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
وأراد الاسترسال في القصيدة فأمره بالتوقف، واكتفى منه بهذا البيت
لبلاغته، وأعطاه ألف دينار.

- ٣ -

حماد المالقي يصف هزيمة بعض الثوار أمام المنصور ملك الموحدين

(١) الأماكن الثلاثة في طرابلس.

(٢) الأماكن الثلاثة في الإسكندرية.

المتوفى عام ٥٩٥ هـ:

أرى يحبى أمام الخلق يأتى يفر أمام من يأتى إليه
فشبهت الشقى بياء (يرمى) ولام الأمر داخله عليه

أشهر العلماء في هذا العصر

١ - أبو بكر السرق

شاعر من شعراء سرت المبرزين، ومن شعره:

أقول لعيني دائماً ولعينها لسان بسر الحب فى الخلد ناطق
أجذك ما ينفك لي منك ضائر بسرقي، واش، أو لحيني رامق
فلولاك لما أعرف العشق أولاً ولولاه لم أعرف بأنى عاشق^(١)

٢ - ابن معمر الهوارى الطرابلسى

٦٠٩ - ٦٨٣ هـ

هو الفقيه أبو الحسن على بن موسى بن معمر الهوارى الطرابلسى من
أعلام القرن السابع الهجرى، وكان مع تضلعه فى الفقه وعلوم الدين أديباً
شاعراً موهوباً.

ولد فى طرابلس وتلقى العلوم المختلفة فيها، ورحل إلى تونس
والمهدية، هو وأخوه معاً على أبى زكريا البرقى، ثم عاد أخوه أبو موسى إلى
موطنه فتولى القضاء والفتيا فى طرابلس وبقى أبو الحسن فى المهدية، وفى فتن
سياسية هناك اعتقل الأستاذ البرقى وتلاميذه ومنهم شاعرنا، وعاد الشاعر إلى

(١) ١٩ أعلام ليبيا للزاوي، ولم يذكر تاريخ وفاته، وأرجح أنه عاش فى هذا العصر، بدلالة
خصائص شعره، وراجع ١٢٤ و ١٣٦ من هذا الجزء.

تونس، واجتمع به علماءها وأدباؤها، وجلس إليه الأمراء والعظماء؛ وكان ابن معمر خطيباً بليغاً، ومحدثاً لبقاً، وعالمًا متضلعا، وشاعراً مطبوعاً، وولى مناصب في تونس، منها الإشراف على خزانة الكتب العلمية (دار الكتب التونسية)، ثم تقلبت به الأحوال السياسية، فنفي إلى المهديّة عام ٦٦٧ هـ، ويقول الشاعر في هذه الفترة لصديق له:

كتبته ولولا الحكم كنت إليكم من التشوق في متن الرياح أطيّر
وما في صميم القلب من خالص الوفا فسيان فيه غيبة وحضور

ثم عفى عن الشاعر وأفرج عنه عام ٦٦٨ هـ، وفي عام ٦٧٥ هـ عاد إلى الإشراف على خزانة الكتب، وبعد قليل أعيد اعتقاله في دار الإشراف، فأثر العزلة وأرسل الشعر في الشكوى والحنين إلى الوطن، يقول فيها يقول:

وزال النطق حتى ليس تلقى فتى يسخو بمرجوع السلام
وزاد الأمر حتى ليس إلا سخي بالاذية والملام

ومن شعره:

وارحمته لقلب كم أجشمه أمراً يذيب من الأصلاد ما صلبا
وكم يعانى ملهات بأيسرها يهون الأمر من دنياه ما صعبا
وكم تلجلج في أفكاره لجج سود تأجج في أحشائه لها^(١)

ولما أفرج عنه كتب لصديق له في المعتقل:

لئن سرنى فك الأسارى من الحبس لقد ساءنى فقدى لما فيه من أنس
ولو أننى خيرت فيما أريده لأثرت تقديمى سراحك عن نفسى

وله قصيدة على نمط «المنفرجة» المشهورة يقول في أولها:

(١) راجع ٢٣ - ٢٥ أعلام ليبيا، وأعلام من طرابلس وص ٢٨ - ٣٠ مجلة القلم الجديد من مقال بقلم على مصطفى المصراق، وص ٩٢ - ٩٦ نفعات النسرين والريحان لأحمد النائب.

الله أنعم بعد اليأس بالفرج يا أزمة الدهر بعد الشدة انفرجى
وقد أثبتتها الرحالة التجاني في رحلته، وأخيراً لقي ربه عام ٦٨٣ هـ^(١).

٣ - شرف الدين البوصيرى

٦٠٨ - ٦٨٥ هـ

هو الكاتب الشاعر المتصوف شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد
الصنهاجى البوصيرى صاحب البردة والهمزية.

وهو من أسرة ترجع إلى أصول مغربية، فهو من صنهاجة إحدى قبائل
البربر ووطنها الصحراء.

وقد أقامت بليبيا وبلاد المغرب طويلاً؛ ثم هو يتأثر في شعره بنزعات
المغاربة في الميل إلى التصوف، وقد عاش في الإسكندرية طويلاً قريباً من
ليبيا، وكان من أساتذته كثير من المغاربة؛ وأرجح أن أسرته ليبية الأصل.
ويعدّه الكثير أحد شعراء مصر في عصر الدولة الأيوبية وأوائل عصر
دولة المماليك.

والبوصيرى ومنزلته في الشعر في عصره مما لا يجهله أحد، فلا داعى
للكلام عليه، والترجمة له في هذا المقام، فما إلى الترجمة قصدت، ولكنى ذكرته
إثباتاً لأصله المغربى الليبى فيما أذهب إليه.

وأستاذه الأول هو أبو العباس المرسى، وللبوصيرى قصيدة دالية يمدح
بها استاذَه ويعزيه عن شيخه أبى الحسن الشاذلى، وعدد أبياتها ١١٨ بيتاً...

(١) وينسب إلى هواره وهى باب من أبواب طرابلس الغرب، نسبة إلى قبيلة كبيرة في صعيد مصر
وليبيا وتونس، وهم في الأصل من عرب جزيرة العرب.

وراجع عن ابن معمر رحلة التجاني، وص ٢٩ و ٣٠ مجلة القلم الجديد عدد ثور
١٩٥٣ من مقال لعلى مصطفى المصراتى، وراجع كذلك كتاب المصراتى «أعلام من
طرابلس».

٤ - ابن منظور الافريقى

(- ٧١١ هـ)

ابن منظور هو الشيخ محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى الافريقى ثم المصرى، جمال الدين، ينسب إلى رويغ بن ثابت الأنصارى (٦٣٠ - ٧١١ هـ).

ترك خمسمائة مجلدة بخطه، وكتابه اللسان جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية، وجوده ما شاء، وولى قضاء طرابلس، وخدم في ديوان الإنشاء في مصر كما ذكرنا.

وتوفى ابن منظور في القاهرة في شعبان عام ٧١١ هـ، ومن مؤلفاته، أخبار أبى نواس وقد طبع في القاهرة... ويؤكد الزاوى في كتابه «أعلام ليبيا» أنه من مواليد طرابلس^(١)، ويقول الزاوى: إن ابن منظور ينتمى إلى الإمام الصحابى رويغ الأنصارى أمير ليبيا في أوائل الفتح العربى^(٢).

ويقول في مقدمة اللسان:

لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصانيفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفسد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع. فصارت الفوائد في كتبهم مفرقة، وصارت أنجم الفضائل في أفلاكها هذه مغربة وهذه مشرقة فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق، فجاء بحمد الله وفق البغية، وفوق المنية.

(١) وكذلك أكد هذا على العقبة حسن (ج ٣٢ ص ٤٦ مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق).
(٢) راجع ٢٩٩ - ٣٠٢ أعلام ليبيا، وراجع ترجمة لابن منظور في ١: ١٦٩ و ١٧٠ المجلد العذب، وص ١٤ نفحات النسرير والريحان.

الفصل الثالث

مفكرو هذا العصر من أعلام المغرب العربي

عبد الرحمن بن خلدون فيلسوف التاريخ

حين نتحدث هنا عن ابن خلدون لا نتحدث عنه كعالم أو أديب ليبي عاش في هذا العصر، بل نتحدث عنه كمفكر إسلامي كبير أنبته المغرب العربي الكبير، وعاش في ربوعه، وتلمذ على علمائه، وكتب الكثير من آرائه وهو مقيم فيه، وذاعت فلسفته وآراؤه الإسلامية والصوفية في أرجائه، وتلمذ عليه الكثير من أبنائه، وقضى في طرابلس بالذات وقتاً من الأوقات، جالس علماءها وأدباءها وكبار الصوفيين فيها.

وكذلك نحن هنا لا نتحدث عن العلامة المؤرخ الفيلسوف الكبير ابن خلدون بوصفه ليبيا أنبته أرض ليبيا العربية، وإنما نتحدث عنه بوصفه ابناً من أبناء المغرب العربي الكبير، وأحد الفلاسفة والمؤرخين المسلمين الذين يعتز بهم تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد نشأ ابن خلدون في أرض المغرب العربي، وتعلم فيها على أيدي علمائه، وعاصر الكثير من الأحداث التي أملت به، وذاعت آراؤه وكثر تلاميذه في صعيده، وأقام في طرابلس فترات قصيرة يدرس ويكتب ويحاضر ويستفيد من علمائها.

وعبد الرحمن بن خلدون من علماء القرن الرابع عشر الميلادي ١٣٣٢
١٤٠٦؛ ورغم أن تراثه العلمي قد تبوأ مقامه بين تراث الفكر العالمي منذ

القرن التاسع عشر، إلا أنه ما يزال مغموط الحق في الشرق العربي، ولقد كان المعتقد الذي يذهب إلى حد البداءة أن أوربا هي أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادئ علم الاجتماع وأصول الاقتصاد السياسي؛ فإذا علماء الغرب في القرن التاسع عشر يصابون بالعجب والذهول حين اكتشفوا أن ابن خلدون قد سبق الغرب في كل هذه الميادين بعدة قرون وأنه هو المؤسس الحقيقي لكل هذه العلوم، فعكفوا على دراسته وترجموا تراثه إلى معظم اللغات وارتفعوا به إلى أسمى مكانة وجعلوه في سلك الفلاسفة ومؤرخي الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي واعترفوا له بالسبق والأصالة في كل تلك الميادين، ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتبه عن ابن خلدون:

«وجه آخر لدراسة الظواهر الاجتماعية لم يعرض له أحد من قبل ابن خلدون، وذلك أن دراسة هذه الظواهر لا لمجرد وصفها ولا للدعوة إليها، ولكن لتحليلها تحليلاً يؤدي إلى الكشف عن طبيعتها والأسس التي تقوم عليها والقوانين التي تخضع لها، أي أن تدرس كما يدرس العلماء ظواهر الفلك والطبيعة والكيمياء ووظائف الأعضاء؛ هذا الوجه من الدراسة لا يتاح إلا لمن ثبت لديه أن الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الأهواء والمصادفات، ولا حسب ما يريده لها الأفراد، وإنما تسير في نشأتها وتطورها ومختلف أحوالها حسب قوانين ثابتة مطردة، وهذه الحقيقة لم يصل إليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون. . بل إن نقيضها كان هو المسيطر على أفكارهم جميعاً، فقد كان المعتقد أن ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح».

فمن بحوث ابن خلدون في المقدمة يتألف علم جديد لم يعرض له أحد من قبل: وقد سماه ابن خلدون علم العمران البشري أو علم الاجتماع الإنساني وهو العلم الذي نسميه الآن السوسيولوجيا أو علم الاجتماع.

ويقول عنان في كتابه عن ابن خلدون: كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافاً علمياً حقاً، وكان أعجب ما في هذا الاكتشاف أن يظفر

الغرب في تراث المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطررها البحث الغربي إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة.

أجل اكتشاف النقد الغربي لدهشته واعجابه في تراث ابن خلدون كثيراً مما ردهه مكيافللي بعده بقرن، وما ردهه فيكو ومونتسيكو وآدم سميث وأوجست كونت بعدة قرون. وكان المعتقد أن الباحث الغربي أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادئ الاجتماع والاقتصاد السياسي، فإذا ابن خلدون يسبقه بعصور، ويغزو في مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيراً من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة.

ويقول لوفيج جيلوفتش: لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كنت بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وأنى في هذا الموضوع بأراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم: علم الاجتماع.

ومقدمة ابن خلدون تراث جليل خالد يمتاز بالحدة والابتكار، وهي تسجل منهاجاً جديداً في فهم التاريخ وتحليله ونقده، وفي فهم المظاهر الاجتماعية وتعليلها. وموضوع المقدمة، كما يصفه ابن خلدون نفسه هو «ال عمران البشرى والاجتماع الانسان». وقد تحدث ابن خلدون فيها عن: العمران البشرى على الجملة وأصنافه، والعمران البدوى، وذكر القبائل والأمم البربرية، وتحدث عن الدول والخلافة والملك، وذكر المراتب السلطانية، وعن العمران الحضري، والبلدان والأمصار، وعن الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه وعن العلوم واكتسابها وتعلمها.

وبحوث ابن خلدون في المقدمة هي تمهيد لدراسة التاريخ وفهمه، وهي بحوث جديدة كل الحدة، وإن كانت آراء الفارابي في المدينة الفاضلة، وإخوان الصفاء في رسائلهم، تعد تمهيداً موجزاً صغيراً لبحوث ابن خلدون؛ كبحوث الفارابي عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع، وعن نشأة القرى والمدن، وكتقسيم إخوان الصفا للعلوم والصنائع وبحثهم عن تأثير طبيعة البلدان في

الأخلاق.. ولكن بحوث الفارابي وإخوان الصفاء لها منهجها الفلسفي، حيث يتناول ابن خلدون هذه البحوث والموضوعات من الجانب الاجتماعي. وتشمل بحوث ابن خلدون في المقدمة جوانب من علوم الاجتماع وفلسفة التاريخ والاقتصاد السياسي.

وقد عني المستشرقون عناية خاصة بالجانب الاجتماعي من تفكير ابن خلدون وتراثه، وعد «فون كريمير» المستشرق النمساوي «ابن خلدون» مؤرخاً للحضارة الإسلامية، وعده دي بوير فيلسوفاً، ولكن الاتجاه العام كان إلى دراسة فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، التي تسمى اليوم بحوثه فيها بعلم الاجتماع، الذي سبق فيه أوجست كونت، وفيكو، ومكيافلي من أعلام الاجتماع في أوروبا. ولقد سبق مكيافلي ومونتسكيو وفيكو إلى الدرس النقدي للتاريخ كما سبق ماركس وسواه إلى نظريات علم الاقتصاد السياسي. والمقدمة تسبق كتاب مكيافلي الذائع «الأمير» بأكثر من قرن من الزمان وهي أوسع دراسة، وأرحب أفقاً، وأغزر مادة، على الرغم من أن المقدمة قد ألفت عام ١٣٧٧م، وكتاب الأمير ألف عام ١٥١٣م.

وفي آخر تاريخ ابن خلدون تعريف كتبه ابن خلدون عن نفسه حتى مستهل عام ٧٩٧هـ، وهو بمثابة ذيل لتاريخه ويعد مفتاح شخصية ابن خلدون، ومرجعاً لكل من كتب عنه، ومن التعريف نسخة كاملة مستقلة في دار الكتب المصرية (١٠٩م تاريخ) تصل حوادثها إلى نهاية عام ٨٠٧هـ أي قبل وفاته بشهور قلائل..

وقد نشرت المقدمة في مصر عام ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م^(١)، وفي بيروت عام ١٨٧٩ وفي باريس عام ١٨٥٨م بإشراف المستشرق كازمير، وظهرت ترجمتها الفرنسية لدى سنان بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٦٨ في ثلاثة مجلدات وترجمت إلى التركية بعناية بيرى زاده المتوفى عام ١١٦٢هـ - ١٧٤٩م. وترجمت فصول منها إلى الإيطالية والإنجليزية واللاتينية والروسية..

(١) في مطبعة بولاق بتصحيح الشيخ نصر الهوريثي، وفي عام ١٢٨٤هـ ثم طبع تاريخ ابن خلدون بأكمله.

وقد خلدت هذه المقدمة النفيسة ابن خلدون، ورفعته إلى مصاف الفلاسفة، وبوآته في تاريخ التراث الفكرى الإسلامى مكاناً رفيعاً، ويعجب علماء الغرب وفلاسفته بالمقدمة، ويرون أن ابن خلدون بها يعد المبتكر الأول لعلم الاجتماع، وواضع أسس العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد الاجتماعى والسياسى، وفلسفة التاريخ والقانون العام. وقد عرفوا فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون، فترجموا المقدمة إلى لغاتهم، ثم طبعت في القاهرة لأول مرة منذ نحو مائة عام، وكان لها أثر فى أساليب الكتاب والأدباء، وأى أثر، وفى عام ١٩٣٢ أحيا جماعة من أدباء مصر ذكرى ابن خلدون، ونشر عنان كتاباً عنه.

ولا شك أن المقدمة أثر لحياة هذا العالم وثقافته وتجاربه وشخصيته التى هى مثل للفكر والمؤرخ والرجل السياسى. إذ أن تجاربه وصلاته السياسية بعروش دول المغرب وتوليه أعظم المناصب فيها، وتقلبه شاباً ورجلاً وكهلاً فى الأحداث السياسية، كل هذا خلق منه سياسياً داهية؛ والمسائل التى عاجلها ابن خلدون فى المقدمة ذات دقة متناهية، ولم يسبق لأحد من علماء المسلمين أن تناولها بالتأليف على هذا النمط والأسلوب، وهو ينبه فى المقدمة على أن الكلام فيها، مستحدث جديد أدى إليه البحث والتفكير، وأنه ليس من علم الخطابة المنطقية ولا من علم السياسة المدنية، وأنه «علم مستقل»، ابتكره ابن خلدون دون أن يطلع على تأليف فى معناه، وإن كان بعض الأبجديات التى ذكرها فى المقدمة قد تجرى لأهل العلوم بالعرض فى براهين علومهم، مثل ما يذكره الحكماء فى إثبات النبوة من أن البشر متفاوتون فى وجودهم فيحتاجون فيه إلى الوازع والحاكم، ومثل ما يذكر فى أصول الفقه من أن الناس يحتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات ومثل ما ورد فى حكم الحكماء وكتب الفلاسفة كالكتاب المنسوب لأرسطو فى السياسة ورسائل ابن المقفع وسراج الملوك للطرطوشى.. فقد حوم فيه، وبوبه على أبواب تشابه أبواب المقدمة ولكنه لم يستوف المسائل، بل يوب الباب للمسألة فيستكثر من الأحاديث والحكم بدون تحقيق، فهو نقل وترغيب أشبه

بالمواعظ، وكان حوم على الغرض فلم يدركه... وابن خلدون يؤكد أن المسائل التي ورد ذكرها في المقدمة قد ألهمه الله إياها إلهاماً، فهو الذي نهج للباحثين فيها السبيل، ووضح لهم الطريق.

ولابن خلدون رأى في العرب عجيب، فهو يذهب إلى أنهم لا يتغلبون إلا على البسائط، وإذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الفساد والخراب، وإذا حصل لهم الملك فلأنما يحصل لهم بصفة دينية، وهم عنده أبعد الأمم عن سياسة الملك، وهم أبعد الناس عن الصنائع، ومبانيهم يسرع إليها الفساد، وحلة العلم في الإسلام عجم، وهذا الرأي الغريب حير الباحثين في تراث ابن خلدون الفكري، فعللوه بأسباب مختلفة متناقضة، أما نحن فنعلله بأحد أمرين:

الأول: أن ابن خلدون يريد بالعرب البدو في أى مكان كما عبر هو عنهم بهذا أحياناً، لا عرب الجزيرة العربية خاصة، وهذا الرأي محتاج إلى إثبات السر في ترجيحنا هذا المعنى دون المعنى الآخر للفظه عرب...

والثاني: أن ابن خلدون يقصد العرب ويريدهم ويتكلم عنهم، ومن الملحوظ من عبر التاريخ أن العرب في جاهليتهم وحين تحللهم من الدين بعد الإسلام كانت أحوالهم كما يصفها ابن خلدون، فكأنما ابن خلدون يقصد بهذه الفصول ذكر طبيعة العرب حين ضعف الدين من نفوسهم، وكأنه يريد التعميم في أحوالهم، فإن العرب حين تمسكهم بإسلامهم وشريعتهم، كانوا كما نعرف عدلاً وسياسة وإصلاحاً ونبلاً حكماً، وفي هذا البحث يذكر ابن خلدون أن أهل البادية مغلوبون لأهل الأمصار. ويذكر ابن خلدون أحوال الموالى والمصطنعين وما يعرض للدول من الحجر على السلطان والاستبداد به ومشاركته في نفوذه وألقابه.

وآراء ابن خلدون في الفصل الخامس في المقدمة عن المعاش ووجوهه والكسب والصنائع مباحث قيمة في الاقتصاد السياسى والاجتماعى، وقد

اقتبس منها كارل ماركس في كتبه «رأس المال» ومن آراء ابن خلدون في المقدمة:

- ١ - أن النقد التاريخي هو تطبيق طبائع العمران على التاريخ وحوادثه، فما جاز لنا قبوله من التاريخ قبلناه، وما لا يجوز فيه رفضناه.
- ٢ - أن أصول التوحيد هي عقائد متلقاة عن الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه. وهنا يذكر ابن خلدون أن العقل معزول عن الشرع لأن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية، فهي فوقها محيطتها. لاستمدادها من الأنوار الإلهية، ويأخذ في ذم الفلسفة وتخلفها، ولا شك أن ابن خلدون كان بحاجة إلى تأكيد ذلك لبعض المجتمع الإسلامي في عصره للفلسفة وعلومها وأصحابها والعنف في البطش بكل من عرف عنه أنه محب لها، ولا نخال ابن خلدون سوى فيلسوف ملهم... فأفكاره في المقدمة أفكار فلسفة عميقة، وكذلك دراسته للفلسفة وعلومها وتاريخ نشأتها تدل على أنه من أنصارها ومحبيها وعارفي قدرها، ويبدو أنه كان يقصد التموه على عامة الناس وجمهور العلماء حتى لا يتهم بالإلحاد والكفر، ويعرض نفسه لمحن لا داعي لها، بل إن المقدمة نفسها لون من ألوان الفلسفة في عصرنا الراهن، ولا شك أن ابن خلدون يستحق تقدير المفكرين والتاريخ والإنسانية جمعاء.

ويبدأ ابن خلدون مقدمته فيقول: «يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، الغني بلطفه، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، وفقه الله...»

ثم يقول: «أما بعد، فإن فن التاريخ من الفنون التي تتدواله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والاقبال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال». وبهذا الأسلوب المسجوع الموقع يستمر ابن خلدون في التنويه بعلم التاريخ، وقد كان لهذا الأسلوب أثره في أوائل عهد النهضة الأدبية في مصر والعالم العربي.

ثم يذكر ابن خلدون في مقدمته أنه قسم كتابه إلى :

١ - المقدمة في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بمغالط المؤرخين .
٢ - الكتاب الأول في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب .

٣ - الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد، وفيه من الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والافرنجة .

٤ - الكتاب الثالث في أخبار البربر ومواليهم من زناته وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان بدول المغرب خاصة من الملك والدول .

إن المقدمة، من أهم ما وصل إلينا من التراث العربي الثقافي الأصيل، وهي تحفة فريدة مبتكرة لا مثيل لها في الآثار الإسلامية القديمة . . وابن خلدون بمقدمته يحتل مكانة بارزة في التاريخ الإسلامى الفكرى والعقلى .

ونحن مدينون لابن خلدون ولنظرياته بالكثير، وقد رفع ابن خلدون بكتابات من مكانة العقل العربى، ولا يزال تراثه موضع الفخر والإعجاب من كل الباحثين والدارسين .

ويرجع تاريخ تأليف هذه المقدمة إلى عام ٧٧٩ هـ، ففى عيد الفطر من عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤م قدم ابن خلدون مدينة تلمسان فى المغرب، وكانت شهرته آنذاك تسبقه إلى كل مكان .

وأراد ابن خلدون أن يخلد فى هذه المدينة إلى الدرس والتأليف، وأن يستريح من أعباء السياسة وتعبها، ولكن أمير تلمسان أراد من ابن خلدون أن يسعى لتوطيد عرشه بين القبائل المغربية، فتظاهر بالقبول وخرج من تلمسان، وذهب إلى أحياء بنى عريف فنزل لديهم، وقدمت أسرته من تلمسان حيث أقام ابن خلدون فى هذه المنطقة النائية مدى أربعة أعوام، بدأ فيها بتأليف كتابه التاريخى المشهور، بـ«تاريخ ابن خلدون»، ويسمى

العبر وديوان المبتدأ»... وكان ابن خلدون يومئذ في الخامسة والأربعين من عمره، وكان مكتمل الثقافة، كثير التجارب، ناضج التفكير، عميق العقلية، دارساً لأحوال المغرب وسياسته وتاريخه ودوله وملوكه، ولحياة القبائل البربرية وطبائعها وتقاليدها.

وفي هذه العزلة النائية كتب ابن خلدون مقدمة تاريخه حيث جاد فكره بأفكار وبحوث وآراء جديدة. وبنظريات خالدة لا تزال الجامعات وشتى البيئات العلمية تعكف على دراستها وبحثها... وقد انتهى ابن خلدون من كتابة مقدمته في منتصف عام ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م، حيث أمضى خمسة شهور في تدوينها، ثم نقحها وهذبها بعد ذلك عدة مرات، ويقول عنها ابن خلدون في آخر الجزء السابع من تاريخه: «وأكملت المقدمة على هذا النحو الغريب الذي اهتمت إليه في تلك الخلوة، فسالت فيها شأبيب الكلام والمعاني على الفكر، حتى امتحضت زبدتها، وتألقت نتائجها».

ثم شرع ابن خلدون بعد إتمام المقدمة في كتابة تاريخه، فكتب تاريخ العرب والبربر وزناته، وهو المدون في الأقسام الأولى والأخيرة من «العبر»، وكان منهج ابن خلدون كتابة تاريخ المغرب والدول البربرية. كما يشرح ذلك في المقدمة فيقول: «وأنا ذاكر في كتاب هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي إما صريحاً مندرجاً في أخباره أو تلويحاً، لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأمه وذكر ممالكه، دون ما سواه من الأقطار، لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأمه، وإن الأخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه». ولكنه بعد أن أمضى شوطاً في كتابة تاريخه رأى أن يكون كتابه شاملاً لتاريخ البشر منذ بدء الخليقة، لذلك أثر أن يعود إلى تونس ليستكمل المراجع اللازمة له بعد أن كان قد أكمل المقدمة وكتابة الأقسام المتعلقة بتاريخ العرب والبربر.

وكتب ابن خلدون إلى سلطان تونس يستأذنه في العفو عنه والإذن بعودته إلى وطنه لإكمال كتابه التاريخي فرد السلطان عليه بالصفح والقبول، ودعاه إلى القدوم إلى تونس، فغادر ابن خلدون أحياء عريف في شهر رجب

عام ٧٨٠ هـ، ولقى العالم الجليل أبا العباس سلطان تونس بظاهر سوسة، حيث بالغ في إكرامه وأصدر أوامره إلى رجال الدولة بتوفير ما يلزم له ولأسرته من المسكن والمعاش، ودخل ابن خلدون وطنه بعد أن غاب عنه شاباً دون العشرين، عام ٧٥٣ هـ، وأقام في دعة وهدوء عاكفاً على الدرس والبحث.

وعكف المؤرخ التونسي الكبير على إتمام مؤلفه وتهذيبه وتنقيحه، وأتم منه نسخة أهداها إلى السلطان أبي العباس في أوائل عام ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م وتشمل المقدمة وأخبار البربر وزناتة وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وتاريخ الدول الإسلامية المختلفة إلى عصر المؤرخ واسترجاع السلطان أبي العباس لتوزر عام ٧٨٣ هـ، وأنشد ابن خلدون السلطان وهو يقدم إليه موسوعته التاريخية الكبرى قصيدة لامية طويلة نوه فيها بالسلطان وأعماله وانتصاراته.

وبعد قليل استأذن ابن خلدون في السفر للحج، فأذن له، وودعه أصدقائه وتلاميذه ومريدوه وهو يركب البحر إلى المشرق في منتصف شعبان عام ٧٨٤ هـ - أكتوبر ١٣٨٢ م. وفي عيد الفطر من العام نفسه وصل ابن خلدون الإسكندرية، فنزل فيها، وتوجه منها إلى القاهرة فوصلها في أول ذي العقدة عام ٧٨٤ هـ - نوفمبر ١٣٨٢ م، بعد دخول ابن بطوطة الرحالة إليها بنحو ستين عاماً، إذ كانت وفادة ابن بطوطة على القاهرة عام ٨٤٦ هـ - ١٣٢٦ م في عهد الناصر بن قلاوون.

وأقام ابن خلدون في القاهرة، وانهاه عليه طلبة العلم بها يلتمسون منه الإفادة، واستوطن القاهرة وتصدر للتدريس بها بالجامع الأزهر، وكان سلطان مصر إذ ذاك هو الظاهر برقوق الذي ولي حكم مصر في أواخر رمضان عام ٧٨٤ هـ، وتولى بعد ذلك ابن خلدون التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو، وهي من مدارس المالكية المشهورة في مصر، وبعد قليل عين قاضياً لقضاة المالكية في مصر في أواخر جمادى الأولى عام ٧٨٦ هـ.

وكان سلطان تونس قد حجز أسرة المؤرخ في تونس حتى يعود ابن

خلدون إلى موطنه، فتوصل إلى السلطان الظاهر أن يشفع له لديه في تخليه سبيل أسرته ففعل. وأطلق سراح أسرته، وركبت سفينة إلى مصر، ولكن السفينة غرقت في البحر الأبيض وغرق أهله فيها، ووصله في القاهرة نبأ هذه الفاجعة الأليمة، فحزن حزناً شديداً، وفي عام ٧٨٩ هـ سافر إلى الحج، ثم عاد إلى القاهرة في جمادى الأولى سنة ٧٩٠ هـ.

وفي أثناء إقامة ابن خلدون بالقاهرة أخذ يهذب وينقح في المقدمة والتاريخ وزاد في حوادث التاريخ حتى بلغ بها نهاية القرن الثامن الهجري بعد أن كان قد بلغ بها تونس حتى عام ٧٨٣ هـ. . . . ومن الفصول الجديدة التي كتبها في مصر: خواص دول الممالك المصرية، ونشأة التتار، وسوى ذلك من بحوث.

ويذهب سلامة موسى إلى أن ابن خلدون قد سرق كل ما كتبه إخوان الصفا وعزاه إلى نفسه؛ ويرد عليه أبو القاسم محمد كرو مفنداً هذا الرأي.

وابن خلدون هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، ينتهي نسبه إلى جده الأعلى ابن خلدون، وأسرته من بني وائل، وقيل إنها هاجرت إلى الأندلس في القرن الثالث.

ولد بتونس في أول رمضان عام ٧٢٢ هـ ٢٧ مايو ١٣٣٢ م، من أسرة أندلسية اشتهرت بالعلم والأدب والرياضة، وكان نزوحها من الأندلس في أواسط القرن السابع الهجري من اشبيلية ونشأ عبد الرحمن في تونس في ظلال دولة الحفصيين ودولة بني مرين بالمغرب وكان منهم السلطان أبو الحسن المريني (٣٧١ - ٧٥٢ هـ)، وابنه أبو عنان (٧٥٢ - ٧٥٨ هـ)، ثم أبو سالم بن أبي الحسن المريني (٧٥٨ - ٧٦٢ هـ)، وأكمل دراسته الأولى على والده، وعلى بعض الأساتذة المشهورين، ولكن الوباء الكبير الذي اجتاح البلاد قضى على أسرته في المغرب، فحزن لذلك حزناً شديداً، واشتغل بالكتابة، فدعاه السلطان أبو إسحاق ملك تونس عام ٧٥١ هـ ليتولى له كتابة «العلامة» وهي التوقيع على المراسيم السلطانية والمخاطبات الرسمية باسم السلطان، وقربه إليه،

ولكن ابن خلدون لم يلبث أن ترك أبا إسحاق واتصل بالسلطان أبي عنان المريني ملك المغرب الأقصى عام ٧٥٥ هـ، فتولى له الكتابة والتوقيع حيناً، ثم اتهم بالتآمر على السلطان فسجن ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة السلطان أبي عنان، ورد إلى وظائفه، ثم تولى كتابة السر والإنشاء وخطه المظالم للسلطان أبي سالم ابن أبي الحسن المريني، فأظهر كفاية وإخلاصاً، ولاذ بالسلطان أبي سالم في هذه الفترة ملك الأندلس محمد بن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب، بعد أن اغتصب العرش منه، فاتصلت رابطة الصداقة والأدب بين ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب من ذلك الحين، ثم توفي السلطان أبو سالم سنة ٧٦٢ هـ؛ ولم يلبث ملك الأندلس أن استرد عرشه، فرحل ابن خلدون إلى الأندلس عام ٧٦٤ هـ، وأقام في العاصمة غرناطة مشمولاً بعطف ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب، وأرسله في سفارة رسمية إلى ملك قشتالة بأشبيلية، فقام بها خير قيام، بيد أن فتور العلاقة بينه وبين ابن الخطيب كان باعثاً له على الخروج من الأندلس عام ٧٦٦ هـ حيث تولى الحجابة لأمر «بجاية» ولكن عرش هذا الأمير لم يلبث أن اغتصبه مغتصب، فظل ابن خلدون يتنقل من خدمة أمير إلى خدمة أمير، حتى حيكت حوله المؤامرات ففر إلى الأندلس مهاجراً إليها مرة أخرى عام ٧٧٦ هـ، ولكن فراره إلى غرناطة وهرب ابن الخطيب منها إلى المغرب الأقصى كان مثاراً لمشكلات سياسية بين ملك بني الأحمر في غرناطة وبنى مرين في فاس بالمغرب الأقصى، وقد انتهت الأحداث بقتل ابن الخطيب في فاس وبطرد ابن خلدون من الأندلس.

عاد ابن خلدون إلى المغرب الأقصى، ملتجئاً إلى أحياء بني عريف بتلمسان، حيث أقام يؤلف كتابه التاريخ الكبير، وهو كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، كما أسلفنا، ثم عاد إلى وطنه تونس عام ٧٨٠ هـ، فأتم كتابه ورفع إلى سلطان تونس أبي العباس الحفصي عام ٧٨٣ هـ، وقربه السلطان إليه، ولكن الوشائيات عادت تحوكم حوله الدسائس من جديد، فعزم على الرحلة إلى المشرق، مستأذناً من السلطان في السفر إلى مكة لأداء فريضة الحج، فأذن له وركب ابن خلدون سفينة أقلته إلى الإسكندرية فنزل بها

وسافر إلى القاهرة، فوصلها عام ٧٨٤ هـ، وأخذ ابن خلدون يلقي دروسه في مذهب مالك في الأزهر الشريف، واتصل برقوق رأس دولة «المهاليك البرجية» الذي حكم مصر سبعة عشر عاماً (٧٨٤ - ٨٠١ هـ) وولاه التدريس في المدرسة القمحية المالكية بجوار جامع عمرو، وتولى قضاء المالكية أيضاً، فأرسل إلى بلاد المغرب يستقدم أسرته، ولكنها غرقت بها السفينة التي كانت فيها، ولم ينج أحد، فعظم حزن ابن خلدون لذلك، كما أسلفنا.

كان وجود ابن خلدون في مصر وولايته لمنصب قضاء المالكية فيها، مشار دسائس وأحقاد بينه وبين علماء عصره الذين كانوا يتطلعون لهذا المنصب، واضطرب الأفق حوله، وعزل عن القضاء، فاستأذن من برقوق في الحج فأذن له، وعاد بعد الحج فعينه برقوق أستاذاً في المدرسة الصرغتمشية - شمال جامع ابن طولون، ثم عينه شيخاً لخانقاه بيبرس، وانقطع إلى التدريس والتعليم، يوطد الصلات السياسية والعلمية بين مصر والمغرب، حتى أعاده برقوق إلى منصب القضاء، وظل فيه إلى أن توفي برقوق عام ٨٠١ هـ، وتولى بعده ابنه فرج فعزله عن القضاء.

وفي هذه الأثناء كان جيش تيمورلنك يغزو الشرق، ويعيث في بلاده فساداً، ودخل الشام، فخرج فرج للقاءه، وخرج معه ابن خلدون، ولكن فرجاً رجع مسرعاً ليقضي على ثورة سياسية قامت في مصر، وأقام الجيش حيث هو، وأقام مع الجيش ابن خلدون، ثم انتصر جيش تيمورلنك، فسار ابن خلدون إلى معسكر الظافرين يفاوض في شروط الصلح، وفي تسليم دمشق بعد أن أنهكها الحصار... ولما عاد ابن خلدون إلى مصر أعيد إلى القضاء لثالث مرة، ثم عزل عام ٨٠٤ هـ، واستمر بين ولاية للقضاء المالكي وعزل منه، حتى تولاها لسادس مرة عام ٨٠٨ هـ، فلبث فيه ستة أسابيع توفي بعدها.

وقد انقطع ابن خلدون عام ٧٧٧ هـ لتأليف تاريخه في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، وأقام عامين يكتب

في مقدمته حيث أتمها عام ٧٧٩ هـ، وأتم كذلك بعض فصول الكتاب التاريخية، ثم كتب فصولاً أخرى منه في تونس وفي القاهرة، وانتهى أخيراً من الكتاب في القاهرة عام ٧٩٧ هـ، وسماه «العبر وديوان المبتدأ والخبر».

وقد أهدى ابن خلدون نسخة كاملة من الكتاب لسلطان المغرب الأقصى أبو فارس المريني، الذي تولى حكم المغرب ثلاثة أعوام (٧٩٦-٧٩٧ هـ) ويقع الكتاب في سبعة مجلدات، والمجلد الأول منها في فلسفة التاريخ والاجتماع وهو المشهور بالمقدمة، والستة الباقية في تاريخ العرب والعجم والبربر.

وبعد هذه الحياة الحافلة، وفي القاهرة توفي ابن خلدون في ٢٦ رمضان عام ٨٠٨ هـ - ١٦ مارس عام ١٤٠٦ م، ودفن في مقبرة الصوفية في العباسية خارج باب النصر.

- ٢ -

ابن بطوطة الرحالة

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة عام ٧٠٣ هـ - ١٣٠٤ م من أسرة دينية عريقة في الاشتغال بالعلوم الشرعية وينتهي نسبها إلى قبيلة لواتة، إحدى قبائل العرب التي كانت في وقت ما في بلاد برقة بين مصر وطرابلس. أما ثقافته فلم تكن تتجاوز العلوم الدينية والأدب وممارسة بعض الشعر واللغة الفارسية، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره أي عام ٧٢٥ هـ - ١٣٢٦ م خرج في وفد من الحجاج إلى مكة، ومنها قطع طريق البادية إلى العراق، وظل يتنقل في بلاد العرب وفارس وتركيا والهند والصين زهاء ربع قرن، حج خلال هذه المدة أربع مرات، وتزوج كثيراً من النساء؛ وفي سنة ٧٥٠ م - ١٣٤٩ م، عاد إلى طنجة، وكانت بلاد المغرب في تلك الفترة تحت سلطان بني مرين الذين كانوا يعطفون على العلماء والشعراء ويميزونهم العطاء فلاذ ابن

بطوطة بأبي عنان أمير مراكش وصار من جملة حاشيته وكان يقص في مجالسه على الناس ما رآه في أسفاره، فطلب إليه الأمير أن يدون رحلته فأملأها على كاتب الأمير الفقيه محمد بن جزى الكلبي، وانتهى من كتابتها سنة ١٣٥٣م وسماها «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وعاش ابن بطوطة في بلاد فاس حتى توفي سنة ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م.

يكاد يجمع المؤرخون على أن الدافع الذي حمل ابن بطوطة على القيام بهذه الرحلة هو الحج، وأنه لما وصل إلى مكة والتقى بالحاج حصلت له فكرة الطواف حول العالم، وهم يستدلون على ذلك بقوله: «وكان خروجي من طنجة معتمداً حج بيت الله الحرام»، ثم إنه لم يكن متأهباً للسفر الطويل. بيد أنه يلوح لي أن ابن بطوطة لم يكن يوم خروجه من طنجة بعيداً عن فكرة الطواف حول العالم، إن لم تكن هذه الفكرة الهدف الرئيسي الذي كان يرمى إليه أولاً. ولا ينكر أن الحج كان في نظره غاية سامية باعتباره مسلماً شديداً الإيمان والثقة بالله، لكن لا مانع من أن يكون هذا الإيمان البالغ المتمكن من نفسه بعض ما كان يرومه من تلك الرحلة، والدليل على ذلك ما رواه ابن بطوطة نفسه فقد حدث أنه نزل في مصر ضيفاً عند أحد علماء الإسكندرية المسمى «برهان الدين» ثلاثة أيام، فتوسم فيه برهان الدين حب التجوال، وأوصاه بأنه إذا ذهب إلى الهند أو السند أو الصين أن يزور أفراداً ساهم له ثم ما رواه ابن بطوطة نفسه أيضاً أنه زار وهو في طريقه إلى القاهرة أحد الأولياء الصالحين الذي كان مقيماً بقرية «قبالة» بالقرب من بلدة «فوه» على النيل فرأى في منامه وهو عنده أنه زار مكة واليمن والعراق وبلاد الترك والهند. . . وأما أنه لم يتخذ الأبهة الكافية لهذا السفر الطويل ففي الحقيقة أن ابن بطوطة لم يتأهب حتى بالنسبة إلى الحج، إذ كان جل اعتماده على الهبات والعطايا يوم فارق طنجة. ولعل عدم التأهب هذا يعتبر دليلاً على أنه كان ينوى السفر الطويل من أول الأمر، إذ يتعذر على مثل ابن بطوطة الذي عرفنا حاله من الفقر والفاقة أن يطوف حول العالم، ويعد ما يكفيه من المال والزاد لمثل هذا السفر الطويل الشاق.

تعتبر رحلة ابن بطوطة من أهم المصادر التاريخية الجغرافية بالنسبة إلى حياة الأمم الشرقية في القرون الوسطى، وهي ليست بأول مشروع من نوعه في هذا الصدد كما نعلم، لقد قام «مركو بولو» الإيطالي برحلة في الشرق قبل «ابن بطوطة» بنصف قرن تقريباً ودون مشاهدته إلا أن ابن بطوطة لم يطلع على تلك الرحلة. والذي يميز رحلة ابن بطوطة هو أنها رسمت لنا صورة واضحة للشعوب التي كانت تتكلم في ذلك الوقت اللغة الفارسية كإيران والهند، وذلك راجع إلى تمكن ابن بطوطة من هذه اللغة، في حين أن رحلة «ماركو بولو» تمتاز بناحية أخرى وهي أنها عرفتنا حالة الدول المغولية التي كانت تبسط نفوذها من شواطئ المحيط الهادئ إلى ما وراء نهر الفولتا بشكل أوضح مما ذكره ابن بطوطة. وسبب ذلك راجع إلى معرفة «ماركو بولو» اللغة المغولية، الأمر الذي ساعده مساعدة كلية على فهم حالة أولئك الأقوام، والحقيقة أن هاتين الرحلتين تعتبر إحداهما مكملة للأخرى.

لقد أيد «فريسكو بالدي» الرحالة الإيطالي الذي ساح في الشرق بعد ابن بطوطة بأكثر من نصف قرن ما رواه ابن بطوطة في رحلته، ومع هذا يقول «ابن خلدون»: ورد بالمغرب لعهد السلطان «أبي عنان» رجل من مشيخة طنجة يعرف «بابن بطوطة» كان رحل منذ عشرين سنة إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب، فتناجى الناس بتكذيبه.

ونلاحظ أن ابن بطوطة في رحلته الثانية خرج من طنجة عام ٧٢٥ هـ. ١٣٢٦م للحج فمر بمصر والشام ومكة ثم العراق وجدة، ثم الصومال وأريتريا، ثم عاد إلى الحجاز ومنها إلى آسيا الصغرى والأناضول ثم الهند وسيلان وأطراف من الصين وسيلان، ثم عاد إلى الشام فالقاهرة في عهد السلطان حسن قلاوون ودخل مدينة فاس عام ٧٥٠ هـ، ثم ذهب إلى طنجة وقام من طنجة برحلة إلى الأندلس، ثم عاد منها، وقام برحلة أخرى إلى السودان عام ٧٥٣ هـ، وعاد منها إلى سجلماسة عام ٧٥٥ هـ.

الباب الخامس

الأدب العربي في ليبيا

في عصر الأتراك العثمانيين
٩٥٨ - ١٣٢٩ هـ : ١٥٥١ - ١٩١١ م

الفصل الاول

هذا العصر التاريخي والثقافي

- ١ -

في نهاية الفترة الطويلة السابقة تعرضت ليبيا العربية الإسلامية إلى هجوم استعماري صليبي من الشعوب الأوروبية ، ولا سيما من فلول فرسان الصليبيين، الذين حلوا في جزيرة مالطة، بعد أن اضطروهم العرب المسلمون في شرق البحر المتوسط إلى الجلاء عن سواحل سوريا؛ كما تعرضت ليبيا لغزو أسباني بعد انتصار الأسبان على العرب في الأندلس، فقد قدموا بأسطول بحري كبير ليتعقبوا العرب المسلمين الذين نزحوا من الأندلس بعد الهزيمة، وحلوا ضيوفاً على إخوانهم العرب المسلمين في ليبيا، وكان الأسبان يقصدون السيطرة على سواحل ليبيا في مطاردتهم العنيفة للمسلمين الفارين بدينهم وعروبتهم من أرض اسبانيا، حتى يقضوا على الروح العربية.

والتفت أهل ليبيا إلى الدولة الإسلامية الكبرى التي كانت قائمة آنذاك وهي الدولة العثمانية، التي صارت مسئولة في ذلك الحين عن مصير الأمة العربية، يطلبون مساعدتها ومعانيتها العسكرية والسياسية، وكان من نتيجة ذلك أن مدت الدولة العثمانية سلطانها إلى أرض ليبيا، واستمر الحكم العثماني في ليبيا مدة طويلة، تطورت فيها الحياة في البلاد تطوراً جديداً، انتهى آخر الأمر إلى نشأة دولة مستقلة على يدى حاكم تركي هو مؤسس الدولة القوه مانلية التي كان لها أثر في نظام الحكم وفي حياة الشعب، وفي وضع الأسس الأولى لمقومات الدولة الليبية الحديثة.

ولكن الدولة القره مانلية لم تستمر أكثر من قرن وربع، ثم عاد العثمانيون يسيطون نفوذهم وسلطانهم على البلاد مرة أخرى، وظلت الخلافة العثمانية تحكم البلاد حتى فوجئت آخر الأمر بالغزو الاستعماري الإيطالي الغاشم.

- ٢ -

وعندما نتقل إلى استقصاء أحداث التاريخ ومقدماتها في هذه الفترة الحافلة، نجد أن السلطان سليماً الأول العثماني عندما فتح مصر عام ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م وضع يده على مصائر الامبراطورية المصرية، التي أسسها المماليك بقواتهم العسكرية المتفوقة، فأصبح سلطان تركيا يحكم مصر، ويحكم جميع الشعوب التي كانت تخضع لسلطان المماليك أو لنفوذهم وباستيلاء العثمانيين على مصر خضع إقليم برقة للعثمانيين بحكم تبعيته الاسمية لمصر في ذلك الحين.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول اشتد النضال البحري بين العثمانيين والاسبانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط، وحدثت عدة مصادمات بحرية بين السفن العثمانية والأسطول الاسباني؛ وكان من نتائج هذا النضال البحري مجيء العثمانيين إلى طرابلس الغرب، واستخلاصها من أيدي فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة الذين حكموا البلاد بعد أن تنازل عنها شارل الخامس ملك أسبانيا.

وكانت طرابلس منذ عام (٩١٦ - ١٥١٠ م) قد احتلها الأسبان^(١) بعد صراع بحري دام بين القوات الإسلامية والقوات المسيحية، أي بين الأتراك

(١) راجع كتاب «الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس» تأليف عمر الباروني مطبعة ناجي بطرابلس ١٩٥٢، وكتاب العهد العثماني الأول في طرابلس للمؤلف نفسه أيضاً، والاحتلال الأسباني لطرابلس امتد من عام ١٥١٠ حتى عام ١٥٣٠ م: ٩١٦ - ٩٣٦ هـ، واحتلال فرسان القديس يوحنا لها استمر من عام ٩٣٦ - ٩٥٨ هـ: ١٥٣٠ - ١٥٥١ م.

والاسبان، وذلك حتى لا تقع في أيدي الأتراك فتكسبهم موقعاً بحرياً فريداً يستطيعون أن يتخذوا منه قاعدة حربية وبحرية للهجوم على اسبانيا نفسها وعلى أسطولها البحري الضخم، وحتى يبادروا هم باتخاذها قاعدة للهجوم منها على تركيا وعلى أسطولها في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك رغبة في الاستفادة من أرباح تجارة القوافل التي كانت تسير بين مدينة طرابلس وبلاد السودان؛ وشجع الاسبان على احتلال طرابلس ضعف دولة الحفصيين وعدم قدرتها على الوقوف في وجه الاسبان؛ وقد سقطت المدينة بعد دفاع باسل عظيم من الشعب الليبي، وبتأثير هذه المقاومة لم يستطع الاسبان بسط نفوذهم إلا على المدينة وحدها، وقد نقل الليبيون حركة المقاومة للغزو الاسباني إلى مدينة تاجوراء المجاورة لطرابلس، وعلى مسافة قريبة منها إلى الشرق، وأرسلوا وفداً منهم للخليفة العثماني يطلبون منه النجدة ومساعدتهم على طرد الاسبان، فقدم الأتراك بأسطول بحري إلى ساحل ليبيا لدعم حركة النضال ضد الأعداء في البحر المتوسط؛ وجعلوا موانئ ليبيا قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الاسبان؛ وكان أول وال تركي على ليبيا هو «درغوت باشا» الذي سقط شهيداً في الهجوم على جزيرة مالطة بعد أن رد للساحل الليبي أمه وأنزل الرعب في قلوب الأعداء^(١)؛ وبعد أقل من عشرين عاماً من الغزو الاسباني لطرابلس تنازل ملك اسبانيا شارل الخامس عن المدينة لفرسان مالطة لأنه كان في هذا الوقت مشتبكاً في حروب طويلة مع الفرنسيين في إيطاليا، وذلك عام ١٥٣٠م - ٩٣٦هـ وحكم المدينة فرسان مالطة نحواً من اثنين وعشرين عاماً حتى طردهم منها العثمانيون عام ٩٥٨هـ - ١٥٥١م.

وكانت برقة آنذاك فقيرة في مواردها الاقتصادية والنفوذ الداخلي فيها لقبائل بني سليم، وإن كانت قد انتقلت تبعيتها الاسمية من سلاطين المماليك إلى السلاطين العثمانيين. أما إقليم فزان فكان لقبيلة «الخرمان» - إحدى قبائلها - النفوذ الفعلي فيه، ثم أقام متصرف بن محمد وهو أحد أشرف مراكش

(١) راجع ١٢٩ و ١٣٠ دراسات في التاريخ الليبي لبعير.

أسرة حاكمة في فزان عرفت في ذلك العهد بإسم أسرة بنى محمد التي كانت عاصمتها بلدة «مرزق» وظل الحكم في فزان في أيدي هذه الأسرة حتى قضى عليها يوسف باشا القره مانلي عام ١٨١١م بقتله لآخر حاكم منها.

- ٣ -

كانت عاصمة البلاد في هذا العصر الطويل هي مدينة طرابلس، وقد مرت هذه المدينة^(١) بعصور تاريخية عديدة هي:

٨٠٠ - ١٤٥ ق م	العصر الفينيقي (القرطاجي)
١٤٥ ق م - ٥٤٠ م	العصر الروماني
٤٥٠ - ٥٣٣ م	العصر الفندالي
٥٣٣ - ٦٤٣ م	العصر البيزنطي
٦٤٣ - ١٥١٠ م	الحكم الإسلامي العربي
١٥١٠ - ١٥٥٣ م	الحكم الإسباني
١٥٥٣ - ١٧١٤ م	العهد العثماني الأول
١٧١٤ - ١٨٣٥ م	عهد الأسرة القره مانلية
١٨٣٥ - ١٩١٢ م	العهد العثماني الثاني
١٩١٢ - ١٩٤٣ م	الغزو الإيطالي
١٩٤٣ - ١٩٥١ م	الإدارة البريطانية
١٩٥١ حتى اليوم	عهد الاستقلال منذ عام

وقد زار الشاعر المصري الكبير محمود غنيم طرابلس عام ١٩٥٤ فألهمته هذه القصيدة، التي نشير إليها هنا لما في مضامينها من صلة بما ذكرناه قال:

قالوا: الجمال هنا والمجد فاقتبس فقلت: كل المعالي في طرابلس

(١) هي مدينة أويا القديمة وحرقت إلى أوا، ومعناها بالإغريقية ثلاث مدن، ثم أطلق عليها اسم تريبوليس، نسبة إلى الخط الدفاعي الذي أقامه الرومان في المنطقة، وعربت عند الفتح الإسلامي إلى طرابلس.

لما نزلت بها باتت تذكرني
يا أمة ورثت مجد العروبة لو
أشباه «ليبياء» كأنى إذ نزلت بكم
الشائرون على الطغيان من قدم
المترعون كثوساً غير آئمة
فيكم من البدو أخلاق مبرأة
إن لم تكن جنة المأوى دياركمو
لاضيف أكرم من ضيف يجاوركم
كأن عاهلكم في عدله عمر
أبناء يعرب طال الليل فانتظروا
إن العروبة لا تفنى ولو فنت
محروسة بجنود الله ظافرة
بنى العروبة فروا من مضاجعكم
أبناء يعرب هيا ابنوا المآثرات فقد
خطوا على العلم والأخلاق دولتكم
وحصنوا أرضكم من كل مغتصب
باتت تنازعنا أوطاننا أمم
جاست خلال مغانينا ولو لمحت
طال السكوت على شعب يضام بلا
والله ما نسيت مصر جراحهمو
أين الذين على حق الشعوب بكت
قل للألى بسلاح الذرة افتخروا
الفاتحون بجنود من مبادئهم
جابت مواخرهم ظهر العباب ولم
أنتم بنو العرب الأجداد زانكمو
ماست غصونكمو من تيهها بكمو

أجداد مصر وبغداد وأندلس
قست النجوم بها في المجد لم تقس
نزلت بالقبلتين: الحجر والقدس
من كل حرييع النفس بالبخص
من كل نبع من الصحراء منبعس
من كل ما حوت الأمصار من دنس
فما دياركمو منها سوى قبس
بالدار والأهل والأحباب مؤنس
كفاكم الله شر الحاكم الشرس
شعاع فجر يحلى ظلمة الغلس
شم الجبال فناء الأربع الدرس
أما كفى بجنود الله من حرس؟
فما نسيت ولا المجد القديم نسي
دوى الأذان ورنت صيحة الجرس
وشيدوها من الشورى على أسس
بكل مدرع في الحرب مترس
مدت إلينا قديماً كف ملتس
طيف الحديد وطيف النار لم تجس
ذنب، وحر رهين القيد محتبس
وإن تكن في جلاء الظلم في عرس
عيونهم؟ هل أصيب القوم بالخرس
العرب سادوا الورى بالسيف والفرس
والعاصفون بملك الروم والفرس
ترك خيولهم شبرا من اليبس
حسن المحيا وسحر المنطق السلس
بين الرياض ولولا التيه لم تمس

وتقع قلعة طرابلس على زاوية في الجنوب الشرقى من المدينة؛ وقد بنيت أول ما بنيت في عهد الفينيقيين، وأعاد بناءها وجدها الرومان، وبعدهم البيزنطيون ثم العرب. والبناء الحالى لا يحتفظ لنا بشيء من الآثار التى سبقت عهد الاسبان إلا بالقليل.

وموقع القلعة منذ أن أسست لم يتغير وإن تغيرت معالمها فى مختلف العهود. ويعتقد أن بقايا القلعة القديمة لا زالت موجودة تحت الطبقات السفلى منها، ولو أن بعض الأنقاض استعملت فى بناء بعض نواحيها من جديد. وتورد بعض المراجع التاريخية أنه عند استيلاء العرب على مدينة طرابلس فى سنة ٦٤٣ م، قاموا بتحسين القلعة التى كانت فى موقع استراتيجى يعتمد عليه ويحدثنا التيجانى - الرحالة العربى الشهير - عن عظمة قلعة طرابلس عندما زارها وهو فى طريقه إلى الأراضى المقدسة سنة ١٣٠٧ م.

ويشير الرحالة العربى إلى قاعة للجلسات داخل القلعة ملبسة بالمرمر ومزخرفة بأنواع الزينة. وقد ظلت هذه القاعة مطموسة تحت الأنقاض إلى الآن ولم يكشف عنها رغم الحفريات التى أجريت فى القلعة.

ونكاد نجهل كل شيء عن قلعة طرابلس خلال القرنين التالين لزيارة التيجانى، أى من أوائل القرن الرابع عشر إلى أوائل القرن السادس عشر. ويحدثنا عن عظمة قلعة طرابلس الربان التركى الحاج محمد الشهير ببرى رئيس عندما زار ميناء طرابلس قبيل الاحتلال الاسبانى فى ١٥١٠ م، فيقول فى كتابه (كتاب البحرية): «إننا لم نشاهد فى بلاد المغرب قلعة أجمل من قلعة طرابلس، وإن كل برج فيها يرى وكأنه مصنوع من الشمع خاصة، وأن قلعة طرابلس تبيض بالجير كل سنة فتظهر للناظر إليها من البحر كالفضة الناصعة البياض. ولكن الأسبان بعد احتلالهم البلاد هدموا بعض أبراجها وحفروا حولها خندقاً».

أما مؤرخو الاسبان فلم ينقلوا لنا شيئاً عن حالة القلعة من الداخل، إلا أنه جاء فى تقاريرهم وصف موجز لها من الخارج إذ تقول تلك التقارير:

إن طول القلعة من الجنوب إلى الشمال ١٦٠ خطوة ومن الشرق إلى الغرب ٢٠٠ خطوة، وإن الأمواج تنكسر على جدرانها من الجهة الشمالية، ويحيط بها خندق من جميع الجهات الأخرى مملوء بمياه البحر، ويبلغ عرض هذا الخندق ٤٤ خطوة وعمقه قامة إنسان، وأما ارتفاع جدران القلعة فثمانى قامات أى حوالى ١٢ متراً.

وأهم وصف لقلعة طرابلس من الداخل هو الذي كتبه عنها رجل فرنسى كان قد أسره البحارة الطرابلسيون فى عهد عثمان باشا الساقرلى سنة ١٦٦٨ م. مع الطبيب الفرنسى جيرارد. وقد مكث فى الأسر حوالى عشر سنوات.

يقول هذا الفرنسى المجهول: «إن قلعة طرابلس يحيطها ٥٠٠ خطوة وتتكسر أمواج البحر على جدرانها الشرقية، بينما البقية يحيط بها خندق وشكلها منحرف وتقفل أبوابها ليلاً، وتوجد بداخلها قصور ومساكن الباشا وحاشيته، التى تعتبر آية فى الجمال. وكذلك مساكن الحامية من ضباط وجنود. وهذه المساكن مريحة جداً تتوفر فيها وسائل الراحة».

وتقع القلعة - السراى الحمراء - على الشاطئ، وكانت طوال القرون الخمسة الماضية مسرحاً حافلاً للأحداث السياسية فى المدينة. وفى الوقت الحاضر تعتبر من أهم المعالم التى يقصدها زوار طرابلس للتعرف على تاريخ هذه البلاد الزاخر بأبناء الأمم وأحداث الماضى.

ولقد شيد هذا الصرح على انقاض قلعة حربية رومانية إبان الفتح الإسلامى لمدينة طرابلس. ويعتقد أنه أدخلت عليه بعض التعديلات أثناء حكم الاسبان الذين غزوا طرابلس فى النصف الأول من القرن السادس عشر. وقد هاجمها الاسبان بقيادة فردناند الكاثوليكي واحتلوها عام ١٥١٠م. وأجريت عليها بعض الإصلاحات ثم تم تسليمها إلى فرسان مالطة.

وفى عام ١٥٥١ احتلها الأتراك وأعادوا بناءها وجعلوها مركزاً لحكومتهم. وقد تم مؤخراً إجراء حفريات فى القلعة كشفت النقاب عن

العديد من الآثار القديمة. وقامت مصلحة الآثار بعد استقلال البلاد بترميم القلعة وخصصت بعض أبنيتها لمكاتبها كما خصصت المباني الأخرى للمتاحف الأثرية والعلمية والتاريخية. وكذلك فإن إدارة الآثار بولاية طرابلس الغرب تقع في أحد أجنحة القلعة التي تطل على البحر من عل، وأمامها الحدائق الجميلة التي تزيد في بهاء القلعة.

وللقلعة بوابتان إحداها في الناحية الغربية والأخرى في الناحية الجنوبية، وكانت البوابة الغربية تستخدم كبوابة رئيسية للقلعة وتؤدي إلى برج سان جورج الذي تشغله حالياً بعض المكاتب الحكومية.

وبعد الدخول من البوابة والمرور في الممر الذي يكشف عن سماء جدران القلعة التي كانت تنصب عليها المدافع، يرى الداخل في الناحية اليمنى باباً يؤدي إلى جامع، وهو أقدم مبنى داخل جدران القلعة.

أما الجزء الأوسط من القلعة كما يبدو الآن فقد شيد خلال القرن الثامن عشر عندما أصبح مسكناً لعائلة حكام القره مانلي ومركزاً للحكومة، وقد شيد حوله عدد من الدواوين التي غطت معظم المساحة الواقعة داخل القلعة. وتطل على المساحة المكشوفة داخل القلعة أجنحة مساكن عائلة القره مانلي، وكانت مبانيها كغيرها من المباني التي شيدت في القرن الثامن عشر في طرابلس ذات طابقين.

وتتوسط حدائق القلعة الواسعة الجميلة وغيرها من الأماكن هناك، نافورات رخامية جميلة جىء بها من ساحات عدة مبان قديمة في طرابلس. ولإحدى هذه النافورات أحواض ذات ثمانية أضلاع نقش عليها باللغة العربية تاريخ القرن السابع عشر. أما النافورات الأخرى فعليها نقوش عربية تبين تاريخ القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

وعلى محاذاة الناحية اليسرى من الحديقة توجد جدران القلعة وعليها فتحات لإطلاق المدافع منها ويطل على الحديقة أيضاً ديوان القره مانلي، وهو أكبر الدواوين الموجودة في القلعة، وكان متاحاً للديوان الكبير الذي كان

يستقبل فيه باشوات القره مانلى قناصل الدول الأجنبية وغيرهم من الزوار ذوى الشأن.

ولم يكن اسم^(١) طرابلس حتى سنة ١٨٨٠ يطلق إلا على المدينة القديمة، داخل السور القديم الذي كان يحيط بها من كل جهاتها بما فيها جهة البحر. أما القسم الآخر خارج الأسوار فكان يسمى المنشية.

وكان للمدينة، أربعة أبواب، اثنان في الجهة القبلية، وهما باب الخندق وباب المنشية، وواحد في الجهة الغربية وهو الباب الجديد وقد فتح في سنة ١٨٧٠، وكان في الجهة الغربية قبل ذلك باب قديم جداً يسمى باب زناته، فأغلقه علي باشا القره مانلى عندما قامت الحرب بينه وبين محمد بك القره مانلى على الحكم حوالي سنة ١٨٣٣، والباب الرابع في الجهة الشمالية وهو باب البحر.

وفي المدينة القديمة ست محلات هي: حومة غربان وحومة البلدية وسيدي الصفار وباب البحر والحارة الكبيرة والحارة الصغيرة، وهذه الأسماء لم تتغير منذ مئات السنين. والمحلات التي كانت خارج السور القديم - والتي كانت تسمى في مجموعها بالمنشية - هي الشارع الغربي ومجلة الظهرة وزاوية الدهماني وشارع الزاوية وشارع ابن عاشور وغيرها من الشوارع والمحلات؛ وبقي السور القديم الذي كان يفصل المدينة عن المنشية، والذي كان سكان طرابلس يعتمدون عليه في الدفاع عن ممتلكاتهم وأرواحهم من الغارات البحرية والبرية حتى سنة ١٨٨٠. فكانت أبوابه تغلق بعد صلاة العشاء مباشرة، ولا يسمح بالخروج من المدينة والدخول إليها لأحد إلا صباحاً. ولما كثر البناء خارج السور، ولم تعد للأسوار قيمة دفاعية بالنسبة للحروب الحديثة، واستقر الأمن في البلاد، هدم الأتراك الجزء المواجه للبحر وفتحوا فيه ثغرة كبيرة أخرى سميت بباب الحرية. وبعد الاحتلال الإيطالي قام الإيطاليون بهدم جزء آخر من السور ولم يبق منه الآن إلا الجزء الممتد من

(١) مجلة المعرفة - ١٩٦٤

مدخل سوق المشير إلى باب الحرية، والجزء الآخر الذى يمتد من الباب الجديد حتى البحر حيث مخازن الحلفاء. وقد بقى هذان الجزآن كأثار تاريخية إلى اليوم.

وأما السور الذى يحيط بضواحي المدينة والذى يسميه الأهالى بالكردون، فقد بناه الإيطاليون سنة ١٩١٢ لحماية منطقة احتلالهم من غارات المجاهدين وطوله بضعة كيلومترات وله عدة أبواب منها باب العزيزية وباب قرقارش وباب ابن غشير وباب ترهونه وغيرها.

وقد ورد فى «السالنامة» (وهى نشرة سنوية كانت تصدرها الولاية فى العهد العثماني) أنه كان فى عام ١٨٨٥ «يوجد داخل السور قصر الحكومة فى السراي الحمراء، وثكنة عسكرية تستوعب ١٥٠٠ جندي، ومركزان للشرطة وبرج الساعة و٩ جوامع و١٨ مسجداً وثلاث زوايا و٥ كنائس للنصارى و٧ كنائس لليهود، ومدرسة ثانوية و١٥ مدرسة قرآنية وإبتدائية، ومدرسة واحدة للبنات، وثلاثة معاهد دينية، وجميع قنصليات الدول ومستشفى واحد، والبلدية ومعملان للصابون و٢٠ فرنًا و٧٢ مطحنًا تدار بالجمال ومدبغة واحدة و٢٤٥٣ بيتاً و١٠١٩ دكاناً و٤٠ مخزناً و٢٢ مقهى و٤ حمامات و٣٣ فندقاً وثلاث صيدليات. وعدد سكانها قدر بـ ٢٥ ألف نسمة بين مسلمين ونصارى ويهود».

أما القسم الذى كان خارج السور فكان فيه: «٤٥ جامعاً و٧١ مسجداً و٤٥ زاوية و٣٠ مدرسة قرآنية وإبتدائية و٢٥ مطحناً منها اثنان تداران بالبخار و٤٥ فندقاً وكنيستان و١٥٠٠ بيت و٥٩٥ دكاناً و٢٢ مقهى و١٢٠٠ بستان، وثكنات الفرسان والمدفعية، وثلاثة مراكز للشرطة، والمستشفى العسكرى، و١٥ مدبغة. وقدر عدد السكان فى هذه المنطقة بـ ٢٠ ألف نسمة».

- ٤ -

استمر الحكم العثماني لليبيا مدة طويلة تقرب من نحو أربعة قرون

شملت ثلاث فترات مختلفة:

- ١ - الفترة الأولى عهد الحكم العثماني الأول (١٥٥١ - ١٧١١ هـ : ٩٥٨ - ١١٢٣ هـ).
- ٢ - الفترة الثانية العهد القره مانلي (١١٢٣ - ١٢٥١ هـ : ١٧١١ - ١٨٣٥ م).
- ٣ - الفترة الثالثة العهد العثماني الثاني (١٢٥١ - ١٣٢٩ هـ : ١٨٣٥ - ١٩١١ م).

(أ) ففي الفترة الأولى: كان يحكم ليبيا ولاية أتراك، كانوا في أغلب الأمر من كبار القواد، وعلى رأسهم درغوت باشا الذي يعده بعيو أول حاكم تركي لليبيا^(١)، أو مراد آغا الذي يعده كثيرون أول تركي حكم البلاد^(٢) وقد بنى له مسجداً ومدرسة في تاجوراء، وخلفه درغوت (١٥٥٣ - ١٥٦٥) الذي بنى مسجداً كبيراً في طرابلس أطلق عليه اسمه، ومن الولاة جعفر باشا (١٥٦٩ - ١٥٨١) الذي طرد الأسبان من تونس وقضى على الدولة الحفصية عام ١٥٧٤ هـ، ومحمد باشا الساقرلي (١٦٣١ - ١٦٤٩) الذي ضم إقليم برقة إلى ولايته بعد أن كان خاضعاً للسلطة العثمانية في مصر اسماً.

وفي هذه الفترة نمت البحرية الليبية نمواً كبيراً، وأصبحت عاملاً فعالاً في الدفاع عن الوطن الليبي وفي تهديد أعدائه وفي حماية القوافل التجارية الليبية البحرية في البحر المتوسط^(٣)، وكانت (ترسانة) طرابلس لا تكف عن العمل ليل نهار لتزويد الأسطول بأكبر عدد من السفن^(٤)، وقد تحدث الرحالة العياشي عن القوة البحرية الطرابلسية التي شاهدها عند مروره بطرابلس يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٠٧٦ هـ في طريقه إلى الأراضي المقدسة^(٥) وفي عام

(١) ١٣٠ دراسات في التاريخ اللوي - بعيو.

(٢) ٣٣ تاريخ ليبيا.

(٣) ١٢٤ دراسات في التاريخ اللوي.

(٤) ١٣١ المرجع نفسه

(٥) ١٣٦ المرجع نفسه، ١ : ٦٠ رحلة العياشي.

١٦٧٥ م هاجمت البحرية الليبية سفناً إنجليزية في البحر المتوسط وغنموا منها ثلاثاً، مما أثار غضب البحرية الإنجليزية فقامت بغارة بحرية على طرابلس، حيث أحرقت السفن الليبية الراسية في الميناء بعد أن قذفت المدينة بمدافعها^(١).

وكان لنشاط البحرية الليبية أثره الكبير في زيادة الثراء والرفاهية للشعب، وفي تحسن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وقوة البلاد السياسية، وقد تغنى الأدب الشعبي بهذه البطولات والملاحم وأعمال الأسطول الليبي في تهديد سفن أوربا وحماية الوطن من غزو صليبي أوروبي، ومن الأدب الشعبي آنذاك قصة عسيلة وهي فتاة ليبية أسرها قراصنة الروم وحملوها معهم فاستنجدت بالشيخ المولى عبد السلام الأسمر الفيتوري ببلدة زليتن الذي عاش في القرن العاشر الهجري قرن نمو البحرية فعمل هذا المولى على نجدها وإنقاذها من العدو^(٢).

(ب) وفي الفترة الثانية: وهي العهد القره مانلى كانت ليبيا مستقلة استقلالاً داخلياً تاماً وإن اعترفت بالسيادة العثمانية، وأول حاكم لليبيا من هذه الأسرة هو أحمد باشا القره مانلى الذي ينتسب إلى بلدة قرمانيا في هضبة الأناضول بآسيا الصغرى، وكان بحاراً في الأسطول العثماني، ثم صعد إلى الحكم بعد كفاح طويل في ٢٧ يوليو ١٧١١ م.

وقد أولى الأسطول وقوافل التجارة البرية جل اهتمامه وقد جعل اللغة العربية اللغة الرسمية وبجانبها اللغة التركية؛ فكتب بالعربية الوثائق والمعاهدات السياسية والأوراق الرسمية، وبنى مسجداً ضخماً في طرابلس يعد تحفة فنية رائعة ويدل على الرخاء والرفاهية، اللذين سادا البلاد، وقد حكم البلاد أربعة وثلاثين عاماً ومات عام ١٧٤٥، وظهر في عهده المؤرخ محمد بن

(١) ١٢٦ و ١٣٧ دراسات لبعير.

(٢) راجع الفصل القيم الذي كتبه بعير عن ليبيا والسيادة البحرية (١٠٩ - ١٦٦ دراسات في التاريخ الليبي).

خليل غلبون وكتابه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، مشهور»^(١) وقد ألفه عام ١٧٣١ م، وخلف أحمد باشا ابنه محمد باشا (١٧٤٥ - ١٧٥٤)، ثم على باشا القره مانلى (١٧٥٤ - ١٧٩٣)، ويوسف باشا القره مانلى (١٧٨٥ - ١٨٣٢) وعلى باشا (١٨٣٢ - ١٨٣٥) وهو آخر الأسرة القره مانلية.

وفي هذه الفترة بلغت البحرية الليبية ذورة قوتها، وألقت الرعب في قلوب الأوربيين، وعقدت دول أوروبا المعاهدات مع حكومة ليبيا حتى تأمن على تجارتها نظير دفع جزية سنوية وكانت انجلترا أسرع هذه الدول إلى عقدها في سنة ١٧٥١^(٢)، ثم البندقية عام ١٧٦٥ م، وفي عهد يوسف باشا القره مانلى فرضت الإتاوات السنوية على معظم الدول البحرية، وكان لذلك أثره القوى في حياة البلاد وانتعاشها، وكان الصراع بين البحرية الليبية والبحرية الأمريكية في عهد يوسف باشا^(٣)، صدمة قوية أصابت هبة البحرية الليبية في الصميم^(٤)، وبانتهاء الأسرة القره مانلية عام ١٨٣٥ زال ما للبحرية الليبية من وجود^(٥).. وكان نشاط تجارة القوافل البرية في ليبيا مصاحباً لازدهار الأسطول الليبي وقوته^(٦)، وقد تغنى به الأدب الشعبي في ليبيا^(٧).

(١) وقد توفي ابن غلبون عام ١١٧٧ هـ: ١٧٦٣ م (١٦٨ نفحات السرين والريحان) وراجع كتاب ابن غلبون للأستاذ على المصراق. وقد ذكر فيه أن ابن غلبون من مصراته وأنه درس في الأزهر وعاد إلى ليبيا عام ١١٣٣ هـ: ١٧٢٠ م، وكان معاصراً لأحمد باشا القره مانلى، ومن معاصريه: أحمد بن محمد المسكنى المفتى ومحمد النعاس، وكتابه «التذكار» شرح لقصيدة أحمد بن عبد الدايم الأنصارى في طرابلس.

(٢) ١٣٨ و ١٣٩ دراسات لبعير.

(٣) ١٤٨ - ١٦٢ المرجع.

(٤) ١٦١ المرجع.

(٥) ١٦٣ المرجع.

(٦) ١٨٥ المرجع وراجع الفصل القيم عن تجارة القوافل في ليبيا الذي كتبه بعير في كتابه دراسات (١٦٧ - ٢٢٠ المرجع).

(٧) ١٩٧ و ١٩٨ المرجع - وفي آخر هذه الفترة ظهر أبر القاسم المحمودى (١٢٣٦ هـ) شيخ قبيلة المحاميد المشهورة وكان صاحب النفوذ في جبل نفوسة واغتيل بيد أتباع يوسف باشا (٢٧ و ٢٨ أعلام ليبيا).

(ج) وفي الفترة الثالثة: وهي العهد العثماني الثاني عادت ليبيا إلى الحكم العثماني، وتولى أمورها ولاية من قبل الخلافة العثمانية، وفيها اختلت أمور البلاد وظهرت الدعوة السنوسية بقيادة محمد بن علي السنوسي، وأنشئت بعض المدارس وكثر الشباب الليبي في مدارس وجامعات استانبول، وذاعت الثقافة التركية واللغة^(١) والتقاليد والعادات والأسماء التركية في البلاد، وكادت تمحى شخصية ليبيا العربية، وصارت التركية لغة الدواوين ولغة الحكم والسياسة، وقد تنافس الأهلون في إنشاء المساجد والمدارس العلمية ومنهم رمضان ميزران^(٢) (١٣١٩ هـ) مؤسس المدرسة المسماة باسمه في طرابلس «مدرسة ميزران القرآنية، التي كان لها قصب السبق في تحفيظ القرآن الكريم، كما كان لمدرسته العلمية أكبر الفضل في نشر العلوم وتخرج العلماء ممن أسهموا في نشر العلوم الدينية والعربية، وفي المحافظة على الثقافة الإسلامية؛ وقام عمر المسلاتي (١٨٤٨ - ١٩٢٣) وجماعة من المصلحين بإصلاح مدرسة أحمد باشا لتقوم برسالتها العلمية، فوضعوا لها نظاماً خاصاً وسموها كلية أحمد باشا، وتولى رياستها قبيل وبعد الاحتلال الإيطالي مباشرة^(٣).

لقد كان الفضل في حفظ اللغة العربية وأدبها في هذا العصر راجعاً إلى أثر غيرة العلماء والأدباء الليبيين، فضلاً عن أثر الأزهر والزيتونة والزوايا الدينية والمعهد الجعوبوي^(٤).

وفي العهد العثماني الأخير اختير بعض الممثلين عن ليبيا أعضاء في مجلس المبعوثان - النواب - العثماني ومن بينهم: سليمان باشا الباروني، وأحمد

(١) كانت التركية اللغة الرسمية للبلاد ولغة التعليم أيضاً (١٥٩ أعلام ليبيا).

(٢) ١١٨ و ١١٩ أعلام ليبيا.

(٣) ٢٣٠ المرجع.

(٤) وإذا كان التعليم ضئيلاً في العهد التركي حتى إن الرجل في البادية كان لا يجد من يقرأ له فيتكلف الذهاب بها إلى أقرب مدينة إليه (٥٧٠ برقة العربية) فإن الإمام محمد بن علي السنوسي قد قلب - بجهوده وبما أنشأ هو وخليفته الإمام المهدي السنوسي من زوايا - كل هذا التخلف وأحاله إلى يقظة ونهضة واسعة.

ضياء بك المتصر والد محمود المتصر رئيس وزراء ليبيا في فترات عديدة، وفرحات بك الزاوي والد نجم الدين فرحات وعم طاهر الزاوي، والمرحوم المختار بك كعبار عم السيد عبد المجيد كعبار رئيس مجلس النواب الليبي في فترة من فترات عهد الاستقلال، وعمر منصور الكيخيا رئيس مجلس الشيوخ الليبي كذلك في فترة من فترات الحياة النيابية في عهد الاستقلال، والمرحوم يوسف بن شتوان من برقة.

وكان القضاء قبل العهد العثماني على مذهب الإمام مالك، فلما جاء العثمانيون أدخلوا معهم الفقه الحنفي كمصدر من مصادر التشريع والقضاء. وإذا كان القضاء قد بقي في ليبيا جارياً على مذهب مالك بن أنس في الدعاوى المدنية، والجنائية، في عهد الأتراك الأول، وعهد حكومة القره مانلى، وبقي للمدن الليبية الكبرى حق ترشيح القضاة.

فإن مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان قد ساد في العصر العثماني الثاني وفرض الأتراك تطبيقه، وجعلوا المجلة الشهيرة هي مصدر الأحكام، وصار القضاة يعينون من الأتراك والشاميين، وكان قاضي طرابلس هو القاضي الرئيسي، وسائر القضاة نواباً له، وكان يساعد هؤلاء القضاة مفتون يدلون باجتهادهم فيما يشكل على القضاة من الأحكام، كما كانوا يفتون الناس كمحكمين.

وقد طبق الأتراك في القضاء الجنائي قانون العقوبات التركي، وأصبحت الإجراءات في كل من القضاء المدني والجزائي منظمة بقانون أصول المحاكمات الحقوقية وأصول المحاكمات الجزائية.

ولكن مذهب مالك كان هو السائد بين الشعب، وعليه تدور أحكام الناس فيما بين بعضهم والبعض الآخر، ويتسم فقه مالك بالمرونة وبروح تقدمية تسير كل عصر، وتتمشى مع أحدث النظريات القانونية؛ ومدونة مالك الفقهية موسوعة ضخمة في الفقه، وكانت تحمل على بعير، ووجدها بعض القضاة عام ١٩٣٥ في بلدة «أوباري» بفزان تملأ خزانة كبيرة ومكتوبة

على صحف من جلد الغزال.

ومن الفقهاء المالكيين القدامى الإمام المازرى أحد شراح مختصر خليل ابن إسحاق وهو من بلدة مازرة بسيشليا في إيطاليا؛ وقد أخذ الفقه اللاتيني من مذهب مالك كثيراً من النظريات حتى في مواد الأحوال الشخصية.

الفصل الثاني

أشهر العلماء والأدباء في هذا العصر

نبغ في العلم والأدب الكثير من العلماء والأدباء في هذا العصر الذي امتدنا نحواً من أربعة قرون:

نذكر منهم ما يلي:

- ١ - أبو بكر الطرابلسي (١١٨٠ هـ) من العلماء والزاهدين والصالحين^(١).
- ٢ - أبو تركية المصراقي (١١٠٣ هـ) عالم زاهد ورع^(٢).
- ٣ - أبو القاسم المصراقي العالم الأمثل (١٠٦٦ هـ) من المحدثين وشارك في فنون من المعقول والمسموع^(٣).
- ٤ - أحمد الطرابلسي المحدث (١٢٥٤ هـ)^(٤).
- ٥ - أحمد شامل الطرابلسي شيخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف ومن العلماء الأماثل (١٢١٥ هـ)^(٥).
- ٦ - أحمد بن سالم (١٢٧٢ هـ) كان على جانب كبير من العلم وتولى التدريس بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر^(٦).
- ٧ - أحمد الأنصاري العلامة الفقيه المؤرخ، وكان شاعراً مجيداً حسن

(١) ٢٠ و ٢١ أعلام ليبيا.

(٢) ٢١ المرجع.

(٣) ٢٦ المرجع.

(٤) ٢٩ المرجع.

(٥) ٣٢ و ١٣٢ المرجع و ٥٥ المنهل العذب، ١٥٦ تفحات النسرير والريحان.

(٦) ٣٣ أعلام.

الطريقة في الشعر، ومن شعره قصيدة يستنجد الخليفة العثماني على
الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس سنة ١٤٤٠ هـ ومنها:

يا واحدا ما في البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتكفل
إننا لنرجو منك أخذ الثأر من شعب الفرنسيين اللثيم الأردل^(١)
وسنذكره في الشعراء فيما يلي ذلك.

٨ - أحمد بن الرحمن الطرابلسي (١١٥٥ هـ) عالم جليل محدث مشارك في
جميع العلوم، ولي قضاء طرابلس بعد والده^(٢).

٩ - أحمد بن عبد العزيز الطرابلسي ولي القضاء بطرابلس وتوفي عام
١٠٢٢ هـ^(٣).

١٠ - أحمد بن عبد المحسن ولي بعد والده القضاء بزيطن وولاه أحمد باشا
الفتيا في ٢٦ من المحرم عام ١١٤٢ هـ وكان عالماً جليلاً، درس بزاوية
عبد السلام الأسمر وتوفي في ٢٨ من المحرم ١١٤٧ هـ^(٤).

١١ - أحمد بن علي العالم المشهور والفقيه المحدث (١١٩٠ هـ)^(٥).

١٢ - أحمد الغرياني (١٠١٤ - ١١٠٨ هـ) تولى الإفتاء بطرابلس في عهد
عثمان باشا حاكم طرابلس^(٦).

١٣ - أحمد اليربوعي^(٧) من الفضلاء وأعلام الأدباء في طرابلس، تولى القضاء
فيها بعد والده، أثنى عليه العياشي الرحالة، وتوفي عام ١٠٧١ هـ.

١٤ - أحمد الطرابلسي (١١٣٠ هـ) عالم زاهد عابد^(٨).

(١) ٣٦ و ٣٧ أعلام ليبيا.

(٢) ٣٨ المرجع.

(٣) ٣٩ المرجع.

(٤) ٤١ المرجع.

(٥) ٤٢ المرجع.

(٦) ٤٣ المرجع.

(٧) ٤٣ و ٤٤ المرجع.

(٨) ٤٤ المرجع.

١٥ - أحمد بن محمد بن سالم (١٢٤٢ - ١٣١٥ هـ) علامة جليل، تولى قضاء زليتن^(١).

١٦ - أبو العباس أحمد بن محمد الطرابلسي (١٠٦٢ هـ) عالم عابد ورع^(٢).

١٧ - أحمد بن يوسف (١٢٩٤ هـ) كان من تلاميذ الإمام السنوسي وعلى جانب كبير من العلم، وهو جد السيد إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية لأمه^(٣).

١٨ - أحمد المقرحي (١٢٦٣ هـ) توفي بالبيضاء ودفن بمقبرة الإمام رويغ الأنصاري وكان من أعيان العلماء وفضلائهم، تولى الإفتاء بالزاوية واتصل بالإمام السنوسي في طرابلس عام ١٢٥٧ هـ، وصحبه وانتقل معه إلى برقة وصار من خواص أصحابه^(٤).

١٩ - أحمد المسكني (١٠٤٢ - ١١٠١ هـ)^(٥)، كان في مقدمة العلماء الطرابلسيين في زمنه وتولى الإفتاء في طرابلس، وأثنى عليه الرحالة العياشي، وذكر أن من مؤلفاته «شكر المنة في نصر السنة»^(٦)، وهو في الرد على الإباضية كما ذكره مؤلف كتاب «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» لبشير ظافر.

٢٠ - حسين الأنصاري (١٢٢٣ - ١٢٩٨ هـ) تلقى العلوم في طرابلس ثم تونس ومصر، وصار من مشهوري العلماء في عصره، وتمكن من فقه الإمام الأعظم، وأصبح من فحول العلماء، مع تصرف في شتى العلوم

(١) ٤٥ و ٤٦ المرجع.

(٢) ٤٧ أعلام ليبيا.

(٣) ٥٤ المرجع.

(٤) ٨٠ المرجع.

(٥) ٨٠ و ٨١ المرجع، ٢٧٤ تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ١: ٢٧٩ المنهل العذب، ص ١٣٢ و ١٣٣ من كتاب نفحات النسرین والريحان.

(٦) ٨١ أعلام ليبيا، وراجع هامش ص ١٦٦ من هذا الجزء.

والفنون، ومن مؤلفاته: «إرشاد السالكين ونصرة الذاكرين، في التصوف»^(١).

٢١ - داود أفندي ابن أسعد (١٢٨٣ هـ: ١٨٦٦ م) - ١٢٣٦ هـ: ١٩١٧ م، كان يجيد الكثير من اللغات الشرقية والغربية، فأتقن الفارسية والتركية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، كما كان يجيد العربية لغة قومه، وكان عالماً بحاتاً مفكراً، أصدر عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م مجلة الفنون نصف شهرية، وسافر إلى الأستانة والتحق بوظيفة في نظارة المعارف هناك، ثم عين مديراً للمعارف في ولاية (أزمير)، وبعد الانقلاب الاتحادي في تركيا عام ١٩٠٨ رجع إلى طرابلس وظل فيها حتى توفي عام ١٩١٧، وبحوثه في مجلة الفنون تمتاز بالطرافة والجدة^(٢).

٢٢ - سالم بن عبد الحفيظ (١١٧٦ - ١٢٤١ هـ) من العلماء الأجلاء وتولى التدريس في زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر^(٣).

٢٣ - سالم بن أحمد (١١٥٨ هـ) كان على جانب كبير من العلم، وعاصر أحمد باشا القره مانلى^(٤).

٢٤ - الطاهر الرمشتي من علماء الزاوية وتولى الإفتاء بها عام ١٢٨٧ هـ^(٥).

٢٥ - عبد الحفيظين محمد (١٢٣٣ - ١٣١٥ هـ) من مشهورى العلماء وكبار الأساتذة في عصره^(٦).

٢٦ - عبد الحميد البشتي من العلماء والمدرسين وتوفى نحو عام ١٣٩٠ هـ.

٢٧ - عبد الرحمن الطرابلسي، علامة فقيه تقى ورع، وله منظومة عارض منظومة البوصيرى الهمزية وتوفى نحو عام ١٣٢٤ هـ^(٧).

(١) ١٠٠ و ١٠١ المرجع، وراجع ترجمته في ١٤ - ١٧ مقدمة كتاب «نفحات النسرين والريحان» لأحمد النائب. والمقدمة بقلم المصراقي.

(٢) ١٠٧ - ١٠٩ أعلام ليبيا، وكتاب «صحافة ليبيا» للمصراقي.

(٣) ١٢١ أعلام ليبيا.

(٤) ١٢٢ المرجع.

(٥) ١٣٩ المرجع.

(٦) ١٥٣ و ١٥٤ أعلام ليبيا.

(٧) ١٦٠ المرجع.

- ٢٨ - عبد السلام التاجوري، برع في علم الشريعة وعلوم التصوف وله تأليف منها «فتح العليم». و«تذيل المعيار»، وتوفي عام ١١٣٩ هـ^(١).
- ٢٩ - عبد القادر بن عبد السلام (١٢٢٣ - ١٢٩٧ هـ) عالم جليل، وصوفي ورع، امتدحه العلماء بالقصائد البليغة^(٢).
- ٣٠ - عبد القادر المقرحي من العلماء في القرن الثالث عشر الهجري، وكان عالماً فاضلاً ذا وجهة وجاه، وتولى قضاء الزاوية نحو عشر سنوات^(٣).
- ٣١ - عبدالله بن غليون (١١١٠ هـ) عالم فاضل من مصراته^(٤).
- ٣٢ - عبدالله الأسمر (١٠٨٨ هـ) علامة صوفي فاضل، له تلاميذ كثير، ورسائل في الذكر والتصوف والوعظ^(٥).
- ٣٣ - عبدالله المصراقي (١٨٣٨ - ١٩١٨) كان من علماء الأزهر المشار إليهم في العلم والفضل^(٦).
- ٣٤ - علي بن أحمد، رحل عام ١٣١٥ إلى الأزهر لطلب العلم، وعاد إلى طرابلس ١٣٢٢ هـ، وتولى التدريس بجامعة أحمد باشا^(٧).
- ٣٥ - علي بن عبد الصادق، عالم فقيه فاضل ومؤدب مؤلف، وله منظومة في عيوب النفس (توفي عام ١١٣٨ هـ)^(٨).
- ٣٦ - علي بن عبد اللطيف (١٢٦٨ - ١٣٢٧) من العلماء الفضلاء، وكان يشارك في جميع العلوم. وله منظومة في علمي الأصول والتصوف سماها «الدرر الحسان»^(٩).

(١) ١٧٤ أعلام ليبيا.

(٢) ١٨١ المرجع.

(٣) ١٨٤ المرجع.

(٤) ١٨٨ المرجع.

(٥) ١٩٤ المرجع.

(٦) ١٩٥ أعلام ليبيا.

(٧) ٢٠٩ و ٢١٠ المرجع.

(٨) ٢٠٥ و ٢٠٦ المرجع.

(٩) ٢١٠ أعلام ليبيا.

- ٣٧ - علي بن كريمة من علماء الزاوية المبرزين توفي عام ١٣٢٨ هـ^(١).
- ٣٨ - عمر المسلاقي (١٨٤٨ - ١٩٢٣ هـ) درس في الأزهر وعاد ليعمل في التدريس، وصار قاضياً في محكمة الاستئناف بمدينة طرابلس، ثم عين عام ١٩١٣ مفتياً لمدينة طرابلس، ورأس جمعية الجامعة العثمانية في طرابلس^(٢).
- ٣٩ - محمد الأثرم (١١٤٥ - ١٢٠١ هـ) من العلماء الزاهدين^(٣).
- ٤٠ - محمد بن أحمد بن الإمام الطرابلسي (١٠٨٣ هـ) من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء^(٤).
- ٤١ - محمد عlish الطرابلسي شيخ المالكية بالأزهر (١٢٩٩ هـ) وله مؤلفات كثيرة^(٥).
- ٤٢ - محمد بن أحمد بن مساهل (١٠٧٧ هـ) تولى الإفتاء بطرابلس^(٦).
- ٤٣ - محمد الورفلي (١٣٤١ هـ) رحل إلى الأزهر وعاد عام ١٣١٧ إلى طرابلس وتولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر وتخرج عليه الكثير من طلاب العلم^(٧).
- ٤٤ - محمد بن الأمين (١٢٦١ - ١٣٢٤ هـ) تولى الإفتاء في مدينة الخمس^(٨).
- ٤٥ - محمد بن شعبان الطرابلسي، ناظر علماء استانبول عام ١٠١٦، وأسند إليه قضاء طرابلس والإفتاء والتدريس بها^(٩) وتوفي عام ١٠٢٠ هـ.
- ٤٦ - محمد بن عبد الحفيظ تولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر وتوفي ١٢٣٤ هـ^(١٠).

(١) ٢١٣ و ٢١٤ المرجع.

(٢) ٢٢٩ و ٢٣٠ المرجع.

(٣) ٢٥٩ المرجع، ١٤٥ نفحات النسرين والريحان.

(٤) ٢٦١ أعلام ليبيا.

(٥) ٢٦٢ المرجع.

(٦) ٢٦٣ المرجع.

(٧) ٢٦٥ و ٢٦٦ أعلام ليبيا.

(٨) ٢٦٧ أعلام ليبيا.

(٩) ٢٧٦ المرجع، ١: ٢٤١ المنهل العذب.

(١٠) ٢٧٦ أعلام ليبيا.

- ٤٧ - محمد التاجورى فقيه محدث انتفع به خلق كثير توفى عام ١١٧٩هـ^(١).
- ٤٨ - محمد بن عبد الرحمن بن قنونس عالم فاضل ومؤلف محقق (١١٨٠ - ١٢٥١ هـ) وله منظومة في الفلك ومنظومات أخرى في علوم شتى^(٢).
- ٤٩ - محمد بن عبد الرزاق (١٢٣٦ - ١٣١٠ هـ) شيخ الأساتذة والعلماء والمفتين بمدينة الزاوية^(٣).
- ٥٠ - محمد بن عبد الكريم الطرابلسي (١٢٣٢ هـ) تولى قضاء طرابلس بعد والده^(٤).
- ٥١ - محمد بن علي الغرياني الطرابلسي (١١٩٥ هـ) من كبار العلماء والمؤلفين^(٥).
- ٥٢ - محمد المدني عالم عارف بالله، سافر إلى الأستانة ونال حظوة كبيرة عند السلطان عبد الحميد، وتوفى بها عام ١٣٢٥ هـ^(٦).
- ٥٣ - محمد بن محمد بن عمران بن عبد السلام الأسمر من جلة الفقهاء توفى عام ١٠٨٨ هـ^(٧).
- ٥٤ - محمد بن محمد الفطيسي (١٢١٠ هـ) فقيه عالم جليل مؤلف، نظم في الفقه منظومة ثم شرحها في مجلدين، وله منظومة في التوحيد وأخرى في النحر^(٨).
- ٥٥ - محمد بن محمد المكفي (١٠٨٥ هـ) عالم فاضل من بيت علم^(٩).
- ٥٦ - محمد بن مصطفى الماعزى (١١٦٧ هـ) من أمثال العلماء وزهادهم^(١٠).

(١) ٢٧٧ المرجع.
 (٢) ٢٧٧ و ٢٧٨ المرجع.
 (٣) ٢٧٨ و ٢٧٩ المرجع.
 (٤) ٢٨٠ و ٢٨١ المرجع.
 (٥) ٢٩١ المرجع.
 (٦) ٢٩١ و ٢٩٢ المرجع.
 (٧) ٢٩٥ أعلام ليبيا.
 (٨) ٢٩٥ و ٢٩٦ المرجع.
 (٩) ٢٩٦ المرجع.
 (١٠) ٢٩٧ المرجع.

٥٧ - محمد بن منيع عالم جليل علامة، شغل بالتدريس سنين طويلة، وبذل في مساعدة طلاب العلم الكثير من ماله وجهده، وكان موضع الإجلال والتقدير، وكسب شهرة كبيرة في إقليم طرابلس، وكذلك كان على جانب كبير من العلم والتقوى، وله قصيدة همزية عارض بها همزية البوصيري في مدح الرسول، وتوفي بعد عام ١٣٣٠هـ^(١).

٥٨ - محمد البوراوي من أحفاد عبد السلام الأسمر، كان فقيهاً فاضلاً توفي عام ١٠٧٨هـ^(٢).

٥٩ - محمد الأزهرى - أخذ عن محمد بن منيع، وكان يضرب بعلمه المثل، وسماه الإمام السنوسي (الأزهرى) وإن كان لم يذهب إلى الأزهر، توفي عام ١٣١٥هـ^(٣).

٦٠ - محمد الشريف بن محمد السنوسي (١٣٦٢ - ١٣١٣ هـ) كان له مشاركة في جمع العلوم^(٤).

٦١ - محمد العربى (١١٤٣ هـ) عالم شاعر^(٥).

٦٢ - محمد كامل بن مصطفى (١٢٤٤ - ١٢١٥ هـ) درس في الأزهر، ورجع إلى طرابلس عام ١٢٧٠ هـ، وأخذ يعمل في نشر العلم وفي التدريس، وله على البيضاوى حواش كثيرة، وله كذلك كتاب الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية طبع عام ١٣١٣ هـ في مجلد وهي تجرى على مذهب أبى حنيفة، وله حواش على السعد لم تطبع، وكان يقال له سيويه زمانه، وتولى الإفتاء في طرابلس (١٣١١ - ١٣١٥ هـ) وتخرج عليه جيل من رجالات ليبيا وأدبائها^(٦).

(١) ٣٠٦ المرجع.

(٢) ٣٠٧ المرجع.

(٣) ٣٠٨ المرجع.

(٤) ٣١٧ و ٣١٨ أعلام ليبيا.

(٥) ١٤٨ نفحات النسرین والريحان.

(٦) ٣٢٥ - ٣٢٦ أعلام ليبيا.

- ٦٣ - محمد المكى (١٠٦٥ هـ) كان من أشهر علماء ساحل طرابلس^(١).
- ٦٤ - مصطفى الكاتب (١٢١٣ هـ) مصري الأصل، طرابلسي المولد والمنشأ والوفاة، عالم أديب، كان على جانب كبير من العلم والذكاء، وله كتاب «المسائل المهمة والفوائد الجمة فيما يطلبه المرء لما أهمه» وكان كاتباً لعلى باشا القره مانلى ولذلك لقب الكاتب، وقربه إليه، وحظى عنده، وأسس المسجد والكتاب والمدرسة المعروفان باسمه^(٢).
- ٦٥ - مفتاح بن عبدالله (١٢٦٦ - ١٣٥٢ هـ) طلب العلم فى الأزهر وتولى القضاء بزلتين وله فتاوى لم تطبع^(٣).
- ٦٦ - مصطفى باكير (١١٨٩ هـ)^(٤).

(١) ٣٢٦ و ٣٢٧ المرجع.

(٢) ٣٤٣ و ٣٤٤ المرجع، ص ٣٥ - ٤١ كتاب لمحات أدبية عن ليبيا للمصطفى. وكتاب الكاتب مخطوط ألفه عام ١٢٠٧ هـ ويقع فى ٣٦٨ صفحة مخطوطة.

(٣) ٣٤٥ المرجع.

(٤) ١٥٥ نفعات النسرین والريحان.

الفصل الثالث

الأدب العربى فى هذا العصر

- ١ -

مع سيادة اللغة التركية فى عصر العثمانيين واتخاذها لغة رسمية للدواوين وفى شئون السياسة، إلا أن اللغة العربية بسطت نفوذها وسلطانها الفعلى على جميع أنحاء ليبيا، بتأثير عناية الشعب الليبى بها لأنها لغة الدين والقرآن ولغة التراث الإسلامى المجيد، وتنافس أثرياء الشعب فى إنشاء المدراس والكتاتيب والمساجد، وشجعوا العلم والعلماء وأخلص العلماء والأدباء لرسالتهم الأدبية والعربية إخلاصاً شديداً، وقد اتخذت أسرة القره مانلى العربية لغة رسمية أيام حكمهم، وتعددت حلقات العلم ومجالس الأدب، وكلها تؤكد سيادة العربية ونفوذها الروحى واللغوى.

ومع فقدان الكثير من الآثار الأدبية والشعرية فى هذا العصر، إلا أننا نستتج مما بقى فى أيدينا من كتب ومن آثار أن العربية قويت فى هذا العصر، واستمرت فى نهضتها، وأنها لم تعقها العوائق دون بلوغ غايتها.

ووجد جيل من العلماء أثرى بهم العلم والأدب، ومنهم: أحمد بن عبد المحسن (١١٤٧ هـ)، وأحمد اليربوعى (١٠٧١ هـ) وكان من أعلام الفضلاء والأدباء فى طرابلس، وأحمد المكنى (١١٠١ هـ)، وحسين الأنصارى، ومحمد ابن خليل غلبون المؤرخ المشهور، وكتابه «التذكار فىمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار» مشهور وقد ألفه نحو عام ١٧٣١ - ١٧٣٢ م، وعمر المسلاق (١٨٤٨ - ١٩٢٣ م)، ومحمد بن منيع (١٣٣٠ م) ومحمد الأزهرى

(١٣١٥ هـ)، ومحمد كامل (١٣١٥ هـ) ومصطفى الكاتب (١٢١٣ هـ)، وغيرهم كثيرون، ممن سبق ذكرهم.

ونفض الشعر نهضة كبيرة، ومع ظهور آثار الضعف عند بعض الشعراء، فقد كان البعض الآخر يمثل شعره القوة والرصانة والجمال والطبع، لقوة ممارستهم للعلوم العربية والأدبية، ولتعدد ثقافتهم ورحلاتهم في طلب العلم والأدب إلى الأزهر وإلى الزيتونة في تونس وإلى مختلف المدن الليبية، وإلى استنبول كذلك عاصمة الخلافة العثمانية.

وإذا كان أحمد الفقيه حسن الشاعر يقول:

خاله سلطان حسن فوق كرسى الخد تاه

فيأتي بهذه الاستعارة الغريبة القبيحة، التي تشبه ماء الملام فإن شاعراً مثل مصطفى زكري يقول:

انظر إلى ورد الخدود وحوله آس العوارض أخضرا مسبوتا
ترآتين ومن عجائب ما ترى شجر الزبرجد اثمر الياقوتا
ويقول محمد بن مقل:

لقد لاح في أفق الذكاء ذكاء به انجاب عن وجه العويس غطاء

وإذا وجدنا التكلف والتصنع والتعقيد في شعر محمد بن منصور مثلاً نجد الطبع والموهبة والركة في شعر البهلول وزكري وغيرهما، وإذا وجدنا الإغراب في شعر ابن شتوان وتكلف البديع في شعر عبد الكريم الطرابلسي فإننا نجد الرقة والعدوية كذلك في شعر عديد من الشعراء في ذلك العصر.

ويصور الأستاذ على مصطفى المصاوتي الحياة الأدبية في ليبيا في القرن التاسع عشر في مقدمة ديوان أحمد الشارف الذي نشره في بيروت. فيقول: «سرت في مجالس أدباء طرابلس في القرن التاسع عشر ألوان من حديث المسامرات، وفنون من شعر المعارضات، وأدب الرواية والحفظ، ألوان وأنماط

تدور حول تقليد الشعر القديم ومحاكاته، وأقبل المتسبون للعلم على حفظ شعر الفحول، أو المشاهير من شعراء المتقدمين، وطرائف الأدب، يرونها في فصل من الأغاني، أو في المستطرف والمخللة والعقد الفريد ويرون أن طريق التكوين الأدبي هي في الإقبال على الأمهات من مثل الأماشي، والعقد الفريد، والبيان والتبيين.

ورغم ندرة الكتب وعدم انتشار المطبوعات، إلا أن بيوتات السراة الوجهاء كانوا يقبلون على افتاء الكتب، ويتوارثون خزانة في الحائط، أو صندوقاً مليئاً بالكتب الفقهية والأدبية وقواميس اللغة وشروحها، وكانت ظاهرة من ظواهر المجتمع في طرابلس أن يشجع السراة الأدب في شكل ندوات تعقد في «المراييع» الملحقة بالبيوت، وكانت متنفساً لمواهب في الأدب والموسيقى والأدب الصوفي أيضاً، وبيوتات العلم كانت تتوارث القضاء والإفتاء، ولديها في بيوتها طاقة محفورة في الحائط مليئة بالكتب، أمثال مقامات الحريري وقاموس الفيروزابادي وكتب الجاحظ وبعض دواوين الشعر وكتب الفقه ومخطوطات في كل علم.

وقد تركت الزوايا الدينية أثراً ملموساً في البلاد، فانتشرت الدراسة بالمعاهد العلمية، أمثال: المعهد الأسمرى بزلتين، وزاوية أحمد زروق بمصراتة، وزاوية الدوكالي بمسلاته، وكلية أحمد باشا القره مانلي، وكلية عثمان باشا، بمدينة طرابلس، وهناك الطلاب الذين درسوا في الجغبوب والزوايا السنوسية، التي أدت دوراً هاماً في المحيط العلمي والأدبي وحفظ اللغة؛ وغير ذلك من معاهد ومدارس كانت ملحقة بالمساجد، فيها ظلال من العلم، وأنماط من الأدب، وبها مكتبات لا تخلو من كتب قيمة؛ وحيث تنشأ الدراسة العلمية يتكون بجانبها الأدب والشعر، كان هناك شغف بالأدب وقرض الشعر، أشبه ما يكون بالتقليد والاجترار، إلا من عصمته ملكته وأنقذته همته، وثابر على المطالعة والرواية...

ولم تكن هناك مجلات أدبية، الثقافة كانت ذات دائرة ضيقة، والتعليم لطبقات الشعب لم يكن متسعاً، هناك حلقات ترسل ضوءاً لا يكشف معالم

الطريق، كان المتنبي في نظر المثقفين سيد الشعراء، وأبو العلاء زنديقاً، وعنزة سيد شعراء الحماسة، وأبو تمام بديوانه وحماسه مدرسة شعرية؛ وديوان عمر بن الفارض وأحمد البهلول الطرابلسي يلقيان عند عشاق الأدب والشعر إقبالاً شديداً، وكان الجاحظ ثروة.

ثم جاءت نهضة شعرية جديدة وافدة من المشرق، فحدث التجديد، من أمثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي والكاظمي وعبد المطلب؛ وبقيت مع هذا مجالات الشعر في ليبيا تسير في ركب المحافظة والمعارضة والتقليد والمحاكاة، إلا بصيصاً من نور يرسله أمثال مصطفى بن زكري، وسليمان الباروني، وأحمد الزدام، والأزمري، وابن شتوان، ومن هذه المدرسة التي حاولت التجديد أو التأثر بالجديد في إطار المحافظة أحمد الشارف (١٨٦٤ - ١٨٥٩ م)^(١).

وقد نبغ في الشعر الكثير من أعلام الشعراء الذين سوف نذكر منهم طائفة نبغوا في هذا العصر وذاعت شهرتهم فيه.

(١) راجع ١٣ - ٢١ ديوان أحمد الشارف، حيث لخصت كلام الأستاذ المصراقي.

الفصل الرابع

أشهر الشعراء في هذا العصر

في هذا العصر الكبير ظهر العديد من الشعراء الذين طار صيتهم وذاع ذكرهم.

ونذكر منهم هؤلاء الأعلام:

١ - أحمد بن عبد الدائم الأنصاري

سبق ذكره في العلماء والأدباء، كان علامة مؤرخاً فقيهاً، وكان حافظاً للتواريخ الإسلامية والأخبار الملوكية، ملماً بكثير من العلوم.

وكان شاعراً مجيداً حسن الطريقة في شعره، ومنه قصيدة يستنجد فيها بالخليفة العثماني ليأخذ بالشار من الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس سنة ١١٤٠ هـ، ومنها قوله:

يا واحدا ما في البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتكلل
إننا لنرجو منك أخذ الشار من شعب الفرنسيس اللثيم الأرذل

وهو الذي نظم القصيدة المشهورة التي أنشأها في الرد على العبدري المغربي الرحالة، وكان قد ذم في رحلته طرابلس وأهلها^(١)، فرد عليه الأنصاري بقصيدة طويلة مدح فيها طرابلس وأهلها، وشرحها ابن غلبون

(١) ابتداء العبدري رحلته عام ٦٨٨ هـ، واجتمع بقاضي طرابلس محمد عبد الله بن عبد السيد ووقعت بينهما مناقشات فلمه العبدري وذم طرابلس.

شرحاً مطولاً سماه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان فيها من أخبار». وصار هذا الشرح تاريخاً من تواريخ طرابلس الغرب التي يعتمد عليها، مما دل على وطنيته وعلمه وأدبه^(١).

ويرجح محمد مرش^(٢) أن قصيدة الأنصاري ليست في الرد على العبدري، بل على شخص معاصر للشاعر بدليل أن الشاعر خاطبه بقوله في آخر القصيدة:

فجاءتك يا شرقي تسعى فراعها وكن منصفاً ثم اجن من ثمراتها
وقال له كذلك:

فتب وانتصح لله إن كنت عارفاً ودع سوء ما أبديته من صفاتها
فلا تهج أما للشغور حنونة كفاهها مديحاً عدكم هفواتها
وتقع قصيدة^(٣) ابن عبد الدائم في تسعة وعشرين بيتاً وتدل على طول باعه في الأدب والشعر وهي من الشعر الرصين الذي يدل على تضلع صاحبه ونبوغه، واستهلها بقوله:

أرى زمناً قد جاء يقتنص المها بلا جارح، والأسد في فلواتها
رأى القبض مبيضاً بمزيلة الحمى فقال كفاني إنه من صفاتها
ثم مدح طرابلس وأهلها في نحو أربعة عشر بيتاً منها:

طرابلس لا نقبل الذم إنها لها حسنات جاوزت سيئاتها
ومدح الملك أحمد باشا القره مانلي^(٤) (١٧١١ - ١٧٤٥) فيقول:

(١) ٣٦ و ٣٧ أعلام ليبيا للزاوي.

(٢) ص ٣١ و ٣٢ مجلة القلم الجديد - عدد تموز ١٩٥٣.

(٣) راجع القصيدة الكاملة في ص ٦٠ و ٦١ من كتاب «نفحات السرير والريحان» لأحمد التائب.

(٤) ينتمي إلى بلدة قرمانيا في جنوبي هضبة الأناضول في سبيا الصغرى، فهو تركي الأصل، جاء جده مصطفى إلى طرابلس يعمل بحاراً في الأسطول التركي أيام طرغود باشا الذي كان يرغب في استيطان الأتراك في ليبيا، واستقر مصطفى في طرابلس وتزوج من امرأة عربية من الليبيين.

بها ملك يندى من السحب راحة وأرأف بالأغراب من والداتها
لهامة تعلو لتأييد سنة بحفظ مبانيتها وجمع روايتها
وفي المنهل العذب نص للشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري يذكر فيه
سبب هجرة الشيخ محمد، بن سعيد الهبري^(١) (١٠٩٣ هـ) إلى طرابلس
ولإقامته فيها^(٢)، وكان الشيخ الهبري من مدينة مستغانم بالجزائر^(٣).

٢ - العياشي الرحالة

قال الرحالة أبو سالم العياشي في رحلته يمدح الشيخ محمد بن أحمد بن
مساهل:

عليك سلام الله ممن غدت لكم عليه أباد في الفصول الأوائل
بنورك يستهدي إذا الأرض أظلمت على أهلها بالجهل أهل السواحل
فكم قد أنلت العرف سائله وكم مننت بلا سؤل وجدت بنائل^(٤)

٣ - على الأوجلي

من شعراء ذلك العهد وأدبائه، هاجر إلى حلب وأقام فيها عام
١٠٤٠ هـ، واجتمع بعلمائها وأدبائها وشعرائها، ومدحه الشعراء بقصائد
طويلة.

وله شعر جميل، وكان ينظمه في الحنين إلى أوجلة مسقط رأسه ومنتجع
شبابه، ومترع أحبابه، خمس بيتين للقرطبي فقال:

بشمعة كافور من الجيد قد أضت ليال بريعان الشباب قد انقضت

(١) ٢٦٨ : المنهل العذب.

(٢) ٢٦٩ : المرجع.

(٣) راجع ترجمته في ص ١٣٠ - ١٣١ نفعات السرين والريحان لأحمد النائب والهبري كما يذكر
المؤلف توفي عام ١٠٩٣ هـ : ١٦٨٢ م.

(٤) ٢٥٨ : المنهل العذب.

فلو قيل ما يبكيك قلت كما قضت وليال وأيام تقضت وقد مضت
فسالت لنا من ذكرهن دموع^(١)

٤ - أحمد بن عروس

يقول من شعر له :

ما غرها؟ غرها البين وأهل العقول استراحوا
ما دفنت؟ من سلاطين وسياسان بالجير طاحوا
أين الذي قبلنا أين لعبت عليهم وراحوا^(٢)

٥ - محمد بن مقبل الكبير

١٠٥٤ - ١١٠١ هـ

درس في طرابلس وهي مولده ومنشأه، وتولى الإفتاء بها بعد الشيخ
أحمد المكنى، وكان من المبرزين في العربية وفقه مالك.

واشتهر بالذكاء والفصاحة وجودة الشعر وسلاسة النثر، ومن شعره يمدح
الأستاذ محمد الإمام لما قدم إلى مدينة طرابلس:

لقد لاح في أفق الذكاء ذكاء به انجاب عن وجه العويس غطاء
وما هو إلا الأوحـد الجهبذ الذي عليه بمضمار الفحول لواء
إمام همـام قد علا منبر العلا فأفحم من تبيانـه البلغاء
هو البارـع البحر الإمام محمد إمام له بابن الإمام جلاء
إليه مقاليد البلاغة سلمت فحق لها فخر به وعلاء^(٣)

٦ - محمد العربي

عالم أديب شاعر، ولد ونشأ بطرابلس وأخذ عن شيوخ عصره، وكان
واسع الاطلاع في الأدب، له ذوق عال في الشعر.

(١) ٢٠٣ و ٢٠٤ أعلام ليبيا، ٢ : ١٢٨ المنهل العذب.

(٢) ١ : ٣٤٠ المنهل العذب.

(٣) ٢٢٩ أعلام ليبيا ١ : ٢٧٧ - ٢٧٩ المنهل العذب، ١٣٣ نفعات النسرین والريحان.

رحل إلى مصر في طلب العلم، وعاد إلى طرابلس وجلس للتدريس،
فاشتهر بفضله وعلمه بين الناس، وتوفي عام ١١٤٣ هـ.

ومن شعره:

الأهل ترى العين الألى قبل ودعوا	وهل سيل أجفاني التارق والهمع
وهل تبلغ النفس الأمانى برهة	وهل يسرج الاحلاك من ليلنا شمع
أو الموت أدنى من لبانة قاصد	يسامره جنح الدجى الشعر والدمع
بلى إن دهرى والع بتبددى	إلى الله أشكو من زمان به ولع
فمالي وللأفراح من بعد جيرة	تقضى بهم رشدى وأعوزنى الجمع
لقد سثمت نفسى الحياة وطولها	تساوى لدى القبر والسوق والربع ^(١)

٧ - أحمد البهلول^(٢)

أديب نحوى فقيه محدث، وشاعر أديب مشهور، ولد بطرابلس وتعلم
فيها، وفي القاهرة، حيث رحل إليها، وصار بين أهل طرابلس في شهرة ابن
الفارض الأدبية والصوفية والشعرية.

ومن شعره الصوفى تخميسه على «القصيدة العياضية» الذى سار بذكره
الركبان، وذاع بين الشعب الليبي ذيوماً كبيراً، وصار يتلى في المساجد في
المولد النبوى الشريف؛ وقد أبدع البهلول في هذا التخميس إبداعاً فاق به
الأصل، والقصيدة في مدح الرسول هى طويلة وأولها:

أحبة قلبى عللونى بنظرة فدائى جفاكم والوصال دوائى

(١) ٢٨٥ أعلام ليبيا وراجع ترجمته وشعره له في المنهل العذب (١. ٣٠٧ - ٣١٠)، ص ١٤٨
نفحات النسرین والريحان.

(٢) ٥٥ - ٥٧ أعلام ليبيا، وفي ١٥ - ٢٤ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراق بحث مطول عنوانه
«هل ذاق أحمد البهلول طعم الحب»، وترجم له كذلك المصراق في كتابه، «أعلام من
طرابلس» وراجع عنه ١: ٢٨٨ - ٢٩١ المنهل العذب، وص ١٣٦ - ١٣٨ نفحات النسرین
والريحان لأحمد النائب.

وقد خمس البهلول هذا البيت فقال:

أذوب اشتياقاً والفؤاد بحسرة وفي طي أحشائي توقد جمره

متى يرجع الأحباب من طول سفره

أحبة قلبي عللون بنظرة فدائي جفاكم والوصال دوائي

وقد نشر الأستاذ الشيخ طاهر الزاوي هذا التخميس وقدم له.

وللبهلول رسائل في الأدب دلت على علو كعبه، وله نظم لمتن العزبة في
فقه الإمام مالك، وله المقامات الثورية على نمط مقامات الحريري، ومنظومة
في العقائد سماها «درة العقائد» في سبعين بيتاً، وله منظومة المعينة في فقه أبي
حنيفة، وكان مهتماً مبجلاً من الجميع؛ توفي ليلة السبت الثاني من رجب عام
١١١٣ هـ^(١).

ومدح الرسول بديوان كامل طبع في القاهرة واستانبول، ويقول
المصراقي فيه: كان البهلول أديباً شاعراً فليس في ديوانه خفقات قلب ويران
عجب، ونجد فيه ظلال الحب الصادق العفيف^(٢).

وفي طرابلس الجميلة الخالدة يقول الشاعر أحمد بن يحيى من قدماء
الشعراء في طرابلس:

لقد طال شوقي إلى فتية حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي على الشوق إلا دموع الحبس^(٣)

ويقول أحمد البهلول رحمه الله - أيام ان كان مجاوراً بالجامع الأزهر - في

(١) ٥٧ أعلام لييا، وص ١٢٦ نضجات السرير والريحان.

(٢) ٢٤ لمحات أدبية عن لييا.

(٣) ١ : ٢٠ المنهل العذب - نشر الفرغاني.

الحنين إلى طرابلس وفي وصفها^(١):

طرابلس الغرا ترى لى عودة
سقا الجانب الشرقى منك سحابة
بلاد لها بالخلد آية شبيهة
ترى سوحها من فضة فإذا اكتست
وفي كل حول حولها حلة حلت
وفيهما نخيل باسقات إذا الصبا
وفيهما من الأشجار ما جل وصفه
فيا حبذا ثغر له النصر خدام
أمثل شوقا شكلها في ضائرى
بديعة حسن زادهما الله بهجة
لقد أعجزت أوصافها كل معرب
وكيف بدار قد حوت كل رقعة

إليك، وهل يدنو الذى كان قد ذهب
ولا زال فيك من رياح الصبا يهب
فمنها نبات الزعفران، كذا العنب
بشمس الضحى أضحت لجينتها ذهب
برؤيتها خضراء من سندس القصب
تهب عليها أسقطت يانع الرطب
بأوراقها الورقاء غنت من الطرب
ويا حبذا عين بها الماء قد عذب
فيسقط دمعى الشكل من شدة التعب
وآمن أهلها من الخوف والشغب
وكل الذى أملى وكل الذى كتب
بقوم لهم فى العلم باع وفى الأدب

وراجع القصيدة كاملة فى «نفحات النسرین والريحان»^(٢).

٨ - عبد الكريم الطرابلسي

كان فقيهاً عالماً جليلاً، أديباً شاعراً، ومحدثاً لغوياً خطيباً وأصولياً متكلماً.

ولى القضاء مكان والده، وحسنت فيه سيرته، وله أدب رائع، وشعر بليغ، ومنه قوله:

(١) ١ : ٢١ - ٢٣ المنهل العذب - نشر الفرغانى.

(٢) ٦٢ و ٦٣ نفحات النسرین والريحان لأحمد النائب.

يا مشتكى حزني شرح الشباب غدا
ناديت بالويل إذ بانت طلائعه
اجابني بلسان الحال ينشدني
يوم ترى فيه من خاف الإله على
وجوههم أسفرت بالبشر ضاحكة
يا طول حسرتهم ياعظم حيرتهم
من خاف أدلج والموعود مرتقب
وتوفي عام ١١٨٩ هـ^(١).

والشيب وافي فعلق العمر ضاع سدى
ووفده رام للوفدين أن يفدا
لا تبتش يا فتى فالعيش عيش غدا
كثبان مك لا يخشون فيه ردى
والمبلسون استجاشوا بالبكا كمدا
لا يذكرون بها مالا ولا ولدا
والعبد لم يتخذ زادا ولا عددا

٩ - محمد بن محمد بن عبد الكريم النائب

١١٨٧ - ١٢٥٧ هـ

كان على جانب كبير من العلم، وله باع كبير في الأدب والشعر، ولي
قضاء طرابلس بعد أخيه عبد الكريم.

ومن شعره الصوفي:

هذه أنوار ليلى قد بدت
هزمت جيش النفوس سطوة
فالفق من سلبته جملة
ذاك من حاز الوصال دفعة
لا نرى في شمسها ظل سوى
عجبا ترفل في وحدتها

وجلاها النور في أحسن زى
ولسب العقل يا صاح تهى
وأزالت عن محياه الغطى
لا الذى تسلبه شيئا فشى
قد طوت بساطه الأنوار طى
وهى شمس وهى ظل وهى فى

(١) ١٨٤ و ١٨٥ أعلام ليبيا، ١: ٣٣٨ - ٣٤٠ المنهل العذب.

وإذا الحسن بدا فاسجد له نافي التقليد عن ليلى ومى
حرم الله حلتل آمنة وسجود الشكر واجب يا أنى^(١)

وابنه محمد كان كوالده علماً وفضلاً وتوفى عام ١٢٣٢ هـ:
١٨١٦ م^(٢)، بعد أن أعقب ابنه حسين، وحسين هذا أعقب ابنه أحمد النائب
صاحب كتاب: المنهل العذب، ونفحات النسرین والريحان.

١٠ - أحمد النائب الأنصارى الطرابلسى

١٢٦٤ هـ : ١٨٤٦ - ١٣٣٥ : ١٩١٤ م

مؤلف كتاب المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، لقي السيد
الإمام محمد بن على السنوسى ومدحه، ولما كان فى الأستاذة كان يالف أستاذه
الشيخ فالح الظاهرى الذى قدم له كتابه؛ ويقص عن أستاذه الظاهرى تاريخ
السيد الإمام محمد بن على السنوسى.

ومن مدائحه فى الإمام قصيدة يائية طويلة يقول فيها:

كبراءة من كل لؤم حازها شيخ الشيوخ محمد بن على
سامى المكان مكان كل فضيلة ظل الورى بالمجتدين حفى

كان موجوداً فى أواخر المائة الثالثة بعد الألف لأنه ذكر ان والده توفى
عام ١٢٩٨ هـ^(٣)، وتوفى أحمد عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٤ م^(٤).

(١) ٢٩٢ و ٢٩٣ أعلام ليبيا، ١ : ٣٦٥ المنهل العذب - وراجع ترجمة والده فى ١ : ٣٣٦ و ٣٣٧
المنهل العذب.

(٢) ص ١٨ مقدمة نفحات النسرین والريحان.

(٣) ٢ : ٢ المنهل العذب نشر الزاوى، وقد ترجم المؤلف لوالده فى الكتاب (٢ : ٤٩ المنهل
العذب).

(٤) ص ١٢ مقدمة «نفحات النسرین والريحان» بقلم المصراتى.

وطبع كتاب المنهل العذب في الأستانة عام ١٣١٧ هـ، ثم طبع في طرابلس الجزء الأول منه عام ١٩٦٠، ونشر الجزء الثاني الأستاذ طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي في القاهرة عام ١٩٦١، وقد نشر الأستاذ المصراقي كتابه «نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان» في بيروت عام ١٩٦٤ عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية وقدم لها بترجمة له، ولوالده حسن الأنصاري (١٢٢٣ هـ : ١٨٠٨ م - ١٢٩٨ هـ : ١٨٨٠ م)^(١).

١١ - أحمد الفقيه حسن^(٢)

١٢٥٩ - ١٣٠٤ هـ : ١٨١٤ م

شاعر أديب مترسل، من أسرة عريقة في العلم والأدب في طرابلس.

درس على علماء طرابلس، ثم درس اللغة التركية والعلوم الحديثة في المدارس التركية، وشغل منصب رئيس القلم العربي في ولاية طرابلس، وظل في هذه الوظيفة خمسة وعشرين عاماً، وانتفع بأدبه وتأثر به الكثير من الشباب والأدباء، وفوق ذلك كان ملماً باللغة الفرنسية وسافر عام ١٢٩٨ هـ إلى باريس وإلى تونس ومصر والأستانة.

وقرأ مصادر الأدب العربي وأفاد منها، وكان لا يرى إلا في مجلس علم أو ندوة أدب، وكان له ندوة خاصة، يتردد عليها رجالات طرابلس، وفي مقدمتهم: عبد الرحمن البوصيري، ومحمد فريد باشا، وعبد الرحمن نور الدين، وغيرهم من أفاضل البلاد وعلمائها وأدبائها مثل الشيخ خليفة البلبالي.

وقد ترجم رحلة لأحد الفرنسيين كتبها عن الشمال الأفريقي، وله مجموعة من الأغاني والموشحات، وديوان شعر صغير الحجم، وفيه من رقيق

(١) ص ١٤ - ١٧ المرجع نفسه وفيها يصحح المصراقي مولد أحمد النائب كما ذكرناه سابقاً. بعد أن كان قد ذكر أن ميلاده عام ١٢٥٦ هـ : ١٨٤٠ م (ص ٥ المرجع نفسه).

(٢) ٧٤ - ٧٨ أعلام ليبيا.

الشعر ما يدل على ذوق ناضج وخيال خصب^(١).

ومن شعره في هجاء بعض الحكام:

حكامنا ما أنصفوا	والكلب منهم أشرف
إن كان فيهم طيب	فأصله لا يعرف
أو كان فيهم أسعد ^(٢)	فهو الشقي المسرف

ومن شعره في الغزل:

الخد ورد وذاك النبت ريحان	والريق خمر وذاك الطرف سكران
ونخاله عنبر قد حار من عجب	في روضة الحسن فهو الدهر حيران
من النصارى رثيق القد ذو هيف	بمهجة الصب فتاك وطعان
لا تعجبوا من شقائي في محبته	فطرفه الأدعج السحار فتان

ومن تخميسه لرائية ابن الفارض:

شوقى بديوان السلوك تسطرا	وحقيقتى دقت فكادت لا ترى
يا منية المشتاق من دون الورى	
زدني بفرط الحب فيك تحيرا	وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

ومن شعره أيضاً:

رشاً صاد فؤادى	بسهم قد رماه
فغدا دمعي كواد	لست أدري من رماه
خاله سلطان حسن	فوق كرسى الخد تاه
ويصدغيه جنود	عارضاه عارضاه
ما احتيالى ومليكى	حاجباه حاجباه

(١) ٧٥ المرجع.

(٢) تعريض بأسعد رئيس محكمة الجزاء آنذاك.

ومن شعره في وصف راقصة:

رومية بهرت بتلعباتها	فأقت بحسن شمائل أخواتها
الكسر في رشفاتها والموت في	رشقاتها والسحر في لحظاتها
قامت تبختركي ترينا لعبة	لم تدر أن الموت في حركاتها
فسقى الحياء خدودها فتوردت	وجرت بقيته ببرد لهاها
الله أكبر ما أتم جمالها	قد كل وصفى عن حميد صفاتها
الله يعلم ما ألقى في الحشا	لما توارت في مقاصيراتها

١٢ - أحمد بن يوسف بن شتوان

أديب بارع، وشاعر موهوب ممتاز، ولد في مصراته، وتعلم فيها وفي طرابلس.

وحفظ الكثير من أشعار العرب ودواوينهم، وقرأ مصادر الأدب العربي، وعنى بالمؤلفات فيه؛ فنبغ في النثر والشعر حتى عد من المبرزين فيهما.

وسافر إلى برقة واجتمع بالإمام السنوسي، واستفاد من علمه وولى قضاء برقة، ثم رحل إلى مصر ولقى علماءها وأدباءها، وسافر إلى الأستانة وعين مدرساً في جامع السلطان محمد الفاتح، وطار صيته، وتوفى هناك ودفن في مسجد الفاتح نفسه، حيث تدفن الأسرة المالكة باذن من الخليفة وذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وله شعر رقيق، منه هذه الأبيات التي يصور فيها ما لقي في بلده مصراته من تعسف حاكمها التركي:

ذات الرمال عداها كف عاديها	لما استقر غراب البين واديها
داء عراها فما تنفك في قلق	وحار كل طبيب في مداويها
وكان قدما بها أسد العرين فما	يحوم حول حماها أو يدانيها

ومنها يصور فيه فرح الناس بعزل هذا الحاكم فيقول:

والآن لما أعاد الله بهجتها	كأنها قد أعيدت في مباديها
تختال في طرب في حلى زينتها	كأنما عمر الفاروق واليها
رد الشباب عليها بعد ما قبرت	شمطاء لمطاء لاخل يوافيها
فالله يحفظ أوقات السرور بها	خضرا منابتها يبضا لياليها
أهدى إليها سلاما باسم عطر	يغشي رباها يحييها فيحييها
عاشت أوائنا في ظلها رغدا	أقدامهم في المعالي من يضاهاها

ولقد كان من أصدقاء الشيخ أحمد بن شتوان في تركيا الحافظ أحمد شفيق، ومدحت باشا رئيس الوزراء لأن هذا الوزير الكبير كان من تلامذة جامع الفتح، وقد تعلم أبناء الشيخ وهم يوسف بك ومنصور في المدارس التركية، وصار يوسف عضواً في مجلس المبعوثان فيما بعد، ومن تلامذة الشاعر الشيخ: يوسف ضياء الدين الذي ولى القضاء في مدينة بنيغازي وتوفي فيها، ودفن في مقبرة السيد خربيش في أوائل القرن الرابع عشر الهجري^(١).

ومن شعر ابن شتوان قصيدته التي نظمها في مدح والي برقة العام في المرة الأولى وهو المشير على باشا رضا عند زيارته لبرقة، ومطلعها:

برق ترامي في الوجود وأومضا	أقام في أرجاء برقة أو مضى
بل قد أقام فأنشأ السحب التي	طمت فألحقت الروابي بالفضا

ومنها:

لاذت جداولها تحف بجنة	تلهى الجآذر والمها والناهما
والعندليب على أريكة شطها	غنى وصفق بالجنح ونفضا
صفت قوارير السلاف لشربها	صهبا كان بكأسها جمر الغضا
رمت الهموم بثاقب من شهبها	فتحللت بالرحم تحليل الفضا
لعبت أكف سقاتها بعقولهم	لعب الزمان بعقل أصحاب القضا

(١) مجلة القلم الجديد ص ١٣ و ١٤ عدد تموز ١٩٥٣ م.

وله قصيدة سينية في خمسة وثمانين بيتاً أنشأها في القسطنطينية عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م وذكر فيها أحمد فارس الشدياق وجريدة الجوائب^(١).

وترجم له المصراقي في كتابه «لمحات أدبية عن ليبيا»^(٢)، فقال عنه: كان لغوياً متين اللغة، شاعراً سليم الذوق، مرهف الإحساس، وذكر أشياء من تاريخه وقصيدته السينية في مدح الجوائب وصاحبها الشدياق، ثم ذكر القصيدة كلها ومطلعها:

رسوم بأيدي لاعبات الروامس عينت فرعتها عادات الروامس
وهي على نهج المخلقات الجاهلية متانة وغرابة، وكان يجذو حذو
الجاهليين في شعره.

وقد اجتمع ابن شتوان بالإمام محمد بن علي السنوسي أثناء زيارته
لطرابلس^(٣).

١٣ - الطاهر بن محمد

١٢٨٣ - ١٣٢٨ هـ

أديب ناثر شاعر وعالم فاضل مشهور، درس في الأزهر الشريف، وكان
على جانب كبير من الذكاء، تولى الإفتاء في مدينة الزاوية بعد وفاة والده عام
١٣١٤ هـ، وزار الأستانة مع وفد من ليبيا للاستنجاد بالخليفة العثماني لمقاومة
الغزو الإيطالي لأرض الوطن الليبي.

وله بعض مقطوعات شعرية في غاية الجودة، وضاع الكثير من

(١) ٥١ - ٥٣ أعلام ليبيا.

(٢) ٤٩ - ٦٦ لمحات أدبية من ليبيا - علي مصطفى المصراقي.

(٣) ٥١ أعلام ليبيا.

شعره... ومن شعره في الغزل:

لم يدر ما لذة الدنيا وبهجتها من لم يكن من كؤوس الشاي قد شربا
فهي المريحة للأحزان قاطبة ناهيك إذ لونها قد شاكل الذهبا
قد خامرت عقل صب مذ ألم بها وأورثته اندهاشا فازدهى طربا

١٤ - محمد بن منصور

١٢٥٣ - ١٣٤٧ هـ

عالم صوفي فاضل، وأديب شاعر مطبوع؛ ولد بزلتين، وتلقى العلم في زاوية عبد السلام الأسمر وشغل بالعلم ونسخ كتبه وكان يقول متمثلاً بقول الشاعر:

ألا يا مستعير الكتب دعني فمحبوب من الدنيا كتابي
ففي تحريره أفنيت عمري وفي تحصيله أفنيت زادي

ورحل إلى الأزهر ينهل من معينه عام ١٢٧٧ هـ، ورجع إلى بلده عام ١٢٨١ هـ، وقد نال قسطاً من العلوم الشرعية والعربية.

ومن شعره قوله في الوعظ:

وكم مانع حقاً عليه وحتفه يناديه بالويلات والخلد في سقر
وكم طامع في الخلد قد خاب سعيه وسيق بلا زاد إلى حفرة المقر
وكم حاسد للناس لم يشف غيظه وخاب الذي يرجوه بل باء بالضرر
وكم آكل للسحت يزعم حله ولم يدر أن السحت دأب الذي كفر

١٥ - مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري^(١)

١٨٥٣ - ١٩١٨ م

أستاذ شاعر أديب، ولد ونشأ ودرس في طرابلس، وتلقى علوم الدين والعربية على أستاذ عصره محمد كامل مصطفى^(٢) (١٣١٥ هـ)، وتعلم التركية وكانت لغة الدواوين والدولة الحاكمة حينذاك؛ واختير عضواً في مجلس إدارة الولاية في أيام حسني باشا، ورئيساً لمكتب الفنون والصنائع بمدينة طرابلس في عهد رجب باشا، وكان يجمع إلى ذلك وظيفة مستشار الولاية، وقام برحلات إلى مصر وفرنسا، وفي عام ١٣١٠ هـ أدى فريضة الحج، وطبع ديوانه بمصر. وكان شاعراً رقيق الشعر، ينطق به عن طبع وموهبة وملكة متدفقة البلاغة.

وله في الأدب جولات كثيرة، وكان عميد أدباء طرابلس، وعلى جانب كبير من المعرفة والعلم، وخبرة واسعة بشؤون السياسة والحكم. ومن شعره:

عبث النسيم بقدها فتحركت ألف الذوائب فوق ردف مائل
ما كنت أحسب قبل ذلك أن أرى ألفاً يحركها حدوث العامل
ومنه:

فانظر إلى ورد الخدود وحوله آس العوارض أخضرا مسبوتا
تر آتين ومن عجائب ما ترى شجر الزبرجد اثمر الياقوتا

(١) ٣٤٠ - ٣٤٣ أعلام ليبيا - وزكري بالزاي فخذ من العمور من بني هلال، ويقال إن ابن زكري من أصل أندلسي؛ ١٦٥ - ١٧١ لمحات أدبية عن ليبيا لمصراي، ٢٤٧ و ٢٤٨ الشعر والشعراء في ليبيا لمحمد صادق عفيفي.

(٢) كان محمد كامل بن مصطفى من تلامذة جمال الدين الأفغان، وكذلك صديقه السراجي سراج، وكلاهما تعلم في الأزهر، وتعلم عليهما ابن زكري.

وديوان ابن زكري^(١) المطبوع عام ١٣١٠ هـ كتب عليه: «هذا ديوان مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري الطرابلسي المغربي»، وفي صدره يقول شاعرنا: هذا ما سمح به فكري، من طرائف الأبيات الغزلية، ولطائف النكات الأدبية؛ ولا يغرك ما أدعيه، ولست من أربابه وذويه؛ فغاية مرامي، ومرمى سهامى، أن أرد من فم الأدب رضابه، وأرتشف من راحة (الشعر) حبابه، وأقرع باب معانيه، وأسوم شباب أغانيه.. ولما تفقدت شواردها، وتقفيت أوابدها، صادفت جل الأبيات في جب الخمول مقبورا، وقد أقي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. وحذرا من ضياعها، ودثور رقاعها، طمقت أجوس مفاوز أفكاري، وأطارد شوارد أوطاري، إلى أن ظفرت ببعضها، وقمت بقضاء فرضها: فركضت جواد أقدامى، وفوقت سنان أقلامي، وثبتت عنان البنان إلى ميدان الطروس، وأدرت من بديع المعاني الذكؤوس^(٢)».

وهو أسلوب يدل على خصائص النثر في هذا العصر، وعلى استهلاك المحاولات البديعية لمعانيه.

يحتوى ديوان ابن زكري على فنون عديدة من المدح والغزل.

وفي شعره من الأوزان الأندلسية قصرها وخفتها وروحها، وأطرف ما في ديوانه، محكمة الحب، وقاضى الغرام. والأدوار التي يمر بها العاشق الوهان^(٣)، يقول:

أيها الداعى إلى السلوان دع من لا يحجب
لا تسلى كيف حالى بين واش ورقيب
أنا لا أهتف بالشكوى إلى غير الطبيب

(١) كلمة زكري مكتوبة في الديوان بالذال لا بالزاي.

(٢) ص ٢ ديوان ابن زكري - القاهرة ١٣١٠ هـ.

(٣) ١٧٠ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراق.

وقد قرظ ديوانه الشيخ الأديب عبدالله المغراوي المصراقي.

ولابن زكري مدائح في السيد المهدي السنوسي، ومنظومات في تعليم السلاح، والدعوة إلى حب التجديد، وفي الوعظ والتوسل. وعلى الجملة فهو شاعر عصره، وشيخ شعراء ليبيا كما يدل على ذلك ديوان شعره؛ وقد قلد الأندلسيين وجاراهم في فن الموشحة، وعارض ابن سهل ولسان الدين بن الخطيب، ويقول عنه أحمد رفيق المهدي: إنه يشبه البهاء زهير وعفيف الدين التلمساني والشاب الظريف^(١)، وكان يرى فخرا تفوقه على الموشحين الأندلسيين^(٢). وابن زكري حلقة بين شعراء الصنعة وشعراء الطبع، وكان يكثر في شعره من ألوان البديع ولكنه يجيء به سمحا غير متكلف^(٣)، ويعد نقطة الالتقاء بين الشعر القديم والنهضة الشعرية الحديثة التي كان من طلائعها.

وكان الشارف يقدم ابن زكري على كل شعراء عصره، ويقول: إن شعره كان رقيقاً، وكان صديقاً لي، ولي معه أمسيات طيبة^(٤).

ومن شعر ابن زكري:

قوت روحي هواك بل قوت ذاتي	وحياتي وهل سواك حياتي؟
إن علمي بأي حسنك يتلو	كل حين على الوري معجزاتي
يا نبي الجمال أصبح دمعى	مرسلاً في هواك بالبينات
ينذر العاشقين نارا تلظى	في فؤاد وقودها عبراتي
ونواحي يريك طوفان نوح	إنما فاض من لظى زفراتي
أغرقت عبرتي منامي ولكن	سهادي باق بقيد الحياة
لا تسليني عما سواك فلا أع	رف إلا هواك في الكائنات

(١) ٢٠٧ الشعر والشعراء في ليبيا، نقلاً عن مجلة ليبيا المصورة من مقال لأحمد رفيق المهدي.

(٢) العدد الرابع من السنة الأولى من مجلة ليبيا من مقال لكامل الهوني.

(٣) ٢٤٧ الشعر والشعراء لعفيفي.

(٤) ١٥٤ لمحات أدبية عن ليبيا.

وله أرجوزة في الوعظ تبلغ ستة وأربعين بيتاً، منها:

وظائف الإنسان في دنياه	أن يعبد الله وأن يخشاه
وأن يكون راضياً بما قضى	ولم يكن لحكمه معترضاً
واعلم بأن العلم نور وهدى	والجهل لا يأتي بخير أبداً
والزهد في العلم من الحرمان	والمرء بالقلب وباللسان
من لم تهذب فنون الوقت	لا زال ملحوظاً بعين المقت
والبحث عن طبائع الزمان	من الضروريات للإنسان
وعزة المؤمن رأس المال	فلا تهن نفسك بالسؤال
وتبتغي من فضله تعالى	رزقاً هنيئاً طيباً حلالاً
وأقرب الناس إلى الحرمان	من قطع الأيام بالأمان
فانهض بخير حسب الاستطاعة	ونعم كنز المؤمن القناعة
والقصد في العيش من التدبير	والمال لا يبقى مع التبذير
كما تسدين في الورى تدان	ومن أهان غيره يهان

ويقول عن المصراقي: إنه شاعر من طراز المدرسة القديمة حافظ على الإطار التقليدي والمنهج الكلاسيكي وتلبس في شعره ظلالاً من أشعار الأندلس مع رقة وقصر نفس وأكثر أشعاره في الغزل والحب ووصف الجمال^(١).

يمتاز شعر ابن زكري بروح غنائية طيبة، يقول:

أنت روحى وراحتى وحياتى	ووجودى ومسمعى وعياني
أنا من حبك الغنى ولكنى	فقير لحسنك الفتان
أسر الروح والنهى بصفات	أبدعت خلقها يد الرحمن
وجهه من شقائق البدر لكن	خده من شقائق النعمان ^(٢)

(١) ١٦٥ - ١٧١ لمحات أدبية عن ليبيا، وقد كتب المصراقي عنه فصلاً في كتابه (أعلام من طرابلس).

(٢) ٥ و ٦ ديوان ابن زكري.

ويقول:

أغرك صبرى وفرط ودادى فعرضتني للأسى والسهاد
إلام تطيل جفاك وأشقى بعين الرقيب وعذل الأعادى
فلوزار طيفك باب الجفون لصادف فيه رقيب السهاد^(١)

ولابن زكري مدائح كثيرة، مدح الشيخ ابن الحبيب حين هجرته من تونس^(٢)، ومدح الشيخ عبد الرحمن البوصيرى مقرظاً رسالته فى البيان^(٣). وقد مدح ابن زكري السلطان عبد الحميد، ومدح الإمام المهدي السنوسى بقصيدة دالية، منها:

يا خير مهدي وأفضل من هدى فى آخر الزمان العباد وأرشدا
يا خير من يدعولسنة جده وأجمل من قرأ الكتاب وأسندا
لو لم يكن غير القرابة شاهد لكفى فكيف وقد هدى بك من هدى
شرف على شرف وفخر خالد وبقاء مجد لن يزال مسرمداً
ترك الزمان لأهله متقدماً يسعى إلى نيل المنى، متجرداً
هجر المنام وطيبه فكأنما جعل الليالى للعبادة موعداً^(٤)

ومن أسرته اليوم السيد مصطفى بن زكري وزير الصحة فى وزارة السيد محمود المنتصر رئيس مجلس الوزراء السابق فى المملكة الليبية.

ويقول ابن زكري:

رتب تقاصر عن بلوغ مرامها فهم البليغ فلن يمد لها يدا
والعجز عن تلك المراتب شاهد أن المقام أجل من أن يحمداً^(٥)

(١) ٢٨ المرجع.

(٢) ٢٠ ديوان ابن زكري.

(٣) ٣١ المرجع.

(٤) ١١ ص ١٢ ديوان ابن زكري.

(٥) راجع أيضاً ٨٥ السنوسى الكبير للأشهب.

ومن قصيدة «قصة المستهام»:

روح الروح واسقني بمدام وأدر ذكر قصة المستهام
كنت في أول الوجود أرى الوجد مد من المستحيل في الأوهام
وتماديت في ضلالى وقد جا نذير الهوى بدين الغرام
وبدت للوجود من فلك الغر ة شمس الضحى وبدر التهام
فدعني إلى البراز جنود عودتي بالنصر بين الأنام

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة^(١).

ومن شعر ابن زكري الدينى:

لا يسنك ابتسام أمانيد ك ولا تستفزك البأساء
واضطرب واعتبر بحزم أولى العز م إذا عز في المصاب العزاء
أقبل اليسر يقتفى أثر العس ر، وللكرب شدة ورخاء
ليت شعرى من يقرض الله قرضا حسنا كيف أجره والجزاء
فدع الكف واستلم راحة الرا حة واقنع بما قضاه القضاء
واتق الله حيثما كنت فالله رقيب إن غابت الرقباء
عالم الغيب والشهادة هل تع زب عن علم ربك الأشياء
فسل الله حيث يدعو إلى جن ة عدن بفضله من يشاء
جنة عرضها السموات والأر ض ورزق الله لا يعتريه فناء^(٢)

وقد قرظ ديوان ابن زكري شعرا الأديب الشيخ عبدالله المغراوي
المصراقي الطرابلسي الأزهرى، والشيخ أحمد المسعودى الصيدى الطرابلسي
الأزهرى، والشيخ سالم بن المبروك المسعودى الورشفاني الطرابلسي الأزهرى؟

(١) من ديوان ابن زكري ونقلها عفيفي في كتابه ص ٢٤٩ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٢) ص ٨ و ٧ ديوان ابن زكري.

القسم الثاني

تمهيد

يبدأ الأدب الليبي الحديث وجوده بقيام الدعوة السنوسية^(١) في ليبيا على يدي محمد بن علي السنوسي.

وقد وقف السنوسيون في وجه دولة عظيمة كدولة إيطاليا ثلاث عشرة سنة، ولولاهم كانت إيطاليا سيدة لطرابلس وبرقة منذ أول شهر من غاراتها عليهما، ويذكر الناس أن الطليان قدروا لتدويخ طرابلس وبرقة كلهما مدة خمسة عشر يوماً. من أول نزولهم. وأن قوادا من الانجليز المحنكين في حروب المستعمرات والبادي، قالوا إن الطليان أفرطوا في التفاؤل بظنهم الاستيلاء على ليبيا في ١٥ يوما وهذا الغزو يحتاج إلى ثلاثة شهور، فليُنظر الإنسان كيف أن المدة التي قدرها أركان الحرب في إيطاليا ١٥ يوماً، وقدرها أركان الحرب في انكلترا ثلاثة أشهر تطاولت ثلاث عشرة سنة كاملة. والحرب اليوم هي كما كانت في بدايتها. وكل هذا بفضل السنوسية ولا سيما أحمد الشريف.

وللأمير شكيب أرسلان همزية عصماء في تعداد مآثر وصفات السيد محمد المهدي السنوسي ومنها:

هل ترى ينتهى إليه الثناء	سيد ينتهى إليه السناء
وتؤدى له البلاغة حقاً	ويسوفى أخباره الإنشاء
ويجلى القريض صورة معناه	ولو بالشعري ألق الشعراء
قد كفانا وصفه أنه المهدي	مذ قد تجلت الأسماء

(١) ٦٢ و ٦٣ السنوسية دين ودولة - محمد فؤاد شكرى، ١٢ السنوسي الكبير للأشهب.

نجل قطب قد كان في الشرق والغرب
هو بحر الشريعة ابن السنوسي
جمع العلم والولاية فأتى
لا يرى العلم في سوى العمل الصالح
بت ما بين مطلع الشمس والمغرب
الهام المهدي والسيد الصانع
يملاً العين هيبة وجلالا
أشبهه الناس بالنبى ومن
نشر الدين في بلاد السوادين
وبأسيافه طرابلس الغرب
فأسال القرو والجبابيب والكفرة
واسأل الواح كلها كيف عاشت
ليس يخشى الا فرنج غير السنوسي
عرفوا قدره وبعد مراميه
كم غدت من قواه ترجف رعبا
رد أزر الإسلام صلباً سويماً
وأعاد الإسلام غضاً كما كان
لم يقم مثله لإرشاد خلق

سراجاً بنوره يستضاء
الذى عنه سارت الأنبياء
به العالمون والأولياء
فالعلم آلة ووعاء
رشدا ضاءت به الأرجاء
بالحق والسحاب الرواء
وهو مع ذا بلحظه اغضاء
يشبه أباه فليس منه اعتداء
وقد عمها به الاهتداء
أجبرت وبرقة الحمراء
ينطق عمراها والنماء
بالسنوسي تلکم الصحراء
وما هم في خوفه أغبياء
فأشادت بفضله الأعداء
دولة ملء أنفها الكبرياء
بعد أن كان شفه الإنحاء
عليه أسلافه القدماء
ذلك الحق ليس فيه مرء

الفصل الاول

اعلام الأدباء والشعراء في نهاية العهد العثماني

عبد الرحيم المغبوب البرقي

من تلامذة محمد علي السنوسي وكان وثيق الصلة به منذ ١٨٤٢ بعد عودته من تونس وإقامته في بنيغازي موطنه في شهر رمضان ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢) يلقي فيها دروسه، ثم تبع الإمام في جميع تنقلاته في برقة ومصر والحجاز؛ وهو من شعراء الحركة السنوسية، اتصل بالإمام السنوسي عام ١٢٥٨ هـ، فأوفده في مهمة إلى الاستانة، وتولى التدريس بزاوية الجغبوب، وكان علامة أديباً فاضلاً، وشاعراً ممتازاً؛ ومن تلاميذه الشيخ فالح الظاهري الحجازي الذي ترجم لأستاذه في كتابه «حسن الوفا لإخوان الصفا».

ولما توفي الإمام السنوسي رثاه بقصيدة جاء فيها:

ما بال عينك لا بالدمع تكتحل ودمعها لا يزال اليوم ينهمل
كأنما سملت بالشوك أو كحلت من الغضا بشواظ كلا يشتعل
والوجه أسفع والأعضاء ناحلة والقلب في شرك الأحزان مختبيل

وهي طويلة. وتوفي الشاعر عام ١٣٠٥ هـ^(١).

(١) ١٦٨ أعلام ليبيا. ١٣١ - ١٣٣ السنوسي الكبير للأشهب، وراجع عنه ٤٨ الحياة الأدبية في ليبيا للحاجري.

عمران بن بركة

(١٢١١ - ١٣١٠ هـ)

وهو شريف حسنى علامة شهر بالصلاح والفضل.

اجتمع بالسنوسى عام ١٢٣٨ هـ حينما مر بطرابلس، ثم استدعاه الإمام إلى برقة عام ١٢٥٧ هـ، فلقق به بالزاوية البيضاء، وتولى التدريس فيها، وفى زاوية الجغبوب.

تتلمذ عليه السيد المهدي السنوسى، وأخوه السيد الشريف؛ وفالح الظاهرى، ومحمد بن سيف بن مقرب، وغيرهم من كبار الإخوان السنوسيين.

وكان موضع ثقة الإمام وإخوانه، وهو جد السيد أحمد الشريف لأمه، وتوفى في الجغبوب عام ١٣١٠ هـ^(١).

مقرب أبو سيف

(١٣١٥ هـ : ١٨٩٦ م)

عالم فاضل من أجلّ علماء الإخوان السنوسيين وأدبائهم، درس على الإمام السنوسى بزاوية البيضاء والجغبوب، وتولى التدريس فى الجغبوب، وانتفع به خلق كثير، وكان يلقب شاعر الحضرة السنوسية.

ومن شعره فى وداع السيد المهدي السنوسى (١٢٦٠ - ١٣٢٠ هـ) لما سافر من الجغبوب إلى الكفرة فى شوال عام ١٣١٢ هـ:

هموا هيجوا يوم النوى برح أشجاني وهاديهم لما ترنم أشجاني

(١) ٢٣٩ أعلام ليبيا.

وهم سلبوا لبى وألبس بينهم رداء الردى جسمى وأثواب أحزاني
وهم غادروا جسمى لقي بعد مهجة جرى ذوبها من بحر مدمعى القاني
فوالله لا أنسى عشية ودعوا فأودعتهم صبرى وودعت سلواني
وضاعف أحزاني مواقف جمّة وبرح بي فقدان صحبي وأضناني

وهي طويلة في ثلاثة وثلاثين بيتاً، يظهر فيها أسفه لفراق أستاذه السيد المهدي السنوسي^(١).

وهي كما ذكرنا في وداع الإمام المهدي، وقد تحول من الجغوب إلى الكفرة^(٢). وله كذلك قصيدة قالها بمناسبة إنشاء زاوية التاج (الكفرة) على يد الإمام السيد المهدي وذلك عام ١٣١٣ هـ^(٣).

ويقول فيها يمدح المهدي، متحدثاً عن البدو وأثر الدعوة السنوسية فيهم^(٤):

فكم من حريم قد أباحوا، وأجحفوا بمال غنى لا يخافون عادي
فأرشدهم المرشد من حل بينهم فلا زال مهدياً ولا زال هادي
وكم بدوى في الفلاة بنوقه يبول على الأعقاب أشعث حافيا

(١) ٣٤٥ و ٣٤٦ أعلام ليبيا، وراجع أيضاً بعضاً منها في ص ٥٤ السنوسي الكبير للأشهب، ٤٩ الحياة الأدبية في ليبيا للحاجري.

(٢) ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٣ برقة العربية للأشهب.

(٣) ٤٠ السنوسي الكبير - وبهذه المناسبة فإن الزوايا في عهد الامام الأكبر بلغت ٥٢ زاوية، وأنشأ الامام المهدي ٥٥ زاوية أخرى (٣٤ - ٤١ السنوسي الكبير).

(٤) ٥٠ السنوسية دين ودولة محمد فؤاد شكري - ١٩٤٨ القاهرة، ٥٨ - ٥٨٢ برقة العربية للأشهب، ٢٠ و ٥١ السنوسي الكبير للأشهب.

وتلفاه في مهد الضلالة هاويا فأصبح نجما في الهداية عاليا
وكم من جهول أسود اللون خلقه كساه لباس العلم أبيض صافيا
ولأبي سيف قصيدة يهني فيها الإمام المهدي بمولد الإدريس (١٣٠٧ هـ):
(١٨٩٠)، ومنها:

هتت بالكوكب الدرى إذ سطعا وأرج الأفق والأرجاء وارتفعنا
وغصت للدر بحرا لجه عظما وصفت للفظ نظما حسنه جمعا
شنت أسما عنا يا خير مبتكر للشعر بلغك الله المنا جمعا^(١)
ويقول أبو سيف يرثى السيد الشريف السنوسى عام ١٣١٣ هـ:

سرنا بنعشك خضع الأعناق سيرا دوين العدو والإعناق
يا خير محمول لأعلى جنة ولحورها يلقينه بعناق
لو كان يفدى الميت بادر كلنا نفديك بالآجال والأرزاق
شرفت يا جغوب حقا بالذى أعلى منارك فى الزمان الباقي
ردت إليك وجوه آمال الورى عطشى لورد نوالك الدفاق^(٢)

وعندما مات السيد محمد بن عبدالله التواني أحد الإخوان السنوسيين
رثاه بقصيدة طويلة^(٣)، وكذلك رثى السيد عمران بن بركة الفيتورى بقصيدة
طويلة عندما توفى عام ١٣١٠ هـ^(٤). ويذكر الطيب الأشهب أن أبا سيف
توفى عام ١٣١٤ هـ^(٥) لا عام ١٣١٥ هـ.

وكان السيد أبو سيف مقرباً من العلماء المحققين، ومن خيرة رجال
السنوسية، درس فى البيضاء وجغوب، فكان فى طليعة العلماء، ومن أبرز

(١) راجع القصيدة فى ٣٥١ برقة العربية للأشهب.

(٢) راجع القصيدة كلها فى ٢٢٤ و ٢٢٥ برقة العربية للأشهب.

(٣) ٥١ السنوسى الكبير للأشهب.

(٤) ٦٠ المرجع.

(٥) ٦٨ المرجع.

الشعراء، وكبار رجال الإخوان، ولقب بشاعر الحضرة السنوسية، توفي عام ١٣١٥ هـ، وصلى عليه الإمام المهدي السنوسي^(١).

فالح الظاهري

كان علامة جليل القدر، التحق بالسيد محمد بن علي السنوسي نحو عام ١٨٤٣ وتعلم عليه، وتولى التدريس في الجغبوب، وكان شاعراً مجيداً، ومن الأدباء المعروفين، كما كان موضع احترام السيد المهدي بعد والده الامام السنوسي، ومحل تقدير جميع رجال السنوسية، وسافر إلى الحجاز والأستانة ثم عاد إلى الحجاز إلى أن أدركه الموت عام ١٣٢٨ هـ، وله شعر كثير، وبعض المؤلفات^(٢)؛ وكان في كل حدث من أحداث السنوسيين يقول الشعر، مات السيد محمد بن عبدالله التواتي من أعلام الإخوان السنوسيين فرثاه فالح بقصيدة مطلعها:

على مثل من أوقاته حلية الدهر بصالح أعمال دموعك فلتجري^(٣)
وله شعر كثير^(٤). وكان من أبرز العلماء علماً وطلاقة وسعة فهم، وفي طليعة المدرسين بالمعهد الجغبوبي، وقام بزيارة الأستانة مندوباً عن الإمام الأكبر، كما زارها في عهد السلطان عبد الحميد، ثم زار الهند^(٥)، وتوفي بالحجاز عام ١٣٢٧ هـ.

وفي مولد الإدريس (١٠ من رجب ١٣٠٧ - ١٨٩٠) نظم الشاعر

(١) راجع كتاب برقة العربية للأشهب.

(٢) ١٥٠ برقة العربية للأشهب.

(٣) المرجع ص ١٤٢ و ١٤٣ و ٥٩ السنوسي الكبير للأشهب.

(٤) ٥٧٧ و ٥٧٨ برقة العربية، ٦٢ - ٦٤ السنوسي الكبير للأشهب.

(٥) ٦١ و ٦٢ السنوسي الكبير للأشهب.

فالح الظاهري قصيدة، طويلة مهنتاً، جاء فيها:

لاح في أفق بنى الزهرا كوكب الأفراح والبشرى
إن للدهر لدى يدا ليس إقرارى بها سرا
بغلام اليمن كان له منكم طول البقا ذخرا
ويلغتم فيه بغيتكم في ظلال عيشة خضرا
ودواعى البشر لا برحت تنتحى نادىكم الدهرا^(١)

والشيخ فالح الظاهري هو الذى كتب مقدمة كتاب «المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب» تأليف تلميذه أحمد النائب الأنصارى^(٢)، وفى هذه المقدمة يتجلى لنا أسلوب الشيخ فالح الظاهري، الذى هو أسلوب النثر الفنى فى عصره، المملوء بالسجع.. وفى هذه المقدمة يذكر لنا الشيخ فالح أنه اجتمع بالإمام محمد بن على السنوسى فى المدينة المنورة عام ١٢٦٨ هـ ولأزمه، ورحل معه إلى ليبيا عام ١٢٧١ هـ، وأنه كان مقرباً إلى الإمام.

ومعظم شعر فالح قد ضاع شأنه فى ذلك شأن سواه من آثار هذه المرحلة وما بقى منه يدل على شاعرية أصيلة صادقة وقدرة على الصياغة الشعرية العربية الجزلة^(٣). ومن قصيدة له فى الحنين بعث بها من الحجاز:

سرى طيفكم ليلا فما تاه فى المسرى
عجبت له أنى اهتدى لى وبيننا
أحبابنا والله ما غير النوى
أهش لريح الجربياء إذا سرت
على بعد ما بين (الجغابيب) والحمرا
مهامه ينبو الوهم عن جعلها مسرى
ودادى ولا أنحلت بلادى لكم ذكرا
وإن أضرمت فى القلب من ناركم جمرا

(١) راجع القصيدة فى ٣٥٠ و ٣٥١ برقة العربية.

(٢) ص ٥ - ٧ المنهل العذب نشر مكتبة الفرغاني.

(٣) راجع ٤٥ الحياة الأدبية فى ليبيا - الحاجري.

محمد السننى

السيد محمد عبدالله السننى هو من سنار بالسودان، تتلمذ على الإمام أحمد بن إدريس، وتعرف بالإمام الأكبر محمد بن على السنوسى والتحق بالسنوسية عام ١٢٤٩ هـ، وعهد إليه بالتدريس، ثم ولاه مشيخة زاوية مزدة، وبها توفى^(١)، وله قصيدة فى وصف الجغبوب^(٢)، وفى قصيدة أخرى يصف الإخوان السنوسيين ودعوتهم^(٣).

وله قصيدة عصماء مدح بها المهدي^(٤)، ومن قصيدة أخرى له فى مدح المهدي^(٥):

إمام الهدى نافي الردى قاهر العدى	فديتك عجل قد أضر بنا الجهل
تجد من بنى الإسلام أخلص عصبه	جحاجيح أبطال إذا جادلوا جلوا
ليوث إذا ما أحجم القوم أقدموا	فجل على الأعداء من بأسهم نكل
هم القوم إن قالوا فثق بمقالهم	إذا سمحوا سحوا، وإن فاللوا فلوا
وإن عطفوا بعد القراع إلى الحمى	رأيت وجوه القوم بالبشر تنهل
بهم أصبح الدين الحنيفى راضيا	وأضحت قباب المجد محكمة تعلو

ولقد كان السننى من الشعراء المجيدين انذاك، ويقول يتحدث عن رحلة الامام المهدي إلى الكفرة:

سل وادى جغبوب عما كان فى حقب	عليه ينبئك والأنباء تعتبر
مأوى العلوم ومأوى الطالبين لها	روض الفضائل فهو (الأزهر) النضر
نعم وسل بعده أرضا تبوأها	دارا فأمست بها الخيرات تنتشر
تأوى الوفود لها من كل ناحية	مأوى الحجيج إذا ما جاء يعتمر ^(٦)

(١) ٦١ السنوسى الكبير للأشهب، وراجع عنه ٥٥ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

(٢) ٥٤ السنوسى الكبير.

(٣) ٥٦ المرجع.

(٤) السنوسى الكبير للأشهب.

(٥) ٥٧ و ١١٣ المرجع نفسه.

(٦) راجع القصيدة كلها فى ص ٢١١ و ٢٢٢ برقة العربية للأشهب، وفى كتاب السنوسى الكبير للأشهب.

ويقول الشاعر محمد السني يرثي السيد محمد الشريف السنوسي عام
١٣١٣ هـ:

رزء به ثكل الفضائل كلها	ولو وقع وجه الزمان قطوب
تبكيك أبصار لأنك نورها	وبصائر منكم لها تطيب
ومعاشر أنتم ربيع قلوبهم	ومعاهد أنتم لها أشبوب
وفرائض ونوافل ومحافل	ومشارق ومغارب وجنوب
سافرت يا ابن الأكرمين إلى العلا	وتركت أفئدة عليك تذوب
سفر به لك راحة أبدية	لكن به من القعود لغوب
وتباشرت بقدمه أهل العلا	فلهم هناك به غداً ثوب
ود اللقاء له أبوه مثلاً	ود اللقاء ليوسف يعقوب ^(١)

أحمد الطائفي^(٢)

للشاعر أحمد الطائفي قصيدة بعث بها إلى الإمام محمد بن علي
السنوسي، من درنة عام ١٢٦٤ هـ، وكان الإمام آنذاك في الحجاز:

يا من نأوا عني وشط مزارهم	وتجددت لبعادهم أحزاني
نار الجوى بين الجوانح أضرمت	والروح فارق بعدكم جثمان
لا كان يوم البين، لا كان النوى	يا ليتني أدرجت في أكفاني
حر النوى أوهى قوى نجلدي	وأعل جسماً طبه أعياني
وأطال سهدي والخلائق هجع	وأثار وجداً كامننا بجنان
وسقى رياض الشوق يوم وداعهم	بسواكب العبرات من أجفاني

(١) راجع القصيدة كاملة في ٢٢٥ - ٢٢٧ برقة العربية للأشهب.

(٢) كان علامة أديباً ومن رفاق الامام الأوائل وأحد المدرسين بمعهد البصاء والمعهد الجفوي،
تعرف بالامام عام ١٢٤٩ هـ.

فطويت حيثئذ بساط مسرق ونشرت بعدكمو ردا احزاني
فإليك يا مولاي أشكو علتي وعظيم شوق، بعضه أضمناني
ومتى أفوز بنظرة تطفئ الجوى وتزيل كرب حشاشة الوهاني^(١)
ومن شعره كذلك^(٢):

دلال منك هجر كأم جفاء كلا الحالين لي فيه الوفاء
فهجر الدل محبوب وعذب به أهل الغرام لهم رضاء
وهجر الصد يطلبه المعنى ليعذب عند غايته اللقاء
وكم قاسيت هجرا من حبيب فكان لغاية الهجر الصفاء

على عبد الحق القوصي

كان من تلامذة الامام، ومن الشعراء، وله قصيدة يعتذر بها إلى الامام
الأكبر^(٣).

اعلام مشهورة في عصر الإمام وبعده

محفوظ الورفلي

كان من الاخوان السنوسيين، وكان موضع رعاية الامام، وهو عالم
مجتهد، من أكبر رجالات السنوسيين وعلمائهم، استشهد في الحرب ضد
الطليان عام ١٣٤٥ هـ^(٤).

(١) راجع القصيدة كاملة في ص ١٦٨ برقة العروبة للأشهب، وراجع عن الطائفي ص ٦٧ السنوسي الكبير للأشهب.

(٢) ص ٤٧ الحياة الأدبية في ليبيا - الحاجري.

(٣) ١٤٩ و ١٥٠ السنوسي الكبير للأشهب.

(٤) ٢٥٨ أعلام ليبيا - وقد ذكر من الطيب الأشهب الاخوان السنوسيين الأول وترجم لهم في كتابه «السنوسي الكبير» ص ٥٦ - ٧٠

مصطفى المحجوب

هو جد السيد صفى الدين السنوسى لوالدته عرف بالصلاح والتقوى^(١) وهو من مصراته، وقد تعرف على الامام الأكبر عام ١٢٥٧ هـ فى طرابلس، والتحق بالزاوية البيضاء عام ١٢٥٨ هـ، وقد تولى مشيخة زاوية الطيلمون وبها توفى عام ١٣١٣ هـ، أو عام ١٣٢٣ هـ^(٢).

احمد بن إدريس الأشهب^(٣)

من تلاميذ السيد محمد الشريف، تلقى عنه الحديث والتفسير والتصوف واللغة والأدب، وتولى مشيخة بعض الزوايا كما قام بالتدريس فى معهد جغبوب، وكان شاعراً، ومن شعره قصيدة قالها بمناسبة انتقال المهدي إلى الكفرة، ومنها:

لقد أعلن الحادى بما كان فى السر	وأخبرنى عن صاحب المجد والبر
وأخبرنى عن نعتة وصفاته	وعن مثل ما يبدو على الوجه كالبر
أقمت زمانا بالجفايب ساعيا	لنفع عباد الله فى السر والجر
حشت ركاب المجد للنور والعللا	وسرت إلى أهل السعادة والفخر

وهو والد الطيب الأشهب المؤرخ الليبى للحركة السنوسية.

احمد المقرحى^(٤)

من أعيان العلماء وفضلائهم تولى الافتاء بالزاوية، واتصل بالامام الأكبر

(١) ٣٤٤ أعلام ليبيا.

(٢) ٦٦ السنوسى الأكبر للأشهب.

(٣) راجع ص ٦٠ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجري.

(٤) ١ : ١٧٧ قصة الأدب فى ليبيا، ١ : ٨٠ أعلام ليبيا.

محمد بن علي السنوسي في طرابلس عام ١٢٥٧ هـ، وانتقل معه إلى برقة، وصار من خواص أصحابه، وتوفي عام ١٢٩٣ هـ، حيث دفن بمقبرة رويغ الأنصاري.

أحمد بن يوسف

من تلامذة الإمام الأكبر محمد بن علي السنوسي، وكان على جانب كبير من العلم، وهو جد الملك إدريس لأمه - توفي عام ١٢٩٤ هـ^(١).

محمد الأزهرى

كان يضرب بعلمه المثل، اتصل بالإمام الأكبر محمد بن علي السنوسي، وكان يلقبه بالأزهرى لعلمه وإن لم يكن قد ذهب إلى الأزهر ولا تلقى ثقافته فيه، وقد أخذ عن محمد بن منيع (١٣٣٠ هـ)، وتوفي بعد عام ١٣١٥ هـ^(٢).

أحمد النائب الأنصاري الطرابلسي

سبق ذكره في الجزء الأول^(٣)، وهو صاحب كتاب: «المنهل العذب»، و«نفحات النسرین والريحان».

تلمذ على الشيخ فالح الظاهري الذي قدم له كتابه «المنهل العذب»، وكان قد التقى به في الأستاذة، وصار يقص عن أستاذه الظاهري تاريخ السيد الإمام محمد بن علي السنوسي؛ وله مدائح في الإمام، وكان قد التقى به وتعرف إلى فضله وعلمه وأفاد منه.

(١) راجع ١ : ٥٤ أعلام ليبيا، ١ : ١٧٧ قصة الأدب في ليبيا.

(٢) ١ : ١٨٢ قصة الأدب في ليبيا.

(٣) ١ : ١٩٧ قصة الأدب في ليبيا العربية.

وتوفي عام ١٣٣٥ هـ: ١٩١٤ م، وميلاده عام ١٢٦٤ هـ: ١٨٤٦ م.

أحمد بن يوسف بن شتوان^(١)

اجتمع بالإمام السنوسي في برقة واستفاد من علمه، وعاش في الأستانة آخر حياته، وتوفي بها عام ١٣٠٥ هـ: عام ١٨١٥ م، وكان من كبار الأدباء والشعراء في عصره، كما اجتمع ابن شتوان بالإمام محمد بن علي في طرابلس مرة.

مصطفى بن زكري

سبقت ترجمته^(٢)، وكان شاعراً موهوباً وله مدائح في السيد المهدي السنوسي، وتوفي عام ١٩١٨ ومولده عام ١٨٥٣ م.

(١) ١: ٢٠١ المرجع.

(٢) ١٩٩ قصة الأدب في ليبيا العربية.

الفصل الثاني

بناء الدولة الحديثة في ليبيا^(١)

في ضحى يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ - وبالقاعة الكبرى في «سرايا المنار العامرة» الجامعة الليبية الآن - بمدينة بنغازى الزاهرة، وقف الإدريس يعلن للعالم قاطبة أن ليبيا، نتيجة لجهادها، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة، الصادر فى الحادى والعشرين من نوفمبر ١٩٤٩ م قد أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، فدوى نداء الإدريس المفلدى فى الآفاق واستقبلته الأمة بمزيد الإعجاب، وبارك الأشقاء والأحرار الشرفاء فى كل مكان كفاح الليبيين، وهكذا أعلن العاهل المحبوب وثيقة استقلال بلاده المكافحة، فوضع بذلك نهاية لعهد ملء بالمأسى والأتراح والآلام، وبداية لعهد آخر زاهر باسم مشرق، وفتح صفحة ناصعة فى تاريخ ليبيا فأسس دولة وكياناً، دولة عربية مسلمة أفريقية، تتربع على شواطئ البحر المتوسط، وتسهم بدورها الإيجابى الفعال فى بناء الحضارة.

وكان هذا الإعلان ضربة أليمة لأولئك الذين كانوا يحكون ضد ليبيا المؤامرات، وكان (يوم الاستقلال) حدثاً رائعاً وفرحة كبرى لهذا الشعب الذى ذاق الأمرين، وضحى بكل مرتخص وغال فى سبيل حريته واستقلاله.

هذا ولقد شارك الشعراء الليبيون فى فرحة الشعب بعيد الاستقلال، وكان فى طليعتهم طيب الذكر شاعر الوطن الكبير المرحوم أحمد رفيق

(١) عن برقة الجديدة ٢١/١٢/١٩٦٥ من مقال لجبريل الحاسى.

المهدوى، فحيا «اليوم الأغرة» بقصيدة عصماء تضم خمسين بيتاً من الشعر
الرصين منها قوله :

عيد عليه مهابة وجلال عيد وحسبك أنه استقلال
يوم عليه من السعادة بهجة وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيده فيه نالت أمة ملكا تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة فأهل في برج السعود هلال

ومن شعر أحد الشعراء العرب الأشقاء قوله :

لك المجد يا ليبيا فانت جديرة بأن ترفعى رأس العروبة عاليا
وكفاح ليبيا مفصل من سنة ١٩١١ م حين هب الشعب العربى الليبي
في وجه الاحتلال الإيطالى يصد كيد الغزاة وصمد سنوات طويلة في معركة
التحرير وقدم على مذبح الحرية المقدسة ألوف الضحايا، والتحم مع الأعداء
في معارك عديدة، وألحق بهم الخسائر الفادحة في الأرواح والممتلكات،
وضحى بالنفس والنفس في سبيل أن يحيا العزة والحرية والكرامة، ولما
استشهد البطل الشهيد عمر المختار عام ١٩٣١ خضعت البلاد - بصورة
مؤقتة - للاستعمار وارتكب المستعمر من الفظائع الشيء الكثير، مما يندى له
جبين الإنسانية، وزج الأحرار في غياهب السجون، ووراء أسلاك المعتقلات،
ولما اندلع لهيب نار الحرب العالمية الثانية، خاض شعب ليبيا غمارها إلى جانب
الحلفاء بقيادة الإدريس المعظم وتحت راية «الجيش السنوسى».

وقررت الأمم المتحدة الاعتراف باستقلال ليبيا في يوم النصر - ٢١
نوفمبر - من سنة ١٩٤٩ م؛ وتشكل المجلس الاستشارى الدولى للإشراف
على نقل السلطات من الإدارات العسكرية (الأجنبية) إلى حكومة ليبية مؤقتة،
وتم وضع الدستور الليبي من قبل الهيئة التأسيسية - أو جمعية الستين - وأعلن
الاستقلال في ٢٤ ديسمبر من عام ١٩٥١ م، وانضمت ليبيا إلى الجامعة
العربية، والمنظمات الدولية فيما بعد، وأخذت تسير في طريق النهضة والبناء
بخطوات وثيدة، وقد شاءت العناية الإلهية أن تثن عليها بخيرات أرضها،

فتفجرت ينابيع البترول، لتبعث الرخاء والرفاهية والازدهار في ربوع هذا الوطن العربي، ولتعوض شعبه الطيب ما افتقده إبان سنوات الكفاح والجفاف، وقد استغلت ثروته في تدعيم نهضته في مختلف قطاعات الحياة: التعليمية، والصحية، والزراعية، وغيرها من المشروعات والمخططات النافعة، وأنشئت الجامعتان الليبية والإسلامية وكليتا الدراسات الفنية العليا، والمعلمين العالية، وأرسلت البعثات الطلابية إلى الخارج، وفتحت المعاهد الدراسية المختلفة في طول البلاد وعرضها، وتأسس الجيش وسلح، ودعمت قوة الأمن العام، ونهضت الزراعة، والصناعة، وشقت الطرق وفتحت مختلف المشاريع في شتى أنحاء المملكة الناهضة، واشتركت البلاد في مختلف المؤتمرات الإقليمية والعربية والعالمية، وأسهمت بدورها في أعمالها وكانت لها مواقفها في مؤتمرات القمة العربية بالقاهرة والإسكندرية والدار البيضاء، ومؤتمر دول عدم الانحياز، ومؤتمرات منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا وأكرا، إلى غير ذلك من المؤتمرات في الشرق والغرب:

أمة تنشئ الحياة وتبنى كبناء الأبوة الأجداد

وبعد أكثر من عشر سنوات من تجربة (النظام الاتحادي - الفيدرالي) عدل الدستور مرتين: الأولى كخطوة أولى، وبموجبه آلت العديد من الاختصاصات إلى الحكومة المركزية، واستحدث نظام المجالس الإدارية ثم عدل الدستور للمرة الثانية، وبهذا التعديل الآخر ألغى النظام الولائي، وأعلنت الوحدة الكاملة الشاملة في ٢٦ أبريل سنة ١٩٦٣ م.

وهكذا تحققت أمنية شعب ليبيا في وحدة اندماجية تامة، وحددت الاختصاصات، وتلاشى - إلى غير رجعة - نظام الإقليمية البغيض، وصارت ليبيا دولة موحدة، وقد تحقق بذلك ما أشار إليه رفيق في قوله:

تعديل دستورنا فرض يحتمه ما قد وجدناه فيه غير متفق

وفعلاً عدل الدستور، وأصبحت الوحدة حقيقة واقعة، وسارت الأمور بعد ذلك على خير ما يرام، فصدر قانون الإدارة المحلية، وقانون الخدمة

المدنية، وبرز إلى الوجود مشروع إدريس للإسكان، وعدل قانون البترول بما يضمن للشعب حقوقه كاملة غير منقوصة، ووضع حداً للتلاعب بمقدراته، وحرص على حسن استغلال ثروته الوطنية، لتسهم في رفاهية الشعب وازدهاره، وتقف ليبيا العربية موقفاً مشرفاً من قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربية. كموقفها الرائع من مشكلة روديسيا، وتضامنها مع مقررات مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية.

وهكذا تم بناء الدولة الحديثة في ليبيا بفضل الإدريس وتوجيهه، وبفضل مشابرة الشعب وتصميمه على النضال من أجل حريته ومستقبله.

الزوايا السنوسية

«ركز الإمام رضى الله عنه وسائل عمله في (الحجاز) بإنشاء أولى المراكز الإصلاحية هناك وهى زاوية (أبى قبيس) ثم ألحق هذا المركز بمراكز إصلاحية أخرى في مختلف البلاد الحجازية، وأقام عليها من تلاميذه الأفاضل من يقوم مقامه في أداء هذه الرسالة. ووصل إلى ليبيا فبنى بها أولى المراكز الإصلاحية (الزاوية البيضاء) أى زاوية البيضاء، ثم باشر في إنشاء عدد كبير من هذه المراكز في برقة وفزان وطرابلس.. وكان في هذه الأثناء مهتماً بإصلاح حال المسلمين على أوسع ما يمكن.

ولقد جاء في أحد كتبه إلى حاكم (برقة) العثماني - محمد صالح باشا: «رتبنا لكل واحد - وكان يعنى الزوايا - خليفة يقوم فيها بما ذكر من الجمعة وتعليم القرآن ودرس العلم، ودلالة الخلق على دينهم وعودتهم إلى ربهم.. إلى أن قال: وبذلك تبتهج الأرض حولها بأنواع الأشجار ويكثر بها السكان، لكثرة الثمار، وتنتشر العمارة وتتسع الإدارة».

ويفسر الإمام معنى الزاوية فيقول في كتاب كان قد بعث به إلى حاكم فزان العثماني مصطفى باشا: «والزاوية فى الحقيقة هى بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده».

ويقول أيضاً: «والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والبادية لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان». وفي فقرة أخرى من كتاب له -رضي الله عنه- كان قد بعث به إلى والي طرابلس العثماني وكان المشير محمد أمين باشا قال فيه:

«... وأما نحن فقد ألفنا ما اعتمدناه ورضيت به نفوسنا فتزيد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة، ونفوس سكانها مستقرة ليحصل المقصود منها ويدوم من تعلم العلم وتعليمه، وإقراء القرآن وتفهمه، وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها».

والزوايا السنوسية بقدر ما تهتم بالعلوم النظرية والدراسة العملية من أمور الدنيا تهتم أيضاً بالتربية الروحية ورياضة النفس، تبعداها عن الرذائل المادية وتقربها إلى عالم الروح والصفاء.

وقد اهتمت الزوايا السنوسية بالشئون العامة كالصناعة والزراعة وتنظيم الأعمال ولم تهمل هذه النواحي أو تترك شأنها، والدين يحث على العمل ويرغب فيه. والله يحب الإنسان المحترف ويكره الخامل العاقل.

فأخذت الزوايا السنوسية على عاتقها مهمة التوجيه والإشراف على الصناعة والزراعة لتسد حاجة البلاد ولا تكون عالة على الغير، وقد تفنن الإخوان السنوسيون في الصناعة المعروفة في زمنهم... وعندما بدأ الغزو الإيطالي للبلاد رفع الإخوان راية الجهاد مستعملين الآلات الحربية التي صنعوها بأيديهم.

زاوية البيضاء

اجتمع لمنطقة الزاوية البيضاء الكثير من مقومات العمران. فتوسطها للجبل الأخضر أكسبها خصوبة تربة وطيب مناخ وعدوية ماء. مما كان حافزاً لتجمع القبائل حولها، وتنافسهم على حيازتها. ومر الإمام محمد بن علي

السنوسى بهذه الناحية أثناء طوافه فى البلاد الإسلامية، فلمس بنفسه حاجة أهلها إلى التعليم الدينى حتى ينصلح حالهم.

فألقى عصا التسيار بينهم، وشرع فى تأسيس زاويته الأولى بالأراضى الليبية عام ١٢٥٧ هـ ومن ثم أطلق عليها (الزاوية الأم).

وتوفر الإخوان المصاحبون للإمام على البناء، فابتنوا مسجداً لإقامة الشعائر الدينية وأحقوا به الخلاوى للطلاب ومقراً للقرآن. ومسكناً للإمام الزاوية.

وألحق الإمام بالزاوية (معهداً علمياً) يتعلم فيه الكبار العلم ويحفظ الصغار القرآن؛ وأصبحت الزاوية حرماً آمناً يحتوى بحماه الضعفاء، ويلجأ إلى عدالته المتقاضون وفى سماحته تفض الخصومات، وكان لهذا النجاح الذى حققته الزاوية البيضاء أثره البليغ فى نفوس الناس جميعاً، فانتشر خبر الامام وعمت الدعوة السنوسية القطر الليبى، وتوافد الأهالى يبدون استعدادهم لإنشاء الزوايا ووقف أملاكهم على عمارتها والانفاق عليها.

وظلت الزاوية البيضاء مركزاً رئيسياً للدعوة السنوسية، إلى أن توجه الامام نحو الأراضى الحجازية لتفقد زواياه، هناك، فانتقلت القيادة إلى زاوية (أبى قبيس) بانتقال الامام إليها. وفى عام ١٢٧٠ انتقلت القيادة إلى زاوية (العزيات) ثم استقرت أخيراً عام ١٢٧٣ هـ فى زاوية الجغبوب.

ولما هاجم الايطاليون الأراضى الليبية، وجدوا المقاومة العنيفة المستميتة تطلع عليهم من الزوايا السنوسية. وإن هى إلا قواعد حربية، يتمركز فيها الإخوان، ويتزودون منها بالرجال والعتاد، فصبوا عليها جام غضبهم واختصوها بالتخريب والتدمير، وغيروا معالمها، واتخذوا منها استحكامات حربية لجيوشهم.

وكان نصيب (الزاوية الأم) من هذا الافساد أن لحق بها ما لحق أخواتها، فجعلوا فناء المسجد والخلاوى مربوطاً للخيل والبغال، ومصلى

المسجد مخزناً لعلفها، وهدموا المعهد، وظلت الزوايا السنوسية مهمة طيلة احتلال الايطاليين.

ولما تم إجلاؤهم عن الأراضي الليبية، وحصلت البلاد على الاستقلال التام، توجهت نية الملك إدريس إلى تجديد الزوايا وبعث النشاط فيها، حتى تعاود مهمتها في التوجيه والاصلاح، واختص (أم الزوايا) بمزيد من الرعاية، فجدد معهداً الديني، وشاده على النظم الهندسية الحديثة، وألحق به قسماً داخلياً للطلاب، ودوراً للمعلمين.

وبعد أن انتزعت البلاد استقلالها، اتجه عاهل المملكة الليبية المتحدة محمد الإدريس الأول إلى رعاية آثار جده الامام السيد محمد بن علي السنوسي.

فجعل من الزاوية الأم في البيضاء نواة لجامعة إسلامية كبيرة، وفي يوم الأحد الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ. الموافق (٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ م) تفضل الإدريس في احتفال كبير، بافتتاح المعهد الديني، وأطلق عليه اسم الامام الأكبر تخليداً لذكراه.

وتولت إدراته والاشراف عليه نظارة المعارف من لدن افتتاحه حتى عام ١٩٥٥ م. حيث صدر مرسوم ملكي بمقتضاه أصبح المعهد مستقلاً في إدارته، وميزانيته، تحت إشراف مجلسه الأعلى برئاسة شيخ المعهد.

وفي عام ١٩٥٦ م صدر قرار يخول له فتح فروع في الولايات الثلاث.

وفي يناير ١٩٥٧ م. ضم إلى إدارته معهد سيدى عبد السلام الأسمر بزلتين، وكذلك ضم إلى إدارته أيضاً معهد أحمد باشا بطرابلس.

وفي ١٠ يونيو ١٩٦٠ م افتتح معهد سبها الفرعى بولاية فزان.

وسار المعهد متخذاً سبيله نحو التطور بخطى واسعة تتسم بالجرأة والتقدم، ففي العام (١٩٦١ م) تم افتتاح معهد غريان بمدينة غريان، من

ولاية طرابلس، كما تم افتتاح معهد الزاوية الغربية بطرابلس أيضاً، ومعهد درنة بولاية برقة.

والفروع الجديدة تنتشر في شتى أنحاء المملكة، وبجانبها المدارس القرآنية لتكون روافد تغذيتها بالطلاب من حفظة القرآن الكريم، وقد بلغ مجموع الطلاب المنتسبين في مختلف الفروع بما فيهم طلاب المدارس القرآنية نحواً من ٧٥٠٠ طالب.

وبذلك، حقق هذا المعهد تقدماً ملحوظاً في نشاطه التعليمي في مراحل المختلفة، مما جعله في مصاف المعاهد الدينية الكبرى ذات الصبغة الجامعية.

وكان لا بد من اتخاذ خطوة كبرى ترفع من شأن هذه المعاهد وتوسع من آفاقها المختلفة وتعمل على تعميم رسالتها لتكون منارة هادياً في خدمة الإسلام والمسلمين، ومصدر إشعاع قوى باهر، فكانت الخطوة المباركة هي إعادة تنظيمه في ضوء الظروف الجديدة بتحويله إلى جامعة إسلامية واحدة، لها نفس المهام والأغراض ودعم أقسامها المختلفة حتى تنهض برسالتها السامية، في نشر الثقافة الإسلامية، وإحياء العلوم الدينية. والعمل على توثيق الروابط العلمية والثقافية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية.

ويصف الأمير شبيب أرسلان الزوايا السنوسية والواجبات المنوطة بكل زاوية وصف العليم الخبير، فيقول رحمه الله: الزاوية فيها مقدم هو القيم عليها وهو الذي يتولى أمور القبيلة. ويفصل الخصومات بينها. ويبلغ الأوامر الصادرة من السيد السنوسي، ويليه وكيل الدخل والخرج وإليه النظر في زراعة الأرض وجميع الأمور الاقتصادية. ومن عاداتهم أن على كل فرد من أفراد القبيلة أن يتبرع بحراثة يوم، وحصاد يوم ودراسة يوم في أرض الزاوية، فلذلك يسهل عمران الزاوية بدون نفقة كبيرة. ثم هناك الشيخ الذي يقيم الصلاة في مسجد الزاوية، ويعلم أحداث القبيلة القراءة والكتابة، ويعقد في القبيلة عقود النكاح. ويصل على الجنائز الخ. . . والزوايا السنوسية هي الملاجئ الوحيدة في الصحراء للمسافرين والتائهين والواردين

والشاردين . . ولا يوجد مساكن مبنية بالحجر غيرها وقد سرنا في طريقنا إلى جهاد ليبيا نحو شهر من ظاهر اسكندرية عند منتهى الخط الحديدي حيث زاوية سيدى هارون القناشى إلى موطن الحرب بسهل الفيض أمام مدينة بنيغازى . فكنا بعد كل مهلة ثلاث ساعات أو أكثر نجد زاوية سنوسية^(١)؛ هذا عدا زوايا كثيرة ليست مصابة للطريق السلطاني . فإن لكل قبيلة زاوية هي مرجعها في الدين والدنيا وإذا تعددت فروع القبيلة كالعبيدات مثلاً فلكل فخذ منها زاوية . فلعائلة منصور زاوية . ولعائلة مريم زاوية ، ولعائلة جازية زاوية وللبناين زاوية وللعواكلة زاوية . وهلم جرا . وإن الغريب أو السابل أو الفقير المعتر لينزل بزاوية من هذه الزوايا فيقيم ما يشاء . ويتضيف ما يشاء . ولا يسأله أحد عن شيء ، وأغلب هذه الزوايا يختار لها أجمل البقاع وأخصب الأرضين وفيها الآبار التي لا تنزح من كثرة مائها . وفي الجبل الأخضر هي بجانب عيون جارية . وأنهر صافية كزاوية مارة وزاوية مرتوبة وزاوية أم الرزم بقرب درنة وزاوية شحات في مدينة سيرينا القديمة الخ . . . وأينما حل السنوسية عمروا وثمروا . . ووجدت الأرض اهتزت وربت . وأنبتت من كل زوج بهيج ، وقل إن مررت بزاوية ليس لها بستان أو بساتين فيها من كل أنواع الفواكه والثمار . وأصناف البقول والخضرة . يزيد قيمتها مصادفة الإنسان لها في تلك البقاع القاصية عن العمران المحفوفة بالفلوات . وقد قيدت في دفتر عندي يحتوى معلومات كثيرة على برقة أسماء نحو ١٢٠ زاوية سنوسية في تلك الديار وما جاورها إلى السودان وليس ذلك العدد هو كل ما عندهم من الزوايا .

مدرسة جغبوب وأثرها الروحي

ظهر^(٢) أثر مدرسة الجغبوب جلياً واضحاً في مرافق الحياة الاجتماعية

(١) شكيب أرسلان والقضية الليبية لمحمد رجب الزائدي ص ١٨ - طبعة ١٩٦٤ ، مكتبة الوحدة العربية لصاحبها حسن على الخواز بالبيضاء .

(٢) عن كتاب أصدرته الجامعة الإسلامية عن نشاطها .

والسياسية والعلمية والدينية حيث أحدثت في ربوع هذه البلاد نهضة شاملة وكانت بمثابة القيادة العليا والمركز الروحي الذي أحال تلك الصحارى الجذباء إلى واحات غناء عامرة بالسكان والرواد تضيء فيها مصابيح المعرفة وقد قضت على روح التنافر والعداء المستحكم الذي كان سائداً بين تلك القبائل ويظهر في ضراوة دموية كثيراً ما تندلع لأتفه الأسباب وتبدلت تلك الطبائع الجافية الغليظة ولانت شكيمة القبائل وهذا روعها وامتد شعاعها الوضاء متغلغلاً في أواسط إفريقيا يغمر أحراشها المظلمة ويتشعل قبائلها النائية في مهامه الضلال من براثن الوثنية إلى حظيرة الإسلام.

ومن آثار حركة الجغوب الروحية هذه ما يلي:

١ - غرست في نفوس طلابها وروادها القيم الفردية والجماعية للحرية الانسانية في أسمى معانيها لأن الإسلام في جوهره يحارب الاستبداد والاستغلال وإيذاء الانسان لأخيه الإنسان، ولقد رأت هذه الدعوة ما يعانيه الأرقاء من نير العبودية وفضاعة النخاسين فاشترت جموعاً كثيرة من هؤلاء «العبيد» وأعتقتهم فأصبحوا في ظلال هذه الدعوة أحراراً كرماء وقد كان لهم بعد عتقهم أثر ملحوظ في نشر هذه التعاليم التي غذاهم بها الإمام رضي الله عنه كما ضربوا بسهم وافر في النهضة العمرانية والاقتصادية فأصلحوا الأراضي وأقاموا البناء وتفننوا في الصناعات اليدوية.

٢ - كما كانت مدرسة الجغوب إلى جانب رسالتها الفكرية والاجتماعية بمثابة مدرسة حربية يمارس فيها المواطنون ضروب التدريب العسكري كالرماية وركوب الخيل، واستعمال مختلف أنواع الأسلحة ومعرفة طرق تركيبها وإنتاج الذخيرة الحية استعداداً للمفاجآت التي كان يخشى مغبتها الإمام رضي الله عنه، وقد أثبتت الحوادث صدق حدس الامام وصائب آرائه، وكان لهذه الاستعدادات الفضل فيما أحرزه الجندى الليبي من انتصارات باهرة في الحروب التي خاضها ضد قوى البغي والعدوان.

٣ - ولم تنس هذه المدرسة ما يجب عليها نحو المرأة المسلمة فقد أولت

حقوقها العطف والرعاية وعملت على إنقاذها من مهاوى الجهل المطبق والنزعات البدائية، فكانت المرأة السنوسية تتلقى دينها إلى جانب تحفيظها القرآن الكريم، ولعل من الحوافز التي دفعت الإمام إلى عنايته البالغة بالمرأة ما كانت تغمره به عمته الفاضلة أثناء نشأته العلمية من توجيه وإرشاد.

٤ - وتبعاً لهذه الحركات الاصلاحية أصبحت الجغبوب كعبة للزوار والرواد ومركزاً هاماً لالتقاء القوافل الذاهبة والآية فقد خلق منها موقعها الاستراتيجي حلقة اتصال لطريقين مهمين أحدهما لقوافل رواد شمال غربى أفريقيا والآخر تجارى يربط سواحل البحر الأبيض المتوسط بالواحات الداخلية المنتشرة فى جوف الصحراء وكان لبعدها عن المناطق الساحلية، أن تفادت مطاعم أصحاب النفوذ وعزت عن متناول يدهم وأضحى جانبها محترماً مهاباً عن الجميع حتى إن قطاع الطرق ولصوص القوافل استحالوا إلى حماة لها أدلاء مرشدين، وأصبح الفرد يرود تلك الفيافي آمناً مطمئناً لا يخاف أهوال الطريق أو عناء السفر.

٥ - عملت مدرسة الجغبوب على تكوين الأسرة الصالحة وشجعت على الاكثار منها، وكان الاخوان السنوسيون إذا أقدم شاب منهم على الزواج تفانوا فى خدمته وأسهموا فى تركيز دعائم البيت الهنيء له.

٦ - غرست فى الطلاب روح البحث والتنقيب وجوب الأقطار للاطلاع ونقل المخطوطات والوثائق الهامة، كما حبيت إليهم الانتاج والتأليف حتى أصبحت مكتبتها زاخرة بأنفس ما أنتجه العقل الاسلامى فى ذلك الوقت مما جعلها تضاهى أندر المكتبات فى الشرق، ولكن الاستعمار الايطالى البغيض أغاظه أن تظل هذه المنارة الفكرية ترسل نورها فى قلب الصحراء فدهمها فى يوم ٧ فبراير عام ١٩٢٦ وعاث فيها نهباً وإحراقاً محاولاً القضاء على رسالتها ونفوذها النظرى والتنظيمى ولكن شاء الله أن تصمد هذه المدرسة المباركة للأعاصير والعواصف لم ينل من كيائها كيد الكائدين ولم يشنها عن أداء رسالتها وعيد الغاصبين... وظلت ثابتة الدعائم ويرقد تحت ظلها الوارف مؤسسها

صاحب الدعوة رضى الله عنه تدوى فى أرجاء ضريحه الطاهر أصوات مليئة
بالرئين المقدس مفعمة بروح الايمان.

المعهد الأسمرى

أول معهد فى المملكة الليبية، وكان يعرف بزاوية الشيخ أسسه العارف
بالله سيدي عبد السلام الأسمر سنة ٩٧١ هـ فى مدينة زليتن، أوقف عليه
أملكه وجهوده، واقتنى سيرته أولاده وأحفاده من بعده والغرض من إنشائه
أن يكون مسجداً جامعاً يؤدى الناس فيه الصلاة، ويحفظ الصبيان القرآن
الكريم، ويتلقى الطلبة العلم. وكان له الفضل فى تغذية البلاد بالعلماء
والقضاة الشرعيين، وطريقة الدراسة فيه على نمط القسم العام بالأزهر
الشريف، حيث يختار الطالب شيخه، ويدرس العلم الذى يهواه لذات
العلم.

ويقوم بالتدريس فيه علماء من خريجه أو من العلماء الوافدين. وتجربى
الأرزاق على طلابه وعلمائه من ريع أوقافه وكان لعلمائه وطلابه مواقف وطنية
تتسم بالجرأة والفداء، حين صمدوا للغزو الايطالى، وقاوموا فرض الجنسية
الايطالية على الوطنيين، وتعرض هذا المعهد أثناء الغزو الايطالى للتخريب،
فانتهك الإيطاليون قدسيته، وحرقوا مكتبته، واضطهدوا علماءه، ولكنه استمر
فى أداء مهمته الدينية والوطنية، ولم يفلح الإيطاليون فى تغيير برامجهم ومناهجهم
لصمود أهلهم وعلمائهم وتم انضمام هذا المعهد إلى جامعة السيد محمد بن على
السنوسى الاسلامية فى يناير ١٩٥٧ م. وبذلك دخل المعهد الأسمرى فى طور
جديد، يتسم بطابع المعاهد الدينية التابعة لجامعة السيد محمد بن على
السنوسى الاسلامية، من حيث المناهج والادارة.

وبفضل رعاية المسؤولين، تمت به المنشآت المدرسية الحديثة، وألحق به
قسم داخلى، ينعم فيه الطلاب بمزايا كثيرة.

والمعهد الأسمرى يتكون من ثلاثة أقسام: ابتدائى وإعدادى وثانوى،

وبه مدرسة للقرآن الكريم.

وللمعهد نشاط عام ناجح تحدثت عنه الصحف. ويتمثل في مجالات الثقافة والاجتماع والرياضة والكشافة. ويقوم الطلاب بتحرير صحيفة حائطية نصف شهرية، مزودة بالرسوم والصور، وأخرى شهرية تبرز نشاطهم وتنمي هواياتهم. كما أن فريق التمثيل بالمعهد يعتبر الأول من نوعه بالمعاهد الدينية بالجامعة. ومسرحياته تدور حوادثها حول الشخصيات الدينية، والمعاني الاسلامية، يتخللها الترويح البريء.

معهد احمد باشا

أنشأ هذا المعهد أحمد باشا (القره مللي) الحاكم التركي الأصل (١٧١١ - ١٧٤٥) وكان يطلق عليه (كلية أحمد باشا القره مللي) وظلت الدراسة تسير فيه على النظام القديم، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المعاهد الأهلية العلمية في الأقطار الاسلامية آنذاك، فالمناهج المتبعة عبارة عن كتب معينة تمثل مستويات الطلبة، كل يدرس ما يلائم استعداده الفطري، ويوائم حصيلته من المعارف والعلوم ولم يكن المعهد في وضعه السابق يمنح شهادات رسمية للطلاب الذين يتمون دراستهم فيه. وفي سنة ١٩٥٠ م، أدخل عليه شيء من التنظيم، فقد استبدلت الدراسة بالمعهد على شكل حلقات، بالمقاعد المدرسية المعروفة، وقسمت سنوات التعليم إلى مرحلتين: ابتدائية وثانوية.

وفي شهر يناير ١٩٥٧ م، تم رسمياً انضمام هذا المعهد إلى معهد السيد محمد بن علي السنوسي في البيضاء (جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية) الآن. وأصبح بعد انضوائه يحمل اسم (معهد أحمد باشا الديني) بدلاً من «كلية أحمد باشا القره مللي»، وسرعان ما بدأ المعهد ينمو نمواً سريعاً مطرداً، تبعاً لمختلف فروع معهد السيد محمد بن علي السنوسي، وبعد شهور قليلة من انضمامه تم نقله من مقره الصغير (بسوق المشير) إلى مقره الحالي بمنطقة (الظهرة) وألحق به قسم داخلي يتألف من ٢٣ (عنبراً) للنوم مزودة بالأسرة والبسط والأغطية. لايواء الطلبة، وتوفير الغذاء اللازم لهم، وتقديم

خدمات مختلفة مما يتيح لهم التفرغ للدراسة والتحصيل.

وقفز معهد أحمد باشا الدينى قفزة كبرى، فى الأعوام القليلة التالية، منذ انتظم فى سلك «جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية، ولم تكن تلك القفزة مقصورة على الجانب الدارسى فحسب، بل إنها شملت كذلك الجهاز الإدارى، الذى أصبح يتمتع بقدر كبير من الخبرة والكفاية.

جامعة محمد بن على السنوسى الإسلامية

تقوم فى العالم العربى اليوم جامعات إسلامية سامقة، بعض منها أنشئ منذ قرون طويلة: كجامعة الأزهر (٣٦١ هـ: ٩٧٢ م)، وجامعة القرويين (٢٤٥ هـ: ٨٥٦ م) وجامعة الزيتونة، وجامعة النجف الأشرف؛ والبعض الآخر قام منذ أمد قصير: كجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم درمان الإسلامية، وجامعة السيد محمد بن على السنوسى؛ عدا كليات الشريعة التى أنشئت فى بعض العواصم العربية منذ أمد قصير: ككلية الشريعة فى بغداد، وفى الرياض، وفى مكة المكرمة، وفى دمشق، وفى عمان. وتتسبب جامعة محمد بن على السنوسى البيضاء بالملكة الليبية إلى عميد الأسرة السنوسية العلوية، الإمام محمد بن على السنوسى.

وكان محمد بن على رائداً من رواد الإصلاح الدينى فى القرن الثالث عشر الهجرى، وصاحب دعوة من دعوات التجديد الإسلامى فى العصر الحديث؛ وقد ولد فى مدينة «مستغانم» بالجزائر فى يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول عام ١٢٠٢ هـ: ٢٢ من ديسمبر ١٧٨٧ م، ونشأ فى بيت علم ودين، وتوفى والده شاباً بعد عامين من ميلاد ابنه محمد بن على، فكفلته عمته السيدة فاطمة، وهى من فضليات النساء فى عشيرتها، غزارة علم، وقوة دين، وسباحة خلق. وحفظ القرآن الكريم، ثم أخذ يدرس علوم الشريعة واللغة والتصوف والمذاهب الإسلامية وسواها من ألوان الثقافة الدينية الذائعة فى عصره؛ ثم بدأ يطوف بالعالم الإسلامى، ويقابل علماء ومفكره، وخلال

ذلك تمكن من الاطلاع على الأحوال العامة والخاصة للشعوب الإسلامية، ومن التعرف إلى المصلحين من أعلام الإسلام وحمله رسالته.

ولم يكن أحب إلى قلبه من السعى في جمع كلمة المسلمين، وتقوية أواصر المحبة والتعاون بينهم؛ وقد ذهب إلى أن ذلك لا يتحقق إلا عن طريق المؤتمرات الإسلامية، واجتماع علماء المسلمين وذوى الراى فيهم من حين إلى آخر للتشاور في مختلف الشئون، ووضع الحلول العملية لمشكلاتهم على ضوء أحكام الشريعة السمحاء.

وكان يرى أن العالم الاسلامى لا يزال مفتقراً إلى مرشد حقيقى يكون هدفه سوق المسلمين أجمع إلى غاية واحدة، ونحو عرض واحد، وكان همه تربية أجيال جديدة من الشباب الاسلامى تربية دينية وروحية صافية، حتى تستطيع أن تبني بلادها. ولذلك أنشأ عشرات الزوايا التى كان يعلم الناس فيها أصول الدين وأحكامه وآدابه وأخلاقه. ومن أولى هذه الزوايا الزاوية البيضاء (أو الزاوية الأم)، وقد أنشأها في شوال ١٢٥٨ هـ - ديسمبر ١٨٤٢ م. ثم أنشأ زاوية في جغبوب عام ١٨٥٦، كان لها أثرها في التوجيه الدينى، واختار جغبوب مركزاً رئيسياً للدعوة السنوسية، عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م وأسس بها معهداً علمياً ينتسب إليه المتخرجون من كتاتيب الزوايا، ليدرسوا فيه العلم ويتدارسوه، وتخرج منه الكثير من العلماء والشعراء وحفظة القرآن الكريم، وألحق به مكتبة حافلة بالكتب العربية المطبوعة والمخطوطة، وتوفى الإمام يوم الأربعاء التاسع من صفر ١٢٧٧ هـ: السابع من سبتمبر ١٨٥٩ م تاركاً وراءه دعوة إسلامية يرعاها أبناؤه وأحفاده، وثروة علمية في مؤلفاته الكثيرة التي خلفها، ومنها: المسائل العشر، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية، الشموس الشارقة، وغيرها.

ثم صارت الزاوية البيضاء نواة لجامعة اسلامية كبيرة، باضافة المعاهد الموجودة إليها وكان لا بد بعد ذلك من اتخاذ خطوة جديدة لرفع شأن هذه المعاهد، وتوسيع نطاقها وتعميم رسالتها، فأعيد تنظيمها، وصدر بذلك

مرسوم ملكى بتاريخ ١٩ من جمادى الأولى ١٣٨١ هـ: ٢٩ من أكتوبر ١٩٦١، حيث تضمن إعادة تنظيم المعاهد الدينية تحت لواء جامعة إسلامية، يكون نواتها معهد السيد محمد بن على السنوسى الدينى فى البيضاء، الذى هو امتداد لجامعة الجغبوب العتيدة، وضمت المعاهد والمدارس والأقسام التابعة لهذا المعهد إلى الجامعة الجديدة، التى أطلق عليها اسم «جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية» وأريد لها أن تسير ركب التقدم العلمى، وتحقق نجاح النهضة الدينية فى هذا البلد الإسلامى العريق، كما جاء فى خطاب العرش عام ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م، واختيرت مدينة البيضاء مقراً لها، وهى مدينة صغيرة هادئة يتسع عمرانها اتساعاً كبيراً بمرور الأيام.

وقد عين للجامعة شيخ هو المسئول الأول فيها والمشرف على إدارتها، وكان أول شيخ تولى رياستها هو فضيلة الشيخ منصور المحجوب، وثانى شيخ لها هو الشيخ الحالى الشيخ عبد الحميد الديبانى، واختير الشيخ سليمان الزوبى وكيلاً لها، ثم فضيلة الشيخ محمد جوان من بعده.

وبمقتضى قانون إنشاء الجامعة أنشئت كليات ثلاث: الشريعة وأصول الدين واللغة العربية، وتولى عمادة هذه الكليات علماء ليبون متخرجون من الأزهر الشريف، وهم: الشيخ محمد جوان، والشيخ مصطفى التريكى، والشيخ إبراهيم رفيدة. وأنشئت فى الجامعة إدارة للوعظ، ومعهد للبحوث الإسلامية، ومعهد للخطوط العربية، ومعهد للقراءات، ومعاهد للبنات، والكثير من المدارس القرآنية؛ وفى عام ١٩٦٦ صدر مرسوم بإنشاء هيئة كبار العلماء، ومرسوم آخر بإنشاء أقسام للدراسات العليا تابعة لهذه الجامعة الإسلامية على أن يكون مقرها مدينة الجغبوب.

وأنشئت مجلة إسلامية تنطق باسم هذه الجامعة، وهى «مجلة الهدى الإسلامى» التى أشرف عليها الأستاذ الشيخ مصطفى التريكى ولتعدد مسئولياته اختير عالم أزهري معروف للإشراف عليها وهو الشيخ محمد أمين هلال، وقد صدر العدد الأول من المجلة فى شهر رجب ١٣٨١ هـ ديسمبر ١٩٦١ م.

وقد ندب وعين للتدريس فيها طائفة من العلماء الليبيين ومن صفوة علماء وأساتذة جامعة الأزهر الشريف ومعاهده.

وزودت الجامعة بمكتبة عامة ضخمة، أضيف إليها ما بقي من مكتبة الامام محمد بن علي السنوسي التي كانت في الجغبوب، ثم نقلت منها وأضيفت إلى مصلحة الأوقاف، وسميت بمكتبة الأوقاف، ثم نقلت كقسم من أقسام مكتبة الجامعة الاسلامية، وتضم حوالى ثلاث آلاف كتاب ما بين مخطوط ومطبوع.

وأنشئت إدارات مختلفة في الجامعة، تتولى مختلف شئونها وشتى ألوان النشاط فيها، ومنها إدارة التخطيط، وإدارة الاتصال بالعالم الاسلامي.

ويقد كل عام على كليات ومعاهد هذه الجامعة مئات الطلاب من مختلف أنحاء العالم الاسلامي للدراسة فيها، ويتخرج منهم سنوياً عدد كبير من كليات الجامعة ومن معهد البحوث الإسلامية فيها.

الجامعة الليبية

في بدء العام الجامعي ١٩٦٤ - ١٩٦٥ عاد طلبة الجامعة الليبية إلى جامعتهم، ودخل طلبة جدد بوجوه مشرقة، تنضح أملاً في مستقبل ثقافي كبير.

وبهذه المناسبة^(١) عقد مدير الجامعة الليبية مصطفى بعيو مؤتمراً صحفياً في مقر الجامعة بنيغازي. تحدث فيه إلى مندوبي الصحافة والإذاعة بينما جلس برفقته أعضاء هيئة التدريس بالجامعة. واستهل المؤتمر ببيان عن التعليم الجامعي في ليبيا، وعن كل ما أنجزته الجامعة الليبية، وما قطعت من شأو طويل في طريق التقدم والنجاح. وتحدث عن مرحلة البداية التي مرت بها الجامعة وكيف أن هيئة تدريسها لم تكن تتجاوز ستة أساتذة وأنها اليوم بلغت

(١) راجع مجلة المعرفة ٢٠/١١/١٩٦٤

١٠٨ مدرسين، وهم وإن كانوا يمثلون عدة جنسيات وبلاد مختلفة، إلا أنهم يتفنون جميعاً في خدمة العلوم والمعارف الإنسانية.

ابتدأت الجامعة الليبية بكلية الآداب والتربية ثم أنشئت كلية التجارة والاقتصاد، ثم كلية العلوم، وأخيراً كلية الحقوق. وتستعد إدارة الجامعة لافتتاح كلية الزراعة لسد حاجة البلاد في هذا الحقل.

وأول دفعة التحقت بالجامعة كان عدد أفرادها ٣٢ طالباً؛ وكان عدد أفراد أول دفعة تخرجت في الجامعة الليبية ٣١ طالباً، وقد بلغ عدد خريجي الجامعة الليبية حتى أكتوبر ١٩٦٤ : ٥٦٧ طالباً.

وكان عدد طلاب الجامعة الليبية في عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ هو ١١٤٥ طالباً ويتنظر أن يصل هذا العدد إلى حوالي ١٥٠٠ طالباً عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م.

وعينت الجامعة الليبية ٦٠ معيداً بالجامعة، وبعضهم سافروا إلى الخارج للتخصص والعودة ليكونوا نواة صالحة لأسرة التعليم الليبية بالجامعة.

وتضم الجامعة الآن مكتبتين إحداها بينغازي والأخرى في كلية العلوم بطرابلس. وكلاهما تحتويان على عدد كبير من الكتب العلمية والمراجع، وتضم مكتبة بينغازي وحدها ٤٣٦٠٧ كتاباً.

وقد سعت الجامعة الليبية إلى تنفيذ مشروع المكتبة الخاصة لكل طالب، فاستجلبت الكتب وباعتها للطلاب بأثمانها وعلى أقساط، وتحملت إدارة الجامعة نفقات شحنها ونقلها.

كما قامت الجامعة الليبية بنشر عدة مؤلفات لعدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

واهتمت الجامعة الليبية بحياة الطلاب المدرسية، وخصصت قسماً داخلياً للذين يرغبون في الإقامة بالقسم الداخلي؛ وعلى الرغم من أن نظام الانتساب بالنسبة للطلبة الذين يتابعون حياتهم العملية بينما يشتركون آخر

العام في امتحانات الجامعة، قد منعت كثير من الجامعات الحديثة، إلا أن الجامعة الليبية حرصت على الأخذ به لتتيح لكل راغب الفرصة لمتابعة دراسته العالية.

وتعمل الجامعة الليبية على إتاحة الفرصة لأبنائها للاتصال الخارجي فهي تنظم كل عام رحلات علمية للمتفوقين من طلابها إلى مختلف بلدان العالم، كما تشترك الجامعة الليبية في مختلف الحلقات والمؤتمرات الجامعية.

وتقوم الجامعة الليبية بدعوة أساتذة من مختلف جامعات العالم لإلقاء المحاضرات على طلاب الجامعة، بغية التعريف بالجامعة، وإتاحة الفرصة للطلاب للاحتكاك بنوع جديد من الثقافة والاتصال العلمي.

أشهر الصحف والمجلات في ليبيا

في القرن العشرين

يمكننا إجمالاً أن نذكر أهم الصحف والمجلات التي ظهرت في ليبيا منذ أول القرن العشرين حتى اليوم، لما لها من آثار أدبية كثيرة. ولأنها كانت منارة من منارات النهضة والتقدم، وهي هذه:

- ١ - الكشف التي ظهرت عام ١٩٠٨، وصاحبها هو محمد الأنصاري.
- ٢ - العصر الجديد ظهرت عام ١٩١٠، وصاحبها محمد البارودي.
- ٣ - المرصاد وقد ظهرت عام ١٩١٠، وصاحبها الفساطوي.
- ٤ - الرقيب العتيد، ظهرت عام ١٩١٠، وصاحبها نديم بن موسى.
- ٥ - اللواء الطرابلسي، ظهرت عام ١٩١٩.
- ٦ - العدل لصاحبها عبدالله عريبي وقد ظهرت عام ١٩١٩.
- ٧ - الوطن ظهرت عام ١٩٢٠.
- ٨ - الوقت ظهرت عام ١٩٢٠.
- ٩ - الذكرى ظهرت عام ١٩٣٢.

- ١٠ - بريد برقة ظهرت عام ١٩٢٥
- ١١ - ليبيا المصورة وصاحبها هو عمر فخرى المحيشي، وقد ظهرت عام ١٩٣٥
- ١٢ - الوطن، ظهرت عام ١٩٤٣
- ١٣ - برقة الأسبوعية، ظهرت عام ١٩٤٣
- ١٤ - طرابلس الغرب ظهرت عام ١٩٤٣
- ١٥ - بنيغازي ظهرت عام ١٩٤٣
- ١٦ - عمر المختار ظهرت عام ١٩٤٣
- ١٧ - الأخبار ظهرت عام ١٩٤٤
- ١٨ - برقة الجديدة ظهرت عام ١٩٤٥
- ١٩ - المرأة ظهرت عام ١٩٤٦
- ٢٠ - الفجر الليبي ظهرت عام ١٩٤٧
- ٢١ - صوت الشعر ظهرت عام ١٩٤٧
- ٢٢ - الاستقلال ظهرت عام ١٩٤٨
- ٢٣ - المرصاد ظهرت عام ١٩٥٠
- ٢٤ - التاج لصاحبها الأستاذ عمر الأشهب، وقد ظهرت عام ١٩٥١
- ٢٥ - مجلة ليبيا وقد ظهرت عام ١٩٥١
- ٢٦ - الليبي ظهرت عام ١٩٥١
- ٢٧ - اللواء ظهرت عام ١٩٥٢
- ٢٨ - الدفاع ظهرت عام ١٩٥٣
- ٢٩ - الزمان ظهرت عام ١٩٥٤
- ٣٠ - طرابلس الغرب، ظهرت عام ١٩٥٤
- ٣١ - صوت المربي ظهرت عام ١٩٥٥
- ٣٢ - الأفكار ظهرت عام ١٩٥٥
- ٣٣ - الرائد ظهرت عام ١٩٥٦
- ٣٤ - الضياء ظهرت عام ١٩٥٧

٣٥ - مجلة ليبيا الحديثة - مجلة الهدى الإسلامى - مجلة الإذاعة - مجلة الكشف.

٣٦ - صحف: الزمان - العمل - برقة - فزان - طرابلس - الحرية.

وإلى تأثير الصحف والمجلات اليوم نجد تأثير الإذاعة والنوادر الأدبية ومن أهمها: النادر الأدبى وجمعية عمر المختار.

الفصل الثالث

اعلام العلماء في هذا العصر

- ١ -

- ١ - ابراهيم الفيتورى (١٣٥٣ هـ) من زليتن درس بالمعهد الأسمرى وله مشاركة في العلم^(١).
- ٢ - أحمد بن سالم بن على بن عون (١٣٠٥ - ١٩٣٥ م) درس في الأزهر ورجع إلى الزاوية وتولى القضاء^(٢).
- ٣ - أحمد الرجيبى (١٣٠٣ هـ) (١٨٨٦ م - ١٩٥٤) درس في الأزهر وتنقل بين مصر وليبيا وتولى رواق المغاربة في الأزهر وانتخب عضواً في مؤتمر العزيزية ومؤتمر غريان سنة ١٩٢٠^(٣).
- ٤ - أحمد بن مفتاح (١٢٩٧ - ١٣٥٥ هـ) درس في الأزهر ورجع إلى زليتن بلده واشتغل بالتدريس، وكان عالماً جليلاً^(٤).
- ٥ - أحمد الفساطوى (إبريل ١٩٣٦) درس في الأزهر، ورجع إلى وطنه عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م، أسندت إليه رئاسة المدرسة الإسلامية العليا، واشتغل بالأدب والصحافة^(٥).

(١) ٣ اعلام ليبيا.

(٢) ٣٢ و ٣٤ المرجع نفسه.

(٣) ٤٠ و ٤١ المرجع.

(٤) ٤٨ المرجع.

(٥) ٧٣ المرجع.

- ٦ - أحمد الفطيسي من علماء زليتن وله كتاب مخطوط في تراجم علماء زليتن، توفي عام ١٩٤٢^(١).
- ٧ - رحومة الصارى (١٢٨٣ - ١٢٦٦ هـ) من زليتن ومن العلماء والمجاهدين^(٢).
- ٨ - سالم الفطيسي (١٣٤٠ هـ) من علماء زليتن المشهورين^(٣).
- ٩ - سعيد المسعودى (١٢٨٦ هـ : ١٨٦٩ م - ١٩٥٢ م)، درس في طرابلس والأزهر، وعين عضواً بالمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٢٢، وكانت له أشعار وطنية ضد الاستعمار الإيطالي^(٤).
- ١٠ - السنوسى بادی (١٣٠١ : ١٣٥٩ هـ : ١٩٤٠)، من مصراتة عالم جليل، درس في الأزهر وتخرج منه عام ١٣٣٢ هـ، وعاد إلى بنى غازى أيام الطليان ثم عاد إلى مصر وتوفي بها^(٥).
- ١١ - الطاهر النعاس (١٣٠٧ - ١٣٥١ هـ) عالم جليل، درس في الأزهر، وعاد إلى بلاده، منقطعاً للعلم^(٦).
- ١٢ - عبدالله بن عبد الكافي^(٧) (١٣٠٢ - ١٣٧٤ هـ : ١٩٥٥ م) درس في الأزهر وشارك في جميع العلوم وأخذ عنه الشيخ سليمان الزوبى وغيره، وهو من علماء مصراتة المتفوقين، ومات في القاهرة.
- ١٣ - على عياد (١٨٦٨ - ١٩٥٤)^(٨) درس في الأزهر، هاجر عام ١٩١٢ إلى لبنان فسوريا وتوفي بدمشق.
- ١٤ - على الحاجى (١٢٨٩ - ١٢٧٨ هـ ١٩٥٩ م)، درس في الزيتونة وسافر إلى تركيا وكان عالماً جليلاً، تولى بعض مناصب القضاء في بلاده^(٩).

(١) ٧٨ المرجع.

(٢) ١١٢ و ١١٣ أعلام ليبيا.

(٣) ١٢٢ المرجع.

(٤) ١٣٣ المرجع.

(٥) ١٣٠ و ١٣١ المرجع.

(٦) ١٤٣ - ١٤٥ المرجع.

(٧) ١٩٠ و ١٩١ المرجع.

(٨) ٢١٩ المرجع.

(٩) ٢٣٠ و ٢٣١ المرجع.

- ١٥ - عليوة بن إبراهيم^(١) (١٢٧٠ - ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) درس في الأزهر واشتغل بالتدريس والقضاء وشارك في الجهاد.
- ١٦ - عمر الميساوي (١٩٣٠ م - ١٣٤٩ هـ) درس في الأزهر، ودرس في مدرسة عثمان باشا وجامع أحمد باشا في طرابلس، ونفى إلى إيطاليا، ولما عاد منها تولى الإفتاء في مصراته، وشارك في الجهاد الوطني، وأقام في الاسكندرية منذ عام ١٩٢٤ وتوفي فيها^(٢).
- ١٧ - عمر فخرى المحيشي درس في مدرسة فرنسية في الاسكندرية، والتحق بمدرسة إيطالية في بني غازي، وسافر إلى إيطاليا لإكمال تعليمه، ولما عاد تولى وظيفة في بني غازي، وأنشأ جريدة البريد ثم جريدة ليبيا المصورة عام ١٩٣٥، ومات عام ١٩٤٢^(٣)، ورثاه إبراهيم الأسطى عمر الشاعر.
- ١٨ - فرج الفيتوري (١٢٩٩ هـ - ١٩٤٦ م) درس في الأزهر، وتولى التدريس في المعهد الأسمرى وتوفي عام ١٩٤٦^(٤).
- ١٩ - فوزي النعاس (١٨٩٨ - ١٩٣٨) تلقى تعليمه في دمشق وأسهم في الحركة الوطنية وهو في سوريا وبها توفي^(٥).
- ٢٠ - محفوظ الورفلي من أكبر رجالات السنوسيين وعلمائهم وكان من أنصار عمر المختار في حروبه ومات شهيداً في ميدان القتال عام ١٣٤٥ هـ^(٦).
- ٢١ - محمد بن أحمد بن مسعود (١٨٢ - ١٢٦٣ هـ) من علماء زليتن وتولى القضاء^(٧).

(١) ٢٢١ و ٢٢٢ أعلام ليبيا.

(٢) ٢٢٥ المرجع.

(٣) ٢٣٢ - ٢٣٥ المرجع.

(٤) ٢٤٩ و ٢٥٠ المرجع.

(٥) ٢٥٤ و ٢٥٥ المرجع.

(٦) ٢٥٨ المرجع.

(٧) ٢٦١ و ٢٦٢ المرجع.

٢٢ - محمد الورفلى (١٣٤١ هـ) من العلماء درس فى الأزهر وعاد عام ١٣١٧ إلى طرابلس، وتولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر عام ١٣١٨ هـ^(١).

٢٣ - محمد بن عبد السلام المصراتى العالم الأديب، رحل إلى تونس والأزهر، وكان له دراية بالأدب الطرابلسى وبالأدباء فيها وبالحوادث والتواريخ التى مرت بطرابلس، وعاد من الأزهر عام ١٣٥٠ هـ فتولى التدريس فى مدرسة باشا وكذلك الخطابة والوعظ، توفى عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م^(٢).

٢٤ - محمد الكبوشى من علماء زليتن درس فى الأزهر ورجع إلى بلاده ١٣٢٧ هـ بعد أن نبغ فى كثير من العلوم وأسندت إليه وظائف قضائية كثيرة، منها عضوية المحكمة العليا الشرعية عام ١٣٥٠ هـ وتوفى بعد ذلك بقليل^(٣).

٢٥ - محمد أبو حواء^(٤) من أكبر الإخوان السنوسيين ومن أهل العلم مات شهيداً عام ١٣٤٩.

٢٦ - محمد السنى (١٩٢٩ هـ) من كبار الإخوان السنوسيين وعلمائهم^(٥).

٢٧ - محمد الشريف بن محمد بن على السنوسى (١٢٦٢ - ١٣١٣ هـ) والد السيد أحمد الشريف السنوسى وله مشاركة فى جميع العلوم^(٦).

٢٨ - محمد الفقيه حسن (١٢٨٤ - ١٣٦٠ هـ) ولد بطرابلس والتحق بالمدرسة الرشدية وفيها تعلم التركية، ودرس على علماء طرابلس، وتولى وظائف قضائية وشارك فى الجهاد الوطنى وتوفى عام ١٣٦٠ هـ بطرابلس^(٧).

(١) ٢٦٥ و ٢٦٦ أعلام ليبيا.

(٢) ٢٧٩ و ٢٨٠ المرجع.

(٣) ٢٩٤ و ٢٩٥ المرجع.

(٤) ٣٠٨ المرجع.

(٥) ٣١٧ و ٣١٨ المرجع.

(٦) ٣٢٣ - ٣٢٥ أعلام ليبيا.

٢٩ - المختار بن حسين من علماء الزاوية درس في الأزهر وعاد إلى بلده عام ١٩٢٠ م، وتولى وظائف قضائية كثيرة، وتوفي ١٩٤٨^(١).

٣٠ - مفتاح بن عبدالله من علماء زليتن، درس في الأزهر، وتولى القضاء ببلده وتوفي عام ١٣٥٢ هـ^(٢).

- ٢ -

ومن الليبيين طائفة درست في الأزهر ونبغت في علومه وتولت التدريس فيه، ونالت شهرة ذائعة وهم كثيرون، وطائفة أخرى تخرجت من غير الأزهر، وكانت من أعلام الأدب والثقافة في مصر، تذكر منهم على سبيل المثال:

١ - الشيخ الأمير المالكي المتوفى ١٢٣٢ هـ: ١٨١٧ م، وكان إماماً كبيراً وعالماً عظيماً^(٣)، وعليه تخرج كثير من أعلام الطرابلسيين، وفي مقدمتهم محمد بن كامل مصطفى (١٣١٥ هـ) وغيره^(٤).

٢ - الشيخ حسن العطار العالم الأديب الشاعر المشهور المتوفى عام ١٢٥٠ هـ: ١٨٣٤ م^(٥).

٣ - الشيخ علي الليثي الأديب الشاعر المشهور وهو من أسرة طرابلسية الأصل، وقد رحل إلى طرابلس وأقام فيها فترة، وأخذ فيها على الشيخ السنوسي والشيخ القوصي الكبير^(٦)، وكان أدبه وشعره يردد في مجالس الإمام المهدي السنوسي كثيراً.

٤ - عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ - ١٩٢٩ م) الأديب المصلح الكبير^(٧)،

(١) ٣٣٢ و ٣٣٣ المرجع.

(٢) ٣٤٤ و ٣٤٥ المرجع.

(٣) ٣٥ و ٣٦: قصة الأدب في مصر للمؤلف.

(٤) راجع ص ١٧٨: ١ من هذا الكتاب.

(٥) ٩٧ و ٩٨: قصة الأدب في مصر.

(٦) راجع ٣: ٩٩ - ١٠١ المرجع نفسه، وقد تتلمذ على الإمام في الزاوية البيضاء وقد زار لجفوب (٥١ السنوسي الكبير للأشهب).

(٧) راجع ٦٢ - ٧٩: ٥ المرجع، وقصص من التاريخ للمؤلف.

ووالده هو الشيخ خليل جاويش من جماعة بدر بمصراته (ص ١٥ بعض
الملاحح التاريخية عن ليبيا لمصطفى بعيو).
٥ - حمزة فتح الله اللغوى الأديب المعروف المتوفى ١٩١٨ م^(١)؛ ومن المصريين
كذلك طائفة من العلماء أقامت في طرابلس أو غيرها.
وقد زار جغوب الشاعر الشيخ على الليثى، وعبدالله باشا فكرى
وغيرهما من المصريين.

(١) راجع ٤٦ - ٥١ : قصة الأدب في مصر.

الفصل الرابع

متى ظهر الأدب الحديث في ليبيا؟

- ١ -

كانت الدعوة السنوسية حركة إسلامية كبيرة تردد صداها في كل مكان، وذاع نشاطها في كل ركن من أركان الوطن الليبي، وعم أثرها شتى جوانب الحياة في ليبيا العربية المسلمة؛ ولقد بدأ الأدب الليبي الحديث في الظهور بقيامها، وإن كان الذي بدأ منه هو مقدماته الأولى فحسب، لأن الأذهان كانت لا تزال بعد مشغولة بأمر الدعوة، وكان أنصارها يعملون في كل مكان لدعم أركانها ويشغلهم هذا العبء عن الالتفات للأدب والعناية به. ثم فوجئت الدعوة باصطدام فرنسا المسلح بها في أواسط إفريقيا، وفوجئت بعد ذلك بالغزو الاستعماري الإيطالي المسلح الذي حاول القضاء على مقومات الأمة، والذي سلبها حريتها وأمنها وسلامها، وأراق الدماء الطاهرة البريئة في كل مكان فيها؛ واضطر الأحرار إلى الجهاد والنضال، واستمر هذا النضال أكثر من عشرين عاماً (١٩١١ - ١٩٣٢) حتى أمكن لإيطاليا الفاشستية بكل وسائلها البربرية القضاء على المقاومة المسلحة، ولكن المقاومة السلبية ظهرت في شتى أنحاء الوطن الليبي الأبي واستمرت سبع سنوات (١٩٣٢ - ١٩٣٩)، وقامت الحرب العالمية الثانية، ونصب كل ليبي من نفسه جندياً يدافع عن مقدسات بلاده ويحارب إيطاليا وجيوش الاحتلال بكل ما يستطيع، وانتهت الحرب وبدأ جهاد الليبيين يتضاعف من أجل الاستقلال والوحدة. وفي ١٩٤٩ أعلن الملك إدريس الأول استقلال برقة، وبعد ذلك وفي الرابع

والعشرين من ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال بلاده بوحداها الثلاث طرابلس وبرقة وفزان، وبدأ منذ ذلك الحين عصر الاستقلال، الذي يعد ذروة التاريخ الحديث في الوطن الليبي، وبدء عصر ازدهار الأدب الليبي الحديث في تلك البلاد.

- ٢ -

وعلى ذلك يمكننا أن نقسم هذه الفترة الطويلة التي تبدأ بقيام الحركة السنوسية وتمتد حتى اليوم إلى ثلاث فترات:

١ - الفترة الأولى منذ قيام الدعوة السنوسية (شوال ١٢٥٨ هـ - ديسمبر ١٨٤٢ م)^(١) حتى انتهاء العصر العثماني (١٣٢٩ هـ : ١٩١١ م) والأدب في هذه الفترة لا يخرج عن نطاق الأدب الليبي في عصر العثمانيين لأنه متأثر بالمؤثرات العامة التي تأثر بها هذا الأدب، ولأن حكم العثمانيين كان لا يزال له الصفة الشرعية في ليبيا وكان هناك حاكم عثماني في برقة وآخر في طرابلس، وأحياناً يكتفي بحاكم واحد مقره طرابلس^(٢). وإن كان النفوذ والسيادة في شتى ربوع البلاد وخاصة الجهات الداخلية منها إنما هي لزعماء السنوسية ودعاتها. وقد تحدثنا عن الأدب الليبي حتى نهاية هذه الفترة، فلا داعي لتكرار الحديث فيه.

٢ - والفترة الثانية هي فترة نضال الأمة الليبية وجهادها المقدس ضد الغزاة الإيطاليين وتستمر هذه الفترة من بدء الغزو الإيطالي ١٣٢٩ هـ : ١٩١١ م حتى طرد الإيطاليين من الأراضي الليبية في يناير ١٩٤٣، ثم

(١) كان هذا التاريخ هو أول نشاط الحركة السنوسية في ليبيا، وبدتها بتأسيس الزوايا السنوسية في ربوع هذه البلاد، ففي هذا التاريخ أنشئت زاوية البيضاء وهي أولى الزوايا السنوسية في ليبيا.

(٢) على أن القول لم تكن بعد قد بدأت تتمثل الأفكار السنوسية وتدخلها في نطاق الإنتاج الأدبي، وكان زعماء السنوسية وأنصارها مشغولين، والبلاد كذلك معهم مشغولة، يشنون الدعوة، ثم بالدفاع عنها، ثم بنضال المستعمرين.

يبدأ نضال الليبيين الأحرار وعلى رأسهم زعيم البلاد محمد إدريس السنوسي من أجل إعلان الاستقلال، ويستمر هذا الكفاح حتى سبتمبر ١٩٤٩. حيث أعلن هذا البطل المقdam استقلال برقة، ولم يمض عامان اثنان حتى أعلن استقلال ليبيا بوحداتها الثلاث وذلك في ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١، وبذلك التاريخ تنتهى الفترة الثانية.

٣ - والفترة الثالثة هى عهد الاستقلال وذلك من عام ١٩٥١ حتى اليوم.

- ٣ -

وإذا كنا لم نعد الأدب فى ليبيا فى الفترة الأولى داخلاً فى نطاق الأدب الليبي الحديث لأنه كان لا يزال متأثراً بكل المؤثرات التى يتأثر بها الأدب فى عصر العثمانيين، وكان حكم العثمانيين لا يزال موجوداً له الصفة الشرعية فى البلاد، وكانت البلاد مشغولة بأمور الدعوة السنوسية، ولم تكن العقول قد فرغت بعد إلى الإنتاج الأدبي متأثرة بالعوامل الجديدة فى ظلال هذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية الكبيرة.

فإن ظهور الأدب الليبي الحديث على وجه الحقيقة، وقيامه الفعلى؛ إنما كان مع قيام حركة الكفاح المقدس ضد الغزاة الإيطاليين عام ١٣٢٩ هـ: ١٩١١ م؛ فقد بعث هذا الكفاح الحماس فى صدور الشعراء العرب فى كل مكان، فنظموا القصائد الطوال فى الحرب الطرابلسية، وتمجيد بطولة الليبيين العرب الأحرار، واستماتهم فى الدفاع عن وطنهم، ومن بين هؤلاء الشعراء: الرصافي وشوقي وحافظ ومحرم وسواهم، كما بعث كذلك الحماس فى صدور الشعراء الليبيين فأخذوا يترنمون بالشعر يمجدون فيه حريتهم ويدافعون به عن وطنهم ويؤججون به مشاعر العرب الكريمة فى كل مكان نحو ليبيا وحققها فى الحرية والشرف والإباء والكرامة وحققها على العرب فى مساندتهم لقضيتها العادلة الشريفة.

وعلى ذلك فإن الأدب الليبي الحديث لم يبدأ من عام ١٨٤٢ م إلا

جذوره الأولى النامية، أما بدؤه الحقيقي فكان عام ١٩١١ م، وهذا الأدب الذي بدأ عام ١٩١١ هو من ثمار الدعوة السنوسية، وأثر من آثارها، لأنها كانت أجل مؤثر فيه، وأظهر العوامل التي تركت سماتها وخصائصها عليه، فهذا الأدب الليبي الحديث هو صدى الدعوة السنوسية ولسان من ألسنتها، ومظهر من مظاهرها، وثمرة من ثمراتها.

الفصل الخامس

مقومات الأدب الليبي الحديث

- ١ -

تجمعت منذ أوائل القرن العشرين شتى المقومات السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية، فساندت الأدب الليبي، ودعمت أصوله، وقادته نحو القوة والازدهار، وبدأ بعد قليل التاريخ الحقيقي لمولد الأدب الليبي الحديث هذا الأدب الذي يعبر عن الشعب، يترنم بآماله، ويتمثل فيه صدى آلامه، ويغنى للحرية ويدافع عنها، ويشدو ببطولة الأبطال على أرض ليبيا العربية الحرة؛ هذا الأدب الذي تظهر فيه كل الخصائص والمميزات التي لا بد من توافرها في أدب ينسب إلى ليبيا ويتمى إليها.

- ٢ -

وفي صدر هذه المقومات ما يلي:

١ - البواعث القومية، وهي التي بعثت الشعب الليبي كله على نضال المستعمرين، والترنم بمجد ليبيا وحريتها، وعروبيتها وإسلامها، والدفاع عن شرفها وعزتها وسيادتها وحقوقها في الحياة والكرامة والسؤدد والفخار^(١)، ولقد عاشت ليبيا طول عصور التاريخ على الإسلام

(١) لما زار المؤرخ أرنولد توينبي ليبيا عام ١٩٦٤ خطب في الجامعة الليبية في بنى غازى فقال: إنه ينصح الليبيين بأن لا يكونوا متعصبين كثيراً لقوميتهم ليرتفعوا إلى مستوى الوحدة العالمية. فرد عليه مصطفى بعبو مدير الجامعة الليبية يقول: كيف نرتفع إلى مستوى الوحدة العالمية إذا كانت قوميتنا الإقليمية منقرضة أو غير موحدة (الحقيقة - عدد ١٨/٤/١٩٦٤).

والعروبة، وارتبطت بهما ارتباطاً روحياً وثيقاً، مما غنى من شخصيتها وكيانها.

٢ - البواعث الاجتماعية وتتمثل في المجتمع الليبي العربي المتشابه النزعات، المتقارب الأصول والعناصر، المتحد ديناً ولغة ومشاعر وآمالاً وآلاماً. ولقد بلغ الوعي الاجتماعي في ليبيا مداه في الشعور بالمجتمع والإدراك له، وإحساس الفرد بأنه مدفوع إلى قوة الترابط الجماعية، يضم قوته الفردية إليها، ويعمل من أجل المساهمة في قوتها؛ وهذا الوعي الاجتماعي يساند الوعي الوطني ويذكّيه؛ ويعمل على دعم كيان الأدب الحديث في ليبيا العربية وتنميته، عمله على يقظة الأمة سياسياً واجتماعياً، ولقد دأب الشعب الليبي على العمل من أجل تعزيز كيانه الاجتماعي، يحفزه إلى ذلك الروح الدينية الإسلامية المتغلغلة في أعماق الشعب، وتدفعه الحركة السنوسية إلى ضم صفوفه، وجمع كلمته، ونبذ الخصومات القبلية والأهواء الشخصية، وإثراء روح التعاون والمحبة بين صفوفه وطبقاته وقبائله وأفراده؛ ولقد نافست المرأة والشباب الرجل في هذه المجالات، وحمل الجميع عبء النضال الوطني والدفاع عن حرية البلاد، مما دعم الأدب الليبي الحديث وعزز أصوله، وهذه هي «مبروكة المقسية، التي حضرت معارك زنزور»^(١)، وكانت تتقدم المجاهدين وتحثهم على الاستبسال في الدفاع وقد أعجب نشأت باشا بشجاعتها فأعطاهما سيفاً، فكانت تتقلده وتذهب به إلى المعركة، وسماها مراسل جريدة (بارى جرنال) جان دارك الثانية، وأثنت عليها الأديبة التركية فاطمة عليّة بنت جودت باشا في مقال نشرته في جريدة صباح التركية عام ١٩١٣^(٢)، وهذه فتاة طرابلسية مجهولة تضرب المثل في البطولة لبنات جنسها في مقاومة الغزاة الإيطاليين والدفاع عن شرف البلاد^(٣) ومواقف الأبطال

(١) من المعارك المشهورة التي نشبت بين المجاهدين وجيوش إيطاليا.

(٢) ٢٥٧ أعلام ليبيا.

(٣) ٢٤٩ المرجع السابق.

والشباب والنساء والرجال في حركة الجهاد المقدس كان من أروع ما يتصوره العقل وفي ذروة ما يحلم به إنسان.

٣ - البواعث العقلية، فإن الفكر الليبي بدأ من أوائل القرن العشرين يتصل بالعروبة والدين والدعوة السنوسية اتصالاً وثيقاً، على الرغم من وسائل الغرب ودعاياته ومدارسه وثقافته ومن كل ما يعمل به لغرض واحد هو صرف الفكر العربي عن ماضيه وتراثه ومقوماته الأصيلة من الدين واللغة وغيرهما. وللزوايا السنوسية في ليبيا، ولعدم اختلاط الشعب الليبي بغيره من العناصر الأخرى اختلاطاً شديداً، أثر واضح في ذلك، وقد قامت الجامعة الإسلامية في ليبيا تعزز روح الثقافة والدين والتفكير في نفوس الشباب الليبي، ولها في هذا المجال رسالتها الكبيرة الضخمة الممتدة إن شاء الله؛ ولقد تطور الفكر الليبي بمسيرة الحياة المتحضرة، وباتصاله بشقى الثقافات، وبانتشار التعليم في بلاده، وبإنشاء الجامعات فيها، وبقيام الإذاعة والصحافة والأندية الأدبية وغيرها.

٤ - قيام الجامعة الإسلامية مركزاً ثقافياً إسلامياً رفيعاً في أرض ليبيا العربية المسلمة.

٥ - قيام الجامعة المدنية في بنغازي وطرابلس، وتقوم فيها عدة كليات كالآداب والحقوق والزراعة والطب والهندسة والتجارة وتؤدي رسالة كبيرة في تثقيف الشباب الليبي وإعدادهم لحمل الأمانة والمسئولية الملقاة على عاتقهم.

٦ - انتشار التعليم في ليبيا: نهض التعليم في ليبيا نهضة كبيرة منذ قيام الزوايا السنوسية، وكان في البلاد قبل الغزو الإيطالي المعهد الأسمرى في زليتن، والمدرسة الإسلامية العليا (معهد أحمد باشا) والمدرسة الرشدية في طرابلس وكثير من المدارس الابتدائية والثانوية والصناعية، وقد أراد الاستعمار الإيطالي أن يحارب التعليم في ليبيا حرباً شعواء، فأنشأ بعض المدارس الابتدائية لغة التدريس فيها هي اللغة الإيطالية، ولم يتجاوز عدد التلاميذ الليبيين فيها عام ١٩٣٩ عشرة آلاف بينما بلغ عدد طلبة

الجالية الإيطالية أكثر من ستة عشر ألفاً، وكانت مواد الدراسة في هذه المدارس ترمى إلى تأكيد الإيمان بالإمبراطورية الرومانية وأن ليبيا جزء منها، واهتمت إيطاليا بعزل ليبيا عن العالم العربي والإسلامي، فأنشأت مدرسة دينية إسلامية في طرابلس لتمنع سفر الطلاب إلى مصر وتونس، ولكن الزوايا استمرت في أداء رسالتها وكثر سفر الشباب الليبي إلى مصر لتلقى دروسهم في مصر وخاصة في الأزهر، وكذلك في تونس في الزيتونة.

وفي عهد الاستقلال، بدأت العناية بالتعليم العام، وأنشئت المدارس والمعاهد الجديدة، وشجعت حركة البحوث العلمية، ولقى الأساتذة والطلاب ضروياً من التشجيع والرعاية.

٧ - المطابع وأثرها: كان مطلع القرن الخامس عشر الميلادي بدء تطور في العلم والحضارة، إذ وصل العالم فيه إلى اختراع الطباعة، بعد تجارب ومحاولات عدة، سبقت الوصول إلى هذه الغاية.. فقلبت الطباعة وجه الأرض، ودفعت الحضارة دفعاً عنيفاً.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الصينيين قد سبقوا الأمم إلى استخدام الطباعة في إخراج كتبهم في القرن التاسع الميلادي، ولكنها لم تنتشر عندهم إلا في القرن العاشر.. ففي عام ٩٣٢ م التمس وزيران من امبراطور الصين أن يأمر بتصحيح بعض كتبهم وطبعها؛ وعند الصينيين كتب مطبوعة من عهد ملوكهم من عائلة (سنگ) ٩٩٠ - ١٢٧٩ م.. أما الطبع بالحروف المتحركة فأول من ابتكر طريقته لورنس كوستر (١٤٣٢ م)، وكان جوتنبرج الألماني (١٤٦٨ م) عاملاً عنده، فأخذ الاختراع وادعاه لنفسه، وقيل إن أول مبتكر لذلك حنا فوست، وقيل بطرس شوفر.. وبدأ الإيطاليون باستخدام الطباعة عام ١٤٦٥ في سوبياكو، وفي عام ١٤٦٩ م أنشئت المطابع في باريس وميلانو والبندقية، ودخل فن الطباعة إنجلترا عام ١٤٧٤ م، وأسبانيا عام ١٤٧٥.. وفي عام ١٥٠٠ م كان في أوروبا نحو مائتي مطبعة، فالقرن الخامس عشر هو إذاً قرن الفتح العلمي باختراع الطباعة..

وأقدم المطبوعات العربية مزامير داود التي طبعت في جنوا عام ١٥١٦ م ثم التوراة ترجمة سعيد الفيومي وقد طبعت في الأستانة عام ١٥٥١ م، وطبع الإنجيل في روما عام ١٥٩١ م، وقانون ابن سينا في روما عام ١٥٩٣، ثم طبع القرآن الكريم في هامبورج عام ١٦٩٤، وصحاح الجوهري مترجماً إلى التركية في الأستانة عام ١٧٢٩، وكتاب نجوم الفرقان عام ١٨١٢ في كلكتا، وكتاب فتوح الشام عام ١٨٥٥، وأنشأ نابليون مطبعة عربية صغيرة في مصر عام ١٧٩٨، ثم أنشأ محمد علي مطبعة بولاق عام ١٨٢٢.

وقد بدأت الطباعة في طرابلس منذ أوائل القرن العشرين، وقامت فيها عدة مطابع عربية حاربها الاستعمار الإيطالي كما حارب اللغة العربية... وبعد الاستقلال تعددت المطابع في طرابلس وبنغازي، ومنها المطبعة الليبية في طرابلس (١٩٥٦) ومطابع السيد عبدالله عابد السنوسي في بنى غازي، ومطابع كثيرة متعددة أخرى...

٨ - انتشار الصحافة: عرفت الصحافة عن الصينيين القدماء قبل الميلاد بألف عام، وعند الرومان قبل الميلاد بسبعة قرون؛ وظهرت الصحافة بمعناها الحديث في أواسط القرن السادس عشر الميلادي؛ وما زال أمرها يعظم حتى صارت من أولى عناصر الحضارة، وعدت رابعة السلطات، ولها الأثر البارز في رقى الثقافة، وتكوين الرأي العام، وتعزيز سلطان الأمة، والمجلات العلمية والأدبية من مقومات النهضة الأدبية في كل أمة من أمم العالم...

وقد كان لقيام الصحافة في ليبيا أثر في نشر الثقافة ورقى النشر، وزيادة المعرفة. والأساليب العربية التي تكتب بها الصحف والمجلات خير مدرسة لتلقين الأدباء وتخريجهم. وقد عرفت ليبيا ما يربو على خمس وثلاثين صحيفة منذ أكثر من ستين عاماً أي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وإلى بداية عهد الاستقلال من بينها عدد قليل من المجلات، فقد صدرت بطرابلس ثمانى صحف، من بينها مجلة شهرية تسمى «ثمرة الفنون» وهي مجلة أدبية أنشأها داود أفندي عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م.

ومنها جريدة الترقى التي أنشئت في طرابلس عام ١٩٠٨^(١) وشارك في تحريرها عبد الرحمن البوصيرى وعثمان الفيزانى وأعلام الأدب في ليبيا؛ ثم أصدر عبدالله عريبى جريدة العدل عام ١٩١٩ في طرابلس^(٢).

وفي عام ١٩٢٠ قامت جريدة اللواء الطرابلسية ولمواقفها في الدفاع عن حرية الشعب أغلقت هذه الجريدة عام ١٩٢٢، وأسست بعد ذلك جريدة (الوقت) لصاحبها محسن ظافر المدنى، ثم عطلت فزال آخر أثر للصحافة الوطنية في ليبيا، وأنشأ عمر المحيشى جريدة البريد ثم مجلة ليبيا المصورة؛ وبعد الاستقلال قامت صحف ومجلات كثيرة تؤدي دورها في النهوض بالمجتمع الليبي وفي زيادة الوعي الفكرى بين أبناء البلاد، ومن بين الصحف التي صدرت مجلة المرأة ومجلة ليبيا وقد توقفت، ومن الصحف اليوم: صحيفة برقة وفزان وطرابلس والحقيقة والعمل، ومن المجلات: مجلة الهدى الإسلامى التي تخرج عن الجامعة الإسلامية بالبيضاء ومجلة الإذاعة، والرواد.

٩ - قيام الإذاعة: كان الإيطاليون قد أنشأوا محطة إذاعية صغيرة في طرابلس، وقد نسفها جنودهم أثناء تقهقرهم أمام الجيش الثامن، ونسفوا أعمدة الإرسال القائمة ببلدة جنزور، وفي عام ١٩٤٧ قامت إذاعة عربية في البلاد، وبعد الاستقلال نهضت الإذاعة الليبية وقوى إرسالها وتعددت برامجها وزادت مخصصاتها، وهي تؤدي رسالتها في تثقيف الشعب وتوجيهه توجيهاً صالحاً مفيداً.

١٠ - الأندية الأدبية، وهي كثيرة في المدارس والجامعات، ومنها النادى الثقافى الأدبى في طرابلس، ونادى طلبة البعث في البيضاء، وقاعة المحاضرات في الجامعة الليبية، والمركز الثقافى المصرى في بنغازى، ونظيره في طرابلس، وغير ذلك من الأندية الأدبية الموفرة في البلاد.

(١) ٢٠١ أعلام ليبيا.

(٢) ١٨٧ المرجع نفسه.

١١ - دور الكتب: من سنن الحضارة الإسلامية إنشاء خزائن الكتب في كل مدينة ومسجد، وقد اشتهرت القاهرة والقىروان وطرابلس وقرطبة ودمشق ومكة والمدينة والبصرة وبغداد وشتى العواصم الإسلامية في المشرق والمغرب بدور الكتب التى قامت فيها. وحسبنا أن نعرف أن أبا تمام عوفه البرد فى همذان، فوجد فى إحدى خزائنها ما يسر له اختيار حماسته، وكذلك أقام ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) فى مرو الشاهجان فأفاد من اثنتى عشرة خزانة بها، فى كل واحدة آلاف المجلدات، ويقول فى مقدمة كتابه المشهور «معجم البلدان»: «فكنت أرتع بها، وأقتبس من فوائدها، وأنسانى حبها كل بلد، وألهانى عن الأهل والولد، وأكثر فوائدها هذا الكتاب وغيره، مما جمعت، فهو من تلك الخزائن...».

١٢ - إنشاء اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، وتخصيصها جوائز سنوية لأحدث ما ينتجه الأدباء والشعراء الليبيون، فى البحوث والدراسات، وفى الأعمال الأدبية من قصة ومسرحية وشعر ورواية طويلة وشعر.

الفصل السادس

الحركة الأدبية وتطورها في هذا العصر

- ١ -

يبدأ الأدب الليبي الحديث من عام ١٩١١ على وجه الحقيقة، ففي هذا العام أفاق الأدباء والشعراء الليبيون على سيل الغزو الإيطالي البربري لبلادهم، وعلى معارك البطولة والشرف التي مثلها المجاهدون والأبطال منهم على أرض الوطن، وعلى قصائد أعلام الشعراء في مصر والشام والعراق وفي كل مكان من الوطن العربي الكبير ومن العالم الإسلامي في الحديث عن الحرب الطرابلسية. ووصف مواقف المجد والتاريخ والبطولة لليبيين الأحرار، كقصائد شوقي ومحرم والرافعي والكاظمي وحافظ والرصافي وإقبال وغيرهم من أئمة الشعر وقادة الحركة الأدبية في الشرق العربي والإسلامي... فأخذ الأدباء والشعراء الليبيون يسابقون هذه الأحداث، يصفونها ويتحدثون عنها، ويعبرون عن مشاعر أمتهم وآلامها في هذه الحقبة الحافلة بالمفاجآت...

واستمرت الحرب بين جيوش الغزاة المسلحين بكل أنواع الأسلحة الحديثة وبين المجاهدين العزل من السلاح، وبدأ الاستعمار يضع قدمه على أرض الوطن الجريح، وبدأ ينشب أظفاره في كل ميادين النهضة والتقدم في ليبيا يمزقها تمزيقاً، وبدأ ينتقم من الأبرياء في كل مكان، ويقاوم كل مقومات الأمة المجاهدة، فحارب الدين، وحارب اللغة العربية، وحارب العلم والصحافة، وحارب كل شيء يمكن أن يذكر الليبيين بماضيهم وتراثهم وبعروبتهم... وبدأ الكثير من الأدباء والشعراء الليبيين يهاجرون إلى شتى بلدان الشرق العربي، إلى مصر والشام والعراق وتونس والمغرب، وإلى تركيا،

وإلى السودان؛ وبدأت الحركة الأدبية تفتقر في داخل ليبيا قليلاً قليلاً، وسرعان ما مرت الأيام وتلاحقت الأحداث، وطرد الإيطاليون من أرض ليبيا المجاهدة الحرة عام ١٩٤٣ بعد اثنين وثلاثين عاماً مملوءة بالكفاح والدماء وغالي التضحيات؛ وبدأ المهاجرون يعودون إلى بلادهم شيئاً فشيئاً، وبدأ الأمن والطمأنينة تسود البلاد؛ ومع فجر الاستقلال بدأت الحركة الأدبية في كل مجالاتها تزحف زحفاً في سبيل التقدم والازدهار، متأثرة بعوامل كثيرة عديدة منها:

١ - رقى النهضة الثقافية في شتى بلاد الشرق العربي، وخاصة في الجارة العربية الكبرى الشقيقة مصر.

٢ - تعدد المدارس والمذاهب الأدبية والشعرية في العالم العربي فهناك التيار الكلاسيكي والرومانسي والرمزي والواقعي والسياسي والوجودي؛ وهناك مدرسة شعراء الديوان، مدرسة شعراء أبولو، وهناك مدرسة عربية أخرى تطل بمذاهبها وتياراتها على العالم العربي من بعيد، وهي مدرسة شعراء المهجر؛ وهناك أعلام الأدباء والشعراء في كل مكان، يقرأ الليبيون أدبهم وشعرهم في الدواوين والكتب والصحف والمجلات ويستمعون لهم في مختلف الإذاعات والندوات؛ ومن بينهم الزهاوي والرصافي والكاظمي وبشارة الخوري وأبو ريشة وشوقي وحافظ وشكري والعقاد ومطران والمازني وأبو شادي وطه حسين وهيكل وأحمد أمين وزكي مبارك والزيات وعلى محمود طه وإبراهيم ناجي والشابي والتيجاني بشير وجبران وإيليا أبو ماضي وإلياس فرحات والشاعر القروي وسواهم.

وهناك المجلات الأدبية الكبرى ومن بينها «الرسالة» و«الثقافة» في مصر، و«الأديب» و«الأدب» في لبنان وسواها.

٣ - البعث الجديد لتراثنا الأدبي القديم، وقد نهض هذا البعث وقوى واستحكم بفضل مصر، وجارتها في ذلك لبنان والعراق وسوريا.

٤ - أثر الجامعات العربية الكبرى، وفي مقدمتها الأزهر الشريف وجامعة

محمد بن علي السنوسي الإسلامية، والجامعة الليبية، وجامعة الزيتونة ومدرسة القرويين، وجامعات القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد والرباط وغيرها.

٥ - اتصال الأدباء في ليبيا بمختلف النهضة الأدبية في الشرق والغرب وتأثرهم بها.

٦ - رقى الدراسات الأدبية والعربية في ليبيا، ولكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالبيضاء أثرها الكبير في هذا المجال، وعميدها الشيخ إبراهيم رفيدة من أكثر الشباب الليبي اطلاعاً وأوسعهم ثقافة، وأشدّهم وقوفاً على مختلف التيارات الأدبية والفكرية والإسلامية، وقد تخرج من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.

- ٢ -

وهكذا تمتد جذور النهضة الأدبية في ليبيا إلى أعماق ماضٍ بعيد، فقد رافقت طلائع النهضة الأولى في الشرق العربي، وتلقت عنه الدفقات الإشعاعية التي بعثت روح الحياة في هيكلها الجامد. وبدأت بواكير النهضة الأدبية في المعهد الجديد تتخذ مظاهر عديدة، وأخذ الأدباء يسرون في تيارات النزعات التجديدية، ويواكبون تطورات النهضة الأدبية في العالم العربي، وأخذ الشعراء ينظمون شعرهم، الجامع لجزالة القديم ورقة الحديث، والمحتوى على دقة المعنى وروعة التصوير. . . حتى في ميدان النقد والمقالة والقصة والمسرحية بدأ الأدباء الليبيون يزحفون مع أدباء مصر ولبنان وتونس وسوريا والعراق والمغرب والسودان، ولعل مصطفى المصراقي مجموعة قصصية عنوانها «مرسال» ولغيره من أدباء الشباب الليبيين مجموعات قصصية كثيرة^(١). . . ومن احتفال

(١) يتحدث الأستاذ علي مصطفى المصراقي عن القصة في الأدب الليبي فيقول: مقومات القصة في ليبيا كثيرة، وينابيع القصة والمسرحية وفيرة، فقد خلفت منها الأحداث مسرحاً لروائع القصص (راجع ص ٧ - ١٣ لمحات أدبية عن ليبيا).

الشعب الليبي بالرواية والمسرح قيام فرق كثيرة للتمثيل في سنوات قلائل، ومنها الفرقة القومية للتمثيل والموسيقى، وفرقة الاتحاد.

الأدب الليبي المعاصر

عادت ليبيا العربية الحرة إلى الظهور وإلى الإسهام في الحقلين الثقافي والأدبي من جديد وعادت لمدها صبغتها العربية الإسلامية مرة أخرى، وحفلت عواصمها في الأقاليم الشرقية والجنوبية بمختلف النشاط الأدبي والعقلي، كما كانت من قبل في مختلف عصورها الإسلامية. وأخذ المفكرون والأدباء والعلماء فيها يعملون في سبيل إيجاد بيئة ثقافية متطورة تقف في مستوى واحد مع شتى البيئات الثقافية في العالم العربي.

وكان للاستقلال الوطني الليبي، الديني والفكري والأدبي في بلاده، ولغيره المسئولين والمثقفين أثر كبير في هذا الاتجاه الجديد وفي نموه وازدهاره.

ووقفت جامعتا ليبيا الفتيان الجامعة الإسلامية في البيضاء والجامعة المدنية في بنغازي وطرابلس تكافحان من أجل تأسيس وإنماء البيئة الثقافية الجديدة في الوطن الليبي العظيم.

ووراء ذلك كله وقف التاريخ الليبي العريق بكل حيويته وبطولاته وإشعاعه الروحي والفكري والأدبي يؤيد حركة البعث الجديد في ليبيا العربية المعاصرة، تاريخ ليبيا قبل الإسلام الذي تمثله مراكز الحضارة الإغريقية فيها وبخاصة مدينة قورني التاريخية ذات الشهرة العالمية بآثارها وحضارتها ومفكرها وفلاسفتها وعلمائها وجامعاتها، والذي تمثله مراكز الحضارة الفينيقية والرومانية فيها كذلك في مختلف عصورها، وتاريخها بعد الإسلام في شتى بطولاته ومواقفه وروائع آثاره وعظمة انتصاراته وذروة إبداعه وإثرائه للحضارة العربية الإسلامية، ثم تاريخها المعاصر كذلك بكل ما حققه من أعمال وما شارك فيه

من نضال وما ناله من نصر قومي رفيع على كل عوامل التخلف والاحتلال والجمود، وكانت الانتصارات الليبية في خلال القرن العشرين على جيوش الاحتلال الإيطالي مضرب الأمثال في كل مكان على حيوية هذا الشعب وقدرته الفائقة على الاحتفاظ بمكاسبه وحرية وعرويته ودينه، وعلى مدى تغلغل الروح الوطنية في نفوس المواطنين وإيمانهم بربهم ودينهم ووطنهم، وحبهم للحرية التي هي جزء لا يتجزأ من حياتهم.

هذه العوامل كلها هي من مقومات الأدب الليبي المعاصر، الذي شارك في إبداعه وعمل على ازدهاره أجيال كثيرة من أدباء ليبيا المعاصرين، شبابهم وشيوخهم على السواء.

وقد ظهرت في هذا الأدب آثار المحاكاة للأدب العربية المتجددة في مختلف شعوب العالم العربي وبخاصة مصر الجارة الكبرى الشقيقة لليبيا، وتأثير الأدباء والشعراء والمفكرين المصريين في ثقافة ليبيا المعاصرة وفي شتى ألوان الأدب وفنونه فيها واضح جلي؛ وإن كان هناك تأثيرات مختلفة للأدب المهجري وللأدب الغربي وللأدب العالمية إلا أنها ليست من الظهور والقوة بمكان كبير.

والشعر الليبي يخلق في الجانب الغنائي والوصفي والوطني والقومي، وقد جدت آداب اجتماعية وقصصية وتاريخية إلا أنها لا تزال في طور النمو والتكوين، والنقد والأدب المسرحي لا يزالان في مرحلة النمو كذلك. ومشاركة الأدباء الليبيين في مجالات العروبة والإسلام مشاركة فعلية مؤثرة واضحة.

ومع تضافر كل العوامل الممهدة لنضهة الأدب وازدهاره وتقدمه في هذا الإقليم العربي الكبير فإننا نتطلع إلى مستقبل عظيم مزدهر للأدب الليبي المعاصر.

ولقد حبا الله ليبيا طبيعة خلابة، فوق ما حباها به من تاريخ عريق وحضارات قديمة وآثار خالدة، والليبي على العموم يمتاز بالذكاء والمواهب

العالية والفطرة السليمة وبروح التدين العميق، وبحب البساطة، وبالقدرة الفائقة على الإبداع فى شتى مجالات الأدب والثقافة. وإذا كان ميله إلى التقليد ظاهراً، فإن هذا التقليد دائماً سلاحه إلى الأصالة والشخصية المستقلة والإبداع العقلى.

ومن كل هذه الصفات العقلية نرجو للأدباء الليبيين مستقبلاً طيباً فى خدمة آداب بلادهم خاصة والأدب العربى الجديد بصفة عامة.

وإذا كان الرخاء الكبير الذى حققه تضال الإدريس وشعبه لهذه البلاد عاملاً كبيراً مساعداً على خدمة الثقافة والأدب وعلى العمل على نموها وازدهارهما، فإننا نرجو أن يتعد شباب هذه البلاد عن الآثار الضارة التى يخلفها أمثال هذا الرخاء فى بعض المجتمعات الأخرى، من أمثال الكسل العقلى وترك أعباء البحث والنشاط الفكرى وعدم تحمل المسؤولية الأدبية، وغير ذلك من النتائج الضارة التى تعوق نهضة الأمم وتقدمها.

ومن إلهام النضال القومى فى ليبيا المتمثل فى تصميم هذا الشعب على بناء حاضر قوى ومستقبل مزدهر، نتطلع إلى الشباب الليبى بكل مقدراته وحيويته وقوته، لأنه عدة هذا الوطن فى معركة البناء والتجديد، ولأنه دائماً الذى يبنى النهضات القومية والفكرية والأدبية ويغذيها بروحه وطموحه وقوته.

وعندما يكثر خريجو جامعات ليبيا، لا شك أنهم سوف يحملون أمانة الأدب الليبى المعاصر وسيبشرون بحياة أدبية جديدة واضحة المعالم والشخصية، ظاهرة السمات والألوان الفنية، وسوف يعملون فى مجال الإبداع الفنى والأدبى والإنسانى بكل ما فيهم من طاقات.

إن المستقبل واسع مفتوح الأبواب والمنافذ أمام الأدب الليبى الجديد، وأمام الأدباء الليبيين ذوى الميل إلى الأصالة والموهبة والحرية الفنية.

وعندما تنمو الصبغة الإنسانية والإسلامية وتستكمل شتى عناصرها ومقوماتها فى هذه البلاد، لا شك أننا سوف نرى حيثث من المواهب فوق هذه التربة الزكية الطاهرة أضعاف أضعاف ما نحلم به اليوم.

والمستقبل قريب، وهو يتمثل في خيوط الفجر الجديد الذي تنسجه أيدي الحاضر الحر والغد المشرق بتوجيه من الإدريس العظيم ومن جيل النضال الحر القومي المنتصر في وطن الأحرار والتاريخ، في ليبيا العربية المسلحة.

ونحن لا نزعم أن الأدب العربي المعاصر في ليبيا قد بلغ كل ما نتمناه له من قوة وازدهار، فما زال أمام أدباء ليبيا الكثير من الجهود الشاقة لبلوغ مثل هذه المرحلة؛ وإلى أن يظهر من الأدباء والشعراء والنقاد طبقات جديدة من خريجي المدارس^(١) والمعاهد والجامعات في الوطن الليبي نفسه ومن خريجي جامعات الأمم العربية وأمم الغرب التي يكمل فيها الشباب الليبي تعليمه، فإن الحركة الأدبية سوف تستمر، بفضل الدفع الذاتي، وبفضل رعاية الإدريس وحكومته وشعبه للنهضة الثقافية والأدبية؛ ولكن اليوم الذي يشعر فيه الشباب الليبي بمسئوليتهم، ويسرون في ميدان الطموح والجد والمثابرة، ويتفرغون للأدب والشعر والدراسات العربية، هو اليوم الذي سوف تزدهر فيه الحركة الأدبية، وتوثق أكلها الطيب.

وأعلام الأدب الليبي المعاصر^(٢) من أشهرهم: خليفة التليسي، وعبدالله القويري، وفؤاد كعبازي، وعلى مصطفى المصراقي.

والنهضة الأدبية المعاصرة لا تزال تسير بخطى ثابتة نحو التقدم والازدهار معتمدة على بواعث الإحياء الأدبي الجديد في الوطن الليبي العظيم، ويساندها كل المسئولين في ليبيا، وبخاصة رجال الفكر والثقافة.

(١) يبلغ عدد الطلاب عام ١٩٦٥ في المرحلة الابتدائية بليبيا ١٥٤٥٩٢ وعدد المدرسين فيها ٥٠٨١، وعدد طلاب المرحلة الإعدادية ١٧٥٤٨ وعدد المدرسين فيها ٩٦٤. وعدد طلاب المرحلة الثانوية ٢٥٩٩ وعدد المدرسين فيها ٣٠٠، وعدد طلاب الفنية الإعدادية ٩١٦ طالباً وطلاب الفنية الثانوية ٢٧٤ طالباً وعدد طلاب معاهد المعلمين والمعلميات ٢٤٠٧ طالباً وعدد المدرسين فيها ١٦٠ مدرساً.

(٢) راجع في مجلة الأديب اللبنانية (عدد ديسمبر ١٩٦٦) مقالاً للأديب الأردني عيسى الساعوري بعنوان «الحركة الأدبية في ليبيا».

الفصل السابع

بعض سمات الأدب الحديث

١ - اختلاف أذواق الأدباء:

لقد اختلفت أذواق الأدباء بحكم اختلاف ثقافتهم وميولهم العقلية والمؤثرات في تكوينهم الأدبي.

«ففى مطلع^(١) القرن الحالى نجد المجتمع الليبى تتنازعه ثقافتان، وتؤثر فيه حضارتان:

حضارة تركية تعود بتقاليدها الموروثة إلى القرون الوسطى وعصر النهضة، ليست هى بالعربية وإن اتسمت فى بعض ملامحها بالمظهر الإسلامى، وثقافة تركية ليست لغتها وأساليب تفكيرها بالعربية ما دامت لها ثقافتها فى لغة التركمان وآدابها ذات المفهوم التركى الطوراني... وحضارة عربية أصيلة طابعها العروبة وروحها مستمدة من تعاليم الإسلام، وثقافة عربية لغتها وآدابها وتراثها فى لغة الضاد... وبالرغم من اختلاف الحضارتين فى جذورهما التاريخية، وتباين الثقافتين فى اتجاهاتها الفكرية، فإن تجاوزهما وتمازجهما واتحادهما فى أكثر من مظهر، قد قلل من حالات القلق النفسى للمجتمع الذى ينشأ عادة من تصادم الحضارات. لقد كانت الثقافة والحضارة التركية تتركزان فيما تتركزان عليه على مبدأ الخلافة وهى مظهر عربى إسلامى، وكانت صوفية الاتجاه إلى حد بعيد، وهذا أيضاً هو اتجاه الحضارة والثقافة العربية فى ذاك العهد، وكانت الحضارة التركية إسلامية العقيدة

(١) من مقال بعنوان «أزمة الثقافة فى المجتمع الليبى الحديث» لمحمد مصطفى بازامة - مجلة الرواد الليبية.

والتشريع وهى فى هذا لا تختلف عن الحضارة العربية آنذاك وهذه الأسس الحضارية - الثقافية المشتركة - بين الحضارتين قللت كما سبق أن ذكرت - من حالات القلق النفسى للمجتمع دون أن تقضى عليها لتعدد الفروق الأخرى المتصلة بالأخلاق والمثل والتقاليد والمفاهيم وغير ذلك من شئون الفكر والحياة.

وبنهاية سنة ١٩١١ أطلت على ليبيا حضارة وثقافة ثالثة جاءت فى ركاب الغزاة المستعمرين، ذات جذور حضارية وتاريخية مختلفة فى كل شىء عن الحضارتين والثقافتين السابقتين، ومعادية لهما فى نفس الوقت، أساسها الدينى المسيحية لا الإسلام، وثقافتها الرومانية ذات الجذور اللاتينية اليونانية لا صلة لها بتراث العرب أو الأتراك لا من حيث اللغة ولا من حيث المضمون الحضارى الثقافى العام.

وإذا كان المجتمع الليبى قد قاوم التأثير الحضارى الثقافى لهؤلاء الغزاة لاقتران مجيئها بالغزو المسلح، فإن أصحاب هذه الحضارة والثقافة الحادثتين قد عملوا على فرضهما على المجتمع الليبى مستغلين سلطانهم ونفوذهم السياسى على البلاد وأهلها.

وإذا كانت هذه الحضارة الإيطالية الحادثة قد فشلت فى القضاء على الأسس الحضارية السابقة لها فإنها لم تعد مع ذلك فجوات أو ثغرات تتسرب منها إلى بعض طبقات المجتمع، ولا سيما ناشئة جميع الطبقات... وفى السنوات الأخيرة التى سبقت الحرب العالمية الثانية كنت تجد بين الليبيين شباباً يجيد الإيطالية أكثر مما يجيد لغة قومه، ويحاكى فى ملبسه ومأكله ومأواه وأسلوب حياته الإيطاليين ولا يرى فى لغة وثقافة آبائه، ولا فى تقاليدهم وظروف حياتهم، ما يستحق أن يحرص عليه. وكان من الممكن أن يتزايد عدد هؤلاء مع الأيام لو مد لأصحاب هذه الحضارة فى الزمن أكثر مما بقوه كسادة يحكمون البلاد.

ولقد كانت هناك فرصة كبرى لتعايش الحضارتين العربية والتركية فى

المجتمع الليبي بعامل الزمن المديد الذى امتد بضعة قرون. ولكن ليس هذا التعايش يمكن مع الحضارة ذات الجذور التاريخية الحضارية القائمة على أساس عقائدى مختلف كل الاختلاف عن الأساس العقائدى الذى قامت عليه الحضارتان التركية والعربية، وعلى دعائم ثقافية منفصلة تمام الانفصال عن الدعائم الثقافية لأى من الثقافتين السابقتين، لذلك بدأت بوادر الأزمة الثقافية قبل الحرب العالمية الثانية فى المجتمع الليبي بين الجيلين اللذين اختلفت أيديولوجية نشأة أحدهما عن الآخر.

ومع نهاية الصراع المسلح بين المحور والحلفاء فى البلاد لغير صالح الإيطاليين، انتهى الضغط الحضارى الثقافى الذى جثم على المجتمع الليبي قرابة نصف قرن من الزمان وإن ترك وراءه رواسب حضارية وثقافية لا يمكن إغفالها، وقد تراكمت هذه الرواسب الحضارية الثقافية إلى جانب الرواسب الحضارية والثقافية للحضارتين التركية والعربية؛ غير أن انحصار المد الثقافى الحضارى الإيطالى لم يمكن المجتمع من العودة للتأثر بحضارتيه السابقتين أو أحدهما. ولا ترك المجتمع الليبي فى حالة فراغ كاملة ليس له من مؤثر حضارى غير رواسب الحضارات الثلاث، فقد سيطرت على أقاليم المملكة الثلاثة سلطات احتلال انجليزية وفرنسية استمر حكمها للبلاد فترة من الزمن قصيرة لم يصحب حكمهم مد حضارى فرنسى وانجليزى مؤثر لاصطباج حكم هذه الفترة بالطابع العسكرى العازل نفسه بنظمه الصارمة عن التأثر وعن التأثير الاجتماعى المباشر. على أن ما صاحب هذا العهد من انهيار للستار الحديدي المفروض من قبل السلطات الفاشستية واتصال المجتمع الليبي مباشرة بالحضارة والثقافة العربية الحديثة التى اتخذت لها طابعاً معيناً فى مصر وآخر فى تونس وثالث فى الشام ورابع فى العراق.

وهى جميعها حضارات عربية قائمة على أسس حضارية وثقافية واحدة فى جميع هذه البلدان.

وإذا كان المجتمع الليبي قد تخلى بسرعة مذهلة عن الكثير جداً من

المظاهر والمفاهيم الحضارية والثقافية التي حاولت إيطاليا الفاشستية بكل ثقل سلطاتها أن تعمق جذورها بين جماعاته وأفراده طيلة فترة حكمها الدكتاتوري المستبد، وإذا أقبل الليبيون في استجابة كلية للتأثير الحضاري الثقافي العربي الحديث، فلأن في أصالة عرقه العربي عروبة قويت مع الصراع ضد محاولات المستعمر، ولأن المجتمع الليبي وجد في الاستجابة لتأثير هذه الحضارة العربية بعد أن تحطم السور الحديدي المفتعل الذي أقامه الاستعمار عودة الفرع إلى أصله، والجزء إلى كله.

ولإلى جانب هذه الحضارات والثقافات الأربع نجد المجتمع الليبي قد فتح ذراعيه للعالم يستقبل نماذج حضاراته المختلفة وثقافته المتعددة، وأوفد ويوفد طليعة شبابه إلى مختلف بلدان العالم للتزود بالعلم والمعرفة العالية، وقد عاد بعض هؤلاء، وقد تأثروا بحضارات وثقافات مختلفة: إيطالية، فرنسية، انجليزية، أسبانية، أمريكية، ألمانية... الخ. وكل منهم قد درس بلغة وعاش حياة أهل البلد التي أثرت على تكوينه العقلي والاجتماعي، وهذا التأثير بكل تأكيد مغاير لما عليه بلاده وقومه. وبالرغم من قلة عدد هؤلاء نسبياً في الأمة فإن كونهم طليعة مثقفوها، وقادة حركتها الفكرية الثقافية، جعلهم أو سيجعلهم يؤثرون في مجتمعهم بعض التأثير.

هذه الحضارات جميعها تعاقبت وتقابلت وتعايشت أو تنافرت وعاشها المجتمع الليبي في مدى أكثر قليلاً من نصف قرن واحد من الزمان. وجميعها باستثناء الأولى والثانية قد طرأت على البلاد وأهلها طفرة، وفرضت وجودها إما بقوة السلطان العسكري وإما بقوة النفوذ العلمي نتيجة تكوين عقليات الناس وبمختلف وسائل الثقيف والاعلام، وتزاحمها في جيل واحد ومجتمع واحد، دون أن تنصهر جميعاً في حضارة واحدة مشتركة هو الذي سبب ويسبب ما بينها من تباين واختلاف في النظرة الأخلاقية للمفاهيم الاجتماعية وأوضاع المجتمع.. هذه الأزمة الثقافية التي يعيشها مجتمعنا في النصف الثاني من القرن العشرين..

وقد ترك كل ذلك ظلاله على الأدب الليبي الحديث. وإن كان أثر

العربية وثقافتها وأذواقها هو السائد في الأدب الليبي المعاصر.

٢ - القلق والسأم:

وهناك سمة أدبية عامة في الأدب العالمي المعاصر، هي سمة القلق والسأم، وهذا الطابع قد ترك آثاره أيضاً في الأدب الليبي المعاصر، حيث ظهر الطابع المتشائم المضطرب الذي تتسم به كل من القصيدة والقصة.

ولنأخذ مثلاً على ذلك سطور من قصة قصيرة لأحد الكتاب الشباب تين لنا مدى الحيرة والضياع الذي تعبر عنه قصته «الدوامة»:

«دس أنفه وسط كتلة المتفرجين لا رغبة في أن يعرف نتائج المباراة ولكن كى يفقد وجوده يريد أن يذوب أو يختفى... وما أن هزت الكرة إحدى الشباك حتى ثار حماس الجماهير وانقلب الهدوء إلى ضوضاء لا حدود لها.. وانتبه «منصور» إلى نفسه فترك مكانه شاقاً طريقه وسط الزحام وكأنه هارب خرج من الباب واحتضن الهدوء في ارتياح. إنه يكره الوحدة ويكره الضوضاء في الوقت نفسه، يرتاح فقط لمجموعة صامتة لا تتكلم. ومرة أخرى وجد نفسه وحيداً يجرى تسوقه دوامة من الوسوس باحثاً عن الصمت، وأثناء جريه رمق إحدى المركبات العامة المزدهمة بالناس فرمى ثقله كله بداخلها وكأنه يدفن نفسه، ويغطيها بالأجساد. إنه لا يعرف بالتحديد لماذا فعل ذلك، ولا يهمه المكان الذاهب إليه، إنما يريد أن ينسى وجوده».

٣ - ظهور المدارس الحديثة في الأدب والشعر الليبي

المعاصر:

وهذه المدارس معقدة ومتنوعة من كلاسيكية ورومانسية وواقعية، ومن شعر عمودي وشعر جديد، ومن مختلف مذاهب الآداب المعاصرة في الغرب وفي الشرق على السواء.. وسوف نعرض لذلك بالتفصيل فيما يلي من فصول.

٤ - اختلاف مضمون الأدب عن مضمونه في العصور السابقة، واهتمام الأدباء الليبيين بالحياة وبمجتمعهم، وبالعامل من أجل بناء أمتهم، وإثراء الفكر فيها، وإضافة الجديد من الثقافات الإنسانية إلى ثقافة بلادهم، والاهتمام بمشكلات الإنسان الليبي والحديث عنه، والاستماع إليه... وهذا التيار الإنساني في الأدب حيوى وضرورى في تقدمه وازدهاره ونهضته، يقول سارتر:

ليس هناك أشأم من الإنشاء الأدبى الذى يسمونه النثر الشعرى، وهو يتلخص فى استعمال الكلمات من أجل الأنغام المظلمة التى تصدى حولها، والتى هى مصنوعة من معانٍ مبهمّة تتناقض والمفهوم الواضح... ويقول كذلك: الأدب دائماً وأبداً وظيفة اجتماعية.

الفصل الثامن

النثر في الأدب الليبي الحديث

القصة في الأدب الليبي المعاصر

عنى الأدباء الليبيون بكتابة القصة شعراً ونثراً، ومن كتاب القصة النثرية: على مصطفى المصراقي، وزعيمة الباروني، وكامل المقهور، وأحمد العنيزي وعبد السلام شلوف؛ ومن كتاب القصة الشعرية الشاعر أحمد رفيق المهدوي.

وقد كتب الأستاذ على مصطفى المصراقي في مقدمة كتابه «لمحات أدبية عن ليبيا» يقول عن القصة في ليبيا: إن جميع مقوماتها موجودة متوفرة لدى الأدباء الليبيين، فتاريخ ليبيا القديم وتاريخها العربي الإسلامي، وتاريخ تفوقها البحري في عهد أسرة القره مانلي، وتاريخ كفاحها ضد الاستعمار الإيطالي، كل ذلك مادة حية زاخرة وحافلة بموضوعات قصصية مثيرة.

وللأستاذ المصراقي مجموعته القصصية «مرسال» وهي ذات صبغة قومية واجتماعية، وتحتوي على اثنتي عشرة قصة من بينها قصة «مرسال» التي سميت المجموعة بها، و«مرسال» اسم رجل ليبي مكافح مناضل في سبيل العيش، وتزوج ورزق بولد سماه عنتر، وكان أمله أن يصير بطلاً شجاعاً كعنتر. وبعد أن بلغ عمر عنتر بضع سنوات مرض واشتد مرضه فذهب والده يبحث عن طبيب ليرى ابنه المريض، وأخذ يطوف في مدينة طرابلس بالأطباء واحداً واحداً، فلا يلبي واحد منهم نداء الإنسانية ولا دعوة مرسال له ليرى ابنه

المريض في كوخه، حتى لبي آخر الأمر طبيب شاب دعوته، وذهب معه فكشف عليه وكتب له (روشتة) دواء ومنحه بعض المال، وذهب مرسال ليأتي بالدواء، فوجد الصيدليات ما بين مغلقة وبين مهمة، وبين أخرى ليس بها الدواء المطلوب، إلى أن ذهب آخر الأمر لصيدلية وجد الدواء لديها لكنه ليس معه كل ثمن الدواء، فذهب إلى أصدقائه على المقاهي يبحث عنهم ليقترض من أحدهم ثمن الدواء فوجدهم سكارى، ولم يلب أحد منهم له طلباً، ففكر في الطبيب الشاب، فذهب إليه فوجده في السينما فانتظره حتى عاد مساءً، وطلب منه أن يكمل له ثمن الدواء، ولبي الطبيب الإنسان طلبه، ومنحه باقى ثمن الدواء، فهرول مرسال إلى الصيدلية واشتراه، وجرى إلى كوخه فوجد ابنه عنتر قد فارقت روحه الحياة، وكان ذلك ليلة العيد، العيد الذي لا ينساه؛ ولعل الأستاذ المصراقى كان يقصد من ورائها تصوير حياة بعض المكافحين من أبناء الوطن الليبي، أو لعله كان يقصد من ورائها نقد أخلاق بعض الأطباء في وطنه، أو لعله يقصدهما معاً، ولكن الأستاذ المصراقى كان يجب أن يقف وقفة طويلة بعض الشيء عند هذا الطبيب الشاب، وفي هذه القصة ما يثير التساؤل، فقد ذكر كاتب القصة أن الطبيب منح مرسال نصف جنيته لشراء الدواء، ثم ذكر أن مرسال حين ذهب إلى الصيدلية الأخيرة التي وجد عندها الدواء لم يجد في جيبه إلا قرشين، وبعد جهد ووقت منحه الطبيب الشاب جنيهاً آخر؛ وذلك كله يدل على أنه كان في جيب مرسال أكثر من قرشين.

وفي صدر مجموعة مرسال قصة رائعة بعنوان «غائب في الحبشة» تحكى قصة شاب ليبي جنده الطليان للحرب في الحبشة فانضم إلى الحبشيين وحارب في صفوفهم أعداء وطنه الإيطاليين وأسرتهم القوات الإيطالية وأعدمته... والقصة تصور أمه العجوز وقد جاءت إلى مقهى ومعها ظرف وورقة ووقفت أمام الكاتب وطلبت منه أن يكتب خطاباً إلى ابنها منصور في الحبشة الذي غاب عنها عشرين عاماً دون أن يعود أو يكتب إليها خطاباً وسأل عن بقية اسم منصور فقالت له: منصور بن حليلة؛ كان أبوه من شهداء معركة الحانى بالقرب من طرابلس ضد الإيطاليين، وظلت تتحدث عن أبيه الفارس البطل

طويلاً؛ وسألها عن عنوانه في الحبشة فقالت له: اكتب (بر الأحباش)...
والقصة ذات مضمون وطني رائع، وهي حقاً من أجمل قصص المجموعة.
وللأستاذ الصراي مجموعة قصصية جديدة صدرت بعنوان «حفنة من
رماد».

والمصراي من خيرة أدباء ليبيا وشبابها العاملين في حقل الثقافة والأدب،
تخرج من الأزهر الشريف، وعاد إلى بلاده مع فجر الاستقلال يسهم بروحه
ونشاطه وجهده في بناء وطنه، وشغل وظائف عدة في الصحافة والإذاعة،
وانتخب نائباً في مجلس الأمة الليبي عدة مرات، وقد صرف أغلب وقته في
الاطلاع والقراءة والكتابة وهو كاتب منتج طرق أكثر فنون الكتابة في الأدب
والصحافة ومختلف شئون الفكر والثقافة، ويحتل في ميدان القصة الليبية مكاناً
مرموقاً، وهو ينقلنا مع أبطال قصصه إلى أعماق المشكلات الشعبية في وطنه
ليبيا، بأسلوب شيق محبب، ولمحات بارعة في الوصف والتحليل والنقد
والدعوة إلى التقدم.

وله في الترجمة الأدبية، وفي الدراسات التاريخية، وفي فن المقالة،
وبخاصة المقالة الصحفية باع طويل...

ولعل مصطفى المصراي الكثير من المؤلفات في الأدب، ومنها:

- ١ - أعلام من طرابلس.
- ٢ - لمحات أدبية عن ليبيا.
- ٣ - إبراهيم الأسطى عمر.
- ٤ - جحا في ليبيا.
- ٥ - صحافة ليبيا في نصف قرن.
- ٦ - غومه فارس الصحراء.
- ٧ - كفاح صحفى - أبو قشة وجريدته في طرابلس الغرب.
- ٨ - أسد بن الفرات: فاتح صقلية.
- ٩ - قنديل ومولد.

١٠ - دراسة في الأدب الشعبي .

١١ - المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية .

١٢ - مرسال وقصص ليبية أخرى .

١٣ - أحمد الشارف .

١٤ - ابن حمديس الصقلي .

١٥ - ابن غلبون المؤرخ .

وسوى ذلك من المؤلفات .

ومن القصص الجديدة التي ظهرت في ليبيا أخيراً: المجموعة القصصية «البحر لا ماء فيه» لأحمد إبراهيم الفقيه وفي صدرها كلمة عن القصة الليبية للأستاذ كامل المقهور جاء فيها أن القصة الليبية كانت أقرب الأشكال الأدبية مواكبة للنهضة الثقافية العربية وأكثرها تمثيلاً للوجه الثقافي لهذا الشعب، مما جعلها تتبوأ هذه المكانة التي تحتلها.

وظهرت مجموعة قصصية أخرى بعنوان الجدار للأديب يوسف الشريف.

وللكاتبة الأدبية القصصية «زعيمة سليمان الباروني»، بنت الزعيم الوطني الخالد «سليمان الباروني» مجموعة قصصية جميلة عنوانها «القصص القومي» كتبتها عام ١٩٥٣، ونشرت بعضها في جريدة «طرابلس الغرب»، ومجلة «صوت المربي»، ومجلة «هنا طرابلس الغرب»، ثم نشرتها عام ١٩٥٨، حيث طبعت في المطبعة العالمية بالقاهرة، وتحتوي على إحدى عشرة قصة ذات مضامين قومية وتاريخية واجتماعية، وقصتها «قدسية الأمومة» رائعة حقاً، وتصور قصة امرأة ليبية اسمها «سليمة» مات زوجها الشاب وترك طفلاً صغيراً اسمه «ميلود»، ورعته أمه حتى كبر وتزوج وأنجب أولاداً ثم ظهر عقوقه لأمه، فخرجت أمه إلى غابة بعيدة عن القرية «قرية أفطرس» في طرابلس الغرب، وتعلق بها حفيدها، وحاولت أن يعود إلى أبيه وأمّه فرفض، وقادها الطريق إلى غابة معشوشبة وكان الفصل صيفاً، فجلست وأكلت هي

وحفيدها بعض تمرات كانت معها وشربت من كوز صغير أتت به معها، وظلت على ذلك، ونفذ التمر ونفذ الماء، فتضرعت إلى الله، حتى وهبها عين ماء، ورزقها تمرأ، وأخذت تعبد الله وتنسج على مغزها الصغير، وعثر الرعاة بالطفل في المكان، فأخبر أباه الذي كان يبحث عنه وعن أمه فأسرع إليهما، ورفضت أن تعود معه، وبني لها هو وأهله حجرة مشمسة، وأثوا لها ببعض معزات، وظلت تعبد الله، وأهل القرية يزورونها فيجدون عندها الخير والبركة والتقوى، وهي تكرم الوافدين، وتطعم المسافرين، وتبارك خطواتهم حتى لقبوها «أم القرب» لسماحة طبعها وجودها، ومرض حفيدها ومات، فحزنت لموته، وتوفيت بعده بقليل، وأصبح ضريحها مزارأ، وبني الناس عليها مسجد أم القرب الشهير.

هذه هي صور وألوان من القصة النثرية في الأدب الليبي المعاصر، نكتفي بها في هذا المقام...

فنون أخرى للنثر

النقد - الدراسات الأدبية - المسرحية - المقالة

تعددت ألوان النثر الأدبي الحديث في ليبيا فشملت فيما تناولته: النقد، والدراسات الأدبية، والمسرحية، والمقالة.

أما المسرحية فقد كتبها الأدباء الليبيون نثرأ، كما رأيناهم أيضاً كتبوا العديد من المسرحيات الشعرية.. والمسرحية النثرية لصعوبتها قليلة في الأدب الليبي، وقد أدى إلى نشوئها، قيام المسرح الليبي، ووجود الإذاعة، وعما قريب يوجد التلفزيون أيضاً، وكانت المسرحيات المترجمة عن الآداب الاوربية والمسرحيات التي أخذت عن الآداب العربية المعاصرة هي السائدة في ليبيا، ثم بدأ الأدباء الليبيون يكتبون المسرحيات، ومن بينهم: عبد ربه الغنای. وكان قد درس الفن المسرحي في المعهد المسرحي العالي في القاهرة، متلمذاً على دريتي خشبة وغيره من أساتذته.

وكذلك غيره من أدباء ليبيا المعاصرين.

والدراسات الأدبية والنقد من أعلامها الأديب الليبي الكبير خليفة التليسي في دراسته «رفيق شاعر الوطن»، وفي دراسته الأخرى عن جبران والشابي، ومن الأعلام في هذا الباب أيضاً الليبي على مصطفى المصراي، وقد نبغ أيضاً في فن النقد وتحقيق التراث.

وأما الدراسات العلمية والتحقيق فمن أعلامه في ليبيا كذلك: مصطفى بعيو، والشيخ طاهر الزاوي، وقد ولد عام ١٨٩٠م في الحرشا إحدى قرى الزاوية بطرابلس، والتحق بالأزهر الشريف بعد سن العشرين عام ١٩١٢، ثم رجع إلى بلاده عام ١٩١٩، واشترك في الجهاد الوطني ثم رأى أن لا بد له من الهجرة ثانية، فعاد إلى مصر عام ١٩٢٤، ونال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٢٨، ونال الجنسية المصرية عام ١٩٤٠، ووظف في وزارة الأوقاف المصرية في العام نفسه. وقد ألف كتباً كثيرة عن بلاده منها: كتاب أعلام ليبيا، وتاريخ الفتح العرب في ليبيا. وقد قام الزاوي بنشر الجزء الثاني من كتاب «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب» من تأليف أحمد النائب الأنصاري، فأسدى بذلك فضلاً على المكتبة الأدبية والتاريخية الليبية.

وله كتاب مختار القاموس وهو في ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح وقد نشر في القاهرة في أربعة مجلدات.

وقد شرح وحقق تخميس الإمام الصوفي البهلول لقصيدة الإمام عياض في التصوف.

وأما فن المقالة فقد ذاع في ليبيا ونبغ فيه الكتاب، وتنوعت المقالة من مقالة صحفية وسياسية ودينية ومقالة وصفية إلى ما سوى ذلك.

ونحن نرجو أن ينهض البحث الأدبي ويزدهر، ويقوم شباب الجامعات الليبية بأعبائه، ولهم من تشجيع الدولة ورعايتها النصيب الموفور، فضلاً عن أن لهم في مكتبة الأوقاف في طرابلس وفي المكتبة الحكومية في طرابلس أيضاً. وفي مخطوطات مكتبة جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية في

البيضاء، مدداً يعينهم على البحث؛ وفي هذه المكتبات وفي دار الكتب المصرية ومكتبات استامبول بتركيا، ومكتبات القيروان وتونس وفاس ودمشق وبغداد، نفائس المخطوطات التي تفيد في البحث عن ماض وحاضر ليبيا العلمي والثقافي والأدبي.

ويقول على مصطفى المصراق من حديث له^(١): «في ليبيا بوادر حركة أدبية ومعالم نشاط فكري من مختلف أنواع العطاء. ويتمثل هذا النشاط في أقلام شابة ومجموعة من العاملين في مجالات الإبداع الفني، فهناك القصة والدراسة العلمية والنقد الأدبي والشعر بجناحيه القديم المحافظ والحديث المنطلق. والمطابع تخرج على الدوام إنتاجاً ليبيا فيه عطاء وإبداع، وفيه ما يحرك أقلام النقاد أيضاً».

فمن القصاصين المبدعين: بشير الهاشمي وكامل المقهور وأحمد الفقيه وغيرهم، ومن النقاد والأدباء الموضوعيين: خليفة التليسي وله دراسات نقدية تعتبر من أهم المراجع في الأدب المعاصر مثل كتابه عن «جبران والشابي» وكتابته عن «رفيق المهدوي شاعر الوطن الليبي» وترجماته عن الأدب الإيطالي. ومن الشعراء الشباب المعاصرين: راشد الزبير السنوسي وخالد زغبية وعلى الرقيعي الذي توفي منذ عامين وعلى صدقي عبد القادر. ومن، الكتاب: القويري، ولا ننسى أديباً وفناناً يكتب الآن من أوروبا، وهو يطوف بها منذ سنوات، هو رجب النيهوم. وكذلك الكاتب على فهمي خشيم الذي أخرج الآن كتاباً مترجماً عن ليبيا يتحدث فيه عن هيروديت أبي التاريخ، كما ترجم «حسناء قورينا» وله كتاب أيضاً عن المعتزلة. وهناك فؤاد الكعبازي الذي تغلب عليه صبغة الفن والشعر الغربي».

«وهنا لا نريد حصر الأسماء فهي كثيرة متوفرة، إنما نريد أن نأخذ منها دلالة على الاتجاه نحو خلق حركة أدبية تعوض ما فات الوطن الليبي تحت وطأة الاستعمار الغادر؛ فليبيا بعد استقلالها ونيل حريتها أخذت تعوض ما

(١) مجلة الإذاعة الليبية ١٩٦٨.

فات، وتقطع شوطاً طيباً في الميدان الأدبي ولعل الصحافة الأدبية في ليبيا، ومنها مجلة (الرواد) والدراسات التي يتقدم بها الجامعيون الشباب، ومدير المطابع في بيروت التي تخرج لنا كتباً قيمة بأقلام ليبية. كل هذا يصور لنا جانباً من هذه الحركة الثقافية؛ فضلاً عن نشاط اللجنة العليا لرعاية الآداب والفنون التي تتبع وزارة الثقافة والإعلام الليبية، وهذه اللجنة ترعى وتشجع المواهب والملكات الأدبية والفنية وترصد الجوائز، وتقيم المسابقات والمهرجانات الأدبية والشعرية».

الفصل التاسع

من أعلام الأدباء الليبيين في هذا العصر إسماعيل كمال^(١)

١٨٨٢ - ١٩٣٦

ولد في مدينة الخمس شرقى طرابلس، ودرس في مدرسة إيطالية بها في العهد العثماني، وبعد الاحتلال سافر إلى تركيا، واشترك في المفاوضات بين إيطاليا والمجاهدين عام ١٩١٩ بعد أن عاد إلى بلاده، وتولى إدارة الأوقاف، وأشرف على المدارس القرآنية، وأولى مدرسة أحمد باشا عناية، واختير عضواً في مجلس بلدية طرابلس، وبفضله أنشئ مكتب العرفات لتعليم العلوم العربية والإسلامية عام ١٩٢١، وكان عضواً في إدارة المدرسة الإسلامية العليا التي أنشئت لتكون نواة أزهر جديد في ليبيا، وكان كمستشار للإدارة الإيطالية في ليبيا، وعنى بالمكتبة العامة، وكتب في تاريخ ليبيا كتباً قيمة، منها كتاب في تاريخ قبائل طرابلس، وآخر في تاريخ الأسرة القره مانلية.

جدد كثيراً من مساجد طرابلس، وعنى بتحسين المدارس القرآنية وشجع مدرسيها حتى يحافظ النشء على الكتاب الكريم^(١)، وكان لكلية أحمد باشا الدينية نصيب من عنايته^(٢)، وبفضله قامت الجمعية الخيرية وآزرها^(٣).

(١) ٨٢ - ٨٤ أعلام ليبيا، ١٤٥ وما بعدها لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ علي مصطفى المصراي.

(٢) ١٤٦ لمحات.

(٣) ١٤٧ المرجع.

وهو فوق ذلك أديب له مطالعات في الأدب العربي القديم، اختصر كتاب وفيات الأعيان ولخص تراجم منه^(١).

عبد الرحمن البوصيرى

١٢٥٨ هـ - ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥)

علامة أديب، محدث أصولي فقيه، ولد في غدامس، وتلقى فيها العلم، ثم رحل مع والده إلى طرابلس يستزيد فيها من المعرفة عام ١٢٧٨ هـ، رحل إلى مصر وتونس والأستانة للتجارة وطلب العلم واقتناء الكتب، وألف مؤلفات كثيرة في البلاغة والأصول والحديث، وتخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء، وفي عام ١٣٠٣ هـ عين في الحكومة وتقلب في وظائفها، وكافح الاستعمار. وتدرج في مناصب القضاء، وكانت له مساع حميدة هو ومفتى طرابلس الشيخ عمر المسلاتى (١٩٢٣) المفتى في تكوين معهد أحمد باشا، توفي بطرابلس في ١٣٥٤ : ١٩٣٥^(٢).

وقد تأثر بأستاذه الشيخ طرابلسى الأزهرى محمد كامل بن مصطفى (١٣١٥ هـ) أستاذ العصر، وصاحب الآراء الفقهية والمحاضرات القيمة وقد أخذ عنه كذلك أحمد الشارف وأحمد الفقيه حسن (١٣٠٤ هـ) الشاعران وغيرهما من جلة علماء العصر.

وكان أخوه الصحفى محمد البوصيرى مديراً للأوقاف، وكان الشيخ عبد الرحمن يكتب في جريدة الترقى التى كان يصدرها أخوه محمد، ومن شعره في التنديد بالإستعمار الإيطالى:

الأرض للرحمن يورثها لمن قد شاء؛ والله القدير الوارث
فلحكمة قهر العباد بحكمة سفها يقاومه الغبى الرافث

(١) ١٤٨ المرجع.

(٢) راجع كتاب أعلام ليبيا للزاوى، ١٥٧ - ١٦٤ لمحات ادبية عن ليبيا لعلى مصطفى المصران

ورثى الشاعر أحمد رفيق المهدي صديق الشيخ عبد الرحمن البوصري
بقصيدة طويلة مثبتة في ديوان رفيق، وذلك عام ١٩٣٥. ويقول فيها:

عظيم فقدنا فيه للعلم (مالكاً)	وللحكم فاروق الزمان ويحياه ^(١)
يرى الجاه في التقوى فيعلو تواضعاً	ويشرق بشراً وجهه حين تلقاه
عليه سلام الله يوم وفاته	ويوم يرى الفردوس، في البعث مأواه
ألا أيها الشيخ الجليل وقد سرت	إلى الملأ الأعلى بك الروح أعلاه
سل الله للباقيين خلفك رحمة	تفرج ما هم فيه، يرحمك الله ^(٢)

محمد ناجي

١٨٧٦ - ١٩٥٦

أديب مشهور وهو عربي صميم، ولد في طرابلس، وتلقى تعليمه بها،
وتقلب في وظائف كثيرة، وقام بنشاط سياسي كبير مع بعض مواطنيه من أمثال
الشيخ محمد البوصري، وعلى عياد، وعثمان القيزالي، واتخذوا من جريدة
الترقي متدي أديباً لهم، وكذلك مقراً لشؤونهم السياسية. وبعد الغزو
الإيطالي هاجر إلى تركيا ثم انتقل إلى حلب، وبقي في دمشق إلى أن توفي في
٧ مايو ١٩٥٦م.

الميساوي بو خنجر

١٢٩٥ - ١٣٨١ هـ (١٩٦١م)

عربي صميم، وشريف ينتمي لبيت النبوة، ونايعة النسابين في ليبيا،

(١) مالك بن أنس (١٧٩ هـ)، والفروق عمر بن الخطاب، ويحيى بن أكثم (٢٤٣ هـ). . . أعلام مشهورة.

(٢) ٨٨ - ٩٠ ديوان رفيق.

وأحد العالمين بأيام العرب فيها، يقص عليك من أخبار القبائل العربية في ليبيا ما لا يعرفه أحد، وكان يعرف القبائل واحدة واحدة، ومن تنتمى إليه، ومن تستنجد به في حروبها، ومواطنها ومرايعها، وأين تتجمع وأين تنتجع، وقائعها وأسبابها ونتائجها، وما قيل فيها من شعر؛ كما كان يحفظ الكثير من الأمثال الطرابلسية، ويعرف مضرها وموردها.. وشارك في الجهاد، ثم هاجر إلى مصر عام ١٩٢٤، وعاد إلى وطنه عام ١٩٤٦، وظل فيه حتى مات ودفن بطرابلس^(١).

محمد الطيب الأشهب

٢٢ من ديسمبر ١٩٠٩ - ١٩٦١

ولد في النوفلية بركة وحفظ القرآن، وهاجر إلى مصر، وتوفي والده عام ١٩٢٤، فكافح ابنه في سبيل الحياة كفاحاً مريراً، وكانت أسرته من أعرق الأسر المجاهدة، ومن الإخوان السنوسيين المناضلين، وقد خلد ذكر بعض شخصياتها في كتابيه «برقة العربية»، و«السنوسى الكبير».

وفي عهد الاستقلال عمل ملحقاً صحفياً في السفارة الليبية بالقاهرة.. وبروح المؤرخ الأمين كتب تاريخ بلاده في كتب مشهورة، منها - عدا الكتاين السابقين - كتابه: «المهدى السنوسى»، وكتابه الآخر: «إدريس السنوسى».

وله شعر وطني ذكره في كتابه برقة العربية، وذكر له محمد صادق عفيفى بعض النماذج الشعرية في كتابه «الشعر والشعراء في ليبيا»^(٢)، وهو شاعر مقل... ومن شعره: «إخلاص قلبى»، و«صفارة الخطر»^(٣)، ومن قصائده: ليلي البدوية.

(١) ٢٤٢ - ٢٤٤ أعلام ليبيا.

(٢) ص ١٧٨ - ١٧٩ أعلام ليبيا.

(٣) ٩٩ المرجع نفسه.

نصوص من النثر الليبي الحديث

- ١ -

رسالة من البطل الشهيد عمر المختار إلى الأمير شكيب أرسلان :

كان لجهود الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ - ١٩٤٦) في الدفاع عن حقوق الليبيين والتنديد بالاضطهاد والمظالم التي وقعت عليهم وإعلام الناس بالبربرية التي اتصف بها الطليان عند احتلالهم وقعتها الحسن وكانت محل رضاء تام من المرحوم الشهيد عمر المختار (١٨٦٢ - ١٩٣١) الذي كاتب الأمير يشكر به خدماته ويثني على مواقفه المحموده من قضية الحق والعدل.

وهذه رسالة من عمر المختار إلى الأمير شكيب :

إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أئينا في الله وزميلنا في سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله، بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته. قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار. . فإن وعوم إخواني المجاهدين. . نقدم لسامى مقامكم خالص الشكر، وعظيم الممنونية فكل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير، وقد اقتصدتم واحتفظتم كثيراً ولو يذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين لا توجد أذن تصغى لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح. وإننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون وعلى

الله في نصرنا متوكلون وقد قال الله تعالى: وكان حقاً علينا نصر المؤمنين.
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ.

- ٢ -

دمعة حائرة

خواطر شتى جالت بنفسي وأنا أمتطي الطائرة برفقة سادة أجلاء، هم
رسل الجامعة الإسلامية إلى تلك الأرجاء الإسلامية شاءت الأقدار أن يستقر
بعضها ما وراء النهر بروسيا، ونهر الطونة ببوغوسلافيا.

ورجعت بي الذاكرة إلى قرون خلت وانقضت هي وأهلها، فكأنها
وكأنهم أحلام وكنت أحياناً تراودني روح سارة يشعر بها الحبيب القادم على
حبيبه؛ فهو يقيس الزمن بالدقائق متعجلاً هذا اللقاء، يستدرك به النقص
فيتمه ويتناول السر فيعلنه، ويلمس المقيد فيطلقه، ويلقى الجمال فيظهره،
ويرفع الحياة درجة في المعنى.

أحياناً تهب بي عاصفة وجدانية نحو الحبيب الذي لن أراه ولم أتمتع
بنجواه. وإنما هي أحداث طال عليها الزمان وأمست في زوايا النسيان، وكأن
أصحابها تضيق الأرض عن أنفاسها وتتفرع الأفلاك من هيبتهم، وإليهم تشد
الرحال إذ كانوا ملتقى الآمال ومشكاة الأمر إذا انبهم الليل وضل بالناس
الطريق^(١).

ومن كان يظن أن هذه الأحداث الصامته كانت في غابر الأعوام تنطق
فتستزل العصم وتسمع الصم، وتحكم فتصيب المحز وتتطامن لها الرقاب.
ومن كان يظن أن هؤلاء المقيدون في التراب المنقطعين عن الجيران إلى يوم
البعث لم يتركوا مكاناً في الأرض إلا طرقوه ولا إقليماً بعيداً إلا زاروه، ولم
يسمعوا عن رجل عنده أثارة من علم يمت إلى الدين إلا طاروا إليه، فأنضوا
الراحلة وقطعوا السابلة وتساوى لديهم الليل والقفار والبحار. ربما كان

(١) الهدى الإسلامي عدد رمضان وشوال ١٣٨٤ هـ - مقال للأستاذ أبو بكر الفقيهي.

أحدهم يعمل الشهر عقيب الشهر بعيداً عن بلده وولده في سبيل العثور على كلمة يتلقفها أو حصيلة من علوم الدين يجمعها.

وهبطت الطائفة... فتلقنا أخوة فوق أخوة النسب يتخذ المسلمون فيها صلة بالحياة، وتنتقل دنياهم بهذه الصلة إلى مرحلة تعلو بالمعاني النفسية فوق نوازع المادة ومشاكل الحياة، وتجد في القلوب مواضع مهياة للإحتراق تنفذ إليها الأشعة الروحانية وتتساقط منها المعاني... ووقفت أمام هذه الرفات البالية فتبهيت الموقف وكأن هذه الرفات التحمت وسرت فيها الروح؛ وأطل علينا أصحابها من جانب القبر مرحبين، أو كأننا رجعنا إلى عصور هؤلاء فشاهدنا جلال العلم وهيبة الورع ودخلنا هذا المقام الذي تزل فيه الأقدام وكان لها بحق: أمام البخاري ودقته والشاشي وعفته، والخوارزمي وبلاغته، «وجار الله وكشافه» والبيضاوي وفلسفته، وابن سينا وإشارته.

وكأنما رجت بي الأرض رجاء... إذ أصاب هذا الموقف مواقع الشعور وأثار مكان الخيال، أخذاً بوزن تاركاً بوزن: لتأخذ النفس كما تشاء وتترك...

يا الله... نحن وقد الجامعة الإسلامية بالديار الليبية قدمنا عليكم حاجين مزاركم داعين لكم بالرحمة كفاء ما قدمتم للأجيال الإسلامية من مبرات طوقتم به كل عنق، وأرشدتم به كل ضال، وقمتم نحو الدين والوطن واللغة بكل بلاغ... فلا تأسوا ولا تحزنوا حيث تقطعت بخلفكم الوشائج وقضت قسوة الأقدار أن اقتطعت هذه البلاد عن سالف تاريخها. فحكمها من لا يدين بدعوة نبيكم التي أخلصتم لها وذهبت في سبيلها. وصار أحفادكم على غير ما عهدتم... مما لا يحمده خبره ولا ينطبع أثره. حناناً ومعذرة إلى ربكم... فقد صار الجيل غير الجيل الذي عرفتم من قبل، والذي اندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء.

وما هي... حتى اخضرت الدنيا وترامى ظلها على حدود السند والهند، وما وراء النهر وما خلفه، وما بين ذلك.

حناناً ومعدرة إذ لم ندرك كما أدركتم صباة من هذا السر الإلهي الذي ينبعث من النفس الخالصة، فلا يبالي المسلم موتاً ولا حياة ولا يبالي ضيقاً ولا رحباً ولا على أى جنب يصرع ما دام على مدرجة من دينه وهدى نبيه..

ولم يكن موضع دهشتنا حين قرأنا تاريخكم فى هذه الحملات التى واجهتم بها الروم وطغيان التعصب وكيد البابوية وكلب القسطنطينية، فلکم قدم صدق فى الدفاع عن حوزته والتضحية فى سبيل نصرته.

- ٣ -

وهذا مثل للدراسة الأدبية والنقدية، كتب خالد زغبية الشاعر فى مجلة الرواد عدد أبريل ١٩٦٥ مقالاً بعنوان «دراسات فى الشعر الليبى المعاصر» جاء فيه:

بعد الحرب العالمية الثانية حدث ازدهار فى ميدان الأدب بفنونه المختلفة؛ كانت هذه الفترة مرحلة خصب وحيوية وحركة، وكان النشاط الثقافى العام صدى لهذه الحيوية التى أخذت تنساب فى رفق ولين إلى قلب المجتمع الهامد وبثت فى وصاله الحياة والنشاط، فكانت المحاضرات والندوات تعقد فى النوادى، والمعارك الأدبية تدور على صفحات الجرائد، والمجلات، يقوم بها أدباء الطليعة فى شتى قضايا الأدب، ولقد طرحت على صعيد الجدل كثير من المشكلات الاجتماعية التى كانت تشغل بال المواطن الليبى آنذاك مثل قضية (المرأة والمجتمع) و (الفن والحياة) و (الاستعمار) و (البطالة) و (حركة التجديد فى الشعر الليبى)؛ وكانت هذه القضايا الأدبية انعكاساً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التى كانت تسود المجتمع الليبى آنذاك. كان لهذه المرحلة روادها من الشعراء والأدباء والكتاب، وكانت الفنون الأدبية المزدهرة على الترتيب هي: الشعر والقصة، والمقالة والبحث، غير أن فن الشعر كان ولا يزال أكثر ازدهاراً من غيره من الفنون، ربما يرجع هذا إلى الوضع الراهن للمجتمع، فقد يحدث أن يزدهر فن الشعر، ويتقدم الفنون

الأخرى في البلدان التي تعاني تأخراً اقتصادياً. . أما فن المقالة فقد كان ولا يزال مزدهراً، وذلك لأنه يتناول حياة الفرد اليومية واهتماماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والحديث عن فن القصة كالحديث عن فن المقالة تقريباً، ولو أنه يختلف في أنه فن صعب المراس، لأنه يحتاج إلى موهبة تسندها ثقافة واسعة، ومران متصل وتجربة دائمة، غير أن فن القصة، أخذ يترك مكانه لفن المقالة وربما كان ذلك لأن قصاصينا آثروا كتابة المقال لسهولة، وقد يكون للظروف الاجتماعية أثر كبير في ذلك. . . أما فن البحث فقد كان في المرتبة الأخيرة من هذه الفنون، وكانت موضوعات البحث هي الفن والاقتصاد، والاجتماع، غير أن أكثر هذه الموضوعات لم تبحث بحثاً علمياً موضوعياً؛ والنادر منها كان يبحث في حدود المقاييس العلمية والشروط الموضوعية للبحث العلمي الصحيح؛ إن لهذه الفنون رواداً من الدرجة الأولى؛ وسأقدم نماذج لرواد هذه الفنون من أدبائنا المعاصرين أعتقد أنهم يمثلون خصائص مشتركة لتيار واحد من تيارات الأدب المتضاربة، ألا وهو تيار المدرسة الواقعية الجديدة.

وقد برز في ميدانها في الشعر: حسن صالح، والمطاطى والرقيعى، وعلى صدقى عبد القادر؛ وفي ميدان القصة طالب الرويعى، والمقهور والقويرى والدنسى ومفتاح السيد وأحمد العيزى؛ وفي ميدان البحث والدراسة الأدبية التليسى والمصراقى، وكان هؤلاء بارزون أيضاً في فن المقالة بألوانها المختلفة. كانت فترة الاحتلال مرحلة مزدهرة بالقضايا السياسية الهامة، كقضيى الوحدة والاستقلال وغيرهما، وكان لهذه المرحلة شعراء عبروا عنها بإخلاص، غير أن طريقتهم التعبيرية، كان يثقلها التقرير والوصف، ويحد من فعاليتها، الخطابة والافتعال، والتقرير كان دائماً طابعاً للمدرسة الكلاسيكية.

ثم ظهر الشعراء: حسن صالح والمطاطى والرقيعى، وقد برزوا في فترة زمنية واحدة وكانوا الرواد الأوائل لحركة التجديد في الشعر الليبى، وهم يعاصرون الشعراء من رواد المدرسة الواقعية الجديدة في الشرق العربى، فعلى هؤلاء تتلمذ شعراؤنا الشبان؛ ثم ما لبثوا أن استقلوا تدريجياً، وأصبحوا رواداً

لشعرنا الليبي المعاصر. لقد عبروا عن واقعهم الاجتماعي الذي يتميز بطابع خاص، إنه البيئة الليبية بملاعها وقسماتها، فحسن صالح هو شاعر الضياع لقصيدته الشهيرة درب الضياع، ومحمد المطاطي هو شاعر الأمل...

القسم الثالث

تصدير

- ١ -

هذا هو القسم الثالث من كتاب «قصة الأدب في ليبيا العربية من الفتح الإسلامي إلى اليوم»؛ وفيه حديث طويل عن الشعر الليبي الحديث وأعلامه، وعن الآداب العربية في دول الشمال الإفريقي المتصلة بليبيا بصلات وثيقة من الدين والعروبة والدم والجوار والثقافة والآمال والآلام المشتركة، لما بينها وبين الأدب الليبي الحديث من عوامل التأثير والتأثير؛ وفي آخر هذا الجزء تذييل تحدثت فيه عن الأدب العربي في السودان وعن الثقافة العربية في صقلية.

وبنهاية هذا القسم ينتهى هذا الكتاب الذى أفضت فى القسم الأول منه فى الحديث عن الأدب العربى القديم فى ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية الحكم العثمانى، وفى القسم الثانى تحدثت عن الأدب الليبى الحديث والمعاصر، وعن مقوماته وعوامل ازدهاره، وعن تطوره وأعلامه، وعن فنون النثر الأدبى الحديث ونماذجه.

والكتاب يعد موسوعة كبيرة فى كل ما يتصل بتاريخ الفكر والثقافة والأدب فى ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى اليوم، ويعد كذلك جديداً فى بابهِ وموضوعاته ودراساته؛ إذ لم يتناول الأدب الليبى القديم والحديث بالدراسة على هذا النمط المنهجى أحد من قبل، ومن ثم فإن هذا الكتاب يعد رائداً فى هذه الدراسات والبحوث.

ولا يعلم إلا الله مدى الجهد الذى بذلته فى جمع مادة هذا الكتاب من مختلف المصادر القديمة والحديثة المطبوعة والمخطوطة ومن مختلف الصحف والمجلات الليبية والعربية؛ ثم مدى ما بذلت من جهد فى تبويب هذه المادة وترتيبها وصياغتها، ولا مقدار ما أنفقته من وقت فى مراجعة الكتاب وإعداده للطبع، وفى مراجعته وهو مائل للطبع؛ حتى خرج على هذه الصورة المشرفة، وأتمنى أن يجد فيه القارئ العربى بعامة والليبي خاصة كل ما يتطلع إلى أن يجده فيه من آراء ودراسات ومنهج وتراجم وتصوير.

- ٢ -

وهذا الكتاب ثمرة رحلتى العلمية إلى أرض ليبيا العربية المسلمة، التى امتدت ثلاث سنوات (١٩٦٣ - ١٩٦٦)، والتى عكفت فيها على كتابته؛ ثم راجعت مادته فى ليبيا والقاهرة، ثم استخرت الله فى طبعه ونشره لتعم الفائدة منه، وليكون مرجعاً فى أيدي القارئ والدارسين للأدب العربية وحركة مسيرتها فى الأمم العربية خلال العصور القديمة والحديثة على السواء.

وقد خففت عنى أعباء هذا البحث وكتابته عدة أمور:

الأول: أنى إنما أقصد بما أكتب وجه الله خالصاً، ووجه العلم والثقافة والمعرفة وحدها؛ وهدفى من ذلك، وهو ما أتوجه إلى الله دائماً بأن يوفىنى لبلوغي، أن أضيف جديداً إلى الثقافة العربية فى قديمها وحديثها وتليدها وطريفها، ينتفع به طلاب العلم، أينما كانوا، وحيثما وجدوا، وينتفع به القارئ فى كل وقت وزمان، ولا يتجهم له وجه المتخصصين والعلماء فى كل فروع الأدب والنقد والدراسات التاريخية المنهجية لعصور الأدب العربى ومراحل تطوره.

والثانى: أنى أكمل بهذا الكتاب سلسلة بدأت الكتابة فيها منذ عشرين سنة أو يزيد، وظهر منها عدة كتب لى، من بينها: قصة الأدب فى مصر، قصة الأدب فى الحجاز، قصة الأدب فى الأندلس، الحياة الأدبية فى العصر

الجاهلي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، الحياة الأدبية في العصر العباسي، الحياة الأدبية في العصر العباسي الثاني، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد، قصة الأدب المعاصر، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه.. وبجانب ذلك ظهرت لي بالاشتراك كتب عدة عن عصور الأدب العربي، ومن بينها: الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعصر العباسي الأول بالاشتراك مع الأستاذ إبراهيم رفيعة، والأدب العربي وتاريخه (٤ أجزاء)، وهو بالاشتراك مع بعض الأساتذة، والأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، والأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين وهما بالاشتراك مع الأستاذين حسن جاد وعبد الحميد المسلول، والأدب العربي في الأندلس بالاشتراك مع الأستاذ حسن جاد، ومن تاريخ الأدب العربي بالاشتراك مع الأستاذ النواوي؛ وبالإضافة إلى ذلك ظهرت لي عدة كتب أخرى في تراجم أدبية قديمة وحديثة، وفي النصوص الأدبية، وفي دراسات عن الأدب والشعر، ومن بينها: البناء الفني للقصيدة العربية، الشعر والتجديد، مع الشعراء المعاصرين، رائد الشعر الحديث، دراسات في الأدب والنقد، فصول من الثقافة المعاصرة، أبو عثمان الجاحظ، وسواها.

وأحمد الله على أن وفقني إلى كتابة هذه السلسلة ونشرها، وهي سلسلة تعد أوسع دائرة معارف صدرت في تاريخ الثقافة العربية عن آدابنا القديمة والحديثة على السواء.

أما الأمر الثالث من هذه الأمور: فهو أن شعب ليبيا العظيم قد عشت معه بروحي ووجداني فترة ليست بالطويلة، وليست كذلك بالقصيرة؛ وأدركت كيف أن الاستعمار الأوربي قد عاق مسيرته الفكرية والأدبية قرناً من الزمان، ومع ذلك صمد أمام الأحداث وجيوش الاحتلال صمود الأبطال، وابتسم في وجه الخطوب ابتسامة المؤمن الصابر المستمسك بعقيدته وعروبته ورجولته، حتى كتب الله له النصر، وأجزل له الأجر، وساعده في مسيرته نحو البناء والتجديد والإنشاء؛ ووهبه قائداً محنكاً يناضل من أجله، ويوجه دائماً دفة سفينته إلى شاطئ الأمن والسلام والرفاهية، ويفكر في حاضره ويعمل من

أجل مستقبله، مستلهاً ماضى بلاده التليد، وسيرة آبائه العطرة.

ومن أجل ذلك كله كتبت هذا الكتاب، وتحملت ما تحملت من أعباء في سبيل إتمامه ونشره؛ مما يدركه القارئ العادى من هوامشه التى ذيلتها ببعض المراجع، ومن ثبت المصادر الذى يجده القارئ فى آخر هذا الجزء.

وأخيراً فإنى أحمد الله على ما أنعم به علىّ من فضل، وعلى أن أعانى على إظهار هذا الكتاب ليكون بين يدى القارئ العربى فى كل مكان بهذه الصورة؛ وعلى ما منحنى إياه من سداد وتوفيق وخير.

والله ولى التوفيق، وهو الملهم إلى الرشاد والسداد، والهادى دائماً وأبداً إلى سواء السبيل.

وما توفيقى إلا بالله.

المؤلف

الباب الاول

الشعر الليبي الحديث

الفصل الاول

صور من الشعر الليبي الحديث

- ١ -

يقول أحمد رفيق المهدي الشاعر في محمد بن علي السنوسي بمناسبة
الذكرى المئوية لوفاته عام ١٩٥٦ م:

خلدوا ذكرى إمام المصلحين	سيد المجتهدين العارفين
الإمام ابن السنوسي الذي	فاق صنف العلماء العاملين
كان فذاً ما علمنا مثله	جاء بعد الخلفاء الراشدين
عبرى قد تسامى للعلا	بجلال العلم والدين المتين
وبإصلاح نرى آثاره	لم تزل نهدي على مر السنين
نشر الدين بعزم صارم	وجهاد كجهد المرسلين
وهدي قوما على غير هدي	بين جهل وضلال عائشين
في صحارى يلفح القيقظ بها	كشواظ النار فيها الساكنين
وبلاد في غمار مطبق	بظلام البؤس والضيم المشين
عمها ديننا ودنيا فغدا	أهلها من علماء المسلمين
وبنى فيها زوايا أصبحت	منهلاً عذبا لورد الظالمين
ومنارات تشع العلم من	قابس عن نور رب العالمين
بالتأليف التي من فيضها	سلسبيل المنهل الصافي المعين
وشفاء الصدر من رين الهوى	وبإيقاظ لوسنان مبين

وشروح لعلوم وضحت ما عصى من مشكلات الأولين
كتب لو طبعت أو جمعت كلها جازت حدود الأربعين

- ٢ -

تقع مدينة درنة شرقى بنيغازى، وتبعد عنها بحوالى ٣٠٠ كيلومتراً وهى تطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة الشمال وتكاد تحيط بها الجبال من كل مكان، وبين الوديان والحقول والحدائق ذات الرائحة الطيبة ترى سكانها يعيشون وينعمون، كما تشتهر مدينة درنة بالنخيل الجميل وأشجار الموز ذات العراجين الصفراء؛ سميت مدينة درنة فى الزمن الماضى بدرة البحر الأبيض المتوسط الذى يضمها بحنان، وحولها توجد مقبرة الصحابة التى تضم رفات أبطال الفتح الإسلامى، وسكان درنة عام ١٩٤٥ أربعة عشر ألفاً وهم وفق آخر تعداد (١٩٦٤) أربعة وثمانون ألفاً.

وفى درنة الجميلة يقول الشاعر أحمد رفيق المهدوى قصيدته التى نظمها عام ١٩٣٥، وهى هذه:

قلت لما رأيت (درنة)، ما هذا! تباركت، أحسن الخالقينا
إن هذا، فضل من الله، يؤتیه لمن يرتضى من الشاكرينا
هذه (درنة) التى كل ما فيها، سرور لأعين الناظرينا!
فى حماتها، رأيت، دار كرام وكناسا، جنة، وعرينا!
أصدق القول، إن أردت لها وصفاء، وظنى أنى من المنصفينا
مثل الجنة، التى وعد الله ثوابا، عباده المتقيننا!
حوت الطيبات، من نعم المنعم، والطيبات للطيبينا!
تحت جناتها، تفجرت الأنهار: تجرى، فقلت (إن الذين)^(١)

(١) إشارة للآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لِيَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ بِرِجَالِهِمْ، تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

أى صوب يمت صادفت ظلاً ومروجا خضرا، وماء معيننا
يعبق الورد، فى نساتمها وهى رخاء، يزاحم الياسميننا
وإذا ما تنهد الفل فى الليل، أعارت أنفاسه السريرنا!
ذكرتنى الطيور، وهى تغنى (قد قنعنا بحبه ورضينا)^(١)
فى ظلال، تحت العراش، وقد حفت شمالا، من حولنا، ويمينا
إن للطير فى الأصائل الحان شجى، تهيج العاشقيننا!
درت حول الحقائق الغلب أرتا د جمال الربيع أمشى الهويننا^(٢)
وتأملت فى الرياض، وفى الزهر، بعين (الخليل) فى الأفلىنا^(٣)
فتيقنت قانعا بدليل كيف كان الإنسان ماء وطننا
خلق الله كل حى من الماء فلم لا يصح ذلك فينا؟
كل زوج فصيلة صارت الأجناس شتى فأيدت (دارويننا)
وعلونا على يفاع، فلاحت باسقات النخيل، تهتز لنا!
تحت خضر الجريد، صفر العراجين، لها منظر يسر الحزيننا!
خضرة الموز، والنخيل، تليها زرقاة البحر فالجبال يمينا!
منظر البحر، من علو، يثير الشعر فى النفس، والغرام السدفينا!
ضمها البحر، من شمال، فكانت كاعبا، ضمها المشوق حيننا!
يعطف الموج، كالمقبل للساحل فى سرعة، ويرتد حيننا!
وتجلت لنا، بدائع صنع الله، تدعولربها المؤمنيننا!
قلت: آمنت بالبديع، كما آمن موسى الكليم، فى طور سيننا
وتذكرت، عند ذلك، فرعون، وقد قال قولة الجاهلينا!
زاغ فرعون! حينما شاهد الأنهار تجري من تحته والسفيننا
غلبت نفسه على العقل، والنفس إلى طبيعتها تميل يقيننا

(١) من قصيدة مطلعها:

كم بعثنا مع النسيم سلاما للحبيب الجميل، حيث أقاما

(٢) الغلب: العظيمة.

(٣) الخليل: نبي الله إبراهيم الخليل.

كل شخص، مهما تثقف عقلاً سوف تلقاه للطباع رهيناً!
 زرت (جبانة الصحابة) فاستحضرت ذكرى أسلافنا الأولينا^(١)
 وتمثلتهم، وقد جاوزوا مصر، إلى أرض برقة زاحفين
 وبدأ إلى عمرو، يقود السرايا تقتفيه جحافل الفاتحين^(٢)
 وتذكرت، طارق بن زياد وابن سرح، وعقبة، الخالدين^(٣)
 وتراءى رويفع، وزهير في ليوث الأنصار والتابعين^(٤)
 وأمامي، أرى ضريح أبي منصور، العدل، خيرة الحاكمين^(٥)
 ذكر تلك العصور ذكرني مجد أناس كانوا لنا صالحين
 شيعوا الشمس، للغروب، إلى فاس، وراحوا للهند مستقبلينا
 أورثونا مجداً تليداً أضعنناه، وزدنا عليه عارا وشيناً!
 ظلت بين القبور، أنظر في غمض جفوني وقد طويت السنين!
 لست كالزائرين، يتلون آيات الكتاب الحكيم للميتين
 هاهنا عبرة، وموعظة، تبعث معنى الحياة في الذاكرين!
 وتلفت للرفاق، فألفيت رفاقي عن حالتي غافلين
 سألتني، وقد رأوا ما دهمي عني، فكان الجواب مني أنيناً!
 قلت: سيروا، إن الحياة لسير كتب النجاح فيه للسابقين!
 أمر الله، بالسياحة في الأرض، لنزداد بالعيان يقيناً!
 ولقد زدت، بالسياحة في درنة، علماً بها ودرساً ثميناً!

(١) جبانة الصحابة: مقبرة عرفت بهذا الاسم، لوجود رفات قادة الفتح الإسلامي فيها ممن استشهدوا عند فتح درنة.

(٢) عمرو: عمرو بن العاص.

(٣) طارق بن زياد: فاتح الأندلس - ابن سرح: عبدالله بن أبي سرح أحد القواد الفاتحين وأخو عثمان بن عفان لأمه. عقبة بن نافع صحابي وقائد من قواد الفتح.

(٤) رويفع: رويفع بن ثابت الأنصاري، المدفون بمدينة البيضاء بالجبل الأخضر ببرقة. زهير هو زهير بن قيس: صحابي ممن استشهدوا في درنة.

(٥) أبو منصور أحد الولاة من الصحابة ممن استشهدوا أيضاً في درنة.

ساعحوني، يا أهل درنة، ماكما ن لسانى، لما رأيت مبيتنا
فاشكروا ربكم، لكم بلدة طيبة، واسعدوا بها آميننا
عوذوها، بقل أعوذ برب الناس، من شر أعين الحاسدين^(١)

وفي درنة كذلك يقول الشاعر الهادي الصغير بن عرفة:

هب النسيم مضمخ الد	سمات من ند وطيب
والجو مجلو الصبح	سفة مثل مغفور الذنوب
والطير أمت وكرها	والشمس مالت للغروب
ومروج برقعة تحتفى	بالركب فى حشد مهيب
والركب يدأب ضاربا	بين السبابس والسهوب
ما زال ينهب بالخطا	فى يقظة الحذر الأريب
حتى اعتلى هضبات در	نة وانيا كالمستريب
وأطل من أعلى الذرى	يرنو إلى المهوى الرهيب
ثم انثنى مستبشرا	وغدا يلوح بالقضيب
ويصيح: يا قوم انظروا	يا قوم للعجب العجيب
ومررت ثم بمعبد	وبشاطئ ضح رحيب
وبكممن ناء ومر	عى للعروبة غير موب
سيروا فرادى واهبطوا	عوجوا لمنحدر قريب
هيا نؤسس درنة	فى ذلك السهل الخصيب
بين الربا والظل والنسمات والماء العذوب ^(٢)	

(١) القصيدة فى ديوان رفيق ص ٤١ - ٤٥، وفى ص ٣٤ - ٣٦ من كتاب برقة العربية أمس واليوم
لمحمد الطيب الأشهب.

(٢) ٢٥٠ و ٢٥١ الشعر والشعراء فى ليبيا.

بنيغازي الخالدة

للشاعر أحمد رفيق المهدوي (١٨٩٨ - ١٩٦١)، وهي قصيدة بعث بها من جيحان في فبراير ١٩٢٦ إلى أحد أصدقائه:

بعد السلام، وتقديم احتراماتي،
وأشتكي حراً أشواقي إليك، فقد
فارقتمكم، وفؤادي ما يفارقكم
أهل الوداد، وحبى للبلاد، هما
تركت موطن آبائي، على مضض
والله، ما باختباري أن أفارقه
إني لأذكر يوم البين إذ هملت
وقد تحيرت في أمرين، مافتئاً،
حب يجاذبني قلبي، وتدفعني
لم ترض عزة نفسي بالمقام على
خرجت من وطني مثل الطريد فما
يا لهف نفسي! على تلك الربوع، بها
ما كان أقصره عمراً وأسرعه
إذا تذكرت أيام الربيع، وقد

أهديك يا سيدي موسى^(١) تحياتي
أذكاه في خاطري بعد المسافات
قيدهوه بأسباب وثيقات!
أسباب تعذيب قلبي واشتياقاتي
مما تجرعت، من هم وويلات!
لولم ينغصه حكم الظالم العاتي
مدامعي فوق خدي مستهلات
ينكدان حياتي في مناجاتي
نفس تربت على حب المساواة
ضيم الأعداء، وأرباب الجهالات
ودعت خلا ولا أدركت ثاراتي!
ربيع عيشي قد ولي وإن اتى
مرا، كذلك أوقات المسرات!
كسا الروابي بألوان النباتات

(١) موسى: هو الشيخ موسى بن أحمد البرعصي ولد سنة ١٢٨٨ هـ: ١٨٧١ م في بنيغازي، وبعد دراسته الأولية أرسله والده لمعهد جغيبوب ولما أتم دراسته الدينية، عاد إلى بنيغازي وتولى عدة وظائف، وأخيراً احترف المحاماة الشرعية في ١٩١٥ م وتوفي ١٩٤٠ م. وكان أديباً، شاعراً طريفاً لم تفارقه فكاهاته حتى آخر حياته. وكانت صلته بالشاعر وثيقة، تجمعها حرفة الأدب. ولرفيق معه مساجلات لطيفة.

وفتح النور أفواها معطرة
معاهد، لبلادي، كنت ألفها،
واذكر بها (البركة)^(٢) الفيحاء زينها
إذ كنت أقصدها، والنفس ناجية
إلى بني عامر^(٣) أهل السماح لهم
إني لأمدح أحبائي لحبهم
أقضي سويعات أنس في مرابعهم
معاهد، لبلادي، كنت ألفها،
واذكر بجليانة^(٤) الحمام، إن له
فيه الجمال، تجلى غير محتشم
ينث^(٥) أسرار ما تخفى المآزر من
لا بوركت حل الصيف التي فتنت
ما خلف الصيف، غير الحر في كبدي
غيد، سهام الهوى منها مفوقة
يجرحن أفئدة النظار في لعب
دع ذكر جليانة الغراء، إن لها
معاهد لبلادي، كنت ألفها،
وقهوة الشط^(٦)، ما أحلى الجلوس بها

سكرت من نفع هاتيك (الفويحات)^(١)
خلفت وأسفي فيها لباناتي!
وقت الغروب وهبات النسيمات
وخاطري سالم من كل آفاتي
بي انشراح وبشرى في زيارتي
إذ ما مدحت امرأ من أجل حاجاتي
معززا، يالدهري! من سويعات
خلفت وأسفي فيها لباناتي!
ذكرى تحرك مكنون الصبايات
يسبي النهى، في ثن والتفاتات
خلف الظباء وقدام الظيئات
بما وشت من بدور بين هالات
ولا الملاح سوى مر أدكارات!
كل القلوب لها صرعى إصابات
ولا قصاص، على تلك الجراحات
عن الغرام طويلات الروايات
خلفت وأسفي فيها لباناتي!
بين الأحبة، في تلك العشيات

(١) الفويحات: ضاحية جميلة من ضواحي بنيغازي الجهة الجنوبية منها تمتاز بساتينها النظرة وجمالها الطبيعي.

(٢) البركة: جنوب بنيغازي تليها إلى الفويحات منطقة جبلية تمتاز بجفاف هوائها.

(٣) بني عامر: عائلة ابن عامر كانت للشاعر علاقة ود بها.

(٤) جليانة: أحد شواطئ بنيغازي الغربية الجميلة، كان للشاعر فيه ذكريات أنس وطرب، وفي جليانة أقام الإيطاليون نصباً تذكاريًا لقتلاهم في المعركة التي دارت رحاها أثناء احتلال جيوشهم لبنيغازي (١٩١١). ولشاعرنا قصائد حول ما يرمز إليه هذا النصب.

(٥) ينث: يفشى.

(٦) قهوة الشط: مقهى في بنيغازي على شاطئ البحر شمالاً يقع على يسار القادم من شارع عصمان (في نهايته). كان المكان المفضل للشاعر حيث يقضي مع أصحابه أكثر الوقت وقد زال المقهى ولم يبق منه سوى ذكريات الشاعر في قصائده.

إذا جلسنا تجاه الغرب، ننظر في
ومدت الشمس، فوق اليم عسجدها
نمتع الطرف في بحر، وفي شفق
وللظباء سنوح عن ميامننا
معاهد، لبلادي، كنت آلفها،
واذكر جنان المحيشي^(١) حين يجمعنا
تظل أرواحنا، بالراح رائحة
(زمارنا) بارع، فاقت براعته
يسوق اللحن، موزونا، فيسلبنا
هنالك العيش، مخضرا جوانبه
تغافل الدهر عنا، فينة، فلتت
ذقنا بأعقابها مر الحياة وما
أغرى الزمان بنا أعداؤنا، فسعوا
تأثرتني عيون القوم، ترصدني
وما جنيت! سوى إنكار منكرهم
أعانهم كل نذل، من بني وطني
وتلك شنشنة^(٢)، صار اللثام بها
يجلهم قومنا يالشقاء! وهم
قوم على ما بهم، من عيب أنفسهم
بمثلهم يستفيد الغاصبون لنا
ونحن قوم، يحمد الله، في نعم،
العلم فينا، حديث عن مثالبنا

صاف من الماء، ألوان السحابات
وشنف السمع، تكرار الموجات
حتى تمر جيالات الفتيات
وعن شمائلنا، تمضي زرافات
خلفت وأسفى فيها لباتاق!
مع (الحبيين^(٣)) ليلا في مسرات
تميل لكن على وفق النغمات
كادت براعته، تأق بآيات!
ألبابنا، بين تصفيق وصيحات!
ظل، وريف، وأرض ذات خيرات
عادت علينا بأنواع الأذيات!
شق المرائر من تلك المرات!
لزوجنا في مهاو، من غيابات!
تحصى خطاي، فتحصيها خطيئاتي
بمذودي فتغالوا في معاداتي
بما يبلغ عني من وشايات
مقدمين على أهل البيوتات
أدن لعمري من قدر الحشيرات
(عرج، وعور، وطرش) أهل آفات!
فيقدمون على فعل الشناعات
ليل بغير صباح، في ضلالات!
والدين فينا، نسيج من خرافات!

(١) جنان المحيشي: بستان تملكه عائلة المحيشي الشهيرة، كان متعة من المتع بأزهاره وثماره بين الشرق والجنوب من بنغازي (على مسافة ١٠ كيلومترات). وللشاعر فيه ذكريات.

(٢) الحبيين: كلمة اصطلاحية دارجة تطلق على المغني ومعاونيه.

(٣) شنشنة: طبيعة أو عادة.

دارت عليه زوايا السوء فالتصقت
فضائح! يفرح المستعمرون بها
يسرهم، أننا مثل البهائم، أو
أهم أسلحة المستعمرين إذا
ويعد تفريق ذات البين، يتبعه
أنظر - تجد يا رعاك الله - حالتنا
فالحر، إن لم يميت، مما يرى، كمدا
ذاك الذي لم تطق نفسي، فطوح بي
فررت بالنفس، لا من أجل عيشتها
حتى استجرت، ولكن كنت من نكدي
عجبت للظالم المنحوس! يتبعني
ما جئت مملكة إلا تملكني
خلقت حرا، فما فوق البسيطة من
كرهت أن يتولى إمرق بشر
لم أدر، هل تلك منى الفوضوية؟ أم
بلى، رأى ما رأى، (شيخ المعرة)^(٢)، إذ
توارث الناس فعل الشر، فانعكست
قيل الحياة بهذا الكون معركة!
فاستعمل القوة الإنسان عن طمع
ما أثمرت غير بغض، لا منافسة
لاطب عندي لداء الاجتماع سوى

به الإهانات من زور الكرامات
إذا رأوا أنها في الاعتقادات
أقل مرتبة؛ مثل الجهادات
سادوا على أمة نشر الجهالات!
قهر، وإفساد أخلاق، وعادات
كما يود الأعداء في ارتباكات
ويل له من حياة الاحتقارات!
إلى مرام قصيات بعيادات!
لكن مخافة إلحاق الإهانات!
كالمستجير بعمرو في الملأ^(١)
أني ذهبت؛ أتاني بالإساءات
خوف، وأدركني حيف الحكومات
أعنوله غير جبار السماوات
أو أن أكون أميرا في الإمارات
هي الممالك جارت في السياسات!
سب الأنام ونادى بالشكايات
آراؤهم في القضايا والقياسات
يفنى بها الضعف بين الاعتراكات!
لنيل نفع، فعادت بالمضرات
في الخير! تأتى بعمران وخيرات!
حب يحص أسباب العداوات!

(١) إشارة للبيت القديم المشهور الذي سرى مسرى المثل:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
وبالرغم من مضي مدة على إقامة الشاعر في تركيا فقد وفد إليها في ١٩٣٥/٦/٥ إلا أن
الإقامة لم تطب له. ونرى أن الشاعر يجمل بعد مرور عام على وصوله إلى تركيا، تبرمه
بالحياة فيها.

(٢) شيخ المعرة: أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف الضريع رهين الحبسين توفي عام ٤٤٩ هـ.

الناس كالناس، والدنيا معاشرة بالعرف؛ لا أمر خدام وسادات!

- ٥ -

وهذا سليمان الباروني الذي يعد أسبق الشعراء المخضرمين إلى التغنى
بمجد ليبيا والدعوة إلى حبها وفدائها يقول مودعا الوطن؛ وهو يرى أن كل
بلد يظله الإسلام دار مقام له.

وداعا يا ديار العز حتى يعود إليك في أهنا نهار..
فهموا وأصدقوا فالصدق فيكم عريق واحفظوا حق الديار
ولا فالوداع وكل قطر به الإسلام يصلح للقرار

- ٦ -

وقال أيضاً وقد آلى على نفسه ألا يخلق شعر رأسه إلا بعد تطهير الوطن
من أرجاس الإيطاليين، وقد ظل طيلة حياته كلها منذ هذا القسم شريداً ثائراً
على الاستعمار مؤمناً بوطنه حتى لقي ربه في بومباي في الهند سنة ١٩٤٠ م:

هذا هو الشعر الذي	شهد الحروب الهائلات
آليت أن يبقى إلى	أن يعبر الجند «القناة»
لنرى الغزاة على صفا	ف النيل تفتك بالبغيّة
ونرى «طرابلس» العزيز	زّة في ليال باهرات
تختال في برد الهنا	بالانتصار على الطغاة..
إذ ذاك يخلق بين أفوا	ج الأعظم والغزاة..
أو هكذا يبقى إذا	لم نتصر حتى الممات

- ٧ -

وقال أحمد الشارف في «الحرب الطرابلسية»:

أتمتد فينا مطامع قوم لقد ملأوا الأرض إفكاً مينا

- ٣٠٢ -

وجاءت صحائفهم كذباب
وقالوا وما غرنا قولهم :
أيا من يجرون أسطولهم
فما ضرنا أن حلتهم شطوطاً
فكم في «طرابلس الغرب» ليث
وما زاد صرخ المدافع إلا
يزيد السورى كل يوم، طيننا
أبى أن يكون التوحش فينا
ألينا بالآفهم والمثينا
إذا شط ما كنتم قاصديننا
يصون البلاد ويحمى العرينا
زئيراً لأشباهها الضائرينا

- ٨ -

وقال أحمد الفقيه حسن في سنة ١٣٥٤ : ١٩٣٤ بعنوان «وطنى» :

وطنى بحبك لا أزال متيماً
أضحى طلاع القلب حبك لا أرى
إني أمرؤ أرعى طرابلس التى
بلد ولدت به وأول تربة
أملت على فكرى بدائع حسنه
لا غرو أن ثقت شعري باسمه
ونظمت من حر الكلام قصائداً
أشدو بذكر محاسن الوطن الذى
واحر أشواقى ليوم لم ازل
يوم ينال الشعب فيه مرامه
وأرى العقيدة فيك والتوحيد
فيه المزيد إذا أردت مزيداً
عطفت على من القديم وليداً
فيها لبست من الشباب جديداً
قولاً به حليت منه الجيذاً
وغدوت فيه البلبل الغريداً
تبقى على مر الزمان نشيداً
أشتاق يوماً أن أراه سعيداً
فيه أؤمل ان يكون العيد
ويكون سعى المخلصين حميداً

- ٩ -

وقال أحمد قنابة شاعر الوحدة الليبية :

أفديك يا وطنى ومثلك يفتدى
إن لم أصنك وأفتحم فيك الردى
بالروح من شر الجهالة والعدا
وطنى فلست فتى على نهج الهدى

أى السماء تظلى أى التراب يقلنى
أى النفوس تجلنى إن ضاع تفكيرى سدى
أهوى رباك ولحن طيرك إن شدا يستهض الوادى فيشجيه الصدى

- ١٠ -

الكتاب^(١)؛ قصيدة من نظم الشاعر إبراهيم الأسطى عمر:

أى شيء فى حياة المرء أغلى من كتاب
يصقل الذهن ويهديك إلى نهج الصواب
ويسليك إذا ما كنت يوما فى اكتئاب
أو يسرى عنك غما بفكاهات عذاب
إنه أنفع فى الوحدة من لغو الصحاب
ليتنى أنفقت فى صحبة كل شباب
آه قد ضيعت عمرى بين هو وشراب
بين غيذاء وحرورا وخود وكعاب
وعزوف عن حياة الجد فى جو التصاب
ورقيبى سجل القول وفعل فى كتاب^(٢)
آه ماذا فى كتابى يوم حشرى
ما مصيرى بعد حشرى لست أدرى

إن يكن فى الدهر والحشر كتابى بيمينى
يا لحظى فلقد فزت بدنياى ودينى
وإذا نادى منادى الـ بعث يا أهل اليمين
قلت: «هاؤم إقرأوا هـ ذا حسابى وديونى
فيه ما قدمت فى دنـ ياي من فعل ثمين

(١) ١١٦-١١٨ شاعر من ليبيا للمصراق.

(٢) كلمة (سجل) وردت فى كتاب الأستاذ المصراق عن الشاعر (يسجل) وعليها لا يستقيم وزن البيت.

فينادى! أدخلوه في ظلال وعيون
 في نسيم الخلد ما يبط لب من حور وعين
 ليتنى قدمت ما يسر عفتى أو ما يقينى
 حيرة الحشر؛ وطلق ت شكوكى وظنونى
 آه لو جاء كتابى بشألى ما الذى يجرى؟ ولكن أنا مالى
 أنا إن ضاقت بى الدنيا وهى المهم صدرى
 لا أبالى المهم ماذا م كتاب طوع أمرى
 فيه ما يمنع أمثا لى من نظم ونثر
 وبحسبى أنى أحيا به فى كل عصر
 يا غذاء الروح لا تبعد^(١) عنها قيد شبر
 عيشتى دون كتاب لا تساوى ربع ظفر
 هو أستاذى الذى عد معنى الشدو بشعرى
 حلنى من كل قيد غل أعمالى وفكرى
 فغدوت اليوم كالطاثر فى سرى وجهرى
 لا أبالى الغيم والرعد، ولا الخاطف يسرى
 أنا حر فى نشيدى وغنائى وغنائى وحده فيه عزائى

- ١١ -

أحمد رفيق المهدوى فى الحنين إلى الوطن:

كادت تطير بأضلعى أشواقى يوم الفراق فهل يكون تلاقى
 ودعته والله يعلم أننى ودعت راحة قلبى الخفاق
 لو كان قبل اليوم يوم قيامة كان الفراق قيامة العشاق
 وطنى من الإيمان حبك ليس لى من عليك، وأنت ذو استحقاق^(٢)

(١) بالرفع لصحة الوزن وإن كان السكون على أن لا ناهية هو ما يقتضيه المعنى، ولكن عليه لا يستقيم وزن الشعر.

(٢) ٥٣٢ برقة العربية.

ومن قصيدة أخرى له :

يا أيها الوطن المقدس عندنا	شوق إليك فكيف حالك بعدنا
كنا بأرضك لا نريد تحولا	عنها ولا نرضى سواها موطنا
في عيشة لولم تكن ممزوجة	بالذل كانت ما ألد وأحسنا
عفنا رفاه العيش فيك مع العدا	وأبى لنا شمم النفوس وعزنا
قالوا لنا جئنا نمدن أرضكم	أين التمدن والذي قالوا لنا
هدموا من الأخلاق في أوطاننا	أضعاف ما شادوه فيها من بنا ^(١)

لييا جناح العروبة للشاعر علي صدقي عبد القادر :

لك يا لييا الفتاة
تسرقص الآن الحياة
في ركاب الذكريات

ها هي الأنجم في عرسك تبدو باسمات
اسمي الحجر الصلد يغني للفلاة
وانظري الأشجار جذلي في اخضرار راقصات
وارفعي رأسك لا تأسي^(٢) على ما كان فات
ذلك الماضي انقضى فاتخذي منه عظات
قد رسوت الآن يا (لييا) على شط النجاة
فاضحكى للحاضر الزاهي تضاحكك الغداة

(١) ٥٣٢ برقة العربية.

(٢) أي لا تحزني.

أحمد الفقيه حسن من قصيدته «شكوى واستنهاض»:

ذكر الفقى آثاره من بعده	وأجلها نفعاً يدوم بقاء
لا فضل للإنسان فى الدنيا إذا	لم يسع حتى يبلغ الجوزاء
فالسعي من سنن الوجود ولم يزل	ذو الجند يلقي الرتبة العليا
دع ما يقال عن الحفظ فإنه	قول غدا عند اللبيب هراء
كم خامل نسب الخمول لحظه	من بعد ما اتخذ الخمول كساء
عمل الرجال العاملين مخلد	في كل عصر سيرة وضاء
لو كان فى الدعة النجاح لما سعت	أمم تآلق نجمها وأضاء
هل آن للشرق النهوض كغيره	حتى يحقق بالنهوض رجاء
الاتحاد لكل شعب قوة	وبه ينال العزة القعساء
لولا ما سادت سلطان لها	دول وشادت فى البلاد بناء
واحر أشواقي إلى يوم أرى	للشرق فيه زعامة ومضاء
يوم به الشرقي يرفع رأسه	وينال فيه من العلا ما شاء
يسعى إلى ما قد سعت آباؤه	حتى يبذ بسعيه الآباء
ويحقق الأمل البعيد بهمة	لا تشتكي نصباً ولا أعياء

إرادة الشعب: للشاعر أحمد رفيق المهدوى:

لشعب فى هذا الزمان إرادة	على الحقوق وتفرض الأحكاما
عصفت بسيطرة الملوك ولم تدع	لتحكم المتجبرين دواما
صارت أمور الناس شورى بينهم	لا يملك الباغى لهم إرغاما
فى سيرة «الدتشي» و«هتلر» عبرة	لمن استببد وسفه الأحلاما
وإذا استببد الفرد بين جماعة	كانوا - وإن سعدوا به - أنعاما

تركت موطن آبائي : للشاعر رفيق المهدوي :

فارقتكم وفؤادي لا يفارقكم	قيدتموه بأسباب وثيقات
أهل الوداد، وحبى للبلاد هما :	أسباب تعذيب قلبي واشتياقي
تركت موطن آبائي على مضض	عما تجرعت من هم وويلات
والله ما باختياري أن أفارقه	لو لم ينغصه حكم الظالم العاتي
إني لأذكر يوم البين إذ هملت	مدامعي فوق خدي مستهلات
وقد تحيرت في أمرين ما فتئا	ينكدان حياقي في مناجاتي
لم ترض عزة نفسي بالمقام على	ضيم الأعدى، وأرباب الجهالات
خرجت من وطني مثل الطريد فما	ودعت خلا ولا أدركت ثاراتي

حنين غريب لأوطانه : للشاعر أحمد رفيق المهدوي - نظمها عام

: ١٩٣٩

يا من، على البعد، نهواه، ويهوانا	لشد ما شفنا شوق، فأضنانا
ذكرى عهد الهوى، باتت تساورنا	يا من يبلغ للأحباب شكوانا
إنا بحكم الهوى، صرنا، ولا عجب،	نزيد ذكراً، لمن يزداد نسياناً!
ما أنصفتنا الليالي، في قوى تركت	جسماً هنا، وهناك القلب وهاناً!
قلب أضربه حب الوفاء، فما	أخل بالعهد، في حب، ولا خاناً
واف؛ على البعد، لا النسيان خامره	ولا استطاع على الأيام، سلواناً!
واها! للذكرى حبيب، كلما سنحت	كأنما قدحت، في الجأش نيراناً!
ذكرى، تمثل في ريعان نضرتة	عصر الشباب، وإخوانا وأوطاناً!
أما الشباب، وما كان الشباب لنا	إلا على رغم أنف الدهر، طغياناً
كان الجنون، وما أحلى الجنون به	ما لذة العيش، إلا فيه، إذ كانا

كأنه سكرة (طارت)، فأعقبها
وما عرفنا له، في حال نشوتنا
يا حسرتا! ما تمتعنا برونقه
كأنه نعمة، من بعد ما ذهبت
لم يبق، من طيب لذات الشباب، سوى
وكيف! يلتذ بالأحلام، من ذهبت
ورب إخوان صدق، كان يجمعنا
كانت مودتهم، قربي، ورؤيتهم
ما سرنا، بعد ما ولت شبيبتنا
وفي الصداقة، عن فقد الصبا، عوض
ما في الحياة، من اللذات، أمتع من
لله، أيامنا، والشمل مجتمع
حتى خرجنا، عن الأوطان، من بطر
أنا على الهجر، ما تنفك، نذكرهم
ما خيم الليل، إلا بات، يقلقنا
نحن شوقا، إلى أوطاننا، فإذا
ومن سوانا، جدير بالبكاء على
معاهد، حبها، لو لم يكن شغفا
قد طوحتنا الليالي، عن مواطننا
لاعز، إلا لثاوا، في مواطنه

صحو، أجد لنا، لا كان، أحزاناً^(١)
قدرا، وكم جمحد الكفران إحسانا!
إذ كان، كالزهر، رفافا وريانا!
ذقنا لها حسرة، حري، وفقدانا!
ذكرى، تمازجها الألام أحيانا!
بالصبح عنه. فبات الدهر يقظانا!
لهم إخاء، صفا سرا، وإعلانا
تجلو عن القلب، من دنياه مارانا^(٢)
إلا صداقة من بالصدق صافانا
إن الصديق شقيق، عز أو هانا!
صافي مودة عقل، حاز رجحانا!
في ظل عيش، على الأيام أطفانا!
بنا، جزانا به الأحباب هجرانا
فهل على بالهم، يجرون ذكرانا؟
شوق، إذا رقد السمار ناجانا!
تبسم البارق الغربي، أبكانا^(٣)
ذكرى (الفويحات) (والبركا) (وجليانا)^(٤)
بما لها من جمال، كان إيماننا
يا ويح كل غريب! قدره هانا،
إن الغريب مهان، أينما كانا

(١) سكرة طارت: استعمال دارج بمعنى أنه صحا بما كان فيه.

(٢) ران: غطى.

(٣) البارق الغربي: البرق مع الريح التي تهب على منطقة بنيغازي غرباً في زمن الشتاء، كثيراً ما تكون ممطرة بغزارة وهذا يذكره بوطنه الواقع غرب البلاد التي يقيم فيها.

(٤) الفويحات، البركة وجليانا أماكن بنيغازي ذكرت سابقاً.

(ما أقدر الله أن يدني على شحط
(عين الزمان أصابتنا، فلا نظرت
سكان برقة، من سكان جيحانا)^(١)
وعذبت بصنوف الهجر ألوانا)

- ١٨ -

وداع: للشاعر أحمد رفيق المهدوي كتبها في وداع وطنه وهو منفي عام
١٩٣٦ ميمماً وجهه شطر تركيا:

وداعاً! أيها الوطن المفدى!	رحيل عنك، عز على جدا
له الأقدار، نيل العيش، كدا!	وداع مفارق، بالرغم شاءت
إذا أنا عشت، حرامت بدا!	ونحر من رفاه العيش، كد
لأعلم، أننى قد جئت إذا!	سأرحل، عنك، يا وطني، وإن
أبت لمرادها في الكون حدا!	ولكني، أطعت إباء نفس
يلد، لمن إلى الجدا استعدا!	علو النفس، إن عظمت، شقاء
تھاون بالخطوب، وزاد جدا	إذا رزق الفتى، نفساً عزوفا
فأوسعني زمان السوء، ردا	طلبت العز في وطني، مقيماً
أقدّ بها حجاب الغيب قدا!	سأركب عزيمة، حذاء، أمضى
لنجح، صد عنها، أو تصدى!	أبلغها، وراء السعى، عذرا
بفوز، أم سعى حتى تردى	سواء عاد بعد الجهد ساع
ضعيفاً، أو من الجبن استمدا!	فلم أراضياً بالعيش، إلا
ولا أتى منحت سواك، ودا	ويا وطني، هجرتك، لا لبغض
جهدت، ولم أجد من ذاك بدا!	فلا والله، ما هاجرت حتى
فإنك واجد أربا، وجدا	يقول: لي الصديق، أرح ركابا
غنى، أرضى به ليدى، قدا!	يكلفني، لأبلغ، من حطام
قبول القيد، من شيم العبد!	فقلت لطالب الإحسان قيدا

(١) البيتان للعباس بن الأحنف الشاعر العباسي المشهور وأصل الشطرة في البيت الأول «سكان
دجلة من سكان جيحانا» عن الأغاني ج ٨.

هداك الله، كيف تطيب نفسى
تعفف، ليس غير الله، يعطى
ويا وطنى، نياي، عنك، حب
وقد يأتى الغيور بما يراه
فلست ألام؛ فى تركى حبيبا
ويا وطنى، وداعا! من محب
وداعا، لا أظن له لقاء
أناديه، وقد زمت ركابي
وجاشت، تخنق العبرات صوت
وفى عنقى، أرى للأسر قدا
بلا من، ولا شكر يؤدى!
وأحيانا يكون الحب صدا!
خلى، من جوى، للعقل صدا
أرى فى حبه، الأعداء ندا!
تخير رأيه، أخذا وردا
فوا أسفا؛ إذا ما البين جدا
وهذا البين ركن الصبر، هذا
وداعا! أيها الوطن المفدى!

وكلمة (جدا) فى مطلع القصيدة عامية مبتذلة للغاية.

- ١٩ -

رفيق المهدوى يرثى شهداء «آل جمودة»^(١):

أهاجت أسمى فى القلب فاجعة الغدر
تورقنى ذكرى فراق أحبة
قضوا فى دفاع عن حمى العرض إنهم
هنيئاً لكم فى الفخر آل (جمودة)
أشارككم فى الصيت لست مؤبنا
ستبقى لكم فى كل قلب مكانة
سنحفظ للطلليان حقداً مؤبداً
فبت ولى بين الجوانح كالجمر
هم الشهداء الخالدون على الدهر
أسود تواصلوا فى المنية بالصبر
مناقبكم كادت تجل عن الأجر
ولا مادحا لكن مدحت بكم شعري
وتذكركم أوطانكم ساعة العسر
إلى الحشر ما دمنا، وفى الحشر والنشر

(١) اغتال الإيطاليون فى أثناء الحرب العالمية الثانية هذه الأسرة المجاهدة، فهاجموها فى عقر دارها واستأصلوها، ولم ينج منها غير طفل رضيع أصيب آنذاك بجراح برئ منها بعد قليل. وظل الشهداء صرعى لا يجرؤ أحد على دفنهم خوفاً من بطش الجيش الإيطالى بالعزل من السلاح.

بشير السعداوى المجاهد الليبي يقول:

قالوا: تحن إلى البلاد وأهلها	فأجبتهم هي بغيتي ومرادى
تالله لم أشغف بغير طلالها	ولا منيتي مالت لغير بلادى
في حب هاتيك الديار وأهلها	ذابت حشاشة مهجتي وفؤادى
مذ غردت بالبين أغربة النوى	من بيننا ماذقت طعم رقادى
أمسى سميرى في الدجا بدر السما	والبدر جسم لا يجيب منادى
فلطالما نساديت في غسق الدجى	حبي فتذهب صيحتي في وادى
لهفى على تلك الديار وأهلها	قوم لهم في المكرمات أيسادى ^(١)

ومن قصيدة المجاهد الكبير بشير السعداوى قالها تضميناً لقصيدة الطغرائي:

يا حادى الركب حث السير في عجل	نحو المواطن بين السهل والجبل
لا تيأسى يا ربوع العز وانتظري	فإن دولتهم من أنقص الدول ^(٢)

وكان المجاهد الكبير بشير السعداوى ١٣٠١ (١٨٨٤) - ١٧ يناير ١٩٥٧ م أديباً شاعراً، وقد ولد في مدينة الخمس، وقرأ القرآن في زاوية السنوسية في سرت، وتعلم في المدرسة الرشدية بالخمس وتخرج منها عام ١٩٠٤ م (١٣٢٢ هـ). وتولى وظائف كثيرة؛ في صدر شبابه؛ واشترك مع المجاهدين ضد الاستعمار الإيطالي، ثم هاجر إلى تركيا عام ١٩١٣ وتولى فيها وظائف كثيرة، وعاد إلى طرابلس عام ١٩٢٠، فكان عضواً في الحكومة الوطنية في طرابلس؛ ثم ممثلاً لها لدى حكومة برقة؛ ثم هاجر إلى مصر ١٩٢٣؛ في بيروت؛ فدمشق فالحجاز؛ وقاد النشاط الوطنى لتحرير بلاده من خارج ليبيا ست سنوات (١٩٤٤ - ١٩٥٠) وأخيراً هاجر من طرابلس عام

(١) راجع ص ٥٣١ برقة العربية للأشهب.

(٢) راجع ص ٥٣١ برقة العربية للأشهب.

١٩٥٢ إلى الشام حيث تقيم أسرته^(١) وتوفي هناك في أوائل عام ١٩٥٧ م.

- ٢١ -

محمد بشير المغيرى يرثى^(٢) رحومة الصارى^(٣) (١٢٧٣ - ١٣٠٦ هـ):

قد كان مشيك في الحياة على هدى فانعم فقد بلغ المسير بك المدى
قد عشت متخذاً وجودك في الدنا سبباً لإدراك الخلود وموردا
تقضى النهار مفكراً ومذكراً وتظل ليلى ساجداً متهجداً
لم تعرف التسعون منك سوى امرئ مامد قط لغير طاهرة يدا
هذا مقامك في الخلود ففزبه وانعم فقد بلغ المسير بك المدى
كما كان هناك نشيد للعلم نظمه الشاعر محمد بشير المغيرى شاعر
الشباب عام ١٩٤٣ ليردده جيش التحرير^(٤).

- ٢٢ -

يلوموننا: للشاعر محمد ميلاد مبارك خريج الأزهر الشريف عام
١٩٣٧:

دعوت فهل من سامع لدعائيا وناديت هل لى الشباب ندائيا
أجيا غريب الدار فى الدار سيدا ونحيا عبيدا بينه ومواليا
يقولون: إن البغى ولى زمانه وأضحى معين القوم عذبا وصافيا

(١) ٩١ - ٩٣ أعلام ليبيا.

(٢) ١١٤ أعلام ليبيا.

(٣) لرحومة الصارى منظومات كثيرة منها نظم رسالة الدردير فى علم البيان وسماه «دلالة الخبران على تحفة الإخوان» (١١٣ أعلام ليبيا).

(٤) ٣٣٨ برقة العربية للأشهب.

وأصبح أمر الشعب للشعب خالصا وأصبح صوت الحق كالرعد داويا^(١)
فيا ليت شعري ما لعيني لا ترى مخازي ذاك العهد إلا مخازيا^(٢)

- ٢٣ -

السعادة: للشاعر محمود محمد المنتصر:

نشدتك بين الربا والنجوم ودون الوجود وخلف الوجود
أفي الكون أنت أم الكون فيك أم البحث عنك سيفنى الجهود
نشدتك بين بديع الزهور ونور الحدود وصافى الورود
ترى أين أنت؟ أنجم حواك أم النجم يرجو إليك الصعود
دنوت دنوت، فكنت المنى وخلتك حولي ظنون الحسود
وينت فكنت شقاء النفوس وأي شقاء كنحس الحدود^(٣)

- ٢٤ -

حكاية: للشاعر يحيى توفيق وفيها روح التقليد لعمر بن أبن ربيعة:

وحيد مع الذكرى مع الليل والفكر وطيف ليلي راح يدنو مع الفجر
أقول له يا طيف كيف تركتها أفي الشوق مثلى أم تراها سلت ذكرى
لئن نسيت حبي فلت على النوى بناس ليالى الحب ما عشت من عمرى
وعادت بى الذكرى ليوم خصامنا وقد قابلتني فى الطريق مع العصر
تسير وتربيهها وكنت هجرتها زمانا فلم تسأل ولم تدر ما عذرى
فلما رأتنى أعرضت وتجهمت لتخفى الذى كانت تعانيه من هجرى

(١) (داويا) كلمة مستعملة كثيراً وهى خطأ وصحتها (مدويا)، ولكن لا يستقيم بها وزن البيت.

(٢) راجع ٢٤٢ و ٢٤٣ الشعر والشعراء فى ليبيا.

(٣) راجع ٢٤٤ و ٢٤٥ الشعر والشعراء فى ليبيا.

فقلت لها لما رأيت صدودها
ألم تدركي أني لحسنك عابد
فقلت لتريها وقد راح طرفها
فتابعتها حيناً أسير وراءها
أذكرها الماضي لعل فوادها
فلما وصلنا الحى غاب رفاقها
فحاذيتها أشكو الهوى فتبسمت
وقالت وقد طال العتاب هجرتنا
فقلت لها مهلاً ولا تظلميني
فلما غلبت الداء أسرعت لاهثاً
نسيت إبائي بل نسيت كرامتي
فقلت بشوق قد حسبتك خنتني
فودعتها عند الغروب لنتقي
فلما أجن الليل غادرت منزلي
وحمت حيال القصر أرقب خلسة
وأيقنت أن السدار قد نام أهلها
وأوغلت في البستان أمشي إلى الهوى
فلو أن شخصاً قد رآني صدفه
وراقبتها والنور في الخدر مسرج
فلما تلاشى النور رحت بلهفة
أحاذر نشواناً وفي القلب سكرة
واقبلت نحو الخدر ثم ولجته
وعانقتها والظهر يحرس حبنا
وقبلتها أحنو عليها كأنني
تسائلني همساً وقد راح كفها
أتعلم أني في فراقك لم أنم
فقلت لها حالى كحالك في النوى

لقد عيل يا أختاه في صدكم صبرى
وحبك في روحى يزيد ويستثرى
يذوب على طرفى كلاماً عن الغدر
حيثاً أناجيتها بما قلت من شعري
يلين ويصفو بعد ما كان من أمرى
فراحت على مهل وتختال في السير
وبان الذى تخفى عن الناس من سر
بلا سبب يدعو إلى الصد والهجر
فقد كدت من دائي أسير إلى قبري
إليك أجوب الدرب في وقدة الظهر
وأمسيت من شوقي كمن غاب في سكر
وكادت لفرط الشوق تبكي على صدرى
على حذر بالليل في داخل القصر
أسير بلا عقل وأسرع في سيرى
منافذه عبر الدجى آخذاً حذرى
فقممت إلى الأسوار اجتاز في سر
كمجنون حب راح يسعى بلا فكر
لخمن اني مفلس ضاق بالفقر
وموعدنا أن تطفئ النور في الخدر
أسير خلال الزرع في خفة النمر
ألذ على الوجدان من سكرة الخمر
لا لقي التي أودعتها طائعاً عمري
عنقاً محب تاق للجميل والثغر
أقبل ركن البيت أو تربة القبر
يهيم على وجهي وينساب في شعري
وكنت أقوم الليل أبكي إلى الفجر
سهاد وحرمان كمثلى الذى تدرى

حبيبان كنا في وفاق وألفة
وفارقتها فجرا وفارقت عندها
وفاجأتني كلب الحراسة رابضا
فعدت إلى ليلي ألود بخدرها
فقلت تخبا تحت ستر أريكتي
دنت تسأل الحراس ماذا أصابهم
فأغلقت الأبواب تظهر خوفها
وجاء أبوها باحثا ومفتشا
فقلت بضيق من؟ فرد مطمئنا
فقلت بخير يا أبي وتشاءبت
وأضيت أياما سجيننا بخدرها
تسامرن ليلا إذا نام أهلها
وتطعمني إن جعت بعض طعامها
فلما نسوا أمرى تسللت خارجا
ومرت بنا الأيام نرتع في الهوى
فلما رمان الدهر بالبين لم أجد
فيا رب إن كان الفراق مقدرًا
ويا رب إن الموت في الحب راحة

كطيرين في عش يعيشان في ستر
فؤادي، وكم يشقى الهوى خالي الفكر
فلما رآني قام ينبح في إثري
أخاف من الحراس أن يفضحوا أمرى
ولا تتحرك... ثم في غاية المكر
فقالوا: لصوص قد أغاروا على القصر
وعادت إلى حضني فوسدتها صدرى
ومر علينا يطرق الباب في ذعر
ألم تلحظي شيئا وهل أنت في خير
ليحسبها نومي تتمم بالشكر
وما أعذب السجن المؤبد في الخدر
فنسهر في نجوى ونمرح في بشر
وتلبسني من بعض أثوابها الخضر
أغافل كلب الزرع في موقفى الوعر
ولم نحسب الأيام تجنح للغدر
سوى الدمع والذكرى وطيف لها يغرى
علينا فداو القلب يا رب بالصبر
فلا تحرم المحروم من راحة القبر

- ٢٥ -

جاء الربيع: للشاعر أحمد رفيق المهدوي:

جاء الربيع فقم بنا يا صاح
في موكب لبس الزمان شبابه
عرس زهت فيه الطبيعة فاكتست

نلق الزمان يمر بالأفراح
واختال منه بمسعة ومراح
حلل النبات البارض الفواح^(١)

(١) البارض: أول ما تخرج الأرض من نبت صغير.

أيامه حور حسان أقبلت
فانهض لها ودع الخمول وهاتها
مثلوجة جاءت تفور كأنها
جاشت بنشوتها، كذلك فعلها
(خفت فكادت أن تطير بكأسها
روح السرور إذا سرت نفحاتها
لا (فضة ذهب) بل الحلب الذي
إن على الأفلاس لا اختار عن
فاشرب على وجه الربيع فقد رنا
والورد ينثر في الصباح روائحا
والفل فتح في المساء ثغوره
وكان أزهار المروج تناهبت
جمعت من الألوان حين تفرقت
وعلى التلال مطارف من سندس
والشمس ترسل في الشعاع حرارة
مزج الندى بعير حوذان الربا
يا صاح قم لاق الربيع بنزهة
لك من شمائلهم ربيع زهره
في روضة غناء غرد طيرها
وتمايلت أفنانها فكأنها
في قرب جايبة لدفقة دلوها

تهدى عروس الراح للأرواح
صهباء تحكى نكهة التفاح
لهب أذيب ففاض في الأقداح
في النفس حين تجيش بالأفراح
وكذا الجسم تحف بالأرواح^(١)
في الروح زالت غمة الأتراح
(في يوم عرس من حدود ملاح)^(٢)
خذ المليح، وثغره الوضاح
متبسماً عن نرجس، وأقحاح
صاحت تسوحد فالتق الاصبح
يتلو بديع لطائف الفتاح
قوس الغمام لخلية ووشاح
من كل غض أزهر لمح
خضر ترف على النهار الضاحي^(٣)
عرض النسيم لجدها بمزاح
فجرى بطيب ساحر نفاح^(٤)
في فتية غر الوجوه صباح
أدب يفيض كفيضهم بساح
فوق الغصون مصفقا بجناح
طربت لشدو البلبل الصداح
صوت كصوت الفحل بين لقاح^(٥)

(١) هذا البيت لأحد المغاربة.

(٢) إشارة إلى قول حافظ: من حدود الملاح في يوم عرس. وفضة ذهب: إشارة إلى بيت شوقي المشهور.

(٣) مطارف: جمع مطرف، وهي أردية مربعة من خبز.

(٤) حوذان: نبات طيب الطعم زهره أحمر.

(٥) الجايبة: الخوض الضخم.

ولها خريز مسرع متمهل
جئت بذوب الماس فهي كصفحة
يجرى إلى الريحان حف بمجلس
حيث الوسائد والطنافس جمّة
فاعقد هنالك جلسة علنية
لا تستمع إلا لشاد مطرب
مترفق النغمات تسمع بينها
فكأن بالموزون من ألحانه
يا صاحبي بدد همومك إنها
متع شبابك بالربيع فإنسه
كالعرس فاقتبل السرور فربما
لا بأس من طرب الكريم وهواه
فاخلط - ببعض المزح جدك واعتصم
وكن ابن وقتك طيبا متمردا
إني ليعجبني الفتى متجبرا
يختال في بعض الغرور بعزة
زمن الشباب ربيع عمره فاجتهد
فمن الخمول ربيع عمره ينقضي

يحكى دوى النحل في الاجباح^(١)
المرأة من عذب المذاق قراح
في ظل غصن الخوخ والتفاح
جمعت وسائل راحة المرتاح
واحكم بتزييف ادعاء اللاحى
حلوا الترنم ليس بالصياح
للعود أنة عاشق ملتاح
تتحرك الأوتار لا بالراح
صدأ العقول وعلة الأرواح
عيد الزهور يمر بالأفراح
عادت أغاني العرس رجع نواح^(٢)
مترفعا عن سبة وجناح
إن جئت فعلا سيئا - بصلاح
لكن لغير (غباوة ووقاح)
كتجبر (الحجاج) والسفاح^(٣)
في نفسه وبهمة وطماح
في أن يكون وسيلة لنجاح
في غير جد للعلا وكفاح

وقد عارض رفيق بها قصيدة «الربيع» لأمير الشعراء أحمد شوقي التي
يقول منها:

آذار أقبل قم بنا يا صاح حتى الربيع حديقة الأرواح

(١) الاجباح: جمع جبع، وهي خلية النحل.

(٢) هذا الشطر لشوقي.

(٣) الحجاج: أحد الولاة الأمويين، والسفاح: أول الخلفاء العباسيين.

واجمع ندامى الظرف تحت لوائه
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا
وأستأنس من السقاة برفقة
رقت كندمان الملوك خلاهم
واجعل صبوحك في البكور سلية
مهما فضضت دنائها فاستضحكت
تطغى فإن ذكرت كريم أصولها
(فرعون) خباها ليوم فتوحه
ما بين شاد: في المجالس أيكه
غرد على أوتاره يوحى إلى
بيض القلانس في سواد جلابب
رتلن في أوراقهن ملاحنا
يخطرن بين أرائك ومنابر
ملك النبات، فكل أرض داره
منشورة أعلامه من أحمر
لبست لمقدمه الخائل وشيها
يغشى المنازل من لواظ نرجس
ورعوس (مشور) خفضن لعزه
الورد في سرر الغصون مفتوح
ضاحى المواكب في الرياض ميمز
مر النسيم بصفحتيه مقبلا
هتك الردى من حسنه وبهائه

وانشر بساحته بساط الراح
فالصفوليس على المدى بمتاح
لتجاوب الأوتار والأقداح
غر كأمثال النجوم صباح
وتجملوا بمروءة وسماح
للمنجبين: الكرم والتفاح^(١)
ملئ المكان سنى وطيب نفاح
خلعت على النشوان حلية صاحي
وأعد منها قربة (لفتاح)^(٢)
ومحجبات الأيك في الأدواح
غرد على أغصانه صداح
حلين بالأطواق والأوضاح
كالراهبات صبيحة الافصاح
في هيكل من سندس فياح
تلقاه بالاعراس والأفراح
قان وأبيض في الرب لماح
ومرحن في كنف له وجناح
أنا وأنا من ثغور أقاح^(٣)
تيجانهم عواطر الأرواح
متقابل يثنى على الفتاح
دون الزهور بشوكة وسلاح
مر الشفاء على حدود ملاح
بالليل ما نسجت يد الإصباح

(١) الصبوح: ما اصطبغ به من الشراب

(٢) فتاح: أحد آلهة قدماء المصريين.

(٣) أقاح: نبات له زهر أبيض.

ينبئك مصرعه وكل زائل
ويقائق النسرين في أغصانها
والياسمين لطيفه ونقيه
متألق خلل الفصوص كأنه
(والجلنار) دم على أوراقه
وكان محزون البنفسج ثاكل
وعلى الخواطر رقة وكآبة
والسروفي الحبر السوابغ كاشف
والنخل ممشوق القدود معصب
كبنات فرعون شهدن مواكبا
وترى الفضاء كحائط من مرمر
الغيم فيه كالنعام: بدينة
والشمس أبهى من عروس برقعت
والماء بالوادي يخال مساربا
بعثت له شمس النهار أشعة
يزهو على ورق الغصون نثيرها
وجرت سواق كالنوادب بالقري
الشاكيات وما عرفن صباية
من كل بادية الضلوع غليظة
تبكى إذا ونيت وتضحك إن هفت
هى فى السلاسل والغلول وجارها
إني لأذكر بالربيع وحسنه

أن الحياة كغدوة ورواح
كالدركب فى صدور رماح^(١)
كسيرة المتنزه المسباح
فى بلجة الأذان ضوء صباح^(٢)
قانى الحروف كخاتم السفاح
يلقى القضاء بخشية وصلاح
كخواطر الشعراء فى الأتراح
عن ساقه كملوحة مفراح
متزين بمناطق ووشاح
تحت (المراوح) فى نهار ضاح
نضدت عليه بدائع الألواح
بركت، وأخرى حلقت بجناح
يوم الزفاف بعسجد وضاح
من زنبق أو ملقيات صفاح^(٣)
كانت حلى (النيلوفر) للسباح
زهو الجواهر فى بطون الراح
رعن الشجى بأنة ونواح
الباكيات بمدمع سحاح
والماء فى أحشائها ملواح^(٤)
كالعيس بين تنشط ورزاح^(٥)
أعمى ينوء بنيره الفداح
عهد الشباب وطرفة المراح^(٦)

(١) يقائق: جمع يقق وهو شديد البياض والنسرين ورد أبيض عطري.

(٢) البلجة: آخر الليل عند انصداع الفجر

(٣) صفاح: واحدة صفح وهو عرض لشف.

(٤) الملواح: هو السريع العطش.

(٥) رزحت الناقة: ألقت نفسها اعياء وهزالا.

(٦) الطرف: الكريم من الخيل.

هل كان إلا زهرة كزهوره عجل الفناء لها بغير جناح

وقصيدة شوقي مشهورة وقد عارضها كثير من الشعراء، وتشتمل على الأغراض الآتية:

١ - تحية الربيع والدعوة إلى شرب الراح فيه ووصف الاجتماع بالندامى والسقاة ووصف أخلاقهم الكريمة ووصف الراح ومجالسها وقدمها كأن فرعون قد خباها ليشربها يوم انتصاراته، وليقدم منها قرباناً للإله فتاح (البيت الأول إلى العاشر).

٢ - وصف الطيور وتغريدها على الأغصان والرياض وتنقلها بين الأدواح والأفنان (١١ - ١٥).

٣ - وصف الربيع بأنه ملك النبات ووصف تفتح الأزهار والورود والأشجار فيه (١٦ - ٣٤).

٤ - وصف روعة الأفق وجمال الجو وترقرق المياه في الجداول والأنهار وجريان السواقي في المزارع بصوت يشبه صوت النوادب في القرى الخ (٣٥ - ٤٥).

٥ - ختم القصيدة بتحية الربيع ووصف حسنه وتشبيهه بعهد الشباب (٤٦ - ٤٧).

أما قصيدة المهدي التي عارض بها قصيدة شوقي فتشتمل على الأغراض الآتية:

١ - وصف الزمان وأعراس الطبيعة في الربيع (١ - ٤).

٢ - وصف الخمر والدعوة إلى شربها في الربيع وأنه لا يعدل بها شيئاً إلا رضاب ثغر حبيبه الوضاح (٥ - ١١).

٣ - تفتح الأزهار والورود والرياحين في الربيع (١٢ - ١٩).

٤ - وصف نزهة في الربيع مع إخوان كرام في روضة غناء والاستماع لصوت مغن جميل فيها (٢٠ - ٣٢).

٥ - الدعوة إلى انتهاء الربيع فرصة لتضييع الهموم والأحزان (٣٣ - ٤٢).

وتتشابه القصيدتان:

- ١ - في الوزن والقافية وإعرابها.
- ٢ - في بعض الأوزان كتحية الربيع ووصف جماله واعتدال الجوف فيه، وتفتح الأزهار وشرب الراح في ظلاله.
- ٣ - ووصف شوقي للساقية يشبه وصف المهدوى للدلو.
- ٤ - كما تتشابه القصيدتان في كثير من المعاني والألفاظ والأساليب كقول شوقي:

أذار أقبل قم بنا يا صاح

وقول المهدوى:

جاء الربيع فقم بنا يا صاح

وكقول شوقي في إخوانه:

غر كأمثال النجوم صباح

وقول المهدوى:

في فتية غر الوجوه صباح

وتختلف القصيدتان فيما يلي:

- ١ - في قصيدة المهدوى زيادة أغراض ليست في قصيدة شوقي كوصف نزهة في الربيع وكالدعوة إلى انتهاء الربيع فرصة لتبديد الهموم والأحزان.
- ٢ - وفي قصيدة شوقي زيادة معان ليست في قصيدة المهدوى كوصفه للطيور وتغريدها على الأغصان في الربيع، وكوصفه لقدم الخمر وأنها معتقة من عهد الفرعون.
- ٣ - وشوقي أعذب لفظاً وأعلى خيالاً وأرق أسلوباً، وأكثر معاني وأفصح شاعرية؛ والمهدوى معارض ومقلد لشوقي.

والربيع زهر وعطر وسحر.

في دفئه الجميل، وشمسه المشرقة، وابتسامته العذبة، وفي هدوئه وصفائه ونخضرته ومائه، وفي إقباله وجماله، ما أغرى الشعراء بالكلام، وألهمهم روائع القصيد... ولا عجب في ذلك فالطبيعة في كل زمان ومكان هي المثابة لروح الإلهام في الشعر، وهي الموحية للشاعر بالكثير من ألوان الخيال والصور والمشاعر والخواطر والمعاني والآثار الأدبية. فالطبيعة تبحث - كما يقول شبلنج الألماني - في الرجل عن صورتها، والرجل يبحث في الطبيعة عن صورته، والشاعر في قلب الحقل يهتز - كما يقول ميستول - كما يهتز صدى الصوت؛ وقد افتن الشعراء بالطبيعة وصوروها في شتى مشاهداتها صوراً تجمع غالباً بين صدق الأداء، وحرارة الإحساس، فما بالنا بالربيع وهو قصة كمال الطبيعة وجمالها.

وفي الشعر العربي القديم نجد شعراء يغنون في شعرهم للطبيعة، ويحفل شعرهم بصورها، كأبي تمام والبحري وابن الرومي وابن المعتز والصنوبري وابن وكيع التنبسي وابن حمديس الصقلي وابن خفاجة وسواهم، وقد وصف الشعراء القدامى الربيع وجماله في قصائدهم، وتعد من أجملها قصيدة أبي تمام التي يقول فيها:

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهراً مشمساً قد شابه زهر الرب فكأنها هو مقمر
وكان لأذار مهرجان دائم عند العباسيين.

وكما تحدث الشعراء العباسيون والشعراء في الغرب مثل وردزورث، وشيلي وهاردي، ومورال، وهوجو، ولامرتين، في وصف الطبيعة والربيع والأزهار والريف، تحدث شعراؤنا المعاصرون من أمثال: أبي شادي ومطران وشكري وعلى محمود طه والهمشري والشابي وأبي ماضي وسواهم؛ وتغنوا بالربيع وجماله، والربيع دائماً يثير الشعراء، ويوقظ مشاعرهم، ويلهمهم روائع الآيات في كل بيئة وعصر. ومن ثم نجد الربيع ماثلاً في الشعر المعاصر،

بكل فنته وروعته وسحره وحيوته، وإشراقه وخضرته.

ولا فتنان الشعراء بالربيع سمى الكثير منهم دواوينهم به، فهذا ديوان:
أطيف الربيع للدكتور أحمد زكى أبو شادى، الذى طبع عام ١٩٣٣، وهذا
ديوان الربيع للشاعر المهجرى الكبير إلياس فرحات، المطبوع فى سان باولو
عام ١٩٥٤، وللشاعر العربى طاهر زنجشى ديوان أحلام الربيع، وديوان
أنفاس الربيع، وللشاعر كمال نشأت ديوان «ماذا يقول الربيع».

ويصور أمير الشعراء أحمد شوقى الربيع بمهرجان للجمال والصفو
والصباح والزهور، فى قصيدته الطويلة «الربيع ووادى النيل»^(١):

آذار أقبل قم بنا يا صاح حى الربيع حديقته الأرواح
ويسير على نهج أمير الشعراء الشاعر الليبى أحمد رفيق المهدوى
(١٨٩٨ - ١٩٦١) فنظم قصيدته (جاء الربيع)^(٢) التى عارض بها قصيدة
شوقى.

وفى هذا الإطار الفنى والتصور الجميل للربيع يحى الشاعر محمود غنيم
الربيع عيد الطبيعة، ويذكر أنه أجل ملهميه بالشعر، فيقول من قصيدته
«موكب الربيع»^(٣):

حى الربيع وحى عطر نسيمه	والثم جبين الصبح فى آذار
عيد الطبيعة يحتفى وحش الفلا	بحلوله، والطير فى الأوكار
إن لترهف فى الربيع مشاعرى	ويدق حصى دقة الأوتار
ويزيد فيه بالجمال تدهى	وأنا امرؤ حب الجمال شعارى
متع فؤادك بالربيع فإنه	لحن الزمان وبسمة الأقدار
إن الربيع هو الحياة وسحرها	لولاها لم نحرص على الأعمار

(١) ج ٢ ص ٢٣ الشوقيات ط ١٩٤٨ - شركة فن الطباعة.

(٢) ج ١ ص ١٠٧ ديوان رفيق - مطبعة الرسالة ١٩٥٩ بالقاهرة.

(٣) ص ٢٨٠ - ديوان غنيم - مطبعة دار المعارف بالقاهرة.

ويخالف الدكتور أحمد زكي أبو شادي هذا المنهج الوصفي في الحديث
عن الربيع فيقول من قصيدته «ميلاد الربيع»:

أمن العواصف والدموع	هذي الملاحاة للربيع؟
هذي الأشعة جسدت	في كل حسن تستطيع
يا عين ما النبع الذي	غمر الجمال به الربيع؟
جاءت به حور الجنا	ن وحاذرت ألا يضيع
أحلى التحايا للربيع	مع حياة ما يوحى الربيع ^(١)

ويعلل الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات حبه للربيع هذا التعليل
الجميل فيقول من قصيدته «حب الربيع»^(٢):

أحب الربيع وأيامه وأهوى لياليه الضاحكات
فإن الربيع شباب الزمان وإن الشباب ربيع الحياة
وفي أشعار الزهاوي^(٣) وحافظ جميل^(٤) وعلى محمود طه والهمشري
أوصاف جميلة للربيع؛ ويحيى عبد القادر رشيد الناصري بنغمة حلوة في
وصف الربيع فيقول من قصيدته «في ارتقاب الربيع»^(٥).

الربيع الربيع ملء ضلوعي	صلوات . . إلى ارتقاب الربيع
كلما مر طيفه في خيالي	ظمئت مهجتي وجاعت ضلوعي
لا أراي أعيش حتى أراه	ومضات في خاطر المفجوع
موكباً إثر موكب تزرع السح	ر يدها مفاتنا في الربوع
نافخاً نايه بوشى الروابي	بضروب من الجمال الوديع

(١) ص ١٠ أطياف الربيع ط ١٩٣٣ م.

(٢) ص ٢٢٨ ديوان الربيع - إلياس فرحات - مان بولو ١٩٥٤ م.

(٣) ج ١ ص ٤١ ديوان الزهاوي - طبع القاهرة - قصيدة الربيع والعطور.

(٤) ٢٢٧ نبض الوجدان ط ١٩٥٧ بغداد - مطبعة الرابطة - قصيدة حساء الربيع.

(٥) ص ١٨٦ ج ٢ ديوان الناصري تحقيق الأستاذين هلال ناجي وعبدالله الجبوري

كلما افتر ثغره سكر الور د غنى الهزار فوق الفروع
وجرى الجدول الكسول يناغى بالهوى العف ظامئات الزروع
سائليني عن الربيع فإني أنا أدري بسحر معنى الربيع
في دمي منه شعلة تكسب الشع رعبيرا من قلبي المصدوع
وتحيل الحياة جنة شوق يرتوى زهرها بفيض دموعي

وهكذا عبر الشاعر العربي المعاصر عن الربيع في شعره تعبيرا يتناول
حيناً مظاهره وألوان الجمال الذي أودعه، وحيناً آخر سره وحقيقته وجوهره،
وحيناً ثالثاً مشاعر الإنسان وعواطفه وحبه ولهوه فيه، وحيناً رابعاً وقف مبهوراً
يتأمله دون أن يدري ما يقول... وما أجمل ما يقول الشاعر العربي القديم
ابن المعتز (٢٤٧ - ١٩٦ هـ) في وصفه:

حبذا آذار شهرا فيه للنور انتشار
ينقص الليل إذا جا ء ويمتد النهار
نقشه آس، ونسر ين وورد وبهار
وعلى الأرض اخضرار واصفرار واحمرار

وليس من قصدنا في هذا الحديث أن نضع كل هؤلاء في منازلهم
الأدبية، ولا أن نوازن بينهم موازنة تكشف عن الفاضل والمفضول، ولكننا
نستعرض هنا مناهجهم وطرقهم الفنية في الحديث عن الربيع، وجماله وسحره
وروعته، وذلك ما إليه قصدت، وما عنه تحدثت.

الفصل الثاني

كفاح ليبيا وبطولاتها

في شعر الشعراء العرب المعاصرين

مجد الشعراء العرب المعاصرون بطولة الشعب الليبي وكفاحه من أجل حرية بلاده واستقلالها في قصائدهم وشعرهم. وسنذكر هنا صوراً مما قاله شعراء العروبة في هذا المضمار.

١ - يقول أمير الشعراء شوقي - حين ثار عرب ليبيا لما غزا الطليان بلادهم وتصدوا لرد المستعمرين فهو يعتز بشجاعتهم ويشيد ببأسهم ويكبر جهدهم في سبيل حريتهم وحرماتهم، وهو يستقبل عام ١٣٣٠ هـ:

ومن المهابة بين ألف معسكر	ومجاهدين هناك عند معسكر
لا يسمحون بها وبين الكوثر	موفين للأوطان بين حياضها
لا يطعنون القرن ما لم ينذر	عرب على دين الأبوة في الوغى
أخذ المعازل بالعنا المتشجر	ألفوا مصاحبة السيوف وعودوا
لا يسألون عن السعير الممطر	يمشون من تحت القذائف نحوها
جرحى نجلهم كجرحى خيبر	في أعين الباري وفوق يمينه
دم أهل بدر فيه أودم حيدر	من كل ميمون الضماد كأنما
وجراحه في قلب كل غضنفر	جذلان هينة عليه جراحه
ضمدت بأعراف الجياد الضمر	ضمدت بأهداب الجفون وطالما
كالوفد مسح بالخطيم الأظهر	عواده يتمسحون بثوبه

٢ - ويقول حافظ إبراهيم في الحرب الإيطالية الطرابلسية من قصيدة طويلة:

أدهش العالم حربا ونظاما	خبروا (فكتور) عنا أنه
جيشه يسبق في الجرى النعاما	أدهش العالم لما أن رأى
يسلم الأرواح أو يلقي الزماما	لم يقف بالبر إلا ريثما
لزموا الساحل خوفا واعتصاما	ما لهم (والنصر من عاداتهم!!)
نفضت إفريقيّا عنها اللثاما	إيه يا (فيزوف) نم عنهم فقد
مالك الملك جزاء وانتقاما ^(١)	فهى بركان لهم سخره

٣ - ويقول مصطفى صادق الرافعي في جهاد ليبيا الحرة للغزاة:

إذا انتضاه لأهل النعمة القدر	من الصواعق لا يبقى ولا يذر
هام الشياطين إلا ريث ينحدر	يرمى به الله رجلا لا يقوم له
يموت من هولها في الضربة النظر	في حده من شعاع الموت بارقة
بأس الأوائل حتى يشهد الآخر	سيف تجرده الدنيا لمن جحدوا
وكلما كاد ينسى أهله اذكروا	فكلما بلى التاريخ جده
آثاره وبها من غيظها زور	سيف الطبيعة تنقض الطبيعة في
من بيض أسيافا خلف الدجى السحر ^(٢)	جاءوا إلينا سوادا كالدجى فبدا

٤ - الحرب الطرابلسية من شعر فؤاد الخطيب باشا فيها:

أم تجزعون وفيكم ذلك الشمم	هل تحجمون وحبل الدين منصرم
عطفًا وإن تبخلوا فالله منتقم	إخوانكم يا بني الإنسان تسألکم
أين الفعّال وماذا تنفع الكلم	لا تجعلوا القول عونًا في الخطوب لكم
أسرع إلى السيف لازلت بك القدم	يا صاحب السيف والأجال واحدة

(١) راجع القصيدة كلها في ٣٣٤، ٣٣٥ برقة العربية للأشهب.

(٢) راجع القصيدة كلها في ديوان الرافعي، وفي ٣٣٦، ٣٣٧ برقة العربية.

يا صاحب المال والأموال بائدة
لا تطلبوا من بنى الطليان صالحة
آلوا على انفسهم ألا تجاورهم
هل يذكرون وقد سال البنان ندى
قالوا الحضارة والدنيا تكذبهم
والعدل ينكرهم والفضل والكرم^(١)

٥ - ويقول الرصافي في الحرب الطرابلسية من قصيدة طويلة:

يعز علينا أهل برقة أنكم
وأنا إذا ما تستغيثون لم نجد
وقد علم الأعداء أن سيوفنا
ويأهل بنيغازي سلام فقد قضت
حميتهم حمى الأوطان بالموت دونها
ومن مبلغ عنا (السنوسي) أنه
تدور عليكم بالدماء رحي الحرب
إليكم على بعد المسافة من درب
تلمل في الأغمد شوقا إلى الضرب
صوارمكم حق المواطن في الذب
وذاك بما فيكم هن من الحب
يمد لهذا الصدع منه يد الدأب^(٢)

٦ - ويقول أحمد محرم في الحرب الليبية^(٣) من قصيدة طويلة:

رويدا بنى روما فللحرب فتية
معمون فيها مخولون إذا اعتروا
ألست ترى ذؤبان روما وما لهم
تهيج الظبي أصواتهم واللهازم
نمتهم قريش في الحفاظ وهاشم
من الختف في بطحاء برقة عاصم

٧ - وفي الحرب الطرابلسية يقول الشاعر أحمد الكاشف من قصيدة طويلة عصماء:

يا أخت مصر وفي حشاها جمة
بعثت إليك بزادها وتود لو
والنيل لو ملكت أعتته جرى
ليبك حتى يكتفى الداعونا
بعثت إليك الجند مبتدرينا
خلف القلوب مودة وحنينا

(١) ٣٣١، و٣٣٢ برقة العربية للأشهب.

(٢) ٣٢٩ - ٣٢١ برقة العربية للأشهب.

(٣) الجزء الثاني من ديوان محرم، ٣٣٩ برقة العربية للأشهب.

يا آل رومة تطلبون أمانيا ختالة أم تطلبون منونا؟
جثتم تجرون الحديد ورحتم بحديدكم في اليم مغلوبينا^(١)

٨ - ويقول الشاعر حسن القاياتي في الحرب الليبية:

يعز على الإسلام أشلاء جمة رماها ببلواها الزمان فلم يعد
أحل بقلبي لوعة كل سيد ببرقة لا ينفك يقتله وغد
أفى الرق أن يغتال في المهذ راضع يكاد من الإشفاق يبكى له المهذ
على مثل صرعى الحرب تنهل أدمع ويرمى الأسى في كل صدر فيتقد^(٢)

٩ - شاعر عربى في الحرب الطرابلسية:

حيا الإله ببرقة الأبطال خذلوا العدو وأوسعوه نكالا
أسد إذا دعت الوغى أبناءها نفروا خفافاً للوغى وثقالا
دول السلام على السلام تحية إن كان تأويل السلام نزالا
فى أي دين أو كتاب منزل فيه أتى قتل النفوس حلالا
ابنى طرابلس حفظتم ملككم يوم النزال وصغتم الأعمال
بيضتمو وجه الحمى وملأتمو عين العباد مهابة وجلالا
تيهوا على الدنيا فخارا واسبقوا يوم الفخار وجرروا الأذيالا
قد خلد التاريخ ذكر فعالكم إن الزمان يخلد الأفعالا^(٣)

١٠ - وفى الحرب الليبية نظم كل الشعراء العرب وخاصة شعراء مصر
قصائد بليغة، منهم محمد صبرى (السربونى فيما بعد)، ومحمود عماد، وحمزة
الفقى الجهينى، ومحمد بك أبو شادى، وغيرهم^(٤).

(١) راجع القصيدة فى ٣٢٧ - ٣٢٩ برقة العربية للأشهب

(٢) راجع القصيدة فى ٣٣٩ و ٣٤٠ برقة العربية للأشهب.

(٣) راجع القصيدة فى ٣٣٢ - ٣٣٤ برقة العربية للأشهب.

(٤) راجع ٣٤٠ - ٣٤٣ برقة العربية للأشهب.

١١ - أحمد محرم يرثي الإمام أحمد السنوسي الذي توفي في ١١ مارس ١٩٣٣ بالحجاز:

هتف النعمى فما ملكت بياني ليت النعمى إلى الإمام نعماني
فزع الخطيم، وراع يثرب عاصف للمسوت ضج لهوله الحرمان
سهم أصاب المسلمين، وجمال في كبد الهدى وحشاشة الإيمان
ذهب الإمام يقيم حائط دينه ويراه أنفع ما يقيم الباني
ذهب المجاهد يشتري لبلاده عز الحياة بأشرف الأسيان

١٢ - ويتحدث الشاعر حسين محمد الأحلافي في قصيدة له عن جهاد السيد أحمد الشريف السنوسي للإيطاليين في أوائل الغزو^(١).

ويصف الشاعر عبد الله بن إدريس جهاد الشريف للإيطاليين، ويعدد المعارك التي دارت بينه وبين الإيطاليين في ليبيا كلها^(٢).

ولما مات الشريف أحمد في ١١ مارس ١٩٣٣ بالحجاز رثاه عبد القادر المجددي الأفغاني نزيل الحجاز بقصيدة بليغة^(٣).

١٣ - جغوب الخزينة، رثاها الشاعر السوداني صالح عبد القادر بعد احتلال إيطاليا عام ١٩٣١ فقال:

لا مرحبا بك أيها العام عام به تتجدد الألام
ماذا كتبت لمصر بعد الفصل في جغوب ليلة زلزل الأهرام
في ساعة نشر الوزير بيانه وتبجحت روما ودار الجام
جغوب علك آخر المأساة عل عيون (صدقي) عن سواك تنام
عل الحوادث عند فصلك تنتهي فيكف عن سوداننا المستام

(١) راجع ص ٢٧٠ و ٢٧١ برقة العربية للأشهب، وراجع عن الشاعر ص ١٦٨ من كتاب «الشعر والشعراء في ليبيا» لعفيفي.

(٢) ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ المرجع نفسه.

(٣) ٣٢٦ و ٣٢٧ المرجع نفسه.

فعليك يا جفوب ألف تحية وعلى شهيدك رحمة وسلام
وعلى قداستك العفا قد داسها (إسماعيل) لا استحيا ولا استعصام
حرم على (إسماعيل) هانت ليت إسماعيل يدرى كم بكى الإسلام^(١)

١٤ - شاعر يرثى جفوب بمناسبة ذكرى احتلالها:

إني تذكرت والدنيا مولية عهدا مجيدا وإخوانا وأخذانا
وكم تذكرت والأوهام تلعب بي عهدا به واحة الجفوب مأوانا
كأنها جنة بالحسن قد ملئت حورا حسانا وولدانا وغلما
نار، ونار من الذكرى مؤججة يا ساعة الذكر كم أذكيت نيرانا
جفوب كنت لنا المأوى إذا نزلت بنا الشدائد في الحالين ترعانا
وكنت مفخرة الإسلام في زمن حتى رفعت له بالعز عمدا
عهدي بذاك الحمى والشمل مجتمع وغداة الحى أهواها وتهوانا
حيث السعادة قد جرت ذوائبها تحتال تيهنا بنا يا طيب ما كانا
وحيث كنا وكان الفخر همتنا والفضل شيمتنا والعلم مغزانا
وحيث كان هناك المجد أظهر من شمس الظهيرة في الأفاق مزدانا
بانت سعاد، وبان الحى أجمعه يا جيرة الحى ما للحي قد بانا
مال لأحبة قد شطت منازلهم وما الدهر الصفا ولى فأشقانا
قف بي على الظلل البالى لأندبه ولنبيك لرسم إن الدهر قد خاننا
مرابع طالما حج الحجيج لها والدهر يممها شوقا وتحنانا
والعير قد حثها الحادى فأطربها إلى حمى حبه قد صار إيماننا
في ذمة الله ما قد مر من زمن به لبست مروط الفخر ألوانا
سقى لذاك الحمى شؤبوب وابله عفوا وجودا ورضوانا وغفرانا^(٢)

١٥ - شوقي يرثى الزعيم البطل عمر المختار:

(١) راجع ص ٥٣ السنوسى الكبير للأشهب، وإسماعيل صدقى الوزير المصرى المعروف.

(٢) راجع ص ١٩٥ برقة العربية للأشهب.

كان الزعيم المجاهد البطل عمر المختار من أبطال ليبيا الذين دافعوا عنها بقلوبهم وأرواحهم (١٢٨٧ هـ : ١٨٦٠ م)^(١) - ٤ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١).

وقد ولد ببرقة، وتعلم في الجغبوب، واشترك مع السنوسيين في البناء والإصلاح والتجديد؛ ومنذ أكتوبر ١٩١١ م وهو يحمل علم الجهاد ضد البرابرة الغزاة، فخاض مئات المعارك مع الإيطاليين، وبقي في الجبل الأخضر عشرين سنة ينازل الطليان ويصلي جيوشهم نار الهزائم.

وظل يحمل لواء الجهاد حتى أسره الإيطاليون وأعدموه شنقا في بنى غازى بعد محاكمة صورية قصيرة^(٢)، وقد قبض على المختار من ١١/٩/١٩٣١، وأعدم في ٤ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ (١٦ سبتمبر ١٩٣١ م).

وقد بدأ عمر المختار معاركه عام ١٩١١ ضد الإيطاليين حين ضربوا موانئ برقة بمدافعهم واحتلوا طبرق في ١٤ أكتوبر ١٩١١، وبعدها درنة في ١٧ أكتوبر وبنغازى في ١٩ أكتوبر.

وظل مع مجاهدى السنوسية يواجهون الإيطاليين المغيرين؛ ويشتبكون معهم في معارك ضارية خلال تسعة أشهر إلى أن سلمت تركيا البلاد الليبية إلى إيطاليا في ١٢ يوليو ١٩١٢ م.

واجتاز الحدود الليبية المصرية عام ١٩٢٣ وقابل السيد إدريس السنوسى الذى كان يقيم آنذاك في مصر وعاد بعدها إلى برقة لمواصلة الجهاد، واستطاعت إيطاليا الضغط على مصر بواسطة بريطانيا لإدخال جغبوب في الحدود البرقاوية، لتتمكن من حصار الجبل الأخضر الذى يعسكر فيه عمر

(١) ذكر الدكتور فؤاد شكرى أن ميلاده كان عام ١٢٧٩ : ١٨٦٢ - راجع كتابه «السنوسة دس ودولة».

(٢) ٢٣٦ و ٢٣٧ أعلام ليبيا.

المختار وأعدوا حملة عسكرية كبيرة لدخول جنجوب التي كان أهلها قد رحلوا عنها فاحتلوها في ٨ فبراير ١٩٢٦ وحاولوا إغراء عمر المختار بالجاه ولكنه رفض وواصل الجهاد.

وقد أصدر نداءه المشهور في ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩ الذي بين فيه خداع الإيطاليين ونقضهم لعهودهم حتى لا يدب الوهن في قلوب رجاله، فقد قال فيه: «ليعلم كل مجاهد أن الحكومة الإيطالية إنما تريد بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر ثمارنا ليتم لها الغلبة علينا واغتصاب كل حق لنا، ولكنهم بحمد الله لن يوفقوا إلى شيء من ذلك، إن إيطاليا ترمى إلى القضاء على حركتنا القومية وهيئات أن يصل الطليان إلى غرضهم ما دامت لنا قلوب تعرف أن سبيل الحرية يبذل فيه كل مرتخص وغال».

وقد ظل يقاوم حتى بعد سقوط واحة - الكفرة - و - فزان - وكانت قاعدتي النضال ضد الطليان إلى أن أسر في مجموعة من المجاهدين بالقرب من قرية «سلوق» حيث نقل في مركب حربي إلى بنى غازى، ولم يسلم عمر المختار نفسه بل قاتل حتى نفذت ذخيرته، وقتل جميع من بقى معه من رجاله كما قتل حصانه ووقع عليه..

ورثى شعراء العروبة الشهيد عمر المختار، ومنهم شوقي وحافظ ومطران ومحمود أبو رقيقة التونسي وسواهم.

وهذه قصيدة قالها أمير الشعراء أحمد شوقي في رثاء عمر المختار بعد شنتقه:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء	يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم، نصبوا مناراً من دم	تسوحى إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لوجعلوا العلاقة في غد	بين الشعوب مودة وإخاء؟
جرح يصيح على المدى، وضحية	تلمس الحرية الحمراء
يا أيها السيف المجرد بالفلا	يكسو السيوف على الزمان مضاء
تلك الصحارى غمد كل مهند	أبلى فأحسن في العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية
لو لاذ بالجوزاء منهم معقل
فتحوا الشمال: سهوله وجباله
وبنوا حضارتهم، فطاول ركنها
خيرت فاخترت المبيت على الطوى
إن البطولة أن تموت من الظما
إفريقيا مهد الأسود ولحدها
والمسلمون على اختلاف ديارهم
والجاهلية من وراء قبورهم
في ذمة الله الكريم وحفظه
لم تبق منه رحي الوقائع أعظما
كرفات نسر، أو بقية ضيغم
بطل البداوة لم يكن يغزو على
لكن أخو خيل، حمى صهواتها
لبي قضاء الأرض أمس بمهجة
وافاء مرفوع الجبين كأنه
شيخ تمالك سنه، لم ينفجر
وأخو أمور عاش في سرائها
الأسد تزار في الحديد، ولن ترى
وأق الأسير يجر ثقل حديد
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ
(تسعون) لو ركبت مناكب شاهق
خفيت عن القاضي وفات نصيبيها
والسن تعطف قلب كل مهذب
دفعوا إلى الجلال أغلب ماجداً
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه
وتخيروا الحبل المهن منية

وكهولهم لم يبرحوا أحياء
دخلوا على أبراجها الجوزاء
وتوغلوا فاستعمروا الخضراء
(دار السلام) و(جلق) الشفاء
لم تبين جاهاً أو تلم ثراء
ليس البطولة أن تعب الماء
ضجت عليك أراجلا ونساء
لا يملكون مع المصاب عزاء
يبكون زيد الخيل والخنساء
جسد بركة وسد الصحراء
تبلى ولم تبق الرماح ذماء
باتا وراء السافيات هباء
«تنك» ولم يك يركب الأجواء
وأدار من أعرافها الهيجاء
لم تحش إلا للساء قضاء
(سقراط) جر إلى القضاء رداء
كالطفل من خوف العقاب بكاء
فتغيرت، فتوقع الضراء
في السجن ضرغاماً بكى استخذاء
أسد يجر حية رقطاع
ومشت بهيكله السنون فناء
لترجلت هضباته إعياء
من رفق جند قادة نبلاء
عرف الجدود وأدرك الآباء
يأسو الجراح ويطلق الأسراء
ويصف حول خوانه الأعداء
لليث يلفظ حوله الحوباء

حرموا الملمات على الصوارم والقنا
 إني رأيت يد الحضارة أولعت
 شرعت حقوق الناس في أوطانهم
 يا أيها الشعب القريب، أسامع
 أم أجمت فاك الخطوب وحرمت
 ذهب الزعيم وأنت باق خالد
 وأرح شيوذك من تكاليف الوغى
 من كان يعطى الطعنة النجلاء
 بالحق هدماً تارة، وبناء
 إلا أباة الضيم والضعفاء
 فأصوغ في عمر الشهيد رثاء؟
 أذنيك حين تخاطب الإصغاء؟
 فانقذ رجالك واختر الزعماء
 واحمل على فتيانك الأعباء

١٦ - وقال بشير المغيري في ذكرى عمر المختار:

ذكرى تطل من الخلود
 ملأت قلوب المؤمنين
 أيام كان الليث
 يحمي العرين من الذين
 كالبدر في ليل الوجود
 بين بروعة الماضي المجيد
 يزأر في مفازلات ويبد
 غزوه في الجمع العديد

١٧ - وقال الأمين أبو حامد في ذكره:

من في البطولة كالمختار معجزة
 وكان واجبه ما فوق طاقته
 حتى إذا وافت الحرباء ساعتها
 خاض المعامع في جهد الثمانينا
 لكنه أثار الإيمان والدينا
 تأرجت روحه في الخلد نسرينا

١٨ - وقال ناصر عبد الفتاح:

أي ذكرى كيومك المشرق
 أنت مختار كل شهم اب
 يا شهيد العلا ورمز الخلود
 أنت مختار كل ند عنيد

١٩ - وقال سليمان تريب:

أكرم به (عمر المختار) من بطل
 إن البطولة في تفسيرنا نسب
 حين التحية يهذى نفحها ولده
 يحیی الجدود ويعلى شأنه الحفده

وهؤلاء الشعراء الأربعة لبيون.

الفصل الثالث

الشعر الليبي المعاصر

ازدهرت الحركة الأدبية في ليبيا، وازدهر معها الشعر، بل إنه كان أكثر فنون الأدب انتشاراً وذيوعاً وازدهاراً في هذا الوطن العربي الكبير. . وقد مهدت لنهضة الشعر عوامل كثيرة أسلفنا أكثرها، وهي تختلف بين عوامل سياسية واجتماعية ووطنية وثقافية وأدبية؛ ومن أظهر العوامل ما لقيه الشعر والشعراء من التشجيع والرعاية في عهد الإدريس الزاهر، مما يعد امتداداً لروح الإمام محمد بن علي السنوسي والإمام المهدي^(١) السنوسي في تقدير الشعر وتشجيع الشعراء، والعمل على ازدهار الحركة الشعرية في البلاد، فهذا هو الإدريس يقول عن إبراهيم الأسطى عمر حين وفاته عام ١٩٥٠: «فقدنا سيفاً من سيوف الوطن»^(٢)، ويأمر بطبع ديوان أحمد رفيق المهدي بعد وفاته عام ١٩٦١، وتقوم في البيضاء كلية اللغة العربية كما قامت في بنغازي كلية الآداب بتوجيهه.

وكان من العوامل الكبيرة التي نهضت بالشعر روح البطولة والتضحية والفداء التي تمثلت على أرض ليبيا الحرة في صور ناطقة^(٣) هزت الشعراء

(١) كان الإمام المهدي قد أمر بجمع شعر الشعراء الليبيين السنوسيين في عهده في مرسوعة خطية سميت باسم سفينة الإخوان، وكان منها نسخ خطية في كل الزوايا، ولكن هذه المجموعة النفيسة قد فقدت (راجع ٥٦٩ برقة العربية للأشهب).

(٢) ٥٨ شاعر من ليبيا (إبراهيم الأسطى عم) للمصراق.

(٣) يقول اللواء محمد صالح حرب من مقالة له: لقد علمت ليبيا العالم العربي كيف يجاهد، =

وأنطقتهم بروائع النغم والقصيد.

ولما أرسل الإدريس وفداً إلى البلاد عام ١٩٤٣ رحبت به برقة أعظم ترحيباً^(١)، وأنشد الشعراء القصائد الطوال في استقباله.

وفي مبايعة الإدريس بالإمارة نظم الشعراء القصائد البليغة^(٢).

والدعوة السنوسية منذ قيامها جد حريصة على الشعر والشعراء، تتخذ من الشعر سلاحاً من أسلحتها.

وقد كان للمجاهدين القدامى عام ١٩١١ نشيد^(٣). كما كان لجيش التحرير عام ١٩٤٣ نشيد خاص بهم.

كثر الشعراء المجددون في ليبيا في العصر الحاضر، وصاروا جيلاً جديداً بعد جيل ابن زكري والباروني وأمثالهما، وهل ننسى أحمد الشارف وأحمد رفيق المهدوي وإبراهيم الأسطى عمر وأضرابهم من الشعراء الذين كافحوا العقبات والمشقات الكثيرة^(٤)، والذين برزوا في ميدان الشعر^(٥) ونالوا إعجاب الناس؛ والمبرزون المكثرون كثيرون، وستأتى صور من شعرهم، وهناك كذلك مجودون

= ويقول الشاعر الليبي أحمد الفقيه حس:

ضحت هنا ليبيا وقد أضحي بها مثل البطولة في البرية يضرب
وإذا كانت الجزائر بلد المليون شهيد فإن ليبيا هي بلد المليونين من الشهداء أو يزيد.

(١) ٥٥٢ - ٥٥٧ برقة العربية للأشهب.

(٢) ٤٢٩ برقة العربية للأشهب.

(٣) ٣٣٨ برقة العربية للأشهب.

(٤) في مقدمتها: الاستعمار الإيطالي المدمر الذي حرم البلاد نذرة العلم، وأبعده عن مساهمة وحرمتها من المشاركة في الفنون والعلوم العصرية، ومع لكتب والمجلات العربية عن أسائها، وعزل البلاد عن العالم العربي عزلاً شديداً، كما يقول السيد خليل القلال سفير ليبيا الأسبق في مصر في محاضرة له عام ١٩٤٣، ومنها كذلك انهيار النهضة الأدبية ومقومات لأدب والشعر في عهد الحكم الإيطالي للبلاد.

(٥) يقول الأستاذ التليسي في العدد ٥٥ من جريدة الليبي: إن البلاد عقلت عن أن تلد شاعراً مبرزاً، ولم يعد ثراها ينبت إلا الأقزام من الشعراء... ولسنا مع الأستاذ التليسي في ذلك، وإنما يدل ذلك على طموح ورغبة مدحة في زيادة إثمار الحركة الأدبية ونشاطها.

مبرزون ولكنهم مقلون من مثل بشير المغيري والهادي عزقة وعبد المجيد المنتصر.

ويعلل الباحثون ما قد يلاحظ من قلة الإنتاج الشعري عما يراد منه بأن الثقافة الأدبية خاصة والثقافة في إطلاقها عامة ما تزال في دور النمو، وبقلة دور النشر وقلة المطابع والمكتبات العامة والأندية أيضاً، وبتهيب الشاعر الليبي من نشر شعره خوفاً من تعقب القراء والنقاد، حتى ليقول الشاعر الليبي الكبير أحمد رفيق المهدوي: أعرف صديقاً شاباً أتاه الله ذوقاً سليماً، وأسلوباً حسناً، ولكن لم يكن يجسر على نشر شيء من كتابته خوف الانتقاد، ولما عرض على كتاباته حاولت معه نشر بعضها فلم يقبل إلا أن تكون باسم مستعار، فسألته عن السبب، فقال: أخاف الناس والنقد، ولكنني نشرت له شيئاً من غير علمه وبغير توقيعه، فسر بذلك، وتشجع على متابعة نشر كتاباته، وما هو ذا اليوم من كتابنا المعدودين، وتبشر كتابته بمستقبل زاهر^(١).

والشعر الليبي المعاصر يمتاز بالأصالة^(٢)، والمحافظة في جملة على عمود الشعر العربي، فهو شعر عربي من حيث الفكرة، والمعنى والخيال والأسلوب، فأفكاره ومعانيه عربية، وأخيلته عربية، وأسلوبه عربي... وهو كلاسيكي النزعة محافظ على روح الشعر كما ورثها من بشار وأبي تمام والبحري والمتنبي وشوقي وحافظ والرصافي والزهاوي والجارم والأسمر ومحمود غنيم وغيرهم من الشعراء.

وقد تأثر الشعراء الليبيون بمدارس الشعر المعاصرة، ومن بينها مدرسة شوقي وحافظ، ومدرسة شعراء الديوان، ومدرسة أبولو، ومدرسة شعراء المهجر.

وقد تأثر الشعراء الليبيون بالثقافات العالمية، كما تأثر بعضهم ممن يعرفون الإيطالية بالثقافة الإيطالية.

(١) مجلة ليبيا المصورة العدد الثالث من السنة الثالثة.

(٢) راجع ٣٨ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

وتظهر أثر الثقافات الجديدة عند بعض الشعراء الليبيين، فهذا فؤاد الكعبازي يترجم عن الإيطالية أنشودة «البحر الأبيض المتوسط، لفيدريكو»^(١):

يا بحر، يامتوسط، أنت لي، كدمي
في شراييني، نسائمك كأفاسي
غفواتك كنعماسي

ويقول أحمد قنابة مترجماً عن «هال سيهان» قصيدته «انهار روما»:

أتسأل عن بنت الحضارة مالها	رأت صرح روما وهو يهوى فهاها
رويدك لا ترتب لما قد جرى لها	فكل بلاء نالها من رجاها
فهم ألسوها الخزي بعد هزيمة	بأثيوبيا قد كابد الشعب نارها
ولا تنس أخرى حين يذكر كل ما	جرى في صحارى ليبيا ورمالها ^(٢)

ويقول شاعر مترجماً عن الإيطالية قصيدة «وداع العام»:

لاقيت ذا العام في دهليزنا أمس	شيخاً ضئيلاً كمبعوث من الرسم
على عصاه يدب العام مكتئباً	مقوساً كهلال هل من خمس
متأهباً ^(٣) لرحيل لا رجوع له	والثلج يعلوه حتى قمة الرأس

ويقول أحمد الفقيه حسن مترجماً قصيدة «كل شخص له واجب»:

للطفل مدرسة ولد	فلاح حقل مخصب
وأخو الصناعة قام في	حانوته يتسبب
وكذلك الراعي له	في كل مرج مطلب
ولقد غدا الجندي تح	ت سلاحه يترقب

وترجمت القصص والمسرحيات والملاحم الإيطالية إلى العربية، فنشرت صحف ليبيا الكثير منها، وخاصة «الكوميديا الإلهية» لدانتى.

(١) جريدة طرابلس الغرب ١٩٥٢/٧/٢ م.

(٢) اتخذ الهاء قافية وهي لا تصلح هنا قافية، بل يجب أن يكون ما قبلها هو القافية.

(٣) هذا خطأ في الوزن الشعري إذ ستعمل متفاعلين بدلاً من مستفعلن.

وأسلوب الشعر الليبي تغلب عليه الجزالة كما تلمسه في شعر الشارف، وقد أخذ الشعراء يميلون إلى السهولة والوضوح، واعتنق بعضهم مذهب الرقة والعدوية في الألفاظ والأساليب.

وكان ابن زكري والباروني والحصادي والمسعودي وعبد السلام عمران وحسين الأحلافى تجيء المحسنات البديعية في شعرهم كثيراً، ولكنها غير متكلفة بل تجيء في شعرهم عفو الخاطر، ولكن الطبقة التي جاءت من بعد هؤلاء نفرت من المحسنات؛ فهذا رفيق المهدوي يقول: أما استعمال الجناس وأنواع البديع والاعتناء بالمحسنات فذلك كان المستحسن المطلوب في زمان ابن زكري.

ويرد رفيق على الشعراء الذين قلدوا أسلوب المهجرين في مقالة له عنوانها «المتجبرنون»، وكان رأيه في جبران أنه أفاد من الإنجليزية وبتأثيرها كان ابتكاره وحرية رأيه، مع طرافة الموضوع وجدته عنده. ويرى رفيق أن ذلك أضعف من أسلوب جبران وأخل^(١) بلغته، ولذلك كان رفيق يربأ بشعراء وأدباء وطنه أن ينقلوا عن جبران دون تصرف، وإن كان لا بد من التقليد فهو يحيلهم إلى أسلوب طه حسين والزيات، وأحمد أمين والمنفلوطي^(٢).

والشاعر الليبي يستمد تشبيهاته واستعاراته وأخيلته من صور البيئة الطبيعية والاجتماعية، مما نلاحظه بوضوح في قصيدة المهدوي (الموسوية) التي بلغت نحو الثلاثمئة بيت، وقصيدة الأمين أبو حامد «ملاحم الأبطال في ليبيا». . . وقد دعا رفيق إلى التجديد في الوزن والقافية، ونظم قصيدة على وزن مبتكر، وهي «قلب الشاعر والجمال» ومطلعها:

كالنحلة في الروضة تعبت بالنوار

ونقده الشعراء ومنهم الشاعر موسى البرعصي، وكان رفيق يدعو إلى

(١) ٥٥ الشعر والشعراء في ليبيا لعنفي.

التحرر من الوزن ومن القافية، ولما قال من حديث له نشر في مجلة طرابلس الغرب إنه «على خط مستقيم ضد من يحطم الأوزان والقوافي» سئل: كيف توفق بين هذا وبين رأيك في قصيدتك «أما آن» التي دعوت فيها للتحرر من الوزن والقافية، فأجاب بأن أقصد أن القافية ثقل ولا يجب أن يتقيد بها الشاعر في قصيدته من ألفها إلى يائها.

أما ألفاظ الشعر فقد دخلتها عن طريق العدوى بعض الألفاظ الإيطالية، فهذا الشاعر إبراهيم الهوني يقول:

إن مر بالناس ذو الأموال قيل له وهو القبيح، لأجل المال، : بليتو^(١)
أو مر بالناس ذو فقر يقال له وهو الطويل، لأجل الفقر، : كورتيتو^(٢)

ويقول الشاعر علي صدقي عبد القادر:

وجنود من نعام لا جنود من رجال
يستغيثون بما ميسا^(٣) في يوم النضال

ويقول المهدي:

أنسيت حين وقفت لد مرآة تنظر باختيال
وأنت لتسخر منك وه سي تقول: بيللونوفتشي^(٤) مالي

ويقول يوسف الفيلاي:

ها هو الصيف «فتشيون»^(٥) وأنا «صن بوفيرينو»^(٦)

(١) تصغير جميل باللغة الإيطالية.

(٢) أي قصير.

(٣) معنى الكلمة بالإيطالية: يا أخي.

(٤) أي يا جميل.

(٥) أي قريب.

(٦) أي وأنا فقير.

وإن كان الشعراء عامة قد نفروا من اللغة الإيطالية لغة الغزاة.

وقد أخذ يوسف الفيلالي من الأسلوب الإيطالي بعض الخصائص وتأثر بالمعاني الإيطالية في شعره الشعبي^(١)، وهناك شبه بين بعض قصائده وأشعار بترارك الشاعر الإيطالي^(٢).

وعلى الجملة فالفاظ الشاعر الليبي تمتاز بالبساطة والسهولة عند كثير من الشعراء، يقول رشاد الهوني من قصيدته «عناق»:

تعانقنا:

وفي أعماق أعماق الهوى ماتت مآسينا
وغطانا رداء الليل فأتسعت روايينا
وغرد في الدجى قلبى تحف به أمانينا
وقبل دمعها دمعى فصغنا منه حاديننا
وحين الفجر مر بنا تبسم وجهه فينا
وعشناها سويكات تساوى كل ماضينا

أغراض الشعر الليبي المعاصر

نظم الشاعر الليبي قصائده متناولة مختلف أغراض الشعر وفنونه من فخر وهجاء ومدح ورثاء ووصف ونسيب وغير ذلك. وأكثر أغراض الشعر هي الأغراض القديمة المعروفة؛ وإن كان أمثال الشعراء: المهدي وإبراهيم الأسطى عمر، وعلى صدقي، وسواهم قد مالوا إلى التجديد والابتكار، وإلى الأغراض الجديدة الشعرية.

(١) مجلة الأفكار عدد (٧) من مقال لرأس قدرى.

(٢) قصة الأدب في العالم.

الحب والغزل

ونماذج الغزل والنسيب كثيرة في الشعر الليبي، يقول الشاعر الهوني
يخاطب الليل ويناجيه:

فعد يا ليل ويحك للأنام فما أحلاك في حلل الظلام
وما أبهى جمالك في هدوء يسود الكون من بعد الخضم
كستك طبيعة الأشياء لونا يدل على السكينة والسلام
ويحلو فيك يا ليل اجتماع تسود ربوعه لغة الغرام

ويقول رفيق في الغزل من قصيدته «لذة العذاب»:

ابتسم، واعبس، ودعني بين خوف، وحياء
وارض، واغضب، وابتدع في الـ هجر، اسباب الجفاء
لا تواصلني، وأطمعني ولا تقطع رجائي!
وتداركني بعطف حيث يشتد بلائي!
وأذوق الحب، ممزقاً جأ بسعد وشقاء
ربما، لذ عذاب لنفوس الشعراء!

ومن قصيدة «ذكرى» لرفيق:

في سكون الليل، في ضوء القمر في ليالي الصيف، ما أحلى السمر!
يا حبيبي، قم بنا، نحلم في يقظة، بالحب في ظل الشجر!
قم بنا نسكراً من خمرة الهوى في نسيم الفل، في وقت السحر
نسبات، كلما مرت بنا نقلت عنا لأنفاس الزهر
فإذا هبت مع الصبح لها نفحة، فهي وشايات الخير!
لا تصدق قولهم، فيما مضى بسبات الزهر من دمع المطر!
إنما باحت بنجواننا، التي بلغتها، من نسبات السحر!
يا حبيبي، كل شيء، حولنا باسم، يغبطننا حتى الحجر!

ما ترى البدر، بنا، مبتهجاً؟
 يا له الليلة! ما أجمله
 أتري زاد على معتاده
 فأرانا غير ما كنا نرى
 إن من آمن بالحب، رأى
 بلغ الحب بنا مرتبة
 ما على من نال مانلنا، إذا
 يا حبيبي، وانظر البركة قد
 فبتت مجلوة، نحسبها
 أتظن البدر فيها إذ بدا
 إنما أهدي لذكرى حبنا
 فلتكن، ذكرى، لنا، مسعدة
 ولتكن ليلتنا، في عمرنا
 يتلقانا، ببشر، في خفر^(١)
 كيف عن عيني إلى الآن، استترا!
 أم هو الحب تجلى في البصر!
 فظننا أننا فوق البشر!
 ما خفى، عمن تسولى وكفرا!
 بعدها، لم يبق للحب وطرا!
 هو- يا، سلمك الله - انتحرا!
 عكس الماء، بها، ضوء القمر
 ملئت من زئبق فيها استقر
 عبثاً، مستجلباً منا النظر^(٢)
 من غوالي رسمه، إحدى الصور!
 كلما جارت تصاريف القدر
 ليلة القدر، إلى الفجر الأغرا!

الشعر الوطني

هو أهم جوانب الشعر الليبي المعاصر، وأشهر أغراضه^(٣)، فقد شغل
 الشعراء الليبيون بمعركة الدفاع عن بلادهم، وبنضال المستعمرين من أجل
 حقوق وطنهم وحرية أمنهم، وتغنى الشعراء بالحرية، فلأحمد الفقيه حسن
 قصيدته «الحرية» ولسليمان تريح قصيدته «عروس أحلامى» ويعنى بها الحرية،
 وقد مضت صور كثيرة لهذا الجانب من جوانب الشعر.

ونظم الشعراء الليبيون الشعر في الحنين إلى الوطن في أثناء هجرتهم إلى
 العالم العربي فراراً من وجه الغزاة الإيطاليين البرابرة.

(١) خفر: حياء.

(٢) عبثاً: لاعبا.

(٣) راجع في مجلة - الرواد الليبية - العدد الأول - نوفمبر ١٩٦٤ مقالاً بقلم محمد الشاوش بعنوان
 «الوطنية في الشعر الليبي».

ولرفيق قصيدته «حنيناً يا بلادي» وقد كتبها الشاعر عام ١٩٢٦ بعد عام من هجرته إلى تركيا:

تكامل حول، منذ فارقت أوطاني فما نلت في أثناثه، غير أحزان
نوى قذف، زمت ركابي، ولم تزل تقلقل بي حتى أتت أرض جيحان^(١)
فألقت عصا التسيار في شربقة تألب في أرجائها شر سكان^(٢)
تركت بلادي، إذ شعرت بأنني سألقى صغاراً، منه يأنف وجداني^(٣)
وسرت لأرض غير أرضي، مؤملاً لعز، فكاننا في المصيبة سيان
فيا خيبة المسعى، إلى غير موئل من النجح مشفوع بأعظم خسران^(٤)
فقدت بلادي، وهي عندي عزيزة ولم ألق ما أملت في بلد ثاني
كأن غراب البين، ضيع مشيه ولم يكتسب مشي الحمام بإتقان^(٥)
حنيناً وشوقاً يا بلادي، فإنني وإن طال عنك العهد لست بخوان
فما كان بعدى عنك، إلا ترفعاً عن الضيم، لا بغضاً ولا قصد هجران
وإن لأكمى في الجوانح لوعة لحبك، يوربها على البعد تحنان^(٦)
إذا خفف الدمع الأسى، فمدامعي لها وقدة، زادت أساى وأشجان
كما كان عذب الماء في الجير منشأً على خصر فيه، حرارة نيران^(٧)

وللشعراء الليبيين في الدعوة إلى الكفاح والنضال وفي الوطنية وفي الحديث عن الشهداء والمجاهدين، وفي وصف المعارك والحروب القومية، وفي مدح الأبطال والفخر ببطولاتهم، الكثير من القصائد البليغة المعبرة..

-
- (١) جيحان بلد بآسيا الصغرى «من ولاية أدنة بتركيا» نوى قذف زمت الخ : أي أبعدتني عن مكان حتى جيحان، قذف بعيدة. زمت: شدت.
- (٢) التسيار: السير. تألب: تغلب. ألقت العصا: استقرت.
- (٣) صغاراً: مذلة.
- (٤) موئلاً: مرجعاً.
- (٥) يشبه الشاعر نفسه في خيبة أمله بالغراب الذي أراد تغيير مشيته وتقليد الحمام في ذلك. ففشل فيما أراد، وكذلك الشاعر.
- (٦) أكمى: أخفى. يوربها: يوقدها. تحنان: حنين.
- (٧) خصر: برد.

ولهم في الدعوة إلى حرية بلادهم واستقلالها الآيات البينات .

ولقد ظلوا يواصلون كفاحهم من أجل آمال الوطن في السيادة والعزة والاستقلال والحرية، حتى أعلن الإدريس العظيم في ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١ على شعبه: إنه نتيجة لجهادنا، وتنفيذاً لقرار الأمم المتحدة الصادر في ٢١ من نوفمبر ١٩٥١، وقد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة، ونعلن رسمياً أن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، وتتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً لقب ملك المملكة الليبية المتحدة، ونشعر بأعظم الإغتراب لبداية العمل بدستور البلاد، وعلينا جميعاً أن نحتفظ بما قد اكتسبنا بثمن غال، وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة، وإننا في هذه الساعة نحى أبطالنا، ونحى العلم المقدس، والجهاد والاتحاد، وتراث الأجداد^(١).

وفي هذا اليوم العظيم قال الشاعر أحمد رفيق المهدوي قصيدته:

عيد عليه مهابة وجلال عيد، وحسبك أنه استقلال
يوم سعيد فيه نالت أمة ملكاً تجدد ذكره الأجيال

وقال أحمد الفقيه حسن قصيدته:

بنى ليبيا قد أثمر اليوم سعيكمو وصرح باستقلالكم غير معجم
قد اعترفت بعد التنافس بينكم به دول أظفارها لم تقلم

وقال الشاعر معتيق قصيدته:

ذكرى تردد في الوجود صداها عم البلاد ضياؤها فكساها

وقال عبد الباسط الدلال:

أيها العيد لقد ذكرتنا بالذي مرفجست رؤانا
وبعثت المجد من مرقده ينشد العالم أنغام علانا

(١) جريدة برقة الجديدة السنة السابعة - ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ العدد ١٥٦٨.

وقال محمد أحمد الطبولي:

نسعى بكل تضامن وتضافر في نيلنا استقلالنا، ونشيد

وقال منير البرعصي:

يوم على صدر الفخار وسام سعدت بمشرق فخره الأعوام

وقال محمد الهنقاري:

لما تقرر الاستقلال سابقنا دمع السرور من الأماق ينحدر
ما أحمل النضال، ما أحلى مذاقته يا حبذا النصر أو أيامه الغرر

وقال سليمان نعامة الباروني:

حقق بالاستقلال كل تقدم واجعل للإستقلال يوماً عيداً
واجعل ليومك ذاك ذكراً خالداً واجعل لنفسك عدة وعتيداً

ويقول رفيق في الوطنية من قصيدته «وطني وحيي» وقد نظمها الشاعر
أحمد رفيق المهدي عام ١٩٣٨:

لم أكن، يوم خروجي من بلادى، بمصيب
عجباً لي، ولتركي وطناً، فيه حبيبي!
وطناً فيه أناسي
وبه مسقط رأسي
لست ما عشت بناسي
لذة العيش الخصب!
بين أهل، وقريب
وصديق، وحبيب

لم أكن، يوم خروجي من بلادى، بمصيب
عجباً لي، ولتركي وطناً، فيه حبيبي!
عجباً لي، يا بلادى

كيف ضيعت رشادي
لم أوفق في اجتهادي!
حين فارقت حماك
وتوطنت سواك
بان لي قدر الغريب!

لم أكن، يوم خروجي من بلادي، بمصيب
عجباً لي، ولتركي وطناً، فيه حبيبي!
إن من عاش غريباً
عاش لا شك كثيراً
وإذا كان أديباً
عاش مجهولاً مضاعاً!
ينفق العمر التباعاً
بين حزن ونحيب

لم أكن، يوم خروجي من بلادي، بمصيب
عجباً لي، ولتركي وطناً، فيه حبيبي!
لم تزدني، ذكرى
غير مسح العبرات
يا! لهول الحسرات
حين آوى لفراشي
تلهب الأشواق جاشي
كفراش في لهيب!

لم أكن، يوم خروجي من بلادي، بمصيب
عجباً لي، ولتركي وطناً فيه حبيبي!
أترى! يذكر ودي
أم سلا، حبي، لبعدي!
ورأى في الناس بعدي

من له، مثل ولوعى!
فى هواه، وخضوعى
ووفائى، لحبيبى
لم أكن، يوم خروجى من بلادى، بمصيب
عجباً لى، ولتركى وطناً، فيه حبيبى!

العروبة فى الشعر الليبى المعاصر

وقد تناول الشعراء الليبيون كل أحداث العرب والعروبة فى شعرهم، فتحدثوا عن الجامعة العربية، ورأوها الأمل الذى يدينهم من الحرية، وتحدث رفيق المهدوى عن مأساة فلسطين فى قصيدته «أعياد الشرق»، وكذلك الشاعر منير البرعصى فى قصيدته «ليلة القدر». وللشاعر سليمان تريح مجموعة من الشعر فى مأساة فلسطين سماها الفلسطينيات، وكذلك كتب عن فلسطين الشاعر أحمد الفقيه حسن قصيدة له عنوانها فلسطين.

وكذلك تناولوا أحداث الوطن العربى فى شعرهم، كتونس والجزائر، يقول الشاعر على صدقى عبد القادر:

ثرأخى العربى، أيها المغربى، أنت حرأبى
تونس الآن تدعولسفك الدماء
دم من دنسوا ثراها الدخلاء
دم جند فرنسا العدا اللقطاء
إنهم كالحفافيش عند المساء
فوق نيران تونس تغدو هباء

وقال المنقارى من قصيدة له عنوانها «دم ونار».

إيه يا نار اشعلى

انطلقى فى الرجل
واصل من شئت من المستعمرين
بين أحرار الجزائر
كل أبواب وصابر
سوف نجنى ثمرات النصر قسراً
سوف نصلى دابر الغاصب جمرًا

وقال الرقيعى من قصيدته «ثورة المغرب»:

صرخة الأحرار من مراکش شب لظاها
فاستعريا لهب الأحقاد فى جرح أساها

ونظموا القصائد فى أحداث سوريا ولبنان القومية وغيرهما . .

ويقول قنابة بمناسبة جلاء المستعمرين عن أرض مصر قصيدته:

أرض الكنانة أرض لن يدنسها من بعد ذا اليوم جيش المستبدينا
ويقول على صدقى:

زلزلوه، أنزلوه، حولوه
علم المحتل عن هذى الديار
علم العادى الذى فى الشرق جار
إذ عليه العربى الحر ثار
وانبرى يلقي به عرض البحار

ويفتخر الشعراء الليبيون بالعرب والعروبة وبالمشرق، كثيراً فى شعرهم
وقد ترغوا بالأخوة العربية وبأعجاد العرب والمسلمين فى كل مكان.
ومن شعر الشارف العربى فى وحدة صفوف العرب قوله^(١):

(١) ص ٧١ و ٧٣ و ٧٤ أحمد الشارف للمصراق.

بتنا على ظمأ وفيما المنهل
والدء منا والطبيب أمامنا
والخلف أصبح من سلاح عدونا
والجهل من أقوى أدلة خصمنا
تأبى العروبة أن يكون لشعبها
يا أيها العرب الكرام ومن لهم
إن الروابط بينكم سىرى لها
أثر مدى الأيام ينشر ذكره
يقف الخطيب به ويهتف شاعر

وحى النبوة والكتاب المنزل
يصف الدواء لنا ونحن نعطل
وبه يؤسر من يشاء ويقتل
ماذا يكون جوابنا إذ نسال
وطن يقاس به اليتيم المهمل
شرف العروبة والمقام الأكمل
أثر يسجله الزمان المقبل
ويذاع في كل البلاد وينقل
ويقوم فيه مصور وممثل

ومن شعراء ليبيا أحمد فؤاد شنيب، وقد أوفد في بعثة علمية إلى أوروبا
لدراسة علم النفس، وله ديوان شعر مخطوط، وكان يعمل سكرتيراً لوزارة
المعارف في ليبيا^(١)، وله قصيدة عنوانها «تحية الأخوة العربية»^(٢).

الطبيعة في شعر الليبي المعاصر

الطبيعة في ليبيا تبدو كأروع ما تكون الطبيعة سحراً وجمالاً وفتنة؛
تتبدى روعتها في الجبل الأخضر الأشم ومدنه: درنة، الشحات، سوسة،
البيضاء، المرج، كما تتبدى في طبرق وبنغازي في سحرها وجمالها العظيم
العبرى... وتتبدى لك في طرابلس وما حوالها من مدن أثرية مثل لبة
وسبراتة وزليتن وغيرها، وفي فزان حيث صحاريها الواسعة الممتدة الأطراف.

وقد وقف الشاعر الليبي أمام الطبيعة في بلاده مفتوناً مشدوهاً، مأخوذاً
بعظمتها وجلالها وسحرها، وأنطقتهم هذه الطبيعة الملهمه أجل الآيات
والقصائد، وحسبك وصف درنة أو جليانة^(٣) لرفيق المهدي، ووصف الديب

(١) راجع ١٦٤ الشعر والشعراء في ليبيا، حيث ذكر له بعض الصور الشعرية.

(٢) مجلة القلم الجديد العدد الحادي عشر ص ٥.

(٣) موقع على الشاطئ الغربي في بنغازي يقصده المصطافون للاستحمام، وسمى باسم ابنة
السفير البريطاني - الذي كان يمثل بلاده في ليبيا عام ١٥٨٠ - التي ماتت ودفنت هناك (٨١)
الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

للبحر، ووصف تربع «رأس الهلال» بالجبل الأخضر ببرقة، ووصف الهادي عرفة درنة وغير ذلك من روائع القصائد في وصف الطبيعة.

وفوق صخور حمام كليوباترا على شاطئ سوسة الجميل كتبت هذه القصيدة عام ١٩٦٥، وهي بعنوان «الشباب».

إن الشباب منحت مر مراحه	سر الحياة، وزهرة العمر
لق السناء، وندى الصباح	وفتنة الدنيا، ونضرة باسم الزهر
السحر كان السحر في نسائه	وشذى الربيع، ويقظة الفجر
هو كل طاقات الصبا، وضياؤه	وهو الجمال، وصفوة الدهر
كل الحسان تتيه في أفوافه	وشذاه يفغمنهن بالعطر
القوة الممراح في أعطافه	وبه نعيش، نعيش في وفر
والنور يضحك من ثنايا بشره	وخياله يغنى عن الشعر
هو مارد منطلق من قمقم	وكأنما هو عاصف البحر
كل البطولة والمنى والتضحيا	ت له، وكل عواطف الخير
أين الشباب وأين منى سحره	قد مر، مركطائف السحر
ذكراه في خلدي وأحلامي، وأج	فاني تؤرقها رؤى الذكر
ولى وخلف لى الهموم وعشت أب	لكي للذى قد فات من أمري
أقتات ماضى الذكريات، وحاضرى	متدثر بمواكب العمر
والأفق يرنو من بعيد حالما	حيث التقاء التبر بالتبر

القصة الشعرية

أفردت مجلة «صوت المرنى» العدد السابع من أعدادها للقصة الليبية. والقصص النثرية في الأدب الليبي كثيرة، أما القصص الشعرية فتمثلها قصة رفيق الشعرية التي سماها قصة «غيث الصغير» التي يتحدث فيها عن قصة غلام يتيم دون التاسعة اسمه غيث، أدخل الملجأ بسبب يتمه، وزار الوالى الإيطالى الملجأ ذات يوم فتبدت له شخصية غيث النادرة، فأراد أن يختبر

ذكاءه فمنحه مائة قرش وسأله كيف ينفقها فأجابه بأنه سيشتري بها سلاحاً
لينتقم لأبيه، فاغتاله الوالى الإيطالى بدس السم له فى طعامه، وهى قصة
مشهورة وقعت حوادثها فى الأبار إحدى مدن برقة.

وللهادى عرفة قصة «الراعى»، ولأحمد الفقيه حسن قصة «اللثيم»،
ولإبراهيم الهونى قصة رمزية هى قصته «حديث السمكة»؛ وقصة خيالية هى
قصته «رحلة آدم السماوية» وقصة «رحلة الموت».

وللشاعر على صدقى عبد القادر قصة شعرية هى «دماء على رمال
الهانى»^(١).

(١) منطقة تبعد عن طرابلس بنحو ميلين من الجهة الشرقية، وشهدت فى يوم الاثنين ٢٣ أكتوبر
١٩١١ معركة من معارك البطولة ضد الغزاة.

الفصل الرابع

أشهر الشعراء في هذا العصر سليمان الباروني

١٨٧٠ - ١٩٤٠

- ١ -

دع الطمع المذموم لا تغترر بما
محال، محال، أن تدنس روضة
نصول إذا حان الدفاع، ولا نرى
نحب اللقاء، لا نبغض الطعن، إن يكن
هنيئاً لمن أمسى صريعاً مجاهداً
فيا مغرماً فينا تقدم لفتية
وأما سليمى لا سبيل لوصلها
تراه كأحلام على فرش المهد
عليها لواء حف بالنصر والحمد
جزاء من المولى سوى جنة الخلد
نضالاً عن الأوطان والدين والمجد
له حلة بالأرجوان، على الجرد
ترى الموت فوزاً في مصادمة الضد
ولو تجعل الجوزاء منطقة الغمد^(١)

هكذا كان ينظم سليمان الباروني الشعر دفاعاً عن وطنه الذى عاش
من أجله، وقد كان بعض الصحفيين الإيطاليين كتب نحو عام ١٩١٠م مقالاً
في جريدة إيطالية ينادى فيه بضرورة إحتلال إيطاليا لطرابلس، فرد عليه
الباروني بهذه القصيدة الوطنية الرائعة، التى تهكم فيها بالإستعماريين

(١) من قصيدة طويلة تجدها في ديوان الباروني في ص ٥٢ - ٥٦.

الإيطاليين ومنطقهم الكاذب، وأعلن فيها تصميم الشعب الليبي على الدفاع عن حرياته، وعلى استعذاب الشهادة في سبيل استقلاله وكرامته، وأعلن أن لا سبيل إلى وصل سليمى، ويقصد بها طرابلس المحبوبة، لأن دون الوصول إليها أبطالاً يعرفون كيف يذودون عن وطنه وعنها.

وبهذه الروح الكبيرة كان يكتب البارونى شعره ومقالاته، التي جعلت منه زعيماً وطنياً كبيراً في أمته العريقة في المجد والتاريخ، وجعلت منه كذلك شيخ الكتاب والشعراء في عصره.

- ٢ -

وقد عاش البارونى سبعين عاماً، قضى أربعين عاماً منها في ظلال الخلافة العثمانية التي كانت تبسط نفوذها وسلطانها على العالم الإسلامى، ومنه ليبيا بأقاليمها الثلاثة، ولكن النفوذ الحقيقى كان في عهد البارونى للدعوة السنوسية. الروحية الكبرى التي دعا إليها الإمام محمد بن على السنوسى الكبير «١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧ م : ١٢٧٧ هـ - ١٨٥٩» الذي نادى بفتح باب الاجتهاد، وبتنقية الإسلام مما علق به من منكرات، وبوحدة المسلمين وارتباطهم الوثيق في ظلال الدين، وباتخاذ المثل الأعلى لكل مسلم من حياة الرسول الأعظم وتعاليمه السمحة الكريمة، ودعا إلى العلم والمعرفة، وإلى أخوة المسلمين وتعاطفهم، وخلفه في حمل أعباء الدعوة وقيادتها ابنه الأكبر السيد محمد المهدي السنوسى من عام ١٨٥٩ حتى عام ١٩٠٢ م، ثم السيد أحمد الشريف، فالسيد محمد إدريس السنوسى «ملك ليبيا الحالى العظيم»..

وقضى البارونى الثلاثين عاماً الأخيرة من حياته في ظلال النضال الوطنى الليبى ضد جيوش الغزو الإيطالى، وهو نضال أكسب الأمة العربية والإسلامية مجداً وفخراً وزهواً، بما سطره المجاهدون فيه على أرض ليبيا العربية من آيات البطولة والإقدام والتضحية والاستبسال في الدفاع عن حياض الوطن المقدس، وكان يشارك أبناء ليبيا في هذا النضال الخالد مجاهدون من العالمين:

العربي والإسلامي، وبخاصة من مصر وتركيا دولة الخلافة الإسلامية آنذاك. وكانت زعامة هذا النضال قد أسندت إلى الإدريس، فتولاها بحكمة ودراية وتجربة كبيرة، وقاد ليبيا من نصر إلى نصر، ومن معركة إلى معركة وكسب عطف الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي على قضية بلاده.

- ٣ -

وفي عصر الباروني الأول كانت طرابلس تموج بمختلف الثقافات: العربية والتركية والإيطالية، وكانت أجيال من الشباب الليبي تتخرج على هذه الثقافات.

ومع سيادة اللغة التركية في ظلال الحكم العثماني، واتخاذها لغة رسمية في الدواوين وفي شؤون السياسة، إلا أن اللغة العربية بسطت نفوذها وسلطانها الفعلي على جميع أنحاء ليبيا بتأثير عناية الشعب الليبي بها، لأنها لغة الدين والمعاهد التي أنشأها أثرياء الشعب. وكان للدعوة السنوسية الأثر الكبير في الحفاظ على العربية والاهتمام بها. . وقد نهض الشعر والأدب نهضة كبيرة، لقوة ممارسة الشعراء والأدباء للعلوم العربية والأدبية، ولتعدد ثقافتهم ورحلاتهم في طلب العلم والأدب إلى الأزهر في مصر، وإلى الزيتونة في تونس، وإلى مختلف المدن الليبية، وإلى حلقات العلم في الشرق العربي، وفي بلاد المغرب العربي، وإلى استامبول كذلك عاصمة الخلافة الإسلامية، وفي طرابلس كان السراة ورجالات ليبيا يشجعون الأدب والثقافة عن طيب نفس وسخاء كبيرين، وفي الحقبة التي تلت الحكم العثماني وشغلت الأمة الليبية كلها بالكفاح والنضال والدفاع عن حرية الوطن ضد الغزاة المستعمرين، زاد حرص الشعب الليبي على اللغة العربية، واهتمامه بالثقافة الإسلامية، وبالأدب العربي، ببواعث الدين والقومية والوطنية، وبتأثير الرغبة في هزيمة الثقافة الإيطالية الوافدة، التي كانت تمثل آنذاك غزواً فكرياً متعاوناً مع الغزو السياسي والعسكري.

وفي ظلال هذه الأحداث الكبيرة في تاريخ ليبيا العربية ولد ونشأ وعاش شاعرنا الكبير سليمان الباروني، بل تأثر بكل ذلك. ووعاه في عقله الكبير وذهنه اللامع. ونفسه الواعية الطموح.

وقد عاصر الباروني جيلاً كبيراً من العلماء والأدباء والشعراء في بلاده. ومنهم: محمد كامل بن مصطفى «١٢٤٤ - ١٣١٥ هـ» ومحمد بن منيع «المتوفى بعد عام ١٢٣٠ هـ» والطاهر بن محمد «١٢٨٣ - ١٣٢٨ هـ» ومحمد بن منصور (١٣٠٣ - ١٣٤٧ هـ) وأحمد بن يوسف شتوان «المتوفى في استانبول في أوائل القرن الرابع عشر الهجري» ومصطفى بن زكري «١٨٥٣ - ١٩١٨» وعمر المسلاتي «١٨٤٨ - ١٣٠٣» ومحمد الأزهرى «١٣١٥ هـ» وأحمد الفقيه حسن «١٢٥٩ - ١٣٠٤ هـ» وأحمد الشارف «١٨٦٤ - ١٩٥٩» وغيرهم.

كما عاصر الباروني كذلك أعلام النهضة الفكرية والأدبية في مصر والعالم العربي وفي مقدمتهم؛ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والباروني وشوقي وحافظ وإسماعيل صبرى والزهاوى والرصافى والكاظمى وشكيب إرسلان أمير البيان وأحمد زكى باشا شيخ العروبة والمويلحى والمنفلوطى، وسواهم..

- ٤ -

ويضاف إلى منابع هذه الثقافة الأصيلة التى أخذ عنها الباروني منبع آخر، هو أسرته، ووالده الشيخ عبد الله الباروني من أسرة الباروني المشهورة، وموطنها جبل نفوسة.

وقد تلقى الباروني الثقافة في موطنه الأول حيث ولد ونشأ، ولما كبر تعلق بمبادئ الحرية فكان موضع مراقبة في (فساطون) من الوالى العثمانى.

وغادر فساطون إلى طرابلس يتلمذ على علمائها وحلقاتها العلمية، وندواتها الأدبية؛ ثم إلى الأزهر الشريف عام ١٣١٠ هـ؛ ثم إلى طرابلس، ورحل إلى تاهرت بالجزائر قبل نهاية القرن التاسع عشر بقليل؛ وكانت بيئة

للأباضية فيها شأن كبير، وجلس في حلقات علمائها من الأباضية، ونظم قصيدة^(١) رثى فيها مجد تاهرت القديم، وذلك عام ١٣١٦ هـ: ١٨٩٩، وهو في الثلاثين من عمره، وفي تاهرت تتلمذ على إمام الأباضية الشيخ محمد بن يوسف الميزابي.

وكان بين الباروني وشاعر الجزائر الكبير في عصره الشيخ عاشور صداقة ومودة^(٢)؛ وكذلك بينه وبين عالم الجزائر الكبير الشيخ عبد القادر الجزائري^(٣)، وفي طريقه إلى تاهرت وطريق عودته منها مر بتونس وأقام فيها فترة قصيرة، واتصل بعلمائها وأدبائها؛ واشترك في حلقاتها العلمية والأدبية، وزار الزيتونة وجالس علماءها.

وعاد إلى طرابلس عام ١٣١٦ هـ، وكان يختلف فيها إلى المدرسة المسماة بمدرسة الباروني وفيها يقول:

عمرت ربوعك بالعلوم وأزهرت كالأزهر المعمور ذى الصيت البعيد
فيك الدروس تنوعت، وترنم الـ حفاظ في الأسحار بالذكر الحميد

وَألف هناك كتابه «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية»

وفي عام ١٣٢٤ هـ: ١٩٠٦م هاجر الباروني من طرابلس إلى مصر، وودعها بقصيدة رائية يقول في آخرها في طموح كبير؛ وحرص جليل على أن تستعيد طرابلس نهضتها ويقظتها:

ألا يا قوم قد غتم طويلاً وهمتم بالجهالة في البرارى
فهل من يقظة تشفى غليلاً وتمحو ما استوى من طول عار

وسافر معه شقيقه الشيخ يحيى الباروني الذي التحق بالأزهر الشريف، وأخ ثالث له أيضاً.

وفي مصر، أو القاهرة، على وجه الدقة، تردد الباروني على حلقات

(١) راجعها في ديوان الباروني ص ١٠٠.

(٢) ص ١٣٠ المرجع نفسه.

(٣) ص ١١٥ المرجع نفسه.

الأزهر العلمية، واتصل بالزعيم الوطنى مصطفى كامل، وبالحزب الوطنى الذى أنشأه هذا الزعيم الكبير؛ كما اتصل بكبار أدباء مصر وشعرائها وعلمائها؛ من أمثال. المنفلوطى وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبرى، وإمام العبد والشيخ طنطاوى جوهرى، والشيخ حسين الرفاعى المحلاوى الأستاذ بالأزهر، وغيرهم. وكان يحضر اجتماعات مصطفى كامل؛ وندوات حافظ إبراهيم، ومجالس المنفلوطى^(١). وزاد نشاطه فى القاهرة، فأسس مطبعة فى شارع الحبانية المتفرع من شارع محمد على - شارع القلعة حالياً - واشترك معه فيها أخوه يحيى، وأخ ثالث اسمه أحمد، وسماها «مطبعة الأزهار البارونية» وفى هذه المطبعة طبع القسم الثانى من كتابه «الأزهار الرياضية» وطبع ديوانه عام ١٣٢٦ هـ: ١٩٠٩ م.

وكان البارونى يشارك فى حفلات الحزب الوطنى ومجالس زعماءه وكتابه. ولما توفى مصطفى كامل عام ١٩٠٨ رثاه بمرثية بليغة.

وفى القاهرة أصدر البارونى من مطبعته جريدته «الأسد الإسلامى» التى دافع فيها عن الإسلام والشعوب الإسلامية ووحدة العالم الإسلامى؛ وعن الخلافة العثمانية، دفاعاً مجيداً، وظهر العدد الأول منها فى ١٢ من أغسطس عام ١٩٠٧ م. . . .

وفى عام ١٩١٠ م اختير البارونى عضواً فى مجلس المبعوثان التركى - مجلس النواب - عن طرابلس، فمثل بلاده فيه خير تمثيل وأصدق وأشرفه. .

- ٥ -

وفى ٢٩ من شهر سبتمبر عام ١٩١١ - ١٣٢٩ هـ وقع الغزو الإستعمارى الإيطالى للوطن اللبى الحر المستقل، فهاجم الأسطول الإيطالى درنة وطرابلس وبنى غازى وطبرق والخمس، وقاد البارونى حركة الجهاد فى

(١) لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ على مصطفى المصراق.

بلاده والتجأ إلى جبل نفوسة عام ١٩١٢، ولما هزمه الإيطاليون عام ١٩١٣ لجأ إلى تونس، ومنها سافر إلى تركيا، وعاد عام ١٩١٦ إلى طرابلس، واختير عضواً في الحكومة الطرابلسية الجديدة عام ١٩١٨، وفي عام ١٩٢٢ ثبت الإيطاليون مركزهم في البلاد، وتحولت الحرب إلى حرب عصابات، فهاجر الباروني إلى العراق، ومنها إلى عمان من إمارات الخليج العربي، ثم سافر إلى بومباي، وتوفي فيها في مايو عام ١٩٤٠^(١) وترك ذكراً خالداً، ومجدداً لا يبلى على مر الأجيال والعصور.

- ٦ -

شارك الباروني في كل ميدان، وفي كل مجال ونهل من معين مختلف الثقافات؛ وطاف بأنحاء العالم العربي والإسلامي، وتعددت مواهبه وجوانب نبوغه؛ وشارك في السياسة والوطنية، وفي الثقافة والعلم والصحافة والأدب والشعر وتفوق فيها جميعاً.

وقد سافر إلى الحجاز مراراً، ونخبر أحوال العالم العربي والإسلامي، وكسب تجارب طويلة؛ وكان يتأثر بمبادئ جمال الدين الأفغاني والامام محمد عبده، ويؤمن مثلها بالجامعة الإسلامية الكبرى وكتب يقول: إن لكلمة «الجامعة الإسلامية» معنى في الوجود كان، واندثر، وسيعود، أو لم يكن من قبل وسيكون، وما أخطأت أوربا في تفسير هذه الجملة بهذا المعنى الذي توهمته، لأنه هو المعنى الحقيقي الذي وضعت له؛ ويا ليتة يصح، فيسعد الزمان والمكان وأهلها»^(٢). وهو في ذلك يتابع خطى أستاذه الروحي (جمال الدين الأفغاني) الذي كان من أكبر الدعاة إلى الجامعة الإسلامية، وكان

(١) يذكر الأستاذ علي مصطفى المصراقي في كتبه «ملحات أدبية عن ليبيا» أنه توفي في مايو عام ١٩٤١ م.

(٢) جريدة «الأسد الإسلامي» العدد الأول - ١٢ أغسطس ١٩٠٧ م

يذهب دائماً إلى أن الأمم الإسلامية قد وحدتهم دعوة الإسلام وجمعتهم جامعة الدين، وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى، وتلغى الفروق، فيكون جميع المسلمين بها إخواناً^(١).

وكان الباروني يشارك في أفكاره الإسلامية الزعيم الروحي الكبير السيد أحمد الشريف الذي كان مؤمناً أشد الإيمان بالجامعة الإسلامية، وظل طول حياته على صلة وثيقة بتركيا والخلافة العثمانية^(٢).

وطالما دافع الباروني عن الإسلام والشعوب الإسلامية والعربية بقلمه وشعره..

- ٧ -

ويشتمل ديوان الباروني على مختلف الأغراض من شعر المدح والمناسبات وشعر الرثاء، وشعر الاجتماع والوطنية والشعر الديني.

وفيه مدائح كثيرة للخليفة العثماني السلطان عبد الحميد، وللخديوي عباس باشا الثاني في مصر، ولوالى طرابلس العثماني، ولغيرهم من أعلام عصره.

وقد قرظ الديوان الشاعر إسماعيل صبرى، وإمام العبد، والشيخ أحمد الفساطوى الطرابلسي الأزهرى وهو صحفي مشهور، والشيخ طنطاوى جوهرى، والشيخ حسين الرفاعى المحلاوى من أساتذة الأزهر، وشقيق الباروني الشيخ يحيى الباروني الأزهرى، وغيرهم؛ ومن شعر الباروني الديني:

الله أعظم هكذا الإسلام من قبل أمر

(١) راجع مجلة الشهر القاهريه عدد ٩ - ١١ - ١٩٥٨ م.

(٢) ٣٣٧ الطريق إلى مكة - محمد الأسد.

لكن جهلنا وانتحلنا الزهد فاشتد الخطر
ما ساد هذا الدين إلا بالمهند ذى الفقر

ويقول فى رثاء الزعيم مصطفى كامل من قصيدة طويلة ألقاها فى ذكرى
الأربعين:

ما كنت تعهد أن مصر بشعبها تهتز يوم الأربعين حنانا
ما كنت تعهد أن حبك كامن فى كل صدريا عظيم رجانا
لكن لمشهدك العظيم تسارعوا خيلاً ورجلاً، عزة لحمانا

وشعر البارونى خفيف الوزن سهل القافية، جميل المنزع، فيه روح
شعرى موهوب... وكان مدرسة كبيرة فى الشعر الليبى الحديث، وهو على أية
حال من أوائل الذين أسهموا فى النهضة الشعرية الحديثة فى ليبيا، إن لم يكن
أولها على الإطلاق، وهو فى أثره فى حركة التجديد الشعرى يشبه البارودى
شيخ الشعراء على الإطلاق.

ولما دخل الإيطاليون بلاده أطلق البارونى لحيته وعاهد الله ألا يحلقها ما
دام العدو جائئاً فى أرض الوطن، ونظم فى ذلك قصيدته المشهورة «نداء
مجاهد» التى يقول فيها:

هذا هو الشعر الذى شهد الحروب الهائلات
وعليه أمطرت القنا بل كالصواعق نازلات
خاض المواقع لا يهاب على الجياد الصافنات
حبا بتطهير المواطن من بنى الإيطاليات
آليت أن يبقى إلى أن يعبر الجند القناة^(١)
لنرى الغزاة على ضفاف النيل تفتك بالغزاة^(٢)
ونرى طرابلس العزيز حزة فى ليال باهرات

(١) يشير إلى الجند التركى الذى كان يريد الشاعر أن يعبروا قناة السويس فى طريقهم إلى بلاده
لتحرير مصر وليبيا من المستعمرين.

(٢) يريد بالغزاة الأولين الجيش التركى.

ولقد بر الباروني بقسمه، ووفى بندره، وظل طليق اللحية، يرسلها، إلى أن تتحرر بلاده من الدخلاء والمستعمرين.

وقبل فجر النصر بأعوام معدودات مات الباروني مشرداً في بومباي، وتلا ذلك أحداث جسام في تاريخ ليبيا المكافحة المناضلة، إنتهت بإعلان الإدريس استقلال البلاد وحريتها، وبدأ البناء من جديد للوطن الليبي العظيم، واستقرت روح الباروني في مثواها، واطمأنت في مرقدتها لأن بلاده نالت حريتها، ولأن الأمل الذي عاش الباروني من أجله قد تحقق على يدي سيد البلاد الإدريس المفدى، ولو كان الأجل قد تأخر بالباروني قليلاً ليشهد فجر الحرية في بلاده، ومؤذن النصر يؤذن باستقلالها، لدخل طرابلس، وهو يقبل تراب الوطن العزيز الذي رواه الشهداء بدمائهم وأرواحهم، ولخلق لحيته براً بقسمه العظيم.

إن الباروني جدير أن تقام له التماثيل، وتكتب باسمه أعظم الميادين في بلاده... إنه زعيم وطني ورائد نهضة ثقافية وأدبية، ومجاهد عاش ومات من أجل بلاده، فسلام عليه في الخالدين^(١).

ومن آل الباروني الشاعر أبو الربيع سليمان الباروني (١٨٩٦ - ..)^(٢) وكان يعجب بشوقي وحافظ ومحرم ومحمود غنيم وبابن هاني، وسليمان نعامه الباروني (١٩١٣ - ..)^(٣) الذي درس في الزيتونة، وكان الفضل في ميوله الأدبية للأديب التونسي محمد العربي الكبادي، وكان يعجب بالمتنبى إعجاباً كبيراً.

وللباروني قصيدة رثى فيها مجد تاهرت القديم^(٤) وقد نظمها عام ١٣١٦ - ١٨٩٩ م.

(١) راجع عن الباروني: ١٢٧ - ١٢٩ أعلام ليبيا للزاوي، ٦٧ - ١٠٤ لمحات أدبية عن ليبيا لمصراي، ٢٠٨ - ٢١١ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

(٢) ٢٠٦ - ٢٠٧ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٣) ٢١٢ و ٢١٣ المرجع السابق.

(٤) ص ١٠٠ ديوان الباروني.

وكان بين الباروني وشاعر الجزائر الكبير في عصره الشيخ عاشور صداقة ومودة^(١)، وكذلك بين عالم الجزائر الكبير الشيخ عبد القادر^(٢).

وكان الباروني موضع مراقبة - في فساطو من الوالي العثماني^(٣)، ولما هاجر من طرابلس إلى مصر عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦، ودع طرابلس بقصيدة رائية.

وقد طاف الباروني بالجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز وتركيا ثم عمان، وخبر أحوال العالم الإسلامي، وكسب تجارب طويلة.

إبراهيم الأسطى عمر^(٤)

١٩٥٧ - ١٩٥٠

شاعر مبرز مشهور، ولد بدرنة إحدى مدن برقة الجميلة، وهي ميناء بحري صغير؛ ونشأ يتيماً فقيراً عاملاً، وأحب العلم فكان ينتهز أوقات فراغه للدراسات والمطالعة؛ وعين كاتباً في المحاكم الشرعية، ولكنه فر من وجه الاستعمار الإيطالي فخرج مهاجراً عام ١٩٣٨ إلى مصر والشام والعراق، فأفادته هذه الهجرة كثيراً من التجارب والثقافات وعرف أدباء وشعراء العالم العربي وقرأ لهم، ونظم الشعر في سبك حسن، ورصانة أسلوب، وجودة

(١) ١٠٣ المرجع.

(٢) ١١٥ المرجع.

(٣) راجع ص ١٧ - ٣٣ ديوان الباروني.

(٤) راجع ١٠ - ١٣ أعلام ليبيا، ١٩ - ٢١ مجلة العلم الجديد (تموز ١٩٥٣)، ١٣٥ - ١٤٤ لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ المصراق، وكتاب شاعر من ليبيا (إبراهيم الأسطى عمر) بقلم علي مصطفى المصراق - نشر مكتبة الشرق طرابلس الغرب ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط طبع عام ١٩٥٧، ١٤٨ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي، ١٤١ وما بعدها الحياة الأدبية في ليبيا.

معنى، وخصب خيال، وعاد إلى مصر فاشترك في جيش التحرير الليبي الذي أنشئ عام ١٩٤٣، ورجع إلى وطنه، وشاهد تبشير عصر الاستقلال، وتولى القضاء في المرج على أثر مسابقة قضائية تفوق فيها، ومن أشهر قصائده قصيدته التي أرسلها إلى المستر «بلت» مندوب الأمم المتحدة في ليبيا ونادى فيها بوحدة ليبيا ومنها:

يريد الشعب وحدته، ففيها كرامته، ولا يرضى انقساماً

ومات في ٢٦ سبتمبر ١٩٥٠ غريقاً في البحر.

ومن شعره:

بالله يا قلبي أحنى من عذاب الذكريات
وارحم بقية هيكلي كالآل أضحي في الفلاة
لولم يثن من العذاب لما رآته المبصرات
أخشى عليه من الوقوع لدى هبوب السافيات
جسم كلا جسم وقلب خافق طول الحياة
إن مرت الذكرى عليه حبت داخله قطاة

ويقول في وصف الحياة^(١):

قمت مذعوراً من النوم على صوت ينادي
يا إلهي من ترى هذا الذي صد رقادي
ما الذي يرجوه مني من ضلال أو رشاد
وأنا الأعمى وسيرى فوق أشواك القتاد
وتجلى الصوت في سمعي غريب النبرات
جاء من فوقى ومن تحتي ومن كل الجهات
فيه لطف فيه عنف فيه حزم وأناة
قال هب نفسك ميتاً ثم قل لي ما الحياة
قلت آلام وأحزان ويأس وشور

(١) راجع القصيدة في ص ٧٤ - ٧٦ من كتاب شاعر من ليبيا وعنوان القصيدة «ما الحياة».

وشقاء وضلال وجنون وغرور
وأكاذيب وظلم وسخافات وزور
وختم الفصل لا أدري إلى أين المصير
وقصيدته «نشيد النصر» عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية المشهورة
ومطلعها:

هتف الجندي من أعماقه: خلوا السلاح
يا رفاق الحرب، هيا نحتسئ أكواب راح
نخب نصر قد ربحناه بصبر وكفاح

وله شعر في الوصف والغزل والهجاء والسياسة، ومن قصيدته «الطائر
السجين»^(١):

أيها المسجون في ضيق القفص صادحاً من لوعة طول النهار
ردد الألحان من مر الغصص وبكى في لحنه بعد السديار

ذكر الغصن ثنى
وأليفاً يتغنى
وهو في السجن معنى
فبكى وجدا وأن

وتغنى

والأمان ما أحيلها، خيال يتلاشى مثل أحلام المنام
لو صحا في روضة والغصن مال من نسيم بين ضوء وظلام
ومضى يصدق في دنيا الجمال بين أغصان وخلان كرام
ناصرها يروى لهم بعض القصص ما به هدى وذكرى واعتبار

ضاق ذرعاً بالأمان
وهو في نفس المكان
ويعاني ما يعاني
فرآني

(١) ص ١٤٨ - ١٥٠ شاعر من ليبيا.

شارد الـلب إـليه ناظرا قال ملـتاعا: ألا تسعـفـني
قلت: لو كنت قويا قادراً لم تذق يا طير مر المحن
ولبدلت النظام الجائرا ولما استخذي فقير لغنى
ولكان الشرفى الدنيا نقص ولكان العدل للخلق شعار
رزقنا يقسم فينا بالحصص لا غنى، لا فقير، لا شرار
هكذا تصفو الحياة

لجميع الكائنات
وتزول السيئات
سعيـنا في الحسنات
للمات

غير أني أيها الطير الكئيب عاجز مثلك مغلول اليدين
في بلادى بين أهلى كالغريب وأنا الحر، ولو تدري، سجين
عد بدعواك إلى المولى الرقيب من إذا شاء فما شاء يكون
وارتقب فالخط في الدنيا فرص ربما جاءت على غير انتظار
واترك اليأس وغرد في القفص وتناساه فللعسر يسار

آه لو يدري مقالى
لشجاء اليوم حالى
غير أني بخيالى
في رشادى أو ضلالى

لا أبالى

أيها الإنسان ما ذنب الطيور تودع الأقفاص؟ هل كانت جناة

وقد رمز بالطائر السجين إلى شعبه أيام الاحتلال الإيطالى البغيض؛
وقد نظمها في يناير عام ١٩٤٤ . . ومن شعره كذلك قصيدته «السعادة» التى
يقول فيها:

لا تلنى فانا أجهل مدلول السعادة

غير لفظ ماله معنى ولا إفساده
ربما توجد في الفردوس لكن بالشهادة
إن ما حبيب للصوفي إشار الزهاده
علمه أن ليس في الدنيا سعيد بالإرادة
آه لو كان أبوكم ذا دماء وقياده
لم يذق مذاق حتى نال بالخلد مراده
غره إبليس بالخلد وعنه قد أحاده
فعصى مولاه ليت الحكم قد كان الإباده
ليس عندي غير هذا لا ترم حتى زياده
سل إذا شئت دراویش الطريقه
قد تجد فيهم جواباً للسؤال^(١)
فهو أدرى بها منى حقيقه
إذ لهم شوق بتصديق المحال
أوفسل عنها أخوا الأجواء قد يحيا سعيد
بجناح وفضاء وحبوب من حصيد
همه التغريد لا يعرف معنى للقيود
ليس يغتر بوعده لا ولا يخشى وعيد
ماله مال، ففي المال شقاء للوجود
ماله نطق فإن النطق بالجهل يزيد
ماله علم وهل في العلم من شيء حميد
إنه خال من الهم ومن «كاد يكيده»
سله قد ينبيك ما معنى السعاده
ويوافيك بنص أو دليل

(١) لفظ (تجد) بإسكان الدال للوزن. وهو خطأ نحوي.

قد يراها في فجور أو عباده
فليقل ما شاء... فهي المستحيل^(١)

والقصيدة نظمها الشاعر في ٨ مارس عام ١٩٤٤، وفيها نجد أن أصداء
لفلسفة الشاعر المصري محمود أبو الوفا صاحب القصيدتين المشهورتين: النشيد
وعنوان النشيد... ولقد كانت حياة الشاعر كلها قصيدة مضطربة الأوزان وإن
كانت رائعة المعنى، واستطاع هذا العامل الكادح أن يكون شاعر مبدعاً،
اشتغل بناءً وحالاً وفراشاً^(٢).

ومن شعره الرائع:

قيل: صمتاً، فقلت: لست بميت	إنما الصمت ميزة الجهاد
إن معنى الحياة قول وفعل	وهي رمز مقدس للجهاد
لا أطيق السكوت مادام قلبي	خافقاً واللسان يروى مرادى
إنما البلبل المخرد يشدو	أينما كان في الرب، في الوهاد
ما أظن الأقفاص مهما ادلهمت	تمنع الطير لذة الإنشاد
إنما الرزق والمعيشة والمو	ت جميعاً بأمرب العباد

وفي هذه القصيدة أثر لفلسفة المعري ولقصيدته المشهورة:

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي
وكان شاعره المحبب إلى نفسه هو أبو العلاء، وأخذ يقلده في اللزوميات
لا في البناء والهيكل ولكن في بعض الظلال وجوانب من التأثر بالفكرة
وخاصة من ناحية الحيرة والتشاؤم والشك والتساؤل والتردد والإلحاح في معرفة
كنه هذا الوجود وحقيقة الإنسان^(٣)، وكان للمعري وكذلك للخيام تأثيرهما في

(١) راجع القصيدة في ص ١٠٧ - ١٠٨ شاعر من ليبيا.

(٢) ١٣٧ لمحات أدبية عن ليبيا.

(٣) ٦٣ شاعر من ليبيا للمصراقي.

نفسه وفي بعض قصائده، من مثل «رهين المحبين»، و«سر الجمال»، و«ما الحياة»، و«السعادة»^(١).

ورثى إبراهيم الأسطى عمر الشاعر الصحفي الليبي عمر فخرى المحيشي بقصيدة منها:

ذكراك تبقى مدى الأيام يا «عمر» ما دام للناس سمع أو لهم بصر
يا غارسا في شباب الجيل نزعته سقيا لغرسك ها قد أثمر الشجر
يا رسولا أفدنا من رسالته كيف الجهاد إذا ما أظلم الخطر
أحييت فينا شعورا كاد يقتله حكم الطغاة، فلا عادوا ولا ظفروا
وقوله «يا رسولا» فيه من المبالغة الشديدة ما فيه.

ومن آثاره: مذكرات مخطوطة، وديوانه المخطوط^(٢)، وكان قد عاهد نفسه أن لا يتزوج حتى تستقل بلاده وتحرر، كما عاهد سليمان الباروني الله أن لا يلحق لحيته حتى يتحرر وطنه.

عزف الشاعر عن الزواج وعن أكل اللحوم، وظل نباتياً فترة طويلة من حياته كما كان المعري من قبل^(٣).

وكان منذ عام ١٩٢٦ عزوفاً عن اللحم يكتفى بالبقول والخضراوات والفواكه^(٤). . . ولم يبدأ بنشر شيء من شعره إلا نحو عام ١٩٤٤^(٥) بعد أن نضج واستوى شعره، فنشر له «مسرحة قيس ولبنى»، ثم ديوانه الذي رثى به زوجته^(٦)، وقد عاش فقيراً بائساً، مثل عبد الحميد الديب ومحمد عبد المعطى الهمشري وصالح الشرنوبى فى مصر، ومصطفى خريف بتونس،

(١) ٦٤ المرجع.

(٢) ١٤٣ لمحات أدبية عن ليبيا.

(٣) راجع ١٣٥ شاعر من ليبيا وما بعدها إلى صفحة ١٣٨.

(٤) ٤٧ شاعر من ليبيا.

(٥) ٥٠ المرجع.

(٦) ٥١ المرجع.

وإبراهيم الأسطى عمر ويوسف الفلالى بليبيا^(١)، وخرج من الوظيفة عام ١٩٤٨، وصار منذ ذلك الوقت شاعر الشعب^(٢)، وفاز عن دائرة درنة بعضوية البرلمان البرقاوى^(٣)، وفى رابع يوم عيد الأضحى عام ١٩٥٠ غرق وهو يستحم فى مياه درنة، ويقول المصراقي: إن ذلك كان فى أوائل سبتمبر عام ١٩٤٩^(٤)، مع أن المصراقي ذكر فى أول الكتاب أن وفاته عام ١٩٥٠ وهو ما قاله الذين كتبوا عن الشاعر؛ وشيعت جنازته فى درنة بين بكاء الشعب وأنيته، وقال الإدريس فيه: وأنا أعرف وطنية إبراهيم من يوم أن كان فى الجيش عند الكيلو رقم ٩ وقد فقدنا اليوم سيفاً من سيوف الوطن.

وفى قصيدته «الطائر السجين»^(٥) يبدو فيها أثر للمنفلوطى، ويبدو أن الشاعر قرأ كتبه وتأثر به تأثراً كبيراً.

ويصور الأستاذ المصراقي^(٦): نشأة الشاعر الأولى، وكيف عمل طفلاً صغيراً بائعاً لحزم الخطب، ثم فراشاً فى الجمرك؛ ثم عاملاً صغيراً فى بعض المحلات التجارية، ثم ساعياً فى المحكمة، وكيف^(٧) كان تواقاً إلى العلم يطلبه مع أبناء ليبيا العائدين من الأزهر أو من إيطاليا، وتردد على مسجد درنة يستمع إلى حلقات العلم فيه، ثم^(٨) درس اللغة والنحو والصرف على الشيخ عبد الكريم عزوزة قاضى محكمة درنة، وكانت هذه الدروس فى منزل القاضى ومحضرها نخبة من الشباب، وتقدم^(٩) لامتحان المعلمين فى طرابلس عام ١٩٣٥ وكان من أوائل الناجحين، وبدأ^(١٠) ينظم الشعر وتفتحت

(١) ٥٢ المرجع.

(٢) راجع ص ٥٥ و ٥٦ المرجع.

(٣) ٥٦ المرجع.

(٤) ٥٨ المرجع؛ ووفاة الشاعر كانت فى ٢٦ سبتمبر.

(٥) ١٤٨ - ١٥٠ المرجع.

(٦) راجع ١٦ و ١٧ شاعر من ليبيا.

(٧) ١٨ المرجع.

(٨) ٢١ المرجع.

(٩) ٢٣ و ٢٤ المرجع.

(١٠) ٢٤ المرجع.

شاعريته، وفي^(١) عام ١٩٣٨ سافر إلى مصر فسوريا والعراق وشرقي الأردن وفلسطين، وعمل في مختلف الأعمال وظل مغترباً ثلاث سنوات، وكان^(٢) يرسل فيها أصدقاءه في كل مكان؛ راسل أحمد رفيق المهدوي بقصيدة فيها لوعة وحنين للوطن.

ثم قدم إلى مصر وانخرط في جيش التحرير^(٣) وكان آنذاك في الخامسة والثلاثين^(٤) ومكث في الجيش حوالي ثلاث سنوات^(٥) وتوفيت والدته عام ١٩٤١^(٦) وهو في الجندية يدافع عن وطنه، وخرج من الجيش مشرداً إلى القاهرة حيث استقال في أواخر عام ١٩٤٢^(٧) وأقام في القاهرة بشارع القصر العيني مع ثلة من مواطنيه، يتردد على الأزهر والمكتبات العامة وعمل في الجيش البريطاني في بعثة دراسية من القيادة البريطانية ثلاثة أشهر في مدينة القدس^(٨)، حيث عمل في مكاتب الاستعلامات وفي إذاعة القدس. ثم استقال وعاد إلى القاهرة فليبيا^(٩)، وعين إبراهيم مديراً لمكتب الاستعلامات ومكث بهذه الوظيفة زهاء عام ثم استقال^(١٠)، وعمل قاضياً أهلياً وعمل في الميدان الوطني، ورأس جمعية عمر المختار في درنة^(١١)، ولمع نجمه شاعراً يعزف على قيثار الحرية، ويشدو بلحن الحرية، ويدعو إلى الوحدة^(١٢).

-
- (١) ٢٦ المرجع.
 - (٢) ٢٨ و ٢٩ المرجع.
 - (٣) ٣٠ المرجع.
 - (٤) ٣١ المرجع.
 - (٥) ٣٢ المرجع.
 - (٦) ٢٢ المرجع.
 - (٧) ٣٥ المرجع.
 - (٨) ٣٦ و ٣٧ المرجع.
 - (٩) ٣٧ شاعر من ليبيا.
 - (١٠) ٣٨ المرجع.
 - (١١) ٣٩ المرجع.
 - (١٢) ٤٠ المرجع.

وقد ألهمت شاعريته عوامل كثيرة^(١)، منها العاطفة الدينية، والوطنية الصادقة المتغلغلة في نفسه، ومطالعاته كتب الأدب ودواوين الشعراء وخاصة المعري والمنتبى والخيام والرصافي وجبران وأبى ماضى، وأدباء المهجر ومدرسة أبولو ومجلة الرسالة للزيات ومجلة أبولو لأبى شادى، وكتب شكيب أرسلان، وشعر الزهاوى والرافعى، وكان يجتمع في ندوة أدبية في درنة مع زميله الأديب عبد الكريم جبريل.

ولم إلى جانب ذلك لا تنسى أثر الطبيعة في الجبل الأخضر في نفسه، وأثر رحلاته، وبؤسه، وحياته وحياة شعبه، في تفتح شاعريته، وفي نضوج ملكته وموهبته الشعرية..

كان إبراهيم من شعراء المدرسة الحديثة، من حيث الإطار الفني المتزن ومن حيث الواقعية المعبرة، وكذلك هو من شعراء الوحدة الفنية في القصيدة، كان ذا أصالة فنية، وصاحب رسالة وهدف^(٢)؛ ويمتاز شعره بإجادة السبك وغزارة الفكرة وخصب الخيال وقوة العاطفة وثراء اللغة^(٣).

ومن قصائده: من أسرار النفس^(٤)، وقد نظمها في القاهرة في ٦ إبريل ١٩٤٣، ومن أسرار الجمال^(٥) وقد نظمها في ١٤ أبريل ١٩٤٣ ومطلعها:

أنت سر حل في روحى وجسمى وخيالى
أنت نور شع في عيني وسمعى ومقالى
أنت من أنت؟ أجيبى أنت عن هذا السؤال

وفيهما نغمات من الشابي.. ومن قصائده «الكتاب»^(٦) وهى من قصائده

(١) راجع ٥٩ - ٦٤ المرجع.

(٢) راجع ٦٥ - ٧٢ المرجع.

(٣) ١٤٨ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٤) ٨٤ - ٨٦ شاعر من ليبيا للمصراق.

(٥) ٩٨ - ١٠٠ المرجع.

(٦) ١١٦ - ١١٨ المرجع.

الجميلة نظمها في أكتوبر ١٩٤٣ ، وقد سبقت ؛ وقصيدة «رهين المحبين»^(١) وفيها يخاطب أبا العلاء يطلب إليه أن يحدثه عن الحياة والموت ، ويتحدث في هذه القصيدة عن رسالته «رسالة الغفران» ، ويحدث أبا العلاء عن الحرب وتدميرها ، عن العلم وما وصل إليه من جور وسفك للحياة وهدم لصروح الحضارة ، وكذلك من قصائده قصيدته «البلبل والوكر»^(٢) وقد نظمها في وادي النظرون بمصر في السابع والعشرين من رمضان ١٣٦٠ (١٩٤١) عندما كان جندياً في الجيش ، ومنها قصيدته «الجندي في ميدان القتال»^(٣) وقد نظمها في درنة في مايو ١٩٤٤ ، و«نشيد النصر»^(٤) وقد نظمها في درنة عام ١٩٤٧ في مسابقة شعرية أقامتها هيئة الإذاعة البريطانية .

ومن شعره السياسي قصيدته «عودة القائد»^(٥) وقد أهداها إلى الإدريس بعد عودته إلى بلاده ، وكذلك قصيدته «تحية الإدريس»^(٦) ، وقصيدته «نبأ» التي استبشر فيها بإعلان هيئة الأمم المتحدة لحق ليبيا في تقرير المصير ، وقد نظمها في يناير ١٩٤٧ ، وقصيدته «إلى مندوب هيئة الأمم المتحدة بليبيا»^(٧) ، وهي خطاب شعري مفتوح ، وقصيدته «الله أكبر»^(٨) ، التي في حفل اقامه اهل درنة في ذكرى تأسيس الجامعة العربية ، وقصيدة «تحية الوطن»^(٩) التي نظمها تحية لجريدة الوطن الأسبوعية بمناسبة صدورها في بنى غازى ، وقد نظمها في يناير ١٩٤٧ ، وقصيدته «إلى رفيق المهدي»^(١٠) يحثه لدعوته في شعره إلى وحدة الشعب الليبي ، وكان المهدي صديقاً حميماً للشاعر ، وقصيدته «حول

(١) ١٣١ - ١٣٣ المرجع .

(٢) ١٥٩ - ١٦٢ المرجع .

(٣) ١٦٩ - ١٧١ شاعر من ليبيا للمصراع .

(٤) ١٧٨ - ١٨٠ المرجع .

(٥) ١٩٠ و ١٩١ المرجع .

(٦) ١٩٢ - ١٩٤ المرجع .

(٧) ١٩٦ - ١٩٩ شاعر من ليبيا .

(٨) ٢٠٠ و ٢٠١ المرجع .

(٩) ٢٠٢ و ٢٠٣ المرجع .

(١٠) ٢٠٤ و ٢٠٥ المرجع .

الوحدة»^(١) و«يا من يغالط في الحقائق»^(٢) و«لا أبالي»^(٣) وقد نظمها في فبراير ١٩٤٧، وقصيدته «صحت وعودك»^(٤) التي نظمها في مارس ١٩٤٧م...

ولما مات صديقه وأستاذه عبد الكريم عزوز قاضي مدينة درنة رثاه بقصيدة جميلة عنوانها «أنت حى» ومطلعها:

أنت حى فى قلوب العارفين لم تمت ذكراك على مر السنين^(٥)

وكذلك رثى عمر المحيشى صاحب مجلة «ليبيا المصرية» ومن أعلام الصحافة الحديثة فى ليبيا^(٦)، وكذلك له فى الهجاء قصيدته «دفاع»^(٧) التى نظمها فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٤٩ فى صورة دفاع عن أحد الحكام وهى دفاع مغزاه التهكم والسخرية؛ وكذلك من أهاجيه قصيدته «وداع»^(٨) التى يودع فيها أحد رؤساء الوزارات بعد استقالته.

ولما مات الشاعر رثاه الشاعر عبد الغنى البشتى فقال:

قالوا: طواك البحر، قلت: وهل ترى	للدن منزلة سوى الدماء
هو من كرائمها فعاد لأصله	عافى الرغام وسافى البيداء
فدعوه روحاً سابحاً لا تلحدوا	جثمانه فى مهمه غبراء
فالدن موطنه البحار وإن بين	عنها فوق ترائب الحسناء ^(٩)

(١) ٢٠٩ و ٢٠١ المرجع.

(٢) ٢١١ و ٢١٢ المرجع.

(٣) ٢١٤ و ٢٥ المرجع.

(٤) ٢١٧ المرجع.

(٥) ٢٢٦ - ٢٢٨ المرجع.

(٦) راجع كتاب «صحافيون من ليبيا للمصري»،

(٧) ٢٣٦ - ١٣٨ شاعر من ليبيا.

(٨) ٢٤٠ و ٢٤١ شاعر من ليبيا.

(٩) للأستاذ على مصطفى المصراتى كتاب عن الشاعر إبراهيم الأسطى عمر عنوانه «شاعر من ليبيا».

أحمد الشارف^(١)

١٨٧٢ - ١١ أغسطس ١٩٥٩

أحمد بن علي الشارف قاض وشاعر كبير، ولد في زليتن أو في ساحل الأحامد من قبيلة أولاد يحيى من العمايم، وحفظ القرآن بالعهد الأسمرى، ودرس العلوم في زاوية الفطيسي بزليتن، وأخذ عن أستاذ عصره محمد كامل مصطفى، وتولى عام ١٩٠٦ الخطابة والتدريس بمسجد بني مسلم بمسلاطة، ثم القضاء الشرعى في تاورغة والقربولى، واضطهده الإيطاليون فهاجر إلى غريان حيث المجاهدون، وفي عام ١٩١٩ عين قاضياً بسرت، ثم عضواً بالمحكمة العليا الشرعية في طرابلس عام ١٩٢٢، ورئيساً لها عام ١٩٤٣، ثم أحيل إلى التقاعد.

كان شاعراً كبيراً ملهماً، ولقب شاعر ليبيا، وشيخ الشعراء، وكان مكفوفاً يقول في شعره:

لا تظهروا أسفاً، ولا تأسوا على ما نابى يا قوم من عدم النظر
لى أسوة بأئمة فضلاء قد كان العما أصابهم زمن الكبر
قد جاءت البشرى لمن صبروا على ما نابهم والله يجزى من صبر
وفضيلة الإنسان راجحة إلى نور البصيرة لا إلى نور البصر

ويقول الشارف إنه تأثر بإبن الفارض والبرعى^(٢)، ومن أوائل شعره قصيدة رثى فيها مفتى طرابلس محمد كامل بن مصطفى (١٣١٥ هـ)^(٣).

ومن أوائل شعره كذلك قصيدته إلى صديقه أحمد الزدام عندما كان

(١) ٦٩ - ٧١ أعلام ليبيا، ديوان أحمد الشارف نشر الأستاذ المصراق، ١٥١ - ١٥٦ لمحات أدبية عن ليبيا، ١٩٠ - ١٩٤ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيقى، الحياة الأدبية في ليبيا للحاجرى.

(٢) ١٥٣ لمحات أدبية عن ليبيا.

(٣) ١٥٥ لمحات أدبية عن ليبيا.

الزدام مقيماً في تونس^(١)، ويذكر المصراقي بيتين من أول قصيدة نظمها وهو في بلدته «زليتن»^(٢).

وقد عاش الشارف في عصر قلت فيه الثقافة الأدبية، فالكتب قليلة، وحركة الأدب ضعيفة، إلا بعض الندوات الأدبية في منازل بعض أعيان طرابلس، وفي بعض المحافل الأسبوعية.. وقد تركت الزوايا الدينية أثراً ملموساً في البلاد، وانتشرت الدراسة بالمعاهد العلمية، من مثل: المعهد الأسمرى في زليتن، وزاوية أحمد زروق بمصراثة، وزاوية الدوكالي بمسلاتة وكلية أحمد باشا القره مانلى وكلية عثمان باشا بطرابلس، والزوايا السنوسية وخاصة في البيضاء والجغبوب؛ وهذه الزوايا أدت دوراً كبيراً في المحيط العلمى والأدبى، وحفظت اللغة العربية وآدابها.. ولم تكن هنا مجلات أدبية في بدء حياة الشارف.. وكان لشعر ابن الفارض والبرعى وأحمد البهلول الطرابلسى ذبوع كبير؛ وقد عاصر الشارف ابن زكرى وشتوان وسليمان البارونى وأحمد الزدام والازميرى والشيخ الفطيسى ورحومة الصارى.

وفي حياة الشارف كانت مدرسة البارودى وشوقى وحافظ وكذلك الكاظمى وعبد المطلب، والرصافى والزهاوى، لها دور كبير.

ولم تكن هناك حركة علمية، فليس هناك مؤلفات أو مؤلفون، ما عدا فتاوى محمد كامل بن مصطفى، وكتاب الأحكام الشرعية لمحمد بن عامر المحامى.

وبدأ الشارف بحفظ الشعر وروايته وتذوقه، ثم أخذ ينظمه منذ أواخر القرن التاسع عشر، إلهاماً وفطرة.

(١) ٢٧ أحمد الشارف للمصراقي ط بيروت ١٩٦٣ م.

(٢) ص ٣١ المرجع، وتبعد مدينة زليتن عن طرابلس بنحو ١٥٧ كم وترتفع عن سطح البحر بنحو ١٨ متراً، ويقول المؤرخ الطرابلسى أحمد ضياء الدين المنتصر: إن هذا الاسم بربرى، وضبطه «بضليتن»، وكان علم على قبيلة من زناتة، ثم أطلق على هذا الموضع الذى نزلت فيه هذه القبيلة.

وكان يجد في حلقات الصوفية ما يغذى شاعريته ويدفعه إلى حب الشعر.

وعكف على الأغاني والبيان والتبيين وديوان المتنبي، وديوان ابن زيدون.

ونبع في معرفة آراء سحنون وابن عرفة وخليل والدردير والعدوى وزروق، وقد أثرت فيه روحه الفقهية فكان شاعراً فقيهاً، يقول الشارف:

لا شك أن حياتي كان معظمها نقل وحفظ لما في الفقه من كتب
تخصيص وصفى بقرض الشعر تغطية لما عرفت به من سالف الحقب
والشعر من أدبي والشعر مكتسبي فينبغي الجمع بين الفقه والأدب^(١)

والشارف من أبرز شعراء عصره في ليبيا، وقد ظهرت مواهبه الشعرية منذ صباه، وفي شعره مسحة من القديم وزخرف من الجديد، ويعد من أضراب الرصافي والكاظمي.

وقد نشر شعره في صحف الترق عام ١٩٠٨، والعصر الجديد، والمرصاد والرقيب، واللواء الطرابلسي عام ١٩٢٠، والرقيب العتيد، وليبيا المصورة، وطرابلس الغرب.

وقد ظل ينظم الشعر منذ أوائل هذا القرن إلى أن توفاه الله، وكان يسير على عمود الشعر العربي ويكره ما سمي بعد بالشعر الجديد.

وكان معجباً بعزير أباطة من بين الشعراء المعاصرين.

وكان الشاعر أحمد الشارف يقدم ابن زكري على كل شعراء عصره. ويقول: إن شعره كان رقيقاً وكان صديقاً لي، وكانت لي معه أمسيات طيبة، وكانت هناك اجتماعات أدبية ودينية، فتحت بأحمد الزدام من وجهاء المنطقة

(١) ٤٤ الشارف للمصراق.

الشرقية، وختمت بأحمد ضياء الدين المنتصر من أعيان مصراته، فقد كان
لهذين الرجلين فضل كبير على المجالس الأدبية والندوات العلمية والتاريخية،
وكانت هذه الندوات تشجع الأدب والفن والشعر^(١).

وكان شعر الشارف أعز شيء لديه، وينزل ديوانه من قلبه منزلة الأكباد
والأحفاد، وكان يكنى أبا العباس الشارف، ويلقب أيضاً: شاعر القطرين أى
برقة وطرابلس^(٢)، وكان يرى أن شوقى وحافظ هما دعامة الشعر. ولا يقدم
على أحمد رفيق المهدي أحداً من الشعراء المعاصرين فى ليبيا، أما فى مصر
فالشاعر عزيز أباظة لرقته وميله إلى المسرحيات الشعرية وإحيائه للقصة العربية
القديمة فى شعر جميل^(٣).

تزوج من ابنة عمه وهو يكاد يقارب العشرين، ثم تزوج عام ١٩٠٠
من أخرى، وأعقب بنتين وولدا وكف آخر حياته، وكان يقول:

ثلاثة قد أحاطت بى مع الكبر فقد الوصال وفقد السمع والبصر
لم يبق فى القلب ما يدعو لتسليّة كآبة الصبر والإيمان بالقدر
وعاش يعتز بعروبة وطنه حتى ليقول من قصيدته «أمة ومجد»^(٤):

لا غرو أن يدعى الليبى أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب
لديه من لغة القرآن معجزة تلوح كالدر والياقوت والذهب
عزم لديه وإيمان وتضحية يوم اللقاء بلا خوف ولا رهب
وفىها يقول معتزاً بقيام «الجامعة العربية»:

والشرق يهتف بالذكرى لجامعة فى مصر فى أمة الإسلام فى العرب
وقد يكون هذا البيت قد قصد منه الجامعة الأزهرية لأثرها الإسلامى

(١) ص ١٥٤ لمحات أدبية عن ليبيا.

(٢) ١٥٥ المرجع.

(٣) ١٥٦ المرجع.

(٤) ص ٩٠ الشارف للمصراع.

الكبير وتنويه بها في مناسبات أخرى وإن كانت القصيدة لا تفسر لنا مراد الشاعر؛ وشاهد الشاعر يوم استقلال وطنه وبلاده فنظم قصيدته «استقلال وملك ودولة»^(١) التي يقول فيها:

عناية الله مازالت تسير بكم	إلى الأمام بلا خوف ولا رهب
فليبيا اليوم باستقلالها منحت	ما تستحق من الألقاب والرتب
وليبيا اليوم مما زادها شرفاً	أن بايعت ملكاً من أشرف العرب
فرع تكون من أصل له نسب	لخير أم سمت فضلاً وخير أب
فليهنأ الشعب باستقلال دولته	وليحي ما فيه من مجد ومن حسب

ومن قصيدته «طرابلس - برقة - فزان»^(٢) داعياً إلى الوحدة بينها:

قد طالما قلت في شعري وفي أدبي	يا أخت برقة ^(٣) في مجد وفي حسب
شقيقتان لكل منهما عقب	والمجد من عقب يسرى إلى عقب
أختان كونتا جيلاً قد انتقلت	له النجاة من آبائه النجب
وليبيا تجمع الأختين واحدة	لا فرق إلا بوضع الاسم واللقب
ومن أشار إلى تفكيك وحدتها	بأى حال من الأحوال لم يصب
إن قلت: فزان للأختين ثالثة	قد قلت حقاً وما في الحق من ريب
لكل أخت مع الأخرى مردتها	قديمة لم تزل من سالف الحقب

وهذه القصيدة^(٤) من أروع قصائده.

نظم في المدائح النبوية والشعر الصوفي وفي الوطنية والعروبة وفي الغزل والوصف والدعابة والإخوانيات، ولم يترك نوعاً من ضروب الشعر إلا نظم فيه، وإن كان قد ضاع أكثر شعره^(٥)، وكان يهذب شعره وينقحه ويجوده،

(١) ٩٣ و ٩٤ الشارف للمصراقي.

(٢) ٩٤ و ٩٥ لمرجع.

(٣) يريد بها طرابلس.

(٤) ٩٤ و ٩٥ الشارف للمصراقي.

(٥) رتب شعره هكذا: النبويات، الحماسة، الأمثال والحكم، الشعر القصصي، الرسائل، الغزل والتشبيب... ويقع في ١٥٠ قطعة تشمل على ٢٠٤٠ بيتاً. والكثير من شعره مفقود.

وأحياناً يرتجل الشعر، وكان يرصع قصائده بالحكمة والأمثال، ويضمنه شعر غيره في بعض الأحيان.

والشارف يرى أن الجيش والمال والعدل عماد حياة الوطن ونهضته، يقول من قصيدته «العدل وحق الشعب»^(١):

إن سر النجاح في قوة الجيـ ش، وفي المال كان سر النجاح
ودوام النجاح أن يتهدى الـ عدل في ظل عرشه الفياح
ويقول في العدل وأنه حامى نهضة الأمة:

للشعب حق وحق الشعب يضمنه
عدل الولاة وصدق المستشارينا^(٢)

وشعر الشارف في العزوبة والوطنية كثير^(٣)، ومنه قصيدته «نحن بنو تلك العروبة»^(٤) التي يقول فيها:

ولولا تأسيسنا بمصر ونيلها	وجامعها الأعلى ^(٥) لضاق بنا الصدر
إذا ما أفضنا في حديث ممتع	فأول ما يغشى مسامعنا مصر
أبي الله إلا أن يبين أنها	كنائنه في أرضه ولها الفخر
يحس بالآلام العروبة شعبها	ويجمعها ألا يكون لها أمر
نحب من الأقطار كل شقيقة	لمصر ومن في مصر يا حبذا القطر

وقد تأثر في هذه القصيدة بأبي فراس الحمداني في رائيته المشهورة.

ومن قصيدة أخرى له يقول:

(١) ٩٨ و ٩٩ الشارف للمصراق.

(٢) من قصيدة طويلة عنوانها «ضعتم وضعنا» ١٠٤ و ١٠٥ المرجع السابق.

(٣) ٤٩ - ١٠٨ الشارف للمصراق.

(٤) ٥٣ - ٥٦ و ٩١ و ٩٢ المرجع.

(٥) يريد به الأزهر الشريف.

أقول ولم أدع لسواي قولاً
أنا العربي في وطني وأهلي
ويقول من قصيدة أخرى:

عرب الحى وحى العرب
أنا من حبكم في تعب
هذه المهجة منى اضطربت
لا أرى لولا هواكم لا أرى
لى فؤاد لم يزل يصحبكم
إن يكن لى فى حياى أرب
ليتها آثاركم إذ كتبت
جلست بالرفق فى حجر العلا
إن ذكرناها أطالت شجنا
يا شباباً كلما حف بهم
هل علمتم من تقارير الهوى
هل يريد السير منى حبها
هلى ترى لى حسناً أصحابه
لى حياة ذهبت لذتها
وشباب فتك الدهر به
غير أنى بلقاكم لا أرى
همكم إن كان فى نيل العلا
أمة عادت إلى معدنها
إن يكن قوم بفضل فخروا

ولا لمعارض أبداً يدان
إذا افتخر الورى نسبى كفانى^(١)

مظهر الجد ومأوى الحسب
ليتنى أجنى ثمار التعب
كاضطرام الماء فوق اللهب
فى معاناة الجوى من سبب
صحبة المرضى والمنتخب
لم يكن إلا رضاكم أربى
كتبت يوماً بماء الذهب
كجلوس الطفل فى حجر الأب
وأثارت عبرة المنتخب
طلب جاءوا بصدق الطلب
بعد وخط الشيب ما يصنع بى
بعد ما أصبح دون الخبيب
غير ما أصحابه من كتبى
وتوارت بتوارى الحقب
كنت فى ريعانه ذا طرب
وحشة البائس والمفترب
ليس فى همكم من عجب
كرم الأصل وعرق الأدب
قلنا الفخر بذيالك النبى^(٢)

(١) ٥٦ - ٦١ الشارح للمصراق.

(٢) راجع ٦٤ - ٦٦ الشارح للمصراق.

ومن شعره الوطني قصيدته^(١):

وطنى هو الوطن العزيز أحبه ويحبني لولا حديث وشاته

وقد مزجها بالروح العربى الشامل... ويخاطب العرب فيقول:

يا معشر الأقسام هل من نهضة وحمية يا معشر الأقسام^(٢)

وقصيدته الوطنية الدافقة «رضينا بحتف النفوس رضينا»^(٣) مشهورة وفي

قصيدته «هتاف في سبيل المجد»^(٤)، ينتقل إلى مخاطبة الشرقى عموماً فيقول:

ابك يا شرقى مشرقاً شمسه قد توارت وامزج الدمع بدم

ويقول من قصيدته «إثارة الشوق»^(٥).

إن صبح أن فلسطيناً قد انقسمت فكل قطر لنا أضحى فلسطيناً

وهذه ليبيا لم نرضها وطناً ما لم يكن حكمها يجرى بأيدينا

وكيف نملك أرضاً لا نسود بها وأن نكون لهم فيها مساجينا

تأبى العروبة أن يتأبها خور وأن نكون من القوم الأذلينا

نحن الأشاوس في بدو وفي حضر وكل أرض لنا كانت مياديننا

نحيا بعز كما كنا وإن فقدت حياتنا فحياة الذكر تكفيننا

وقصائده الدينية والصوفية كثيرة^(٦)، ومدائحه النبوية^(٧) مشهورة، وله

كثير من الأمثال والحكم^(٨).

(١) ٧٥ و ٧٦ الشار للمصراى.

(٢) راجع القصيدة كاملة في ٨١ - ٨٣ المرجع.

(٣) ٨٣ - ٨٤ المرجع.

(٤) ٨٧ و ٨٨ المرجع.

(٥) ٨٨ و ٨٩ المرجع.

(٦) ٢٦٠ - ٢٧٠ الشارف للمصراى.

(٧) ٢٧٢ - ٢٧٧ المرجع.

(٨) ٢٨٠ - ٢٨٤ المرجع.

ومن مراثيه مرثية لشوقي وحافظ^(١) وللصحفي الليبي المشهور عمر
فخرى المحيشي^(٢) صاحب مجلة ليبيا المصورة.

وفي شعره قصائد عن المخترعات الحديثة، فله قصيدة في الراديو^(٣)
يقول منها:

إن للمذياع في الناس يداً قربت كل بعيد فاقترب
آلة السمع وإن شئت فقل آلة الفن وينبوع الأدب
لا يكن فكرك في مصدرها حائراً ما بين صدق وكذب
وقصيدة أخرى عنوانها «العلم والمخترعات»^(٤) وفيها ينوه بالطاقة
الذرية.

وقد اعترف له أحمد شوقي بالشاعرية، حينما عرضت عليه قبيل حفلة
مبايعته بالإمارة الشعرية بعض نماذج من الشعر الليبي، فاختر للشارف،
وقال: صاحب هذه هو الشاعر حقاً^(٥).

وله في الوصف الشعري قصائد كثيرة جيدة؛ وقصيدته «الصحراء
والإنسان» طويلة تبلغ ٥٦ بيتاً، وقد وصف فيها الصحراء وليلة باتها فيها
وصفاً دقيقاً^(٦)، وفي الموضوع نفسه قصيدته «شاعر في صحراء»^(٧)، ويصف
داراً سكنها^(٨). كما يصف حياة الموظف في قصيدة طويلة^(٩).

(١) ٢٩٠ و ٢٩١ المرجع.

(٢) ٢٩٢ المرجع.

(٣) ٢٠٠ الشارف للمصراق.

(٤) ٢٠٢ المرجع.

(٥) ١٩٢ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

(٦) راجع القصيدة في ٢٠٨ - ٢١٠ الشارف للمصراق.

(٧) ٢١٤ - ٢١٧ المرجع.

(٨) ٢١٩ و ٢٢٠ المرجع.

(٩) ٢٣١ - ٢٣٣ المرجع.

وله كثير من المساجلات الشعرية بينه وبين المهدوى^(١) وبينه وبين الشاعر محمد عبد القادر الحصادي^(٢)، وبينه وبين غيرهما من الشعراء.

وفي مهرجان شوقي الذي بويج فيه بإمارة الشعر عام ١٩٢٧ بعث الشارف بقصيدة طويلة^(٣) منها:

ليت عهد الحبيب في مصر أضوا في لدى المنتدى وذاك النادي
حيث أمسى حديث شوقي معادا والحديث الشوقي أحلى معاد
أحمد الله ثم أحمد شوقي لا عدمت اتصاله بفؤادي
ما رأينا كشعر أحمد شعرا سار في المشرقين سير اطراد
يا أخا الأمر والإمارة والإعد جاز في كل حاضر أو بادي
لك في الشرق عبقرية شعر هي كالنيل مالها من نضاد
وله رسائل شعرية إلى السنوسي بن صالح^(٤)، وأبي القاسم الباروني^(٥).

وشعره في الاجتماعات كثير^(٦)، يقول في الشباب الليبي^(٧):

وجودكم يا شباب العصر في الوطن أمر بدا كوجود الروح في البدن
للحر عين، وعين الحر ساهرة في خدمة العلم والآداب والسنن
وما سعى الناس في أمر كسعيهمو في صالح الأهل والأولاد والوطن
لا خير في وطن يلقي بجانبه من وطأة الجهل ألواناً من المحن
وهذه ليبيا الفيحاء قد سمحت لها الظروف بلا ضعف ولا وهن

(١) ٢٤٠ - ٣٤٣ المرجع.

(٢) ٢٣٦ - ٢٤٠ المرجع.

(٣) ٢٤٤ - ٢٤٧ المرجع.

(٤) ٢٥١ الشارف للمصراق.

(٥) ٢٥٣ المرجع.

(٦) ١٨٨ - ٢١٢ المرجع.

(٧) ١٨٩ - ١٩١ المرجع.

وقد يكون مدى الإصلاح مبدؤه من قادة لم تكن منا ولم تكن
والقوس لم تعطه إلا لصاحبه ولم تضاف حسنا إلا إلى حسن
وأنتم الشعب لا يختار فكركم كحيرة الضب إن يضلل عن السكن
شعب عريق فلا أصل ببتذل بين الشعوب ولا قرع بمتهن
تسربت لكم العلياء من سلف ومن أصول مضت في سالف الزمن

وللشارف قصائد كثيرة في الغزل^(١)، وقد عارض ابن الفارض في يائته
بقصيدته^(٢) التي مطلعها:

يالائمي والوم لا	يجدى على العشاق شئ
رفقا بقلب لم يزل	يطوى كتاب الصبر طي
رفقا بقلب مدنف	يكوى بنار الشوق كي
شوقاً إلى ذكر الحبيب	ب فليته شوقاً إلى
يا من لحسن حديثه	ألوى عنان السمع لي
وسقيت كأس عذابه	فوجدته عذياً لدى

ويقول محمد صادق عفيفي عن الشارف: إنه علم من أعلام شعراء
ليبيا في العصر الحديث، صاحب نسج محكم وعبارة بليغة، وقافية متمكنة
رصينة، مجيد في مجموع شعره، مكث، تغلب عليه الجزالة، تنازل له الشاعر
أحمد رفيق المهدي عن زعامة الشعر في قصيدة بعث إليه بها ومطلعها:

تنازلت عن لقب الشاعر ولم أك من قبل بالنائر^(٣)
وقد مات الشارف عن ٨٧ عاماً^(٤)، وكان قاضياً^(٥) فقيهاً، وعالمًا من

(١) راجع ١١٠ - ١٨٥ الشارف للمصراة.

(٢) ١٤٠ و ١٤١ المرجع.

(٣) ١٩٢ الشعر والشعراء في ليبيا لمحمد صادق عفيفي

(٤) فملاده عام ١٨٧٢، ويذكر المصراة أن ميلاده عام ١٨٦٤ «ص ٥ و ٢١ الشارف
للمصراة».

(٥) مكث الشارف في القضاء الشرعي أكثر من نصف قرد.

جلة العلماء، وعالج الكتابة، فنشر بعض الفصول والمقالات في الصحف اللبية... وكان حلو الحديث، سريع البديهة، ذكى الفؤاد، قوى الذاكرة. وكان ينتصر فى أوائل حياته للترك، وله قصيدة فى كمال (١) أتاتورك، وقصيدة فى الدستور العثمانى (٢) عام ١٩٠٨، ثم مال إلى القومية العربية وهتف بها.

وكان يعتز بأدبه اعتزازاً كبيراً وهو القائل:

أدبى روحى وروحى أدبى كره اللائم فيه أم أحب
أدب قد حفل الجد به وهو فى الظاهر هو ولعب (٣)
وبمثل ذلك كان يعتز بوطنه ويحبه حتى ليقول:

إن الحياة هى الحياة ة ولا حياة سوى الوطن
والحرب يبدل فى سبيل ل حياته غالى الثمن (٤)

أحمد رفیق المهدوى

١٨٩٨ - ١٩٦١ م

ولد رفیق عام ١٣١٨ هـ (يناير ١٨٩٨) فى بلدة «فساطو»، وتعلم فى نالوت ثم فى مصراته، وفيها درس الفرنسية، ثم رحل مع والده وأسرتة إلى الإسكندرية عام ١٩١٠ قبل الحرب العالمية الأولى، وأكمل تعليمه فيها، وفيها قال الشعر...

(١) ١٠١ - ١٠٣ الشارف للمصراق.

(٢) ١٠٦ و ١٠٧ المرجع.

(٣) ٢٠٠ المرجع.

(٤) ٢٥٧ المرجع.

ثم عاد عام ١٩٢١^(١) إلى بنى غازى وظل فيها حتى عام ١٨٢٥ وهو يسهم مع الأحرار فى جهاد العدو المحتل، وهاجر إلى تركيا، حيث قضى فيها تسع سنوات، عاد بعدها إلى وطنه عام ١٩٣٤، ولم يلبث المحتل أن طرده ونفاه من البلاد عام ١٩٣٦ فعاد إلى تركيا عام ١٩٣٦، حيث قضى فيها عشر سنوات أخرى عاد بعدها عام ١٩٤٦ إلى وطنه يكمل رسالته فى بناء ودعم الاستقلال، وفى عام ١٩٥١ عين عضواً بمجلس الشيوخ، وظل فى وطنه حتى لحق بربه فى اليوم السادس من يوليو عام ١٩٦١م.

وقال رفيق الشعر وهو فى العشرين، ولم ينقطع عنه حتى أسكته القدر وهو فى الثالثة والستين.. وفى هذه الحقبة الطويلة قدم رفيق للأدب الليبى ولوطنه ليبيا عصارة قلبه وتجارب حياته، وكان رفيق من فحول شعراء عصره، شاعراً مبدعاً عبقرياً موهوباً، يترجم عن الشعور بالشعر، فيرسله نغمات حاملة شجيرة؛ أو جامحة فتية؛ أو رقيقة وفية، أو نائرة محطمة، أو ساخرة لاذعة، أو ماجنة لاهية... ولم يكن فى شعره تعقيد ولا إغراب ولا صنعة، بل جاء شعره من السهل الممتنع؛ لقرب معناه، وجزالة أسلوبه، وعذوبة لفظه..

وكان رفيق يرى الشعر تعبيراً عن عاطفة الشاعر:

وما الشعر إلا السوحى جاشت بآيه نفوس غذتها حكمة الحكماء
يصوغ انفعالات العواطف منطقاً وقد كلّ عنها منطق الفصحاء
وما هو إلا زفرة سال حرها دموعاً، ودمع ذاب فى صعداء^(٢)

ويدعو إلى تخلصه من القافية وأوزان الخليل فيقول:

أما آن للشعر أن يستقل ويخلص من ربقة القافيه
فقد طال والله تقييده بتقليدنا الأعصر الخاليه
إلام نسير بوزن الخليل ونرشف فى قيده العائق

(١) يذكر عفيفى أن عودته كانت عام ١٩٢٠ (١٥) رفيق شاعر الوطنية، ١٥٦ الشعر والشعراء فى ليبيا).

(٢) ٣٥ ديوان رفيق.

ولشعر في كل لحن جميل مجال مع النغم الشائق^(١)
فيا شاعر العصر جدد لنا من الوزن غير الذي نعرف
ولا تحش مر انتقاد الغلاة فسوف يؤيدك المنصف
ويقول أحد أدباء ليبيا في تصديره الذي قدم به القسم الأول من
الديوان، وهو الأستاذ عبد المولى عوض لنقى:

شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المبدوي، أحد رواد الوطنية وعلم من
أعلام الفكر والأدب في بلادنا، وحياة رفيق تحكى قصة كفاح هذا الشعب
الأبى المناضل إذ لم يبلغ الشاعر ربيعته حتى تعرض وطنه لغزو الاستعمار
الإيطالي عام ١٩١١، ونظر الشاعر حوله فوجد الجميع يحملون السلاح رجالاً
ونساء، فانبرى يسهم في معركة التحرير بقلمه وفكره، فكانت قصائده وقوداً
تلهب نار المعركة.

وقاد رفيق معركة الفكر فأثار بروحه الطموحة درب الكفاح الطويل
وبث في نفوس مواطنيه روح الشجاعة والإصرار على التخلص من الإستعمار،
وتعرض شاعرنا إلى ألوان من الاضطهاد والتشريد، فلم تلب قناته، ولم يفتر
عزمه، ومن منفاه بتركيا لم ينس الشاعر وطنه الذي هام بحبه، وأخذ يردد
أشعاره في الحث على مواصلة الجهاد وتمجيد بطولات مواطنيه، يبنى النفس
بالعودة إلى أرض الوطن الحبيب، ولم يكن شاعرنا يعيش في دائرة الوطنية
الضيقة بل كان يؤمن بقوميته وعرويته فكانت تهزه أنباء كفاح أخوته المناضلين
في البلاد العربية، وشاء القدر أن يكلل جهاد الأحرار في ليبيا بالنصر على
يدى بطل الأمة الإدريس العظيم، ويعود الشاعر المغترب إلى وطنه بعد أن
بزغت فيه شمس الحرية، ولم تهدأ نفسه الأبية عن مواصلة الكفاح فشارك
مواطنيه في معركة البناء والتشييد، فكان خير معبر عن آلام مواطنيه وآمالهم،
يدافع عن حقوقهم ويحثهم على العمل والبناء، لم يتزلف، ولم يجامل في الحق
أحداً، فكانت حياة رفيق قصة شعب في حياة رجل، ولم يلق السلاح إلى أن

(١) ٨٠ الديوان.

فارق الحياة مشيعاً بحسرات مواطنيه الذين عرفوا فيه الرجل الصلب الذى لا يلين.

وقد قسم الأدباء الذين أشرفوا على نشر الديوان حياة رفيق الشعرية إلى فترات عدة:

- ١ - الفترة الأولى وتبتدئ من عام ١٩١٨ تقريباً وهو مقيم في القطر المصرى بالإسكندرية حتى رجوعه إلى بنيغازى ١٩٢١م.
- ٢ - الفترة الثانية وتبتدئ من عام ١٩٢١ حتى خروجه من بلده (بنيغازى) في ٢٥/٦/١٩٢٥م قاصداً تركيا حيث تقيم عائلته.
- ٣ - الفترة الثالثة وتبتدئ من وصوله إلى (جيجان) في تركيا ١٩٢٥ حتى عودته إلى بنيغازى نهائياً في يناير ١٩٤٦م.
- ٤ - الفترة الرابعة وتبتدئ من عام ١٩٤٦ حتى إعلان استقلال ليبيا في مطلع ١٩٥٢ (٢٠/١٢/١٩٥١م).
- ٥ - الفترة الخامسة تبتدئ من هذا العهد حتى وفاته يوم الخميس ٦/٧/١٩٦١م

وأشعاره في الفترتين الأولى والثانية ليست كلها موجودة، والديوان يشتمل على كل قصائده في الفترة الثالثة من شعر الشاعر وهى أطولها زمناً وربما أكثرها شعراً.

وكان أحمد الشارف الشاعر الليبي الكبير لا يقدم على الشاعر أحمد رفيق المهدي أحداً من الشعراء الليبيين المعاصرين^(١).

وقال العقاد فيه: إن شعره ملأ النفوس بإيناس غطى على كل ما هنالك من وحشة الظلام ووحشة المصير المجهول^(٢)، وقال فيه: من الواجب أن أنبه في صحافتنا الأدبية إلى مكان هذا الشاعر الذى يقل نظراؤه في العصر الحاضر^(٣).

(١) ١٥٦ لمحات أدبية للمصراوى.

(٢) ١٥٩ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفى نقلا عن جريدة الأخبار المصرية عدد ١٥/١٠/١٩٥٤م.

وكان شعر رفيق أيام الاحتلال الإيطالي ممنوعاً محرماً حتى إنه كان يقع تحت طائلة القانون من يتعاطى شعره، وحتى كان الصديق يطلب إلى صديقه أن يعود أدراجه إذا كان يتأبط شيئاً من شعر رفيق^(١).

وقد سار شعره في كل مكان، وحفظه الشباب الليبي لقوة ما أودعه الشاعر في شعره من روحه الوطنية^(٢)، ولخلو شعره من الصنعة والتكلف والتعقيد، وجمعه بين عمق المعنى وحلاوة اللفظ مع التناسب في الرقة والجزالة، ومع طبعه الشعري الأصيل الجذاب، ومع خياله القوى وثقافته الواسعة^(٣). وقد نوه بشارة الخوري بوطنيات رفيق تنويعها كبيراً^(٤).

وكان رفيق يلقب بشاعر الوطن الكبير، ويعد في مقدمة شعراء ليبيا ويمتاز شعره بالوطنية الدافقة، وبالتجارب الشعرية العميقة، وبالعاطفة الصادقة الحزينة، وبالخيال المجنح المحلق، وبأسلوب الحلو العذب الرصين.

رفيق شاعر مطبوع، بلغ الشعر الليبي الحديث على يديه منزلة لم يصل إليها من قبل: «وكان بطبعه محباً للحرية متمرداً على الظلم^(٥)».

وفي الشاعر أحمد رفيق المهدي يقول الشاعر عزيز أباطة في تقديمه لديوان رفيق الذي طبع في القاهرة: لعل أروع ما يتضح لنا في هذا الديوان القيم تلك التجارب الشعورية التي صورها الشاعر فأحسن تصويرها، دون أن يجيد بها عن نطاق الحقيقة والصدق والأصالة تعبير زائف أو فكرة مشوبة،

(١) من حديث لرفيق نشر في مجلة «هنا طرابلس الغرب»، - السنة الأولى، وراجع ص ٣٢ رفيق شاعر الوطنية.

(٢) عدد ٤ السنة الأولى عام ١٩٤٣ - مجلة عمر المختار.

(٣) عدد ديسمبر ١٩٥٤ - مجلة هنا طرابلس الغرب.

(٤) ٨٢ رفيق شاعر الوطنية.

(٥) ١ : ١٨٠ طبعة ثالثة - في الأدب الحديث لعمر الدسوقي.

فنحن يازاء شاعر يطل على مرائى الطبيعة ومجالى الكون، ومواكب الحياة، من خلال أحاسيسه اليقظة الواعية، ثم يرسم بريشته الصنّاع ما انبثق في وجدانه من خلجات وخفقات، وما التمع في عقله من لمحات وومضات. واستطاع بروحه الشفافة الملهمة، وبصيرته الثاقبة الواعية، وقدرته البيانية على تطويع اللغة لفنه، أن يأتى بشعر عربى مبین، يبهرك فى كثير منه بطلاوته المشرقة كما يهزك بأحاسيسه الصادقة. يسير على عموم الشعر العربى مع التجديد فى الأفكار والموضوعات والأخيلة؛ انصهر الشاعر ذاتية وشعوراً فى بوتقة الألم، فإذا بثّيتارته تنطلق بهذا النغم الباکی، واللحن الحزين، وواضح أن نصيب العاطفة أوفى من نصيب الجزالة.

ويقول محمد فريد أبو حديد فى الكلمة التى نشرت له فى آخر ديوان رفيق المطبوع فى القاهرة: إنه أعجب بشعر رفيق:

كالنحلة فى الروضة تعبت بالنور
لا يفتأ حيران كثير الجولان
يقتحم الأشواك إلى زهر البستان
إن رفر كالأواقف أو حوم أو طار
كالنحلة فى الروضة تعبت بالنوار^(١)

كما يعجب بقصيدته:

يا من على البعد نهواه ويهوانا لشد ما شقنا شوق فأضنانا
ويراها من أبداع ما سجل فى الشعر العربى قديمه وحديثه، وكذلك قصيدة رفيق فى الشاعر الإيطالى دنونزىو يعجب بها إعجاباً شديداً^(٢).

ومن الأوزان الجديدة عند رفيق قوله:

(١) ص ١٥٢.

(٢) ص ١٥٦ ديوان رفيق - مطبعة الرسالة - القاهرة.

كالنحلة في الروضة تعبت بالنوار
لا يفتأ حيران كثير الجولان
يقتحم الأشواك إلى زهر البستان

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة التي عنوانها «قلب الشاعر والجمال» وقد
نقده الشاعر موسى البرعصي وغيره في ذلك، ونشر حديث للأستاذ الشاعر
أحمد رفيق المهدوي في مجلة طرابلس الغرب، قال فيه: أنا على خط مستقيم
ضد من يحطم الأوزان والقوافي، والموسيقى في الشعر لا بد منها، وإذا ذهبت
الموسيقى فلا شعر ولا شعور، ولما سئل كيف توفق بين هذا الرأي ورأيك في
قصيدتك «أما آن» التي تدعو فيها إلى التحرر من القافية أجاب بأن القافية
غل ولا يجب أن يتقيد بها الشاعر في قصيدته من ألفها إلى يائها.

ويقول الشاعر على الجندى فيه: شاعر واسع الأفق سريع التأثير بكل ما
حوله من مظاهر الكون المختلفة؛ فإلى جانب الشاعر الفردية نجد الشاعر
الجماعية مصورة خير تصوير. إنه شاعر يعرف حقاً معنى الشاعرية، شديد
الحساسية، عميق الوجدان.

ويقف النقاد جميعاً عند شعر رفيق الوطني يعجبون فيه وبما فيه من
حماس قوى، وتصوير ذكي.

وقد تزعم رفيق الدعوة إلى التجديد في الشعر - كما يقول ناشر ديوانه
محمد الصادق عفيفي - حتى قال عنه العقاد: لقد رأيت من الواجب على أن
أنبه في صحافتنا الأدبية إلى مكان هذا الشاعر الذي يقل نظراؤه في العصر
الحاضر.

وكانت زعامة الشعر بينه وبين أحمد الشارف، وفيه يقول الشاعر
«الجواب»:

ملك القريض تجلة وسلاما ولتحى للحق الصراح دواما
وأمر در الشعر عشت موفقا لجلالك الزاهي نقوم قياما

ولعرش نظمك والقلوب خوافق تمنو، وتصغى، رهبة وغراما
هل كان فيك غاية مرغوبة أم كان شعرك في القلوب حساما^(١)

ويقول عمر الدسوقي في تصديره لديوان رفيق المطبوع في القاهرة: إذا استطاع الناقد التعرف على الشاعر من شعره دل ذلك على أصالة هذا الشعر، وعلى أن الشاعر يصدر فيه عن نفس سليمة، وهذه سمة من سمات الشاعرية الحقة، تغنى بالحرية كثيراً في شعره، وهى التى طوحت به فى بلاد الغربية. وظاهرة أخرى فى شعره، وهى المرح والتهكم حتى من نفسه إن كان الحال يقتضى ذلك، وقد يدعو المرح أحياناً إلى أن يتبسط فى أسلوبه، ويأتى ببعض الكلمات العامية المحلية الصبغة لتكون أبلغ فى الدلالة على النكتة، وروح الفكاهة واضحة فى معظم قصائده النقدية، وتمتاز بالتصوير الساخر. والشاعر يصدر فى شعره كله عن تجربة، وعاطفة، تراه مغرماً بالجمال والجمال والشعر لديه صنوان. وتحس بتطور شعره فى الأسلوب، والتمكن من القافية، وحلاوة الموسيقى، كلما مر به الزمن، وتمرس بقول الشعر. ونراه برما بالشعر فى عصره وقد تعاطاه من لا يحسنه أو يستخدمه فى غير أغراضه السامية؛ ويقول الشاعر:

تنازلت عن لقب الشاعر ولم أك من قبل بالنائر
فقد أصبح الشعر فى عصرنا بضاعة من ليس بالشاعر
ومن كان مثلى من المفلسين فليس له صنعة التاجر

وشوقى أحد أساتذة المهدوى، وأثره واضح فى شعره. وقد عارضه فى بعض قصائده، ولم يستطع التخلص من جوه ومن ألفاظه ومعانيه حين عارضه.. أكثر من الألفاظ العامية والأجنبية تظرفاً؛ وقد جمع بين القديم والجديد فى شعره ويتميز المهدوى فى شعره بالوصف وما فيه من تأملات فكرية رائعة، وتصوير بديع.

(١) ١٥٩ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

وقد طبع ديوان المهدي طبعين:

الأولى: عام ١٩٥٩ في القاهرة بمطبعة الرسالة وتقديم عزيز أباطة وبعض الأدباء وتقع في ١٦٨ صفحة من القطع الكبير ولا تشمل كل شعر الشاعر.

والثانية: عام ١٩٦٣ في جزين وذلك في ليبيا على نفقة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالمملكة الليبية المتحدة ويقع الجزء الأول في ٢١٢ صفحة من القطع الكبير.

وقد تناول محمد الصادق عفيفي في كتابه «رفيق شاعر الوطنية الليبية» التعريف برفيق والعوامل المؤثرة في وطنيته، وذكر ألواناً من شعره الوطني في مختلف أطوار حياته، وآراء النقاد فيه.

وللأستاذ خليفة التليسي دراسة نقدية عن رفيق، بعنوان «رفيق شاعر الوطن»، وقد نالت تقدير الأدباء والنقاد، وللشاعر الليبي عبد المولى البغدادي رسالة عن رفيق أخذ بها درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.

ويذكر بعض الكتاب الليبيين أن رفيقاً كان يسجل انتفاضات الشعب في مناسبات كثيرة، إلا أنها كانت مجرد لقطات سرعان ما تمحى من الذاكرة، لأنها لا تحمل إحساسات عميقة، وهذا كله أيام أن كان مبعداً عن كراسي السلطات، ثم حين دخل مجلس الشيوخ بالتعيين انصرف عن الوقوف بجانب الشعب ومؤازرته في قضاياها^(١) وهذا ظلم لرفيق الذي يقول عفيفي فيه: إنه لا ينسى أحد أن رفيقاً شارك المتظاهرين بقيادة جمعية عمر المختار عام ١٩٥٠، فسجن، حتى قال فيه آنذاك إبراهيم الهوني:

دخولك السجن مع عز وإحساس أهم من عز من سادوا بوسواس^(٢)

(١) عدد يونيو عام ١٩٥٧ ص ٤٣ من مجلة صوت ليبيا.

(٢) راجع ص ٦٨ رفيق شاعر الوطنية لعفيفي.

ورفيق هو القائل في وحدة ليبيا:

فكيف يقبل ذو عقل لبرقة أن تنفك عنها طرابلس وفزان
فليتق الله من في قلبه ورع فكل ما خالف التوحيد كفران
ومن شعر أحمد رفيق المهدوى قوله وهو يودع وطنه مهاجراً إلى تركيا
بعد الغزو الإيطالي لبلاده:

رحيل عنك عز على جدا وداعاً أيها الوطن المفدى
سأرحل عنك يا وطني وإني لأعلم أنني قد جئت إذا^(١)
ولكني أطعت إباء نفس أبت لإبائها في الكون حدا
علو النفس إن عظمت شقاء يلد لمن إلى المجد استعدادا
ويا وطني هجرتك لا لبغض ولا أني منحت سواك ودا
فلا والله ما هاجرت حتى جهدت، ولم أجد من ذاك بدا
ويقول المهدوى^(٢) في الحنين إلى بلاده ووطنه:

يا من على البعد نهواه ويهوانا لشد ما شفنا شوق فأضنانا
ذكرى عهود الهوى باتت تساورنا يا من يبلغ للأحباب شكوانا

(١) الإد: الأمر الفظيع، لقد جئتم شيئاً إذا.

(٢) ولد في بلدة (فساطو) بجبل نفوسة وكان والده موظفاً بها برتبة قائمقام، ويقول في الحنين إليها:

ذهبت بالسيط «فساطو» وإن لم يدعها غيرها أن تستقل
وطني عندي عزيز كله وهو للروح نصيب من أزل
والتحق بمدرسة الزاوية، وكان والده موظفاً بهذه المدينة، وحصل منها على الابتدائية
التركية وسافر إلى مصر عام ١٩١٠ ونال منها شهادة الكفاءة، ثم عاد إلى بني غازي وعين
١٩٢١ سكرتيراً لبلديتها، ثم عزله الطليان فهاجر إلى تركيا ١٩٢٥، واشتغل بالتجارة، وفي
عام ١٩٣٤ عاد إلى بني غازي ولم يلبث أن نفاه الطليان عام ١٩٣٦ فهاجر إلى تركيا وتنقل
فيها بين التجارة والوظائف وعاد إلى بني غازي عام ١٩٤٦، ثم عين عضواً في مجلس الشيوخ
عام ١٩٥١... وتوفي في يوليو ١٩٦١ (٥٩ - ٦٤ أعلام ليبيا).

إننا بحكم الهوى صرنا ولا عجب نزيد ذكراً لمن يزداد نسياناً
ما أنصفتنا الليالي حينما تركت جسماً هنا وهناك القلب ولهانا
ما خيم الليل إلا بات يقلقنا شوق إذا رقد السمار ناجاناً
نحن شوقاً إلى أوطاننا فإذا تبسم البارق الغرب أبكاناً

وفيها تأثر واضح بنونية ابن زيدون ونونية شوقي المشهورة التي قالها في
منقاه ويقول فيها:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا^(١)
ماذا تقص علينا غير أن يداً قصت جناحك جالت في حواشينا^(٢)
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا أخا الغريب، وظلا غير نادينا^(٣)
كل رمته النوى: ريش الفراق لنا سهما، وسل عليك البين سكيناً^(٤)
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصعد من الجناحين عى لا يلبينا^(٥)
فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا إن المصائب يجمع المصابينا
لم تأل ماءك تحناناً ولا ظمأ ولا إدكاراً ولا شجواً أفانينا^(٦)
تجر من فتن ساقاً إلى فتن وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا^(٧)

(١) الطلح: واد بإثيلية كان ابن عباد (أحد ملوك الطوائف وصاحب اثيلية ومن شعراء الأندلس) شديد الولع به، والمراد بنائح الطلح الحمام (كناية عن موصوف)، أشباه: جمع شبه وهو المثل. عوادينا: مصائبنا. نشجى: نأسى: نحزن. وأشباه عوادينا: مبتداً وخبر. أشباه خبر مقدم وعوادينا مبتداً مؤخر.

(٢) الحواشي: جمع حاشية وهي جانب الثوب، وأهل الرجل، وناحيته.

(٣) البين: الفراق. الأيك: الشجر الكثيف الملتف. السامر: النادي.

(٤) ريش السهم (بالبناء للمجهول): ألصق عليه الريش، ومعنى ريش الفراق لنا سهماً: بليت بفراق موجع أليم كأنه السهم في إيلامه.

(٥) منصعد: مشقوق. عى: عاجز.

(٦) لم تأل: لم تقصر؛ من ألا يألوا أى قصر، وفلان لا يألوك نصحا يعنى لم يقصر فى نصحك، الادكار: التذكر، الشجوا: الحزن والحزين. أفانين: أنواع وهى جمع أفنان جمع فتن وهو الفصن، وماءك مفعول به. وتحنانا تميز. وأفانين صفة لشجوا.

(٧) ترتاد: تقصد وتطلب.

أساة جـمـك شـئ حـين تـطـلـبـهـم
 آهـاً لـنا نـازحـى أـيـك بـأنـدلس
 رـسـم وقـفـنا عـلى رـسـم الـوفـاء لـه
 لـفـتـيـة لا تـنـال الأـرض أـدمـعـهـم
 لو لم يـسـودوا بـديـن فـيـه مـنـبـهـة
 لم نـسـر مـن حـرم إلـا إلـى حـرم
 لما نـبـا الخـلد نـابـت عـنـه نـسـخـتـه
 نـسـقى ثـراهم ثـنـاء، كـلـما نـثـرت
 كـادـت عـيـون قـواقـيـنا تـحـركـه
 لـكن مـصر وإن أـغـضـت عـلى مـقـة
 عـلى جـوانـبـها رـفـت تـمـائـمـنا
 مـلـاعـب مـرحت فـيـها مـأربـنا
 فـمـن لـروـحـك بـالنـطـس المـداوـيـنا؟^(١)
 وإن حـلـلـنا رـقـيـفا مـن روابـيـنا^(٢)
 نجـيـش بـالـدمـع، والإجـلال يـثـيـنا^(٣)
 ولا مـفـارقـهـم إلـا مـصـليـنا^(٤)
 لـلـنـاس كـانـت لـهـم أخـلاقـهـم دـيـنا^(٥)
 كالـخـمر مـن (بـابـل) سـارت (لـداريـنا)^(٦)
 تـمـائـل الـورد (خـيـريـا) و (نـسـريـنا)^(٧)
 دـمـوعـنا نـظـمت مـنـها مـرائـثـنا^(٨)
 وكـدن يـوقـظـن فـى التـرب السـلاطـيـنا^(٩)
 عـيـن مـن الخـلد بـالكـافـور تـسـقيـنا^(١٠)
 وحوـل حـافـاتـها قـامـت روابـيـنا^(١١)
 وأربـع أنـست فـيـها أمانـيـنا^(١٢)

(١) أساة: أطباء، المفرد آس من أسا الجرح يأسوه أى داواه. النطس: مهرة الأطباء والواحد نطاسى.

(٢) النازح: البعيد. الرقيق: الشجر الندى، والخصب.

(٣) الرسم: لطلل والأثر رسم الوفاء: دين الوفاء. نجيش بالدمع: تفيض أعينا.

(٤) المفارق: جمع مفرق وهو وسط الرأس ويريد بها هـن الرءوس نفسها

(٥) منبهة: شرف ومجد.

(٦) بابل: مدينة بالعراق وكانت تشتهر بجودة الخمر، ودارين: مدينة بالبحرين.

(٧) الخلد: الجنة، ويريد بنو الخلد زوال ملك العرب الذى كن بالأندلس. الخيرى والنسرين:

نوعان من الزهر.

(٨) المعنى: أن الشاعر الكلف هـذا المجد لا أفتأ أبكيه، ولا أفتأ أطريه، ولا أفتأ أرثيه شعر ملتاع أسيف.

(٩) المعنى: لقصائدى فى رثاء ملك العرب هناك حرارة وروعة حتى لتكاد تحرك التراب، وتبعث من قبور خلفاء الأندلس وحكامه.

(١٠) المقة: الحب، الكافور: نبت طيب وعين فى الجنة.

(١١) رقت: اهتزت. التهايم مفردة تيمة، وهى العوذة (الحجاب)، الرواق جمع راقية التى ترقى لصبي من سحر أو حسد.

(١٢) لمأرب: الآمال: الأربع: انارل مفردة ربع.

ومطلع لسعود من أواخرنا
بنا قلم تخل من روح يراوحنا
كأم موسى على اسم الله تكفلنا
ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكهة
يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا
لما ترقرق فى دمع السماء دماً
الليل يشهد : لم ننتك دياجيه
والنجم لم يرنا إلا على قدم
كزفرة فى سماء الليل حائرة
بالله إن جبت ظلماء العياب على
ترد عنك يداه كل عادية
حتى حوتك سماء النيل عالية
وأحرزتك شفوف اللازورد على
وحازك الريف أرجاء مؤرجة
فقف إلى النيل واهتف فى خائله
وأس ما بات يذوى من منازلنا
ومغرب لحدود من أوالينا^(١)
من بر مصر وريحان يغاديننا^(٢)
وياسمه ذهب فى اليم تلقينا^(٣)
لحاضرين وأكواب لباديننا^(٤)
بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا^(٥)
هاج البكا فحضبنا الأرض باكيننا^(٦)
على نيام ولم نهتف بسالينا^(٧)
قيام ليل الهوى للعهد راعينا^(٨)
مما نردد فيه حين يضويننا^(٩)
نجائب النور محدوا (بجبرينا)^(١٠)
إنساً يعثن فساداً أو شياطيننا^(١١)
على الغيوث وإن كانت ميامينا^(١٢)
وشى الزبرجد من أفواف واديننا^(١٣)
ربت خمائل واهتزت بساتينا^(١٤)
وانزل كما نزل الطل الرياحينا^(١٥)
بالحادثات ويضوى من مغانينا^(١٦)

(١) الحدود جمع جد. أبو الأب وإن علا أو الحظ والعظمة.

(٢) الروح: الرحمة والرزق.

(٣) تكفلنا: تعولنا وتربينا..

(٤) الحاضرون: سكان الحضر والمراد هنا المقيمون بمصر. البادون: سكان البادية والمراد العبدون عن مصر.

(٥) الهدوء: حين يهدأ الليل والناس. الجوانح: الأضلاع. يهمى: ينصب، والمآقى: جمع موق وهو ما يلى الأنف من العين والمراد به العيون.

(٦) ترقرق: لمع. دمع السماء: كناية عن المطر. خضبنا: صبغنا.

(٧) الدياجى: الظلمات والمفرد دجىة.

(٨) والنجم يشهد أنه ما رأى إلا يقظاً طول الليل راعياً عهد الوفاء لمصر.

(٩) يضويننا: يضعفنا أو يشملنا.

(١٠) ظلماء العباب: الأمواج المتراكبة. النجائب: النوق الجياد مفردة نجبية. جبرين: جبريل.

(١١-١٦) عادية: مكروه. يعثن: يفسدن. ميامين: مباركة. شفوف: جمع شف: الثوب الرقيق، =

ويا معطرة الوادى سرت سحرأ
ذكية الذيل لو خلنا غلاتها
جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا
فلو جزيناك بالأرواح غالية
هل من ذبولك مسكى نحمله
إلى الذين وجدنا ود غيرهم
يا من نغار عليهم من ضمائنا
ناب الحنين إليكم فى خواطرننا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا
وما غلبنا على دمع ولا جلد
ونابغى كأن الحشر آخره
نطوى دجاء بجرح من فراقكم
إذا رسا النجم لم ترقأ محاجرنا
بتنا نقاسى الدواهى من كواكبه
يبدو النهار فيخفيه تجلدنا

فطاب كل طروح من مرامينا^(١)
قميص يوسف لم نحسب مغالينا^(٢)
بالورد كتبنا وبالريا عناوينا^(٣)
عن طيب سراك لم تنهض جوازينا^(٤)
غرائب الشوق وشيا من أمانينا^(٥)
دنيا وودهم الصافى هو الديننا
ومن نصوص هواهم فى تناجينا
عن الدلال عليكم فى أماننا
فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا
حتى أتننا نواكم من صياصينا^(٦)
تميتنا فيه ذكره وتحيينا^(٧)
يكاد فى غلس الأسحار يطوينا^(٨)
حتى يزول، ولم تهدأ تراقينا^(٩)
حتى قعدنا بها حسرى تقاسينا^(١٠)
للشامتين ويأسوه تأسينا^(١١)

= اللازورد: حجر صاف أزرق شفاف. الأفواف جمع فوف المراد بها الخمائل والحدائق
والحقول. يذوى: يذبل. يضىو: يضعف. المغانى: المنازل.

- (١) طروح: بعيد.
(٢) ذكية: عطرة، الغلالة: ثوب شف.
(٣) جشمت: تحملت على مشقة، السرى: سير الليل. الريا: الريح الطيبة.
(٤) الجوازي: جمع جازية: المكافأة.
(٥) الوشى: الزخرف.
(٦) الصياصى: الحصون وما يحتوى به جمع صيصية.
(٧) نابغى: ليل طويل ثقيل بغيض.
(٨) الدجى: الظلم. غلس الأسحار: ظلام آخر الليل.
(٩) لم ترقأ: لم تسكن. التراقى: جمع ترقوة: مقدم الحلق فى أعلى الصدر.
(١٠، ١١) حسرى: حزينة متلهفة أو ضعيفة عاجزة: يأسوه، يعالجه. التأسى: التشجع والتصبر.

سقىا لعهد كأكناف الربا رفة
إذا الزمان بنا غيناء زاهية
الوصل صافية، والعيش ناغية
والشمس تختال في العقبان تحسبها
والنيل يقبل كالدينا إذا احتلت
والسعد لو دام، والنعمى لو اطردت
ألقي على الأرض حتى ردها ذهباً
أعداه من يمنه (التابوت) وارتسمت
له مبالغ ما في الخلق من كرم
لم يجز للدهر إعدار ولا عرس
ولا حوى السعد أطفى في أعتته
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق

أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لنا^(١)
تurf أوقاتنا فيها رياحيننا^(٢)
والسعد حاشية، والدهر ماشيننا^(٣)
(بلقيس) ترفل في وشى اليمانيينا^(٤)
لو كان فيها وفاء للمصافينا
والسيل لو عف، والمقدار لو ديننا^(٥)
ماء لمنا به إلاكسير أو طيننا^(٦)
على جوانبه الأنوار من (سينا)^(٧)
عهد الكرام وميثاق النوفيينا
إلا بأيامنا أو في ليالينا^(٨)
منا جياداً ولا أرخى مياديننا^(٩)
ولم يهن بيد التشتيت غالينا
إذا تلون كالحرباء شانينا^(١٠)

(١) الرفقة: الناصر من النبات. أعطاف الصبا: حوالب الريح الهابة من الشرق وكدر العرب يحبونها.

(٢) غيناء: خضراء كثيرة الورق ملتفة الأغصان.

(٣) الوصل: الرفقة أو الصلة. والعيش: الحياة. وناغية: فيه مناغاة أى م يسر ويعجب.
الحاشية: الظل. ما شيت: ما شئت. مخفف الهمزة. وأنت الخبر حملاً على المعنى إذ معنى الوصل الصلة ومعنى العيش الحياة ولهذا نظائر في كلام العرب.

(٤) بلقيس: ملكة سبأ ولها قصة مع سيدنا سليمان ذكرها القرآن الكريم، ترفل: تطيل ثيابها وتجربها متبخرة. وشى: ثوب منقوش مزخرف. اليمانيين: اليمنيين.

(٥) دين: خضع وذل وسلس، جاء في الأساس «دان القوم» إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له
فنائب الفاعل في قول شوقى ضمير مستتر يعود على المقدار.

(٦) الإكسير: سر الحياة.

(٧) اليمن: البركة. التابوت: ما وضع فيه سيدنا موسى في النيل.

(٨) الإعدار: طعام وليمة الختان. العرس: طعام الوليمة.

(٩) أطفى جياداً: يريد أكرم خيلاً. أرخى ميادين: أوسع ميادين.

(١٠) يحول: يتغير. الصبغ: ما يصبغ به المراد الخصائص والأخلاق، الشاى: العدو.

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت
 ألم تسؤله على حافاته ورأت
 إن غازلت شاطئيه في الضحى لبسا
 وبات كل مجاج الواد من شجر
 وهذه الأرض من سهل ومن جبل
 ولم يضع حجراً بان على حجر
 كأن أهرام مصر حائط نهضت
 إيوانه الفخم من عليا مقاصره
 كأنها ورمالا حولها التطممت
 كأنها تحت لآلاء الضحى ذهباً
 في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا
 عليه أبناءها الغر الميامينا؟^(١)
 خمائل السندس الموشية الغينا^(٢)
 لواقظ القز بالخيطان ترمينا
 قبل (القيصر) دناها (فراعينا)^(٣)
 في الأرض إلا على آثار بانينا
 به يد الدهر لا بيان فانينا
 يفنى الملوك ولا يبقى الأواينا^(٤)
 سفينة غرقت إلا أساطينا
 كنوز فرعون غطين المواينا

والقصيدتان تستحقان الدراسة والموازنة.

وفي أثناء إقامة الشاعر بتركيا اشتغل بالتجارة، ثم تركها إلى إحدى
 الوظائف بجمرك السركجي باستانبول، ثم اشتغل في معادن الكروم بجهة
 دورسون بك، ثم ببلدية أدنة مأموراً^(٥).

وكان للضربات الشديدة التي تلقاها في حياته من بوار تجارته وإخفاقه
 في حبه في الإسكندرية، وفشله في الزواج بابة عمه التي كانت مخطوبة له
 وعدم نجاحه في زواجه بتركيا^(٦) أثر في روحه وفي شعره وفي حياته. يقول من

(١) الغر: جمع أغر والمراد السادة المشهورون. الميامين: السعداء ذوو البركة والخير.
 (٢) خمائل السندس: الأشجار الكبار الخضر كالحرير. الموشية: المزخرفة. الغين جمع غينا:
 الخضراء. المجاج: الريق ترميه من فيك. ومجاج التحل: العسل ومجاج المزن: المطر، ومجاج
 الوادي: ما ينسب إلى الوادي. لواقظ القز: مخرجات الحرير.
 (٣) اخضع فراعنتنا العالم القديم البادي منه والحاضر، قبل أن يحكم قيصرية الروم، وكنا رواد
 الحضارة، اقتفى أثرنا كل متحضر.
 (٤) الأواين: جمع إيوان وهو القصر العظيم، الأساطين: جمع أسطوانة: سارية الفينة. لآلاء:
 ضوء واشتعال من لآلات النار أظهرت.
 (٥) ١٥٦ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.
 (٦) ١٥٨ المرجع.

قصيدته «سينما العمر» :

أصبحت شيخاً لا كبير	ر السن محنى القناة
لكننى شيخ ولى	روح الشباب، ولى صفاتى
روح تلوب على الجما	ل، تحوم حول الفاتنات
عقلى معى حتى يلو	ح الحسن تفرط عربداق
سأعيش فى مرح فلا	معنى ليأس فى حياتى

وقوله «حتى يلوح الحسن تفرط عربداق» خطأ تعبيرى واضح، فقد ضمن «حتى» معنى الشرط وهى لا تكون له، وجعل تفرط عربداق» جواباً لحتى، وهى لا تحتاج إلى جواب... . وكأن الشاعر يقول: إني مولع بالجمال «أحب الحسن فى أية صورة مثلى فى ذلك مثل عمر بن أبى ربيعة».

ويعود المهدوى إلى وطنه عام ١٩٤٦ فيقول:

رجع المطوح من بعاده	عاد الغريب إلى بلاده
الحسب يفغم روحه	والشوق يلهب فى فؤاده
وبشائر المستقبل الزا	هى تضاعف من جهاده
ليرى حياة حرة	هى وحدها أقصى مراده

ويقول فى الوحدة بين برقة وطرابلس:

طرابلس الغرب العزيزة فصلها	تقسيمها فصل يعد من الهزل
شقيقة روح إن تفرق جسمها	تفرق شعب واحد الجنس والأصل
أمكن فصل بيننا وقلوبنا	جميعاً على أعداء أوطاننا تغلي

ويقول:

لمن الملك، أو الملك لمن؟	هو الله وأبناء الوطن
وطن أبناؤه نحن فإن	لم نكن سادته نحن فمن؟
نحن نحديه ونفديه بما	عز من أرواحنا فهى ثمن
إن من يرضى بعيش فى حمى	غيره فهو حقير ممتهن

ليس للأحرار في الدنيا سوى
لا أرى التفريق فيما بيننا
نحن، والحب صفاء، تجمعنا
انهضوا للأمر في إبانهِ
خلع نير الذل أو لبس الكفن
غير محو أو حياة في محن
لغة، دين، دم، عرق، وطن
قبل قول: «الصيف ضيعت اللبن»

ومن قصائد الشاعر هذه القصيدة التي نظمها عام ١٩٢٤ ويداعب فيها
صديقه الحاج موسى البرعصي المقيم في قرية سيدى حسين خارج بنى غازى
وكان قد مرض فلم يستطع الشاعر زيارته لأن الإيطاليين حرموا الدخول
والخروج من بنى غازى إلا بجواز من المتصرف الإيطالى، والشاعر في القصيدة
يداعب صديقه ويصف السور المحيط بالمدينة آنذاك:

نبئت أنك تشكو وطأة الألم
لا يسلم المرء من داء ينغصمه
أجر تنال ويمحو بعض ما اكتسبت
لا يبتلى مؤمنا إلا وعوضه
فإن سلمت ونلت العيش في دعة
لكن أظنك يا موسى قد اجتمعت
سقم بجسم وإفلاس بذات يد
وما أبرئ نفسي من محرمة
إننا نشابهكم لكن صحتنا
وما وجودك شيئاً طوله قصر
إن ليمنعني من أن أزورك مو
وقد أحاطت بأكنافى ممانعة
سور على كل باب (مالك) ولهم
لا تسلك الريح إلا وهى واجفة
عافاك مولاك في الدنيا من السقم
وإن نجا منه لم يسلم من الهرم
يداك، فالله ذو لطف على الأمم
أجراً بأضعاف ما قاسى من الألم
فالشكر لله هذا أوفر القسم
ثلاثة لك من بخت فلا تلم
كمثلنا، ويد^(١) تعدو على الحرم
فالنفس أمانة بالسوء والتهم
خير ولكننا الموجود كالعدم
ما أقرب البون بين القبر والرحم
على اشتياق هموم داهمت همى
إحاطة السور ذى الحراس والخدم
فيه زبانية التعذيب بالقدم
مما ترى وعذابا غير منقسم

(١) يريد بذلك الطالبان.

لو استطاعوا لسدوا عن مناخرنا
سور كظاهره ويلات باطنه
ما في المرور على حد الصراط كما
كأنه سد يأجوج ونحن به
كيف السبيل إليكم إن ربكم
إني ليخجلني من أن أزوركم
فراغ كف وعجز عن معاونة
إن الصديق بلا جدوى ومنفعة
لكنني موقن أني سيشفع لي
لما رأيت قصورى في مودتكم
شعراً وإن كان لا يرضي الكثير به
فاقبله من صاحب مازال في خجل

إذا أتت في حماهم هبة النسم
ما فيه من رحمة حتى لذى رحم
في باب ذا السور من هول لمقتحم
ثموج في الهم موجاً غير منتظم
يخاف طيف الكرى مسراه في الظلم
على اشتياقي حياء يستفز دمي
لا خير في الود لم يثمر ولم يدم
لا خير فيه كما لا خير في الصنم
لديك علم بحال غير منكم
وبان عذري لكم أهديتكم كلمي
فالشعر أحسن ما يهدي لذى فهم
مما جنته عليه حرفة القلم

ويرثي رفيق صديقه الفساطوى^(١) فيقول من قصيدة طويلة:

يا أديب القطر حتى بعدما
فقدك المؤلم أذكى أنفسا
كنت قد أعددت لك المدح فما
لك يا (أحمد) في ذمته

غبت، مازلت على الخير تدل
جاش فيها الشعر دمعاً فاستهل
راعني إلا قضاء قد نزل
سيرة تبلغ ما سار المثل

ومن شعره الوطني ما يقوله متحدثاً عن الطليان:

نازلتهم لا أبالي سوء عاقبة
فكيف يطلب مني الصمت شزيمة
إني إذا قلت ما يرضي الضمير على

ولا عقابا ولا تهديد جبار
باعث ضائرها جهراً بدينار
ما في اعتقادي فقد حررت أفكارى

وفي صباح ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ أعلن الإدريس أن ليبيا أصبحت
دولة مستقلة ذات سيادة، كما أعلن أن الدستور الذي أصدرته الجمعية

(١) صحفي من بلدة الشاعر، كانت جريدته (العدل) في طرابلس حريدة الأمة والوطنية.

الوطنية في ٧ أكتوبر ١٩٥١ قد أصبح سنارى المفعول، فقال الشاعر أحمد رفيق المهدوى في هذه المناسبة الخالدة:

عيد عليه مهابة وجلال عيد، وحسبك أنه استقلال
يوم عليه من السعادة بهجة وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد فيه نالت أمة ملكاً تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة فأهل في برج السعود هلال...
يأيها الملك الذى من جوده لبلاده ولشعبه استقلال
وفقت للدستور ثم منحتة من بعض حقك فاحتواه جلال
حق سمحت به لشعبك راضياً إن الملوك بمثله بخال

ودعا رفيق إلى قيام برلمان يمثل الشعب كله فقال:

أسمع الأمة لى فى شأنها
مقالة لا بد من إعلانها
لا تسعد الأمة فى أوطانها
إلا إذا فازت (برلمانها)
واعتمدت منه على سلطانها
وجندها الباسل من شبانها
وباتحاد الرأى من أعيانها
ومبدأ الوحدة فى كيانها
من «الجغابيب» إلى «فزانها»^(١)

وقد عارض رفيق أمير الشعراء أحمد شوقى فى بعض قصائده:

- ١ - فقد عارضه فى قصيدته فى وصف الربيع.
- ٢ - وتأثر به كذلك فى نونيته التى نظمها فى الحنين إلى الوطن ومطلعها:
يا من على البعد نهواه ويهوانا لشد ماشفنا شوق فأضنانا

(١) راجع عن رفيق كذلك ص ١٣٥ و ١٥٥ من كتاب حياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

وقد سبق أن ذكرناها وقد تأثر فيها بنونيتي ابن زيدون وشوقي، المشهورتين.

إبراهيم باكير^(١)

١٢٧٣ هـ (١٨٥٦م) - ١٩٤٣ (١٣٦٢ هـ)

عالم فقيه محدث أديب شاعر ناثر، كان والده مفتي طرابلس، وكذلك كان جده، وتعلم في بلده، على كبار الأساتذة، ومن بينهم: الشيخ نصر القمي، وأحمد بن عبد السلام إمام عصره، ومحمد بن موسى، وعبد الرحمن البوصيري.

وكان من معاصريه وأصدقائه كامل مصطفى سيويه زمانه واستفاد منه، وتخرج فقيهاً نحويّاً بليغاً عالماً واسع الثقافة، وامتاز - كما يقول المصراقي - بحب الفكاهة، مع نفس شاعرة يجذبها الجمال في كل صورة^(٢)، وتولى التدريس في طرابلس، وصار أديباً شاعراً مشهوراً مجيداً في الغزل، وعين عضواً في محكمة الاستئناف (١٣٠٦ - ١٣٢٤ هـ) وتقلد مناصب قضائية كثيرة، وفي عام ١٣٢٤ هـ عين مفتياً لطرابلس، وهاجر من الوطن إثر الغزو الإيطالي إلى الشام عام ١٩١٢ فأقام في دمشق يجالس العلماء والأدباء والشعراء، ثم عاد إلى طرابلس، وعين عضواً في المحكمة الشرعية العليا، فرئيساً لها.

وله ديوان شعر مخطوط، ومنظومات في العلوم، ومنظومة في الآداب والحكم، وله فتاوى كثيرة على مذهب أبي حنيفة، وكان نسيج وحده بين الفقهاء في شعره وأدبه، وبين الشعراء في فقهه وعلمه كما يقول الزاوي.

(١) ١٤ - ١٧ أعلام ليبيا، ١٠٥ - ١٣٤ لمحات أدبية عن ليبيا، و ٧٩ الحياة الأدبية في ليبيا.

(٢) ١١١ لمحات أدبية عن ليبيا.

ومن شعره النبوى:

يا عدولى لا تلمنى	وامش عني بالسلامه
كل شيء غير حبيبى	قد سلا قلبى غرامه
إن عشقى فى ملىح	شرف المولى مقامه
فى ضحى من حر شمس	قد أظلمته الغمامه
طال بعدى عن حبيبى	واشتكى قلبى سقامه
يا رسول الله مالى	غير جاهك فى القيامه «؟؟»

ومن شعره كذلك قوله:

يا قضاة الحب إني	مفرم والعشق فنى
لى بباب البحر ظبى	مائس حلو التثنى
فائق فى الحسن لكن	طبعه يهوى التجنى
حسبك الله تعالى	أيها المعرض عني

ومن شعره أيضاً:

هلموا يا بنى وطنى هلموا	إلى الأعمال تحظوا بالنوال
وجدوا فى بناء المجد واسمعوا	كما تسعى صناديد الرجال
فإن السعى عنوان الترقى	وخير السعى فى خير الفعال
وبالسعى الجميل المرء يسمو	ويرقى فى ذرى الرتب العوالى
ولا فوز لكسلان ولكن	بقدر المجد تكتسب المعالى
تنام الليل ثم تروم مجداً	لقد حدثت نفسك بالمحال
فدع عنك الخمول وكل وهم	وزاحم بالمناكب لا تبالى

وللشيخ محمد السنوسى القلاص قصيدة فى تسعين بيتاً يمدح فيها إبراهيم باكير لما تولى الإفتاء فى طرابلس، سماها «باكورة البواكر»، وكذلك هناك صديقه «السيد صديق الأزهرى» بقصيدة طويلة منها:

إذا مدحت أديباً زانه أدب وحسن طبع فإنى أمدح القمر

وقد أشار إلى شاعرنا وإلى أخيه مصطفى بن باكير مؤلف كتاب «الشعر والشعراء في ليبيا» إشارة خاطفة^(١).

الأديب سالم الفطيسي

أحد شعراء ليبيا القدامى، ومن أدباء زليتن، وقصيدته «ديسان» مشهورة، وهي من الكثران في الحجاز، وفيها يقول^(٢):

فؤادى زائد الأشجان	ودمعى بعدكم هتان
كأنى من سهادى لم	أبت إلا على السعدان
فوا لهفى على عهد	مضى فى غابر الأزمان
بذات الشيخ ذات الطل	ح ذات الرمل والكثران
أراها اليوم قد أخوت	وكانت مرتع الغزلان
ولولا جيرة كانوا	بذاك الحى فى «ديسان»
لما عانيت أشواقى	ولا طابت لى الأشجان
وذات الأيك قد سجعت	وقد قامت على الأغصان
فقلت لها تعالى ولتب	ك معى على الأحزان
فقد ناداك من يبكى	أسير من بنى حمدان

محمد بن منصور البكوش

١٢٥٣ - ١٣٤٧ هـ

من علماء زليتن وفضلائها، درس فى الأزهر، وعاد عام ١٢٨١ هـ فاشتغل بالتدريس حتى عام ١٣٢٠ هـ.

(١) ١٩٩ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيى.

(٢) راجع ١٤٢ - ١٤٤ الشارف للمصراى، وله قصيدة صوفية أخرى (ص ٢٦٤ المرجع نفسه) شطرها الشارف ٢٦٥ المرجع، وكذلك خسها ٢٦٦ و ٢٦٧ المرجع.

وكان مع ذلك شاعراً مجيداً، وتوفي عام ١٣٤٧ هـ.

ومن شعره قصيدته في تحذير الناس من الاغترار بالدنيا ومنها:

فوا لصروف الدهر إن نفذ القدر

فلا ملجأ إذا ذاك منه ولا مفر

زخارف دنيانا إذا هي أقبلت فمنها لسان الحال ينبئ بالخطر

فكم جامع للمال قد مات فجأة فنال مع الأنشاب كذا مع السهر

وكم مانع حقاً عليه وحتفه يناديه بالويلات والخلد في سقر

أحمد الفقيه حسن

عمل مديراً لأوقاف طرابلس، وهو من مواليد عام ١٣١٢ هـ - ١٨٩٤ م في مدينة طرابلس، حيث رأى النور في ١٤ شوال من العام المذكور، وينحدر من أسرة عريقة في الشرف تنتمي لآل البيت، وكان والده عضواً في مجلس الأمة الذي أسس عام ١٩١٩ بفضل جهاد رمضان السويحلي^(١).

تعلم في مدرسة تركية، ولما جاء الغزو الإيطالي لم يستطع مواصلة تعليمه، وتلقى دروساً في اللغة العربية على يدى بعض العلماء وفي مدرسة عثمان باشا، ثم هاجر مع والده إلى الإسكندرية عام ١٩١٤، وأقام فيها، فواصل دراسة العربية والفرنسية، وبدأ ينظم الشعر وهو في هذا الشغل الجميل في الحنين إلى وطنه.

وشاهد أحداث بلاده، وعاشها بكل مشاعره وروحه، وعاد مع مطلع الإستقلال، يسهم في بناء وطنه^(٢)، وله ديوان مخطوط، ومن شعره قصيدته في

(١) السويحلي (١٢٩٧ هـ - ٢٤ أغسطس ١٩٢٠) من مصراته «ولد بزاوية المحجوب، وتعلم بها، واشترك في الجهاد مدافعاً عن بده، وأجلى الإيطاليين عن مصراته وهزمهم، وشكل فيها حكومة وطنية برياسته عام ١٩١٥، ولما أسست الحكومة الطرابلسية كان أشهر أعضائها، وقتل بأيدي المستعمرين شهيداً.

(٢) ١٩٥ و ١٩٦ الشعر ولشعراء في ليبيا - عفيفي.

«مصرع موسيليق» ويقول منها:

كان القصاص من الإله جزاء طويت بميلانو صحيفة بغيه
طاغ سياسته أضلت شعبه في أى حرب كان شعبك باسلاً
كانت طرابلس لشعبك زاجراً لا ننس ظلمك يا (بنيتو) إنه
فاليوم ذق كأس الحمام بذلة فأصابه لما بغي استعلاء
وبها تردى الميتة الشنعاء باغ قد اتخذ الخداع كساء
وبأى جنود تطلب العلواء عن أن يلاقى الذل والبأساء
كشعار حزبك يشبه الظلواء كاشعار حزبك يشبه الظلواء
فلطالما جرعتها الضعفاء^(١)

وقد سبقت له قصيدته «شكوى واستنهاض».

وهذه إحدى قصائد أحمد الفقيه حسن، وهى بعنوان «ليبيا المستقلة» ويقول الشاعر فيها:

عزم أهاب بليبيا متقدما وطن يؤيد حقه أبناؤه
ضحي بأبطال وبرهن أنهم بالفخر ما ضحي به أبناؤه
هبوا إلى استقلاله بين الورى عقدوا الخناصر للجهاد وقد رأوا
قوم أبت أخلاقهم أن يخضعوا طبعوا على كرم فكان جهادهم
جمعت طرابلسا وبرقة وحدة هدى لتلك يد وتلك لهذه
هى وحدة الوطن الذى أضحي بها نادى بها أبناؤه فتوحدت
ودعا إلى استقلالها وتكلمها وطن إلى صياغة العرب اتمى
كانوا له يوما حماة للحمى والمجد ما كتبت صحيفته الدما
ولنيله طرّقوا السبيل الأقوما أن يستقل وأن يصان ويكرما
للغاصب العاق وأن يتحكمها لنصر والمجد المؤثل سلما
تبقى على طول المدى لن تفصما سند إذا ما الخطب أصبح مضرما
عما يحاول فى الحياة مترجما كل الجهود لكى يعيش مكرما

(١) ١٩٧ و ١٩٨ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

فاليوم تظفر ليبيا إذ أبرمت
رفعت عقيدتها لنيل حقوقها
فالشرق أجمع لا يزال مؤيدا
لا غرو إن نجحت قضية ليبيا
والحق ما استندت دعائمه على
حجج مؤيدة فكان مدعما

والشاعر محافظ على الشعر العمودي لا يخرج عنه، وقالت عنه إحدى
الصحف: إنه يملك روحاً مرحاً ولكنه لا يظهر في شعره، وله حصيلة كبيرة
من الشعر، ومعظمه في الوطنيات، ومن شعره قصيدته «الحرية» ويقول فيها:

هي الحرية انقادت طلابا
أب أن يستسيغ الذل طعما
ونفس الحر لا ترضى امتهاننا
إلى الحرية اليوم أشرأبت
هم الأحرار في الدنيا أهابوا
رجال من بني الشرق استمدوا
خداع بني الفرنجة قد تجلى
لقد خدعت دعايتهم شعوبا
طغت بهم الحضارة فاستبدوا
لقد ضلت سياستهم وزادت

إلى شعب رأى في الجبن عابا
وطعم الذل قدما كان صابا
وتأبى الضيم في الدنيا اصطحابا
رجال لم تكن تخشى الحرابا
بها جهرا وما هابوا العقابا
لهم همما وقد ثاروا غضابا
وساسة أهلها كشفوا النقابا
وأضحى وعدهم فينا سرايا
وقد طرقوا بها للشر بابا
بها العقلاء يأسا واضطرابا

أحمد أحمد قنابة

من أسرة ليبية تنتمي إلى آل البيت، كانت تقطن «ودان» في فزان
وهاجرت إلى أفريقيا الجنوبية.

ولد في زندر بإفريقيا الجنوبية عام ١٨٩٨، وكان والده يعمل في التجارة

في «كانو» بنيجيريا، وانتهى به المطاف إلى طرابلس وتوفي بها، وكان الشاعر في سن الرابعة حين عاد والده إلى طرابلس، وتعلم في مكتب العرفان، ثم جاء الغزو الإيطالي لبلاده عام ١٩١١، والتحق بمدرسة إيطالية في طرابلس، ثم تركها للتجارة، ثم عاد لمواصلة الدراسة في المعاهد الدينية، ومن بينها مدرسة عثمان باشا ومدرسة أحمد باشا، ثم رجع إلى التجارة، ثم عمل بإذاعة طرابلس، وفي عام ١٩٤٣ بعد تحرر البلاد من الإيطاليين عمل محرراً صحفياً في مكتب الاستعلامات، وبفضله قامت جريدة «طرابلس الغرب» أسهم الشاعر في الحركة الوطنية، ونظم الشعر ليرضى به عواطفه، وله ديوان مخطوط^(١)، ومن شعره قصيدته «الجامعة العربية»^(٢)، ومنها:

ألا هبوا بني وطني وديني	نذب عن العروبة والعرين
ألا هبوا، ألا اتحدوا ومدوا	يمينكمو أمد لكم يميني
ولا تهنوا فتنهزموا وتنسوا	عهدا من وثائقها حنيني
فجامعة العروبة لن تواني	على إعزازنا في كل حين
فما وطن العروبة كهف ضيم	ولا كنف الكنانة بالمهين

وهي قصيدة طويلة.

وله قصيدة عنوانها «تحية الشباب»^(٣).

وتوفي في طرابلس عن ثمانين عاماً^(٤)، وتوفي قبله الشاعر على الرقيعي. وإذا كان^(٥) الشعر الليبي شعراً أصيلاً له طابع وكيان خاص وله خصائصه، فإنه لم تكن له صورة واضحة المعالم ولم يصبح له إطار جلي الحدود إلا في النصف الأول من هذا القرن وعلى يد شعراء ليبيا عرفوا

(١) راجع ١٨٦ - ١٨٧ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٢) ١٨٨ و ١٨٩ المرجع.

(٣) راجع بعضها في ص ١٠٦ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٤) مجلة الأديب اللبنانية عدد مارس ١٩٦٨م.

(٥) مجلة الرواد الليبية - إبريل ١٩٦٥م.

بقوة الديباجة والعمق في الأسلوب والدقة في المعنى والرقّة في العبارات والإجادة في النظم، ومن بين هؤلاء شاعرنا أحمد قنابة الذي يعتبر أحد رواد الشعر وعلماء من أعلام الفكر والأدب في ليبيا. وهو شاعر تفيض نفسه بالأحاسيس الجياشة والمشاعر الدافقة الساخنة نحو وطنه، ولما كان الشعر مرآة صادقة تعكس ما في النفس فإنك تستشف في شعره حرارة الإخلاص وصدق عاطفته ووجدانه نحو بلاده، كما تجد الوطنية الحقّة في كل قصيدة من قصائده، فكان ولا غرو شاعراً وطنياً مخلصاً تغنى ببلاده وساهم في تغذية الحركة الوطنية يوم كانت تعيشها بالقصائد العصماء والدرر اللوامع من الشعر الوطني، والتي تفيض ثورة متأججة على المستعمر الغاشم البغيض، ولكنها لم تكن وطنية ضيقة الحدود بمعنى أنها محصورة ضمن إطار بلاده ووطنه، بل هي منطلقة في آفاق العروبة تخلق في سماء مصر بقصيدة تارة وفي سماء الدول العربية بقصائد تارة أخرى، يفرح لفرحها ويتوجع لحزنها وألمها. . وهكذا أبناء العروبة.

ويشعر القارئ لشعره أنه يترنم كثيراً بالوحدة فلا تخلو قصيدة من قصائده دون أن يجيء فيها ذكر الوحدة حتى إنه لقب «بشاعر الوحدة».

واستمع إليه في هذه القصيدة التي يبين فيها أننا أمة واحدة في الجنس واللغة والدين والعادات والتقاليد وإن جزأنا الاستعمار إلى دول فيقول:

إننا وحدة من الجنس واللهجة والدين وإن جزءونا

وفي قصيدة أخرى يدعو إلى الوحدة ويناشد الأمم بأن يتحدوا فيقول:

ألا هبوا ألا اتحدوا ومدوا يمينكمو أمد لكم يميني

ويقول في قصيدة أخرى:

فشعبنا نحن نحميه بوحدتنا وتحتذي حذونا لا شك أقطار

ويقول مخاطباً بني شعبه:

شدوا بوحدتنا كي نستقل بها في أرض أجدادنا إنا لأحرار

وقال في مؤتمر عقد بمدينة طرابلس أيام الاستعمار:

هنا فلنحقق وحدة عربية يصون لها ولدستورها الحق فيحصل
رضينا بالاستقلال والوحدة التي تعصت ولكن بالإمارة تسهل
ويصل به شوقه وحبه إلى الوحدة واشتياقه إلى تحقيقها إلى أن يصف
بالكفر كل من تسول له نفسه بإنكارها فيقول:

إن تك الوحدة في توحيدنا فالذي ينكرها منا كفر
هذه الوحدة قلب نابض واقتسام القلب من إحدى الكبر
وهكذا بلغ شعر الوحدة على لسان الشاعر الأستاذ أحمد قنابة ذروته
ومنتهاه، فشعره فيها هو فيض الإلهام والفطرة فلا ترى فيه تكلفاً ولا تحس به
فتوراً، بل جاء شعراً قوياً جارفاً حياً ينبع من دم قلبه وماء عينه فيحرك
القلوب ويلهب الشعور ويشعل الحماسة في الصدور، واستمع إلى هذه الأبيات
الحية من قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

شئت الله شملهم فرقونا
إنهم ظالمون مستعمرون
أوهموا الناس: أننا في إنقسام
لم نكن وحدة وهم وحدونا

وقد تأثر الشاعر بشعراء كثيرين ولكن أقواهم أمير الشعراء أحمد شوقي
وشاعر النيل حافظ إبراهيم والشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، ومن
القدماء ابن الرومي.

أحمد راسم قدرى

أديب أكثر منه شاعراً، متأثر بجبران في كتاباته في مجلة ليبيا المصورة التي كان يوقع فيها باسم «قاسم فكرى».

وقد ولد في طرابلس وتعلم التركية صغيراً، وهاجر بعد الغزو الإيطالي إلى مصر وسوريا، ودرس العربية في مدارس حلب، ثم عاد إلى موطنه ودرس في مدرسة الحزب الوطنى، ثم في إحدى المدارس الإيطالية.

تأثر أول ما تأثر بالمنفلوطى، ثم بجبران والرافعى، وقرأ لطفه حسين وهيكمل والمازنى والعقاد والزيات، وللزهاوى وعلى محمود طه المهندس، ولأحمد شوقى، وأحمد محرم، كما قرأ للشاعر الصوفى الطرابلسى أحمد البهلول... ثم عكف على الثقافة الغربية، وعمل رئيساً لتحرير مجلة الأفكار^(١)، وله ديوان تحت الطبع، ومن شعره قصيدته «غريان» ويقول منها:

غريان قد أذكى الفؤاد هواك ماضى الصبابة فى فؤادى الباكي
حركت شوقاً كنت خفت حراكه من لي بمن يكفيه أو ألقاك
ومن شعره من قصيدته «الغانية»:

إنسية شاهدتها تلهو وتعبث فى مزاح
غضبي وسكرى من دلا ل أو صبا بين الملاح^(٢)

وقد نقده الشاعر يوسف الفيلالى بأنه متأثر بالمعانى الإيطالية^(٣) وبأسلوب الإيطالى فى كثرة تتابع الصفات والمترادفات^(٤) فى شعره الشعبى. كما يقرر أن هناك شبهاً بين بعض قصائده وأشعار بترارك الشاعر الإيطالى^(٥).

(١) ٢٠٠ و ٢٠١ الشعر والشعراء فى ليبيا.

(٢) ٢٠٢ المرجع.

(٣) مجلة الأفكار العدد (٧).

(٤) مجلة الأفكار العدد (٧).

(٥) قصة الأدب فى العالم.

ولراسم قدرى قصيدة عنوانها «معبودتى كانياتى» يقول منها:

نفسى فداؤك لو قدر ت على فدائك يا حبيبى
مالى إليك شفاعاة كيما تحن على الغريب
إلا التوسل بالبتو ل وباليسوع وبالصليب

سعيد بن أحمد المسعودى

١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) - ١٩٥٢

من علماء طرابلس الأجلاء، وشعرائها المحلقين، درس فى طرابلس والأزهر، واشترك فى الجهاد الوطنى، وتولى عام ١٩٢٢ عضوية المحكمة العليا الشرعية فى طرابلس.. وشعره الوطنى المشهور.

ومن شعره الدينى:

اسعوا إلى طلب المعارف والهدى وتباعدوا عن خلة الأشرار
جدوا وقوموا بالفرائض كلها واخشوا عقوبة سطوة الجبار
وخمس قصيدة أحمد الشارف التى مطلعها:

رضينا بحتف النفوس رضينا ولم نرض أن يعرف الضيم فينا^(١)
ومن شعره فى الغزل:

خطرت تجر ذبولها هيفاء ما فيها قصر
مكحولة العينين فى طرف اللحاظ بها حور
وأسيلة الخدين فى حسن يزينه الحفر
والجديد منها قائم يحمى محياها الأغر
سدلت ذوائبها على خصر نحيل مختصر
لاحت إلى كأنها الـ بدير المنير إذا ظهر^(٢)

(١) ١٢٣ - ١٢٥ أعلام ليبيا، ٢٠٣ و ٢٠٤ الشعر والشعراء فى ليبيا.

(٢) ١٢٥ أعلام ليبيا، ٢٠٥ الشعر والشعراء فى ليبيا.

وقد ذكر صاحب كتاب الشعر والشعراء في ليبيا قطعته الأخرى الرائية وعنوانها «نصائح»^(١)، وله تقرّظ لديوان ابن زكري^(٢)، وله قطعة أخرى في الغزل (١٠٢ الشعر في ليبيا).

محمد علي زغوان

ولد عام ١٨٩٧م - ١٣١٥ هـ بباب البحر بطرابلس وهو من سلالة الإدارة، وقد درس العلوم الدينية والعربية واشتغل في وظائف القضاء وغيرها، ومن شعره قصيدته إلى صبراته، ويقول فيها:

كم بصبراته عروس تجتلى وجمال في جاد بالحلل
عرصات بل تماثيل بدت تحسب عن نسر وعزى وهبل
وله أربعة عشر مؤلفاً لم تطبع^(٣).

محمد الأمين مصطفى أبو حامد

ولد في طرابلس عام ١٨٩٨ من سلالة هاشمية، وتعلم في المدارس الدينية، ثم عمل في التجارة مع والده، وتنقل بين طرابلس ونيجيريا؛ وفي عام ١٩٤٧ استقر أخيراً في طرابلس موطنه، وقد حصل على جائزتين في المسابقة الشعرية التي نظمتها محطة لندن الإذاعية: الأولى عام ١٩٤١ عن قصيدته «الشرق والغرب يلتقيان»، والثانية عام ١٩٤٦ عن «الجامعة العربية».. واشتغل في القضاء، وهو معجب بالجارم ومتأثر به.. وديوانه

(١) ١٢٤ أعلام ليبيا، ٢٠٥ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٢) ديوان ابن زكري، ٢٤٨ الشعر والشعراء.

(٣) ٢٤٠ و ٢٤١ الشعر والشعراء في ليبيا.

مخطوط ومن شعره قصيدته: صوت الضمير، وأنشودة البنات، ومطلع الأولى:

تبسم ثغر الصباح الأغر وأشرق وجه الوجود النضر
ومنها:

أتزعم أنك نعم الحكيم ولم تدر ما الخير أو ما الخير
وتكبر في عينك المغريات ويصغر فيها التراث الأبر^(١)

حسين محمد الأحلاف^(١)

- ١٩٠٥ -

ولد بزاوية المخیلى عام ١٩٠٥، وحفظ القرآن، ثم هاجر مع والده إلى مصر، والتحق بالأزهر، وفي عام ١٩٤٠ عمل إماماً بالجيش السنوسى، ثم عمل مدرساً بدرجة فقاضياً.

وشعره مخطوط، وله قصيدة عنوانها «ذكرى المولد» ذكرها عفيفى فى كتابه «الشعر والشعراء فى ليبيا» ومنها:

بدا نوره بالأمس والناس فى رسم وما أشبه اليوم الذى طال بالأمس
فإن بيع بالأمس الأسير فعندنا تباع شعوب للمساوم بالبخس
وإن دس بعض المشرکین بنانهم فقد أزھقت فینا الألوف بلا دس

وذكر له محمد الطيب الأشهب قصيدة يتحدث فيها عن جهاد السيد أحمد الشريف السنوسى فى أوائل الغزو الإيطالى لبلاده^(٣).

(١) راجع ٢٣٢ - ٢٣٥ الشعر والشعراء فى ليبيا.

(٢) ص ١٦٨ الشعر والشعراء فى ليبيا - محمد صادق عفيفى، ١٣٩ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

(٣) ٢٧٠ و ٢٧١ برقة العربية للأشهب.

إبراهيم محمد الهوني^(١)

ولد في بنيغازي عام ١٩٠٧، ودرس في المدرسة العربية الإيطالية، ومنح شهادة التعليم عام ١٩٣٨، وشغل بعض المناصب التعليمية والإدارية والقضائية، يجيد الإيطالية، ويتزود بقسط من الثقافات الأجنبية، يؤثر مدرسة البارودي وشوقي وحافظ على مدرسة مطران؛ ومن شعره قصيدة عنوانها «آدم» ومنها:

مصائب مثلى قد أتتهم من العقل	فيا ليتني أعطى قليلاً من الجهل
رجعت إلى أصل الخلائق باحثاً	لكي أهتدى منه إلى منبع النبل
وفتشت هذي الأرض شرقاً ومغرباً	وفتشت فيها من جنوب ومن شمل
فلم ألق فيها عنصراً طاب أصله	سوى عنصر من نسل خاتمة الرسل

وقصيدة طويلة^(٢).

عبد القادر الحصادي

شاعر من شعراء برقة، عاصر أحداث الغزو الإيطالي، وأدرك مطلع عهد الإستقلال، وتوفي وبلاده في بدء نهضتها الجديدة، وكان مكفوف البصر، يتأثر بالمعري في شعره، وإن كان هذا الشعر لا يتميز بموهبة فنية عالية، ومنه من قصيدة عنوانها «ثغر طبرق»:

ثغر لطبرق حسنه رباني	متبسم بالأمن للربان
متوسط في أبيض متوسط	بين المضايق جل رب باني
لبواخر الرومان أضحي معقلاً	ترسوبه وبواخر اليونان

(١) ١٥٢ الشعر والشعراء في ليبيا - محمد صادق عفيفي.

(٢) ١٥٣ - ١٥٥ المرجع نفسه.

كانت على حصن قديم قد وهى أحنث عليه طوارق الحدثان
فبحاله ينبيك عن مكانه من سالف الإغريق والرومان
أمسى خلاء مابه من ساكن إلا فصائل من بنى العربان
حتى بنت تركية لما أتت قصراً به لحماية الأوطان
فبنوا حواليه وأضحى قرية معمورة بالناس والبنيان^(١)
وله مساجلات شعرية مع المهدوى والأسطى عمر والشارف^(٢).

محمد منير البرعصى

هاجرت أسرته إلى فلسطين وأقامت في صفد منذ عام ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م، وفيها ولد الشاعر عام ١٩١١ . . . تعلم في الجامعة الأحمدية في عكا وتخرج منها عام ١٩٢٧، ثم التحق بمدرسة البوليس بالقدس، وشغل عدة مناصب فيها، وفي عام ١٩٤٦ ترك الوظيفة إلى الأعمال التجارية، ثم جاهد في معركة فلسطين ووقع في الأسر وأفرج عنه عام ١٩٤٩، وعاد عام ١٩٥٢ إلى برقة، وعمل في القضاء والنيابة^(٣). . . ومن شعره^(٤) قصيدة عنوانها «خواطر أسير» وأخرى عنوانها «إباء العروبة»، وفي الأولى يقول:

لست أدري أين أهلى هلى درى أهلى مكانى
أتراهم بعد أسرى وصلوا دار الأمان
أم رماهم بسها م قاتلات من رمانى
مسنى الضر كأتى صرت أيوب زمانى

(١) ١٨٠ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفى .

(٢) راجع ٢٣٦ - ٢٤٠ الشارف للمصراق .

(٣) ١٨١، الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفى .

(٤) ١٨٢، ١٨٣ المرجع .

على صدقى عبد القادر

شاعر موهوب من طرابلس، ولد في ٦ نوفمبر ١٩٢٤، وتخرج من مدرسة أحمد باشا، واشتغل بالمحاماة، وقد مال منذ صغره إلى الأدب والشعر، ونظم مسرحية شعرية عنوانها «دماء تحت ظلال النخيل» ونال الجائزة الثانية في مسابقة أعلن وطنه عنها لأحسن نشيد وطني؛ وهو من المؤسسين للنادي الأدبي في طرابلس، وعمل في اللجنة القانونية التي وضعت القوانين الليبية الراهنة... وقد قرأ للمهجرين، وأعجب وتأثر بهم، ويلقب بشاعر الشباب، ومن شعره قصيدته «رقصة الاستقلال» ومنها:

أرقصى يا جبال فوق ثرى ليب	يا وهزى الرمال فوق الكثيب
تلك زهر الحرية اليوم تذكو	ويميلادها احتفى كل ليبى
إيه ليبيا، يا تاج إفريقيها	أنت أحسست فى دمي بدبيب
ثم أرهفت مسمعى فإذا الجو	أغاريد موطنى المحبوب
وتلفت يمنة وشمالاً	فإذا بي فى موكب من قلوب
رددى يا سماء خفقة قلبى	وأصيحى لخفقتى واستجيبى
ها أنا قد وقفت شعرى وروحي	ودمائي على ثراك الحبيب

وقصيدته التى عنوانها «دماء تحت النخيل»^(١) معروفة، وقد سبقت له قصيدة ذكرناها فى نماذج الشعر الليبى.

وفى عام ١٩٥٧ أخرج الشاعر على صدقى عبد القادر ديوانه «أحلام وثورة» وفى آخره تعريف بالشاعر المحامى، الذى يزاول مهنة المحاماة فى طرابلس، ويطلق عليه شاعر الشباب، والذى قال الشعر فى سن مبكرة، واشترك فى الكفاح الوطنى، وأسهم فى وضع القوانين الليبية، ومثل بلاده فى بعض المؤتمرات والمعارض الدولية، ونال جوائز، شعرية عديدة، وطاف بكثير من البلاد العربية والغربية.

(١) راجع ص ٢٢٠ - ٢٢٣ الشعر والشعراء فى ليبيا، وراجع ١٥٨ وما بعدها الحياة الأدبية فى ليبيا، وراجع ١٥٨ وما بعدها الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

وفي الديوان بعض قصائد من الشعر الحر، وقصائد عمودية، ومن أشهر قصائد الديوان قصيدته «ليبيا الأم»^(١) التي يقول في مطلعها:

إن يومى وغدى
ها هما رهنا يدي
هيه يا أرض اشهدى
إن هذى التربة الغراء ليبيا بلدى
أنبتت زهرة الاستقلال رمز السؤدد
وأقامت عرسها الخالد فوق الفرقد
طالما أرهقها أمس الجبان المعتدى

ومن أشهر قصائد الديوان كذلك قصيدته الوطنية «دماء تحت النخيل»^(٢) . . وفي قصيدته «عطر وموسيقى»^(٣) يصف الطبيعة الجميلة في بلاده . . وفي الديوان بعض القصص الشعرية الصغيرة مثل قصيدته «ذرات»^(٤)، «و» اليتيمة^(٥).

ومن صور شعره قصيدته «الفدائي» التي يقول منها:

وقد قمت أحمل مدفعى
عزمنى يؤجج أضلعى
والفجر لما يطلع
وقذيفتى تمشى معى
هيا قذيفة لعلعى
امشى لهدم المصنع
أولاً، ألقى مصرعى

(١) ص ٢٨ أحلام وثورة - على صدقى عبد القادر «ديوان شعر».

(٢) ص ٥٥ المرجع.

(٣) ص ٥٩ المرجع.

(٤) ص ٦٣ المرجع.

(٥) ص ٩٨ المرجع.

إني فدائي الوطن
روحي لعزته ثمن
إني فدائي الوطن
فإذا علمت بسقطي
أما عند الوقعة
لا، لا تقولي: حرق
بل شاركني فرحتي
بالذود عن حررتي
أدعى لنصرة ثوري
فأنا وأنت لأمتي

إني فدائي البلاد
فإلى الجهاد، إلى الجهاد
إني فدائي البلاد

وللشاعر ديوان شعر آخر عنوانه «صرخة البعث» ..

والشاعر من أكثر شعراء ليبيا دأبا على مواصلة الإنتاج، وكان يكتب القصيدة على النهج العمودي ثم تحول عنه إلى الشعر الجديد، وفي رأي أن ذلك أفقد شعره كثيراً من الموسيقى والرصانة، وقد مثل ليبيا في جميع مؤتمرات أدباء العرب.

وقد ظهر للشاعر ديوان جديد في نوفمبر عام ١٩٦٦ بعنوان «زغاريد ومطر بالفجر».

على الرقيعى

يحتل^(١) على الرقيعى مكانة كبيرة فى وجدان المثقف الليبى ، فهو كشاعر يضع قلمه فى خدمة قضايا بلاده ، يتغنى ببسات الأطفال ، ويمجد كفاح البسطاء ويتبنى أحلام القطاعات العريضة من هذا المجتمع ، وهو كإنسان يعيش عيشة المواطن الطيب ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان .

ولا يكاد أحد يذكر الشعر الليبى الجديد إلا ويأتى اسم على الرقيعى على رأس قائمة الذين يتبنون هذا اللون من الشعر ، ويبدلون قصارى جهودهم من أجل تدعيم مفاهيمه الجديدة ومضاته البادئة ، ولا يزالون يعطون حياتنا الأدبية ، الجديد من الكلمات الشريفة ، والأغنيات التى تمتلئ حباً للإنسان وحماساً لكفاحه ، وثقة بمستقبله .

وبالإضافة إلى ما يتميز به هذا الشاعر من الأصالة الشعرية والإحساس الفنى المرهف ، والغزارة فى إعطاء إنتاجه الخصب ، ومن النضج ووضوح الرؤيا ، فهو من الذين لم يزداهم الاتجاه الشعرى الجديد إلا مقدرة فائقة على كتابة الشعر التقليدى ، وإعطائه هو الآخر آفاقاً جديدة فى مجال المضمون من ناحية وترباط البناء وجمال الأسلوب من ناحية أخرى .

بدأ على الرقيعى حياته الشعرية بداية عادية ، وكان يلامس القضايا التى عالجتها أشعاره ملامسة طفيفة ، يحس بها إحساس الإنسان العادى فى نطاق مدرسة شوقي وحافظ التى كان يمثلها المرحومان الشارف ورفيق المهودى .

وما أن برزت المدرسة الأدبية الجديدة فى الشرق العربى ووجدت طريقها إلى بلادنا فى أوائل سنة ١٩٥٥ من خلال سجلات : الآداب ، الثقافة الوطنية ، الرسالة الجديدة ، سواء فى روايات نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوى ، أو من أشعار نزار قباني وعبد الوهاب البياتى ،

(١) عن مجلة الرواد الليبية عدد أبريل ١٩٦٥ ، وراجع عنه ص ١٧٣ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى .

وفدوى طوقان.. وما إن برزت هذه المدرسة واستوى عودها حتى وجد على الرقيعى ضالته في الانضواء تحت لوائها.. يأخذ بأشكالها الفنية، ويتبنى محتواها الإنساني، حتى نحشى البعض على هذا الشاعر أن يبقى مجرد صدى لهذه الأصوات الكبيرة التي ملأت الأجواء الثقافية في الوطن العربي وخاصة عندما ظهر ديوانه الحنين الظامى سنة ١٩٥٨م. إلا أن الأيام أثبتت أن ارتباط الرقيعى بأعلام النهضة الأدبية إنما زاده إضاءات جديدة لثقافته، وساعده على التعبير عن واقعه الإجتماعى... ونشير هنا إلى إحدى قصائده الطويلة التى تزيد أبياتها على السبعين.. يقول فى مطلعها:

وطنى لغيرك ما انتميت ولم أكن إلا لواديك الخصب الأكرم
ولغير شعبك ما كتبت قصيدة وبغير ربك مطلقاً لم أغرم
ما زلت يا وطن الرجولة موثلاً للفاتحين وكعبة المقتحم

إن الإيمان بالمستقبل، والثقة به، ظاهرة عامة فى شعر الرقيعى حتى فى أشد اللحظات حزناً عند هذا الشاعر، وليس من شك أن ذلك لا يعيه على الإطلاق، فالتفاؤل ظاهرة الشعر الجديد، بل هو المضمون الحقيقى للحياة.

والرقيعى تتلمذ على مدرسة الشارف ورفيق المهدوى... والواقع أن الرقيعى على الرغم من اختلافه مع هذه المدرسة، ظل يحتفظ لرائديها بمكانة كبيرة، وحب لا حد له وعندما وافتهما المنية كانت مرثياته فيها من أجمل ما كتبه حولهما الشعراء الشباب.

فهو لا يرثى الشارف بأبيات مقفاة لا يربطها سوى بحر واحد وروى واحد، لكنه يدخل إلى المرحلة التى عبر فيها الشارف عن بعض المواقف، ويعطيه العهد بأن الشباب الجديد سيحمل الراية من بعده:

ونحن نرضى بحتف النفس نقبله وليس منا الذى للضيم ينهزم
وهو لا يصور وفاة الشاعر ووقع المصاب من خلال تهويمات عامة، ولكنه يصور تأثره وحزنه على الشارف من خلال القطاع العريض الذى يتبناه الرقيعى فى أشعاره، ويحتل الجزء الأكبر من وجدانه:

أبكىك ملء الروابي ملء قريننا ملء ابتسامات أطفال أحبهم
فدى ابتسامات أطفال بشارعنا أحبهم بهجة نشوى أحبهمو
يجرون يلهون في طيب وفي نزق أرنوهم كل يوم فرحة بهمو
ولعل الرقيعى ديوان الحنين الظامى وقد قدمه كامل حسن المقهور.

شعراء معاصرون آخرون

١ - في ليبيا اليوم نهضة شعرية كبيرة، ومنها طائفة كبيرة من الشعراء الممتازين المجيدين، وللجامعة الإسلامية في البيضاء والجامعة الليبية في بنغازى فضل في تأسيس قواعد النهضة الأدبية والشعرية المعاصرة.

ومن الشعراء المعاصرين: على سليمان الساحلى، وهو من الشعراء المقلين، عمل سفيراً لبلاده، وهو أديب مطبوع، ومن شعره قصيدة ذكرها محمد صادق عفيفى في كتابه «الشعر والشعراء في ليبيا» وعنوانها «شهيد كرامة» وهى فى الترحيب بالسنوسى عاھل البلاد، حين قدم من مصر إلى بلاده، ومنها:

يوم عظيم لا القرون تبيده أبداً، وليس له الزمان بمأحى
أنسى بلادى كل ما شهدت وما قاسته بين أسنة ورماح
حل الأمير بأرضها فتبلجت أنواره كتبلىج الإصباح^(١)

٢ - ومن الشعراء كذلك صالح أبو سدره، وله ماض فى الكفاح، وكان ملحقاً ثقافياً فى السفارة فى مصر، وعمل إلى الرمزية، وله قصيدة شطرها الشيخ عبد السلام عمران أحد خريجي الأزهر والمدرس بدرنة، ومن هذه القصيدة وتشطيرها:

قد سبت ناظرى وأذكت شعورى (زهرة بالرياض بين الزهور)
قال للظل غصنها حين وافى (صوحتها عواصف التدمير)

(١) ١٧٦ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

(أصبح الروض في شذاها خلياً) بساكيا حسنهما بدمع غزير
وبدا الروض في ثياب حداد عباس الوجه بعد طول السرور^(١)

٣ - ومن الشعراء المعاصرين: الشاعر محمد إبراهيم الهنقاري وهو من مواليد عام ١٩٠٦. ويعجب بالمتنبى وشوقي وحافظ والرصافي^(٢)، والشاعر الهادي «الصغير» بن عرفة وهو من مواليد عام ١٩١٠ ومن المعجبين بالبارودي والمتنبى ودرس بكلية اللغة العربية بالأزهر^(٣) الشريف، والهادي محمود أنديشه وهو من مواليد عام ١٩٠٨ وتخرج من الأزهر الشريف^(٤)، وعبد الرازق البشتي وهو من المتخرجين في الأزهر الشريف^(٥)، وعبد الغنى البشتي وهو من مواليد عام ١٩٠٩ ودرس في الأزهر الشريف^(٦).

٤ - ومن الشعراء أيضاً محمد بشير المغيرة^(٧)، وهو عصامي أديب وكاتب وشاعر، أثر الأعمال الحرة، وأنشأ له مكتبة في بني غازي، وله ديوان تحت الطبع، وقد ذكر له عفيفي باقة من أشعاره، منها قصيدة عنوانها «ذكرى عمر المختار»، ويقول منها:

ذكر تظل من الخلود كالبدر في ليل الوجود
ملأت قلوب المؤمنين بروعة الماضي المجيد
أيام كان الليث يزأر في مفاوز وبيد
يحمي العرين من الذين غزوه في الجمع العديد
أيام كان النسر يخطر في الوهاد وفي النجود^(٨)

(١) ١٧٥ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

(٢) ٢٣٠ و ٢٣١ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

(٣) ٢٥٠ و ٢٥١ المرجع.

(٤) ٢٥٢ و ٢٥٣ المرجع.

(٥) ٢٥٤ المرجع.

(٦) ٢١٦ - ٢١٩ المرجع.

(٧) رجع عنه ص ١٥٣ الحياة الأدبية في ليبيا للحاجري.

(٨) ص ١٧٧ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

وله نشيد العلم نظمه عام ١٩٤٣ لجيش التحرير الليبي^(١) ويلقبه
الأشهب بشاعر الشباب.

٥ - ومن الشعراء المعاصرين: صالح محمد الشنطة^(٢)، وهو من مواليد
عام ١٩١٧، وعلى محمد الديب صاحب جريدة (الليبي)^(٣)، وهو من مواليد
١٩٢٢، وعلى محمد الرفيعي وهو من مواليد عام ١٩٣٤ الذي يتأثر بالشابي
وشعراء المهجر^(٤)، ومحمد أحمد الطبولي وهو من مواليد عام ١٩١٤ في بني
وليد (ورقلة)^(٥)، ومحمد أمين الحافي من مواليد عام ١٩١٦ وقد تخرج من دار
العلوم في القاهرة وأسهم في إنشاء «النادي الثقافي الليبي» بالقاهرة، ويعجب
بالمثنبي وشوقي^(٦)، ومحمد عبدالله معتيق^(٧)، ومحمد ميلاد مبارك من مواليد
عام ١٩٢٢ في طرابلس^(٨)، وقد تأثر بالشاعر غنيم، وشعره رصين متين
الديباجة، ومحمود محمد المنتصر من مواليد مصراته عام ١٩١٥ وهو معجب
بالمثنبي وابن زيدون وشوقي والرصافي^(٩).

٦ - ومنهم كذلك مصطفى الطرابلسي، وقد ولد بדרنه عام ١٩٢٣،
والتحق بمدرسة ابتدائية إيطالية، ثم ترك الدراسة للكفاح في الحياة، ثم درس
على أيدي بعض الشيوخ ونجح في مسابقة للتدريس عام ١٩٤٦ عين بعدها
مدرساً، وله شعر مخطوط ذكر منه عفيفي في كتابه «الشعر والشعراء في ليبيا»
قصيدة عنوانها «صفا جوها»، منها:

وهم حاولوا بالأمس فل قناتنا فالفوا نبالا لا يرام لها كسر

(١) ٣٣٨ برقة العربية للأشهب.

(٢) ٢١٤ - ١١٦ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

(٣) ٢٢٤ - ٢٢٦ المرجع.

(٤) ٢٢٧ - ٢٢٩ المرجع.

(٥) ٢٣٢ المرجع.

(٦) ٢٣٦ - ٢٣٨ المرجع.

(٧) ٢٣٩ المرجع.

(٨) ٢٤٢ و ٢٤٣ المرجع.

(٩) ٢٤٤ و ٢٤٥ المرجع.

يريدون تقسيم البلاد شراصة فهذا له ثلث وذاك له شطر
تحدثهم أطماعهم باقتناصنا كأن لم يكن بالغاب ليث ولا صقر
فسحقا بني الأطماع خاب رجاؤكم فليس لكم في أرض أوطاننا شبر^(١)

٧- ومنهم كذلك سليمان محمد تريح؛ وقد ولد في الاسكندرية عام ١٩٣٢ من أب ليلى مهاجر وأم مصرية، تلقى تعليمه في مصر، وعاد إلى وطنه قبيل الحرب العالمية الثانية واستقر بدرنة، وفي الحرب تركها إلى الجبل الأخضر، ثم عاد إلى درنة، وتعلم فيها في المدرسة الثانوية، ثم ترك المدرسة، يكافح في الحياة، وعمل في بعض الوظائف، أمينا لمكتبة بنيغازي، ثم لمكتبة الجامعة الليبية. . وله ديوان مخطوط. . ومن شعره من قصيدة له عنوانها عروس أحلامي:

تلاشي ليل أوهامي	ولاحت بنت أحلامي
عروس تسحر الدنيا	بأضواء وأنسام
مشيت من دها سكري	فدب السكر في جامي
تمر وليس يبصرها	سوى المترفع السامي
تراءت في مخيلتي	فكانت سر إلهامي
وقرت بين أضلاعي	فأحيت قلبي الدامي
وشاعت بين أوصالي	فكانت روح إقدامي
هي الحرية المثلى	لمن لوصالها ظامي ^(٢)

٨- ومنهم أيضاً حسين الغنای، وهو من مواليد بنيغازي عام ١٩٢١، درس في المدارس المدنية، وكانت مناهج التعليم فيها إيطالية، وأجاد الإنجليزية والإيطالية. وتقلب في وظائف الدولة بعد الاستقلال؛ وقرأ في

(١) ١٨٤ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيض.

(٢) ١٧٢ - ١٧٤ الشعر والشعراء في ليبيا، وراجع عن الشاعر ص ١٦٩ الحياة الأدبية في ليبيا للحاجري.

دواوين الشعراء القدماء والمحدثين والمعاصرين، وأعجب بأبي ريشة من بين المعاصرين إعجاباً شديداً، وله ديوان مخطوط... ومن شعره من قصيدة عنوانها «الحقل»:

الماء ينطق بالخرير والطير يشدو بالصفير
والزنبق الريان ينج طر غصنه فوق الغدير
نشوان دغدغه النس يم فهام من فرط العير
والزهر أبدع في التبر ج والتحجب والسفور
ما بين أصفر فاقع لونا وأحمر كالثفور^(١)

٩- وكذلك من المعاصرين رجب مفتاح الماجري^(٢)، وقد نشأ يتيماً، وكافح حتى نال ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٥٦، وعين وكيلاً للنائب العام في بنيغازي... وله ديوان مخطوط، لم ينشر بعد، وقد قرأ دواوين الشعراء المعاصرين، وتأثر من بينهم بحافظ وعلى محمود طه وعمر أبي ريشة ورفيق المهدوي وإبراهيم الأسطى عمر... ومن شعره من قصيدته «عذبيني»:

أنا لا أحيا على الأحلام والصوت الحنون
إنما أحيا على الآلام والوجد الدفين
إنها درب حياتي إنها رجع لحون
عشت في الشوك وللورد اشتياقي وحنيني
فلذا يا «دولتي» أعلنت حبي اعذريني
أنا في دنياي كالفكرة في وادي الظنون
قلق كالزورق التائه، كالطير السجين
ها هو القلب على كفى خذيه ودعيني^(٣)

(١) راجع ١٦٦ - ١٦٧ الشعر والشعراء في ليبيا - محمد صادق عفيفي - طبع القاهرة ١٩٥٧ م.

(٢) ١٦٩ - ١٧١ الشعر والشعراء في ليبيا - لعفيفي، ص ١٦٥ الحياة الأدبية في ليبيا للماجري.

(٣) ١٦٩ - ١٧١ الشعر والشعراء في ليبيا - لعفيفي، ص ١٦٥ الحياة الأدبية في ليبيا للماجري.

١٠ - ومن الشعراء كذلك الشاعر عبد السلام أبو هديمة، وقد ولد في امدينة بنيغازي نحو عام ١٨٦٠، وتوفي عام ١٨٩٣ - ١٣١١ هـ، وهو أديب شاعر، نال شهرة أدبية كبيرة وشعره قليل وغير مطبوع^(١).

١١ - ومن الشعراء المعاصرين:

١ - حسن أحمد السنوسي في الحلقة الرابعة من عمره تلقى دراسته في مصر في مدارسها وفي الأزهر الشريف، واشتغل بالتدريس بعد عودته إلى وطنه إثر تحريره من الحكم الإيطالي^(٢)، وقد ظهر له ديوان الركب التائه.

ومن شعره قصيدته «حديث الجبل الأخضر في عيد الاستقلال» وفيها يجعل الجبل الأخضر ينطق فينقلنا إلى الماضي السحيق في رحلة عبر التاريخ وفي خلال ذلك يتوقف لحظات يشير فيها إلى مواطن الجمال فيه من حيث روعة طبيعته وجمال مدنه:

أنا مهد الندى وترب المعالي	منذ أن كنت في قديم الليالي
نبئت دوحة العلا في سفوحى	ومشى موكب الهوى في ظلالى
فعلى التضحيات عودت أسدى	وعلى البذل نشئت أبطالى
أنا سافر من المواعظ يتلى	وعرين، وقلعة للمعالى
قف تمهل إذا مشيت بأرضى	واملا النفس بهجة من جمالى
وخذ الأمن من برائن ليثى	وخذ الحذر من عيون غزالى
حيثما مرت لا ترى غير حسن	عبقرى النسج فذ المثال
في الغدير الرقراق في الغابة	اللفاء في المنحنى، وفي الشلال
هل «المرجى» الخصب أو درى	«البيضاء أو «ماسقى» ترى من مثال

(١) راجع ص ٨١ الحياة الأدبية في ليبيا للحاجرى، والعدد الأول من مجلة ليبيا من مقال بقلم محمد بن عامر.

(٢) راجع في مجلة الرواد الليبية عدد إبريل ١٩٦٥ ص ٩٦ دراسة عنه بقلم الشاعر راشد الزبير السنوسى.

أو «كشحات، كسوسة» مأوى لهزبر، ومسرح لفزال
هل رأيتم «كقبة» المجد حسنا أو «كالاثرون» أو «كرأس الهلال»
أو «كدرنا» وجنة الأرض «درنا» بين ماء وخضرة ودوالي

١٢ - ومن الشعراء: عبد ربه الغنای، وهو من مواليد ٣٠ ديسمبر ١٩٢٠، وتعلم في المدارس الإيطالية، ثم التحق بالأزهر عام ١٩٣٨، وأخذ ينظم الشعر ويكتب القصة والمسرحية والمقالة الصحفية، وقرأ للعقاد والمازني وتوفيق الحكيم وتيمور وزكي مبارك وتأثر بهم، والتحق بالمعهد العالي للسينما والمسرح بالقاهرة، وكان من أساتذته فيه دريني خشبة، ومسرحيته الشعرية «عودة البطل» فازت بجائزة وزارة الإرشاد في ليبيا، واشتغل بالصحافة والمحاماة، وهو يتأثر بامرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة والمتنبي والمعري، وبشوقي وحافظ والزهاوي ومحمود غنيم وأبو ريشة وإيليا أبو ماضي وبأحمد رفيق المهدوي ولم يطبع له ديوان بعد.

١٣ - ومن الدواوين الجديدة التي نالت تقدير الأدباء: قيثارة الخلود للشاعر راشد الزبير السنوسي، ويحتوي على شعر وطني وآخر عاطفي مع بعض النماذج للشعر القصصي والرمزي وللإخوانيات.

وأخيراً فإن الشعر الليبي المعاصر اليوم يتأثر خطى الآداب العربية في مصر وسوريا والعراق ولبنان، وخطى شعراء المهجر، ويبرز تأثره بمدرسة أبولو واضحاً في شعر إبراهيم الأسطى عمر ورفيق، ثم في شعر بعض الشعراء المعاصرين مثل: علي صدقي عبد القادر وعلي الرقيعي.

ومن الشعراء المعاصرين حسن صالح وخالد زغبية وراشد الزبير السنوسي^(١) وعبد المولى البغدادي^(٢).

(١) له ديوانان هما: قيثارة الخلود، والنغم الخائر.

(٢) في مجلة الإذاعة الليبية عدد أول يونيو ١٩٦٨ مقال عن التجريد في الشعر الليبي بقلم «نجم الدين غالب السكيب».

الباب الثاني

الآداب العربية

في دول المغرب العربي

الفصل الاول

الآداب الحديثة في دول المغرب العربي

١ - استقلت بلاد المغرب العربي: ليبيا - تونس - الجزائر - مراکش بعد احتلال طويل^(١)، واستقلت ليبيا عام ١٩٥١ م.

وإذا كان رفاة الطهطاوي في مصر سبق الاحتلال وأثر تأثيراً مباشراً في الفكر المصري الحديث وتلاه الأفغانى والإمام محمد عبده بحركتهما الإسلامية، فإن الشيخ محمد قبادو في تونس صنع صنيعة، فقد مهد للاتصال بالفكر الأوربي، وحذا حذوه محمد بيرم وخير الدين باشا والشيخ الطاهر بن عاشور؛ وكانت مجلة الرائد التونسي (أنشئت عام ١٨٦١) تماثل في مصر مجلة الوقائع

(١) احتلت إيطاليا ليبيا نحو ثلث قرن (١٩١١ - ١٩٤٣)، واحتلت فرنسا باقى دول الغرب العربى أمداً طويلاً، الجزائر (١٨٣٠ - ١٩٦٢)، وتونس (١٨٨١ - ١٩٥٧) والمغرب (١٩١٢ - ١٩٥٣)، ومصر نفسها احتلت احتلالاً إنجليزياً طويلاً (١٨٨٢ - ١٩٥٤). وقد حكم ليبيا منذ الفتح الإسلامى عدة دول تجدها في هذا الكتاب، وحكمت تونس والجزائر كذلك دول عدة من أشهرها الأغالية والفاطميون والصنهاجيون والحفصيون والأتراك العثمانيون والمحتلون الأوروبيون؛ وحكمت مراکش دول عدة من أشهرها:

الآدارسة ٧٨٨ - ٩٧٤ م

الفاطميون

المرابطون ١٠٥٣ - ١١٤٧ م

الموحدون ١١٢٥ - ١٢٤٨ م

المريونيون ١٢٦٩ - ١٤٦٥ م

السعديون ١٥٤٩ - ١٦٥٤ م

العلويون ١٦٦٠ حتى اليوم

المصرية (أنشئت ١٨٢٨) وقامت في تونس المدرسة الصادقية (أنشئت عام ١٨٧٦) التي كانت تدرس فيها العلوم العصرية واللغات الأوروبية.

٢ - والمناخ الثقافية لدول المغرب العربي في العصر الحديث كانت هي الثقافة العربية الإسلامية وثقافات أوروبا التي أذاعها الاستعمار بكل ما لديه من وسائل.

كان هناك^(١) رقد قوامه فكر أوروي غربي معرب، استقى من المصدر وصبغ بقالب عربي. فيه العلم وفيه الأدب البحت وفيه الفلسفة، تحملها كتب ومجلات من مشرق العالم العربي إلى مغربه، من مصر ولبنان؛ على أن الرافد الشرقي لم يقتصر على العلم الغربي المعرب، والنظريات الأوروبية وقد صاغها كتاب ناطقون بالضاد، بل كان ثمة فكر إسلامي بحت؛ إسلامي من حيث إنه كان يعالج القضايا الإسلامية من حيث تجديد نظرتها وتطوير أسلوبها وتفحص موقعها من التطورات الأخيرة والتعرف إلى ماذا يجب أن يكون أثرها في حياة المسلمين، وأهم هذه القضايا هي قضية إصلاح المجتمع الإسلامي وتطويره في إطار الدين الإسلامي الروحي والفكري دون تجاهل ما كان العالم الآخر قد توصل إليه؛ هذه الاتجاهات المشرفة الإسلامية كانت قد وصلت من قبل سلفية بحتة، ثم وصلت المغرب العربي، وتونس على الخصوص، على النحو الذي اختطته الإمام محمد عبده، من وجوب التوفيق بين الإسلام والعلم الحديث الصحيح.

أما الرافد العربي الحضاري الحديث، وهو الذي أخذه أهل المشرق عن أوروبة؛ ثم كتبوه باللغة العربية فقد انتقل إلى المغرب العربي من طرابلس الغرب إلى مراكش، فأنت واجد عدداً كبيراً من القراء هناك ممن كانت تصلهم أعداد الهلال والمقتطف والمؤيد وغيرها بانتظام، فكانوا يطالعون عن طريقها وطريق غيرها نتاج الأفكار وجميل المقالات ومختار الشعر والأبحاث

(١) ص ١٤ مجلة الكتاب العراقية عدد مارس ١٩٦٥ - من مقال للدكتور نقولا زيادة:

التاريخية والعلمية، يضاف إلى ذلك فئة من شباب المغرب العربي شردوا عن بلادهم على أيدي المغتصبين، واتخذوا من ديار المشرق - مصر وفلسطين ولبنان وسورية - مواطن هجرة، وهناك اتصلوا بالحركة العلمية فيها، ودرسوا في جامعاتها، فلما عادوا إلى الوطن حملوا معهم علماً ومعرفة.

وأما الرافد الإسلامي الإصلاحى فقد انتقل إلى تلك الديار عبر العروة الوثقى التي حررها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس، ومع مجلة المنار، التى كان يصدرها السيد رشيد رضا فى القاهرة، على أن وسائل أخرى كان لها من التأثير قدر هذا وأكثر، فمنها أولئك الذين طلبوا العلم فى القرويين والزيتونة والأزهر، وخاصة المعهدين الأخيرين، إذ كان طلبة العلم فيها يعرفون المحاولات التى كانت تقوم لإصلاح الأمور شكلاً وجوهراً. فكانوا إذا عادوا إلى بلادهم حملوا معهم هذه البذور، والسلفية المغربية، مع تأثيرها بحركات أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وصلت ثلاثتها الأولى فى واقع الأمر فى أوائل القرن الماضى إذ نقلها الحجاج والرسل والعلماء من الحجاز إلى المغرب، إثر ظهور الدعوة الوهابية وامتدادها إلى الحجاز.

ومن الصعب أن يفرق الباحث بين الرافدين العربى والإسلامى، فكلاهما استعمل اللغة العربية، وكلاهما قام فى ديار العرب المشاركة، وكلاهما يمثل ناحية من نواحي اليقظة الحديثة فى العالم العربى.

أما الرافد الغربى، فقد كانت الأبواب مفتحة له على مصراعيها، إذ إن السلطات الحاكمة كانت تدعمه وتفرضه فى غالب الأحوال؛ وهذا الرافد جاء المغرب العربى عن طريق المدرسة الفرنسية والإيطالية، والكتاب والمجلة والإذاعة والمعلم والجامعة الفرنسية والإيطالية؛ والمدرسة الفرنسية كانت إيجابية: فقد علمت أبناء المغرب والجزائر وتونس اللغة الفرنسية، وحببت إليهم الأدب الفرنسى، وأدخلت عقولهم إلى حرم الثقافة الفرنسية. فصاروا يفكرون فرنسياً ويعبرون عن آرائهم وشعورهم وعواطفهم فرنسياً، وبطبيعة الحال كان لها أثر سلبى لأنها لم تعلم العربية ولم تعن بالثقافة العربية أو الفكر

الإسلامي، وكان الأثران، الإيجابي والسلبي، أقوى في الجزائر منه في القطرين الآخرين.

وإن كانت المدرسة الفرنسية لم تصل إلى الجميع، ولذلك فالأمية كانت واسعة الانتشار بين فئات كبيرة من السكان حتى بعد سنوات طويلة من الحكم الفرنسي.

أما المدرسة الإيطالية فقد كانت أقل أثراً من الفرنسية. لقد علمت من الإيطالية لغة تصلح للتخاطب، ولم تفعل أكثر من ذلك، فلا هي حبيت الناس إلى الأدب الإيطالي، ولا هي فتحت أمام القوم آفاق الفكر الغربي، ولا هي أوجدت طبقة مثقفة ثقافة إيطالية رفيعة؛ وكانت جامعات فرنسا مفتوحة أمام المغاربة. أما إيطاليا فلم تتح هذه الفرص للشعب الليبي، فالذين تابعوا دراستهم العالية في جامعات إيطالية يعدون على الأصابع.

٣- وفي عام ١٩٢٩ أنشأ الشيخ عبد الحميد بن باديس، بالمشاركة مع إخوانه وأبنائه من المشتغلين بالحركة العلمية في القطر الجزائري «جمعية العلماء المسلمين بالجزائر» والشيخ ابن باديس عربي، جزائري زيتوني، يمثل في حياته وعمله ومثله خلاصة أمان الأمة الجزائرية وصفوة القائلين بالدعوة الإسلامية دعا الناس إلى العودة إلى صحيح الإسلام، وحملهم على «سلفية» تلك الأيام. أسر الناس بفضله، وكسبهم برحابة عقله. عمل لأمته، فوحد جهود العاملين معه، وكان لهم نبراساً.

وقد دعا إلى نبذ الخرافات والعودة بالدين إلى جوهره، وأهاب بالناس أن يذكروا اللغة العربية بالخير. وكان في صميم هاتين الدعوتين تقوية للشعور بالشخصية الجزائرية. وهذه الدعوة كانت روحية اجتماعية في وسائلها، لكنها كانت في صميم الحياة السياسية هناك. ذلك أنها تتعارض تماماً مع وجهة النظر الرسمية للسياسية الفرنسية. من هنا جاءت نقمة السلطات على جمعية العلماء المسلمين؛ ولكن ابن باديس وصحبه وحملته لوائه من بعده حاولوا أن يكون اتصالهم بالشئون السياسية اتصالاً فردياً شخصياً، فيصيبهم الأذى في

نفوسهم، وتظل المؤسسة قائمة.

وكانت «الشهاب» الأسبوعية جريدة ابن باديس والجمعية، تنطق بلسانهم، وقد مرت الجمعية في الجزائر بثلاثة أدوار: الأول قارعت فيه ضعفة المسلمين وأتباع الخرافات بالحجة، فبينت خطاهم. الدور الثاني بدأ عام ١٩٣٩ وهو دور بناء، لكن نكسة الحرب أوقفته، حتى جاء الدور الثالث وهو دور العودة إلى إنشاء المدارس والعناية بالتعليم. ومع ذلك فليس هذا وحده هو الذى توليه الجمعية اهتمامها، ولكن هذا أبرز نواحي جهادها. وقد تولى رئاسة الجمعية بعد ابن باديس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عام ١٩٤١، وقد توفى بعد استقلال الجزائر بسنوات وذلك في أول سبتمبر ١٩٦٥، وأبنته فى المجمع اللغوى بالقاهرة د. إبراهيم مذكور فى ١٩/١٠/١٩٦٥ م.

وكانت «البصائر» هى الجريدة العربية الوحيدة فى الجزائر وهى أسبوعية تصدر فى ثمانى صفحات، وهى لسان حال جمعية العلماء المسلمين بالجزائر؛ وفى ليبيا قامت مجلة عمر المختار، وليبيا المصورة؛ وفى تونس المجلة الزيتونية.

٤ - على أن المجال الذى كان فيه نشاط الفكر والأدب فى المغرب العربى كبيراً هو المجال التعليمى. والظاهرة الأولى لهذا النشاط هو التوسع فى التعليم فى مرحلتيه الابتدائية والثانوية، خاصة فى ليبيا أولى أقطار المغرب العربى نيلاً للاستقلال. فالذى يتابع هذا التطور العدى يتسنى له إدراك مدى اهتمام الدولة، من جهة، وتحمس الشعب الليبى، من جهة أخرى، لهذه القضية والأمر واضح أيضاً بالنسبة إلى المغرب وتونس. أما الجزائر فهى على عتبة النهوض بأعباء هذه المهمة.

أنشأت ليبيا الجامعة الليبية التى تشمل كلية الآداب والتربية وكلية التجارة فى بنغازى وكلية العلوم التطبيقية فى طرابلس الغرب ورفعت مستوى دور المعلمين والمعلمات بحيث أصبحت هذه على مستوى عال يعد اللازم من المعلمين والمعلمات للمدارس الليبية العلمية المهنية والزراعية. وأنشأت كذلك «جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية» فى البيضاء وهذا المعهد

الذى هو تنويع لسلسلة من العمل الاسلامى عبر العصور فى ليبيا هو الذى سيرقى بالدراسات الإسلامية إلى المستوى اللائق به فى بلد له فى الحركات الإسلامية الإصلاحية فى القرن الماضى يد طويل.

وفى تونس قامت الجامعة التونسية بهمة البلاد وبعناية الحكومة، وهذه كلياتها العلمية والأدبية، أما جامعة الزيتونة فقد أصبحت كلية الشريعة فى الجامعة التونسية.

وأخذ المغرب فى تنظيم جامعاته بحيث يقوم بسد النقص الذى عانته تلك البلاد أثناء الحماية عليها. وهذه جامعة محمد الخامس فى الرباط - وهى أولى جامعات المغرب التى تم لها حظ العمل المنظم - تسير فى الطليعة. وستلحق بها جامعة ابن يوسف فى مراكش وغيرها من مدن المغرب الكبرى؛ وجامعة القرويين تحتل مكانها فى هذا الموكب الجامعى، بحيث تقوم كالزيتونة بواجبها فى تمكين المغرب من اللحاق السريع بالركب العالمى الحضارى.

وكان للجزائر جامعة من قبل، ولكنها تعطلت أيام الثورة، ثم أشعلت النار بمكتبتها فى تلك الأثناء تعطيلاً ونكاية بأهل البلاد. وها هى الآن - الجامعة ومكتبتها - موضع اهتمام رجال التربية، وسوف تعود الجامعة سيرتها الأولى فى خدمة الجزائريين ولمصلحتهم، لا لمصلحة الأقلية الفرنسية التى كانت هناك.

٥ - ويمكن القول إجمالاً بأن تونس والجزائر تأثرتا بالرافد الغربى تأثراً أكثر من كل من المغرب وليبيا، فالثقافة الغربية نقلت معها إلى تلك الديار العلم الغربى، وكانت نظراتها إلى المجتمع نظرة مدنية؛ ولما آذن الوقت بانتعاش الحركات الفكرية والروحية بين المسلمين فى الجزائر، اتخذت هذه الحركات صفة سلفية قوية، ومحافظة على كل شىء فى الإسلام وإحيائه. فإذا كانت السياسة ترمى إلى القضاء على اللغة العربية والإسلام، فمقاومتها تقضى بالتشدد فى الحفاظ على العروبة والإسلام، وفى هذا ما يوضح المحافظة القوية التى كانت تتسم بها الحركة فى الجزائر «فقد نجحت الجمعية فى أمرين: توجيه الأمة نحو العروبة ونحو الشرق».

أما ليبيا والمغرب فقد كان تقبلها للثقافة الغربية أقل نسبياً، بسبب قصر المدة، والتفاعل الداخلى فيها كان أقوى. فالسنوسية فى الأولى والحركة السلفية فى الثانية، حملتا الناس على التفكير فى أمور دينهم ودنياهم، وإعداد أنفسهم لنواح فى الإصلاح الإسلامى فيها الكثير من المحافظة والإحياء وليس المقصود من هذا أن تونس والجزائر لم تعرفا حركات إصلاحية إسلامية، أو أن القطرين الآخرين لم يهتما بالعلم والتطور الفكرى العلمى، ولكن القضية كانت قضية ترجيح.

٦ - أما الأدب من حيث هو سبيل للتعبير عن التفاعل الذاتى والقومى وثوران العاطفة وخفقات النفس وخلجات الضمير، فإن الصفة الغالبة عليه إلى وقت قريب، كانت هى صفة التقليد والمحافظة. فالشعر ظل محتفظاً بعموديته، والنثر على إشراق ديباجته فى كثير من الأحيان، ظل يرسف فى شىء، من قيد السجع.

وقد ظلت اللغة العربية حية، وهى فى المغرب وتونس أنشط منها فى الجزائر، بفضل القرويين والزيتونة، وفى ليبيا ظل منها قبس مضىء فى هذه الزوايا التى أقامتها السنوسية فى نواح مختلفة من البلاد، فكانت معاقل للتعليم واللغة؛ ولذلك لما أتيح للقلم أن ينطلق من عقاله، وجد لغة حية، تستطيع أن تحمل المعنى وتتضمن الفكرة وتعبر عن الخلجة. على أن الأدباء فى المغرب العربى قد أفادوا من تجربة المشاركة، فاتبعوا خطواتهم فى سيرهم، وقرأوا ما كتبوا أو ما نظموا وما ترجموا، ونقلوا عنهم تعابير جديدة واقتبسوا عنهم الأساليب الجديدة... كما قرأوا لمدرسة المهجر منذ العقد الثالث من القرن الحالى، وتأثروا بها كذلك، وخاصة باتجاهاتها فى التجديد.

وفى الأدب المغربى عناية بالماضى وأمجاده ترى هذا فى الشعر الذى نظمه العربى الكبادى وأحمد رفيق المهدوى وسلمان البارونى وعلال الفاسى ومحمد العيد، كما تجده فى كتابات الطيب الأشهب والشاذلى النيفر ومحمد البشير الإبراهيمى والكتانى وعبدالله كنون والفاضل بن عاشور وغيرهم. يكتبون

وينظمون ليصروا الخلف بمآثر السلف، وليحيوا التراث العربي الإسلامي،
وليثيروا حية الناس في الدفاع عنه، والتمثيل بما فيه من قوة وقيم.

والأدب هناك فيه صور الجهاد في سبيل الاستقلال، ورائحة النجمة على
الأوضاع التي كانت سائدة هناك والتي خلفها الاستعمار، لكن الأدب الأحدث
عهداً هو أدب فترة الاستقلال: فيه محاولة الأدباء للتعرف إلى الذات المستقلة؛
والشعر في المغرب العربي يدور حول أمرين: أولهما الثورة والرغبة في الحرية
والتغنى بالاستقلال، والثاني هو قضية القديم والجديد أو المحافظة والتجديد.
فبينما نجد الشعراء ينشدون قصائدهم دفاعاً عن الوطن، وتمجيداً للحرية
والاستقلال، نجدهم يقومون بمعارك حول الشعر العمودي والشعر الجديد.

والشعر في المغرب وفي الجزائر ألصق بالصيغة وأبعد عن أساليب
التجديد العنيفة منه في تونس، ولعل المغرب والجزائر كانا أعلق بذلك بسبب
حركات الأحياء التي قامت في القطر الأول، على أننا نلتبس هنا وهناك
محاولات للتجديد، فهناك تجديد من حيث المحتوى والمعنى، ولعل أبا القاسم
الشابي ومحمد العيد وأحمد رفيق المهدوي في طليعة هؤلاء الذين غنوا على أوتار
الماضي أنغاماً جديدة؛ أما من حيث التجديد في المبنى فهناك محسن بن حميدة
ومصطفى الحبيب بحري والشاذلي زوكار ومحمد العربي صمادح ومصطفى بن
زكري. على أن التجربة الشعرية، عند هذا النفر، لا تزال كما يقول الشعراء
من المشاركة فجّة ينقصها العمق والاتساع.

٧ - والمقالة هي من أهم الألوان الأدبية الجديدة لم تتخذ بعد شكل العمل
الفني، بحيث تنقد أو تقيم كذلك، ومن هنا كانت المقالة السياسية أقوى
وأنفذ من غيرها، لأنها عولجت مدة أطول، وعبرت عن مجالات أوسع
وألصق بالناس، وثمة فئة من كتاب المغرب العربي حذقوا كتابة المقال
السياسي نذكر منهم على سبيل المثال علال الفاسي والشيخ الإبراهيمي
البشير وأحمد توفيق المدني. وبين كتاب المقالة، من ينتقلون من نوع إلى
نوع آخر فيجيدون في الاثنين، فأحمد توفيق المدني كان يجيد كتابة المقال

التاريخي، كما يجيد كتابة المقال السياسي، ومنهم من لا يلتفت إلى المقال السياسي، فيقصر همه على ناحية أخرى، فمحجوب بن ميلاد يكتب المقالة العلمية الجيدة، وكان المرحوم محمد فريد غازی يعنى بالمقالة التاريخية، وعبد الله كنون يكتب مقالاته الأدبية محتفلاً.

٨ - ولا تزال القصة والأقصوصة في أول السلم في ديار المغرب العربي، ولم يبلغ كتابها هناك ما بلغه كتابها في المشرق العربي عدداً أو كماً أو كيفاً. ولحمود المسعدى قصة كتبت قبل سنوات اسمها السد، هي واحدة من هذه القصص الرمزية القوية، التي تعبر عن شخصية موعلة في التعمق، مالكة لخاصية اللغة، مغرمة بتقصي خلجات النفس البشرية، قادرة على رسم الصور القلمية الجيدة، ماهرة في التلاعب بالأسلوب ليتفق مع الفكرة، فيغمض أينما غمضت، ويتضح حيثما تتضح. أما قصة برق الليل للبشير خريف، ووزير غرناطة للهادي أبي طالب، وغومة بطل الصحراء لمصطفى المصراقي، فهي قصص تنتزع موضوعها من تاريخ البلاد نفسها، وفيها تشوق إلى التعرف إلى هذا التاريخ.

والأقصوصة آخذة في احتلال المكان اللائق بها، وتجد صوراً لها فيما تنشره مجلة الفكر التونسية وفي المجموعة التي ألحقها الصادق عفيفي بدراسته عن تطور القصة القصيرة في الأدب المغربي وفي أقاصيص أحمد رضا حوحو في مجموعته نماذج بشرية، وفي مجلة الرواد الليبية وغيرها.

وإدريس الشراي يحزنه ما كان عليه الجزائريون الذين هجروا بلادهم إلى فرنسا، يخشى الواحد منهم أن يسرق متاعه القليل أو أن يدوسه أحد الجيران إذ جاء المكان للنوم والمكان في ظلام. أكلوا ليوفروا بعض الشيء للأهل الذين خلفوا وراءهم. هذه الأمور كلها، وما يرافقها من مرارة وألم وحرقة وتشوق وحقد ومرض وفترات من الابتسامة أو حتى السرور، يعالجها ويعالج أحوالهم وحياتهم في قصته «التيوس»، وقد عاش الكثير منها ولذلك فهو يكتب عن تجربة واختبار.

ويعتبر محمد ديب في طليعة الكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، وأذيع مؤلفاته صيناً ثلاثية البيت الكبير والحريق والنوال (أو الغزالة كما يسميها أصدقاؤنا في المغرب العربي) وفي هذه القصص الثلاث يعرض محمد ديب للحياة الجزائرية كما عرفها وخبرها. ويصف بؤس الفقراء، وقد كانوا أكثرية السكان في تلك البلاد، ويصف آلامهم وشقاءهم ومحمد ديب لا يترك صغيرة ولا كبيرة مما يحول بخاطر الفقير المحروم إلا ويسجلها، ويتغلغل في نفوس هؤلاء الناس ويطل على أحاسيسهم فيصفها بواقعية صريحة، ومن كتبه: الصيف الإفريقي الذي تنبأ فيه بوقوع الثورة الجزائرية.

وعمد مولود فرعون إلى قصة عامر الفتى الجزائري الذي تزوج فرنسية النشأة وإن كان أبوها جزائرياً (وأما فرنسية) ثم حملها لتعيش في بلده بين نساء قريته وهذه القصة إسمها «الأرض والدماء»؛ وله قصة أخرى هي «ابن الفقير» وقد قصد مولود فرعون دراسة اجتماعية لفئة من الشعب الجزائري، وأراد من كتابته إيقاظ الوعي عند الذين يقرأون كتبه، أملاً في أن يحس الناس بوجوب القيام بعمل حاسم.

وثمة كاتب رمزي وضع «الجثة المطوقة» و «نجمة» وهو كاتب ياسين، والجثة المطوقة بأوزار حملتها هي الجزائر أما نجمة ففيها رمزية شديدة.

و«التل المنسي» و«نوم الرجل العادل» من وضع مولود معمري قصتان ترميان إلى تحليل الشخصية الجزائرية لتوضيحها إلى غير أبناء البلاد بشكل خاص: الأصول التي تقوم عليها، والعناصر التي تكونها، وارتباطها بالماضي الإسلامي العربي، وحتى ما قبل ذلك، وجذورها المتصلة بترية البلاد واستقلال هذه الشخصية عن العناصر الطارئة عليها وامتناعها عن الاندماج بها، ولو أنها لا تمنع في الافادة من تجديدات الآخرين وتجاربهم، ومولود معمري يلمح إلى القلق الذي يشعر به الجزائري. لكن القلق يظهر بشكل أوضح في قصة «رصيف الزهور» التي وضعها مالك حداد. فأبطال هذه القصة - الجزائريين منهم - تتمزقهم نزعات مختلفة وتتقاسمهم أهواء متباينة، بسبب تعرضهم - جهلة ومتعلمين - إلى تيارات متناقضة فيها القديم المتشدد في

المحافظة، وفيها الحديث المغرق في التجدد. والشاب والشابة يحاران في الاتجاه الذي يجب أن يلحقا به، وتأتي الثورة لتزيد قلقهم قلقاً واضطرابهم اضطراباً، ومالك حداد تعنو له اللغة فيعبر عن كل هذا بيسر وبساطة، ومالك شاعر له دواوين شعرية مطبوعة.

وقبيل قيام الثورة الجزائرية الكبرى نشر هنري كريا مسرحية «الزلازل» وهي قصة مدينة من الأصنام كانت قائمة بحيث لا يشك أحد في أنها ستظل كذلك، ولكن زلزالاً يثور بها فيدكها، ويرى الكثيرون أن هذه المدينة هي رمز للحكم الفرنسي في الجزائر، وأن الزلازل الذي يدمرها هو ما كانت تعتمل به نفوس الجزائريين من حنق على أولئك الذين استبدوا بهم، فإذا كانت قصة الصيف الإفريقي (لمحمد ديب): تنبأ بوقوع الثورة، فإن الزلازل شعور بأن الثورة آتية، وإحساس بما سترتب على مجيئها من أثر في هدم هذا الكيان السياسي.

ولأسيا جبار قصة العالم الجديد وقد صورت فيها دخول المرأة عالم العمل الجدي إلى جانب الرجل.

٩- والشعر الحديث في الجزائر يمثل الثورة والإرادة الحرة، ومقاومة الاستعمار، يقول ابن باديس في قصيدته «شعب الجزائر»:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال: حاد عن أصله أو قال: مات فقد كذب

وكتب لهذه القصيدة أن تنتشر في طول البلاد وعرضها إذ وجد فيها الشعب التعبير الصادق عن تمسكه بعقيدته الدينية الإسلامية العربية، وفيها يقول:

من كان يبغى ودنا فله الكرامة والرحب
أو كان يبغى ذلنا فله المهانة والحرب
يا نشء انت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخذ الخطوب ولا تهب

وينهى الشاعر قصيدته بهذا البيت المفعم بالأحاسيس وبالروح الوطنية:

فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب

وكذلك ملأ محمد العيد آل خليفة الجزائر بأهات شعبه وأنات أمته العربية، ويعتبر شعره وثيقة تاريخية مهمة لكل باحث عن الحركات الوطنية الجزائرية.

فعندما رأى المhapلة فى السياسة الفرنسية وموقفها من قضية شعبه، نبه شعبه الحر إلى ما يحيط به من أخطار وخاطبه قائلاً:

فقم يا ابن البلاد اليوم وانفض بلا كسل فقد طال الرقود
وقل يا ابن البلاد لكل لص تجلى الصبح وانتبه الرقود
فخض يا ابن الجزائر فى المنايا تظلللك البنود أو اللعود
باخلاص وإقدام وعلم يسود على البرية من يسود

وفى سنة ١٩٣٧ أجرت فرنسا انتخابات فى الجزائر لإدخال المنتخبين إلى البرلمان الفرنسى وقد أطلق هؤلاء النواب على أنفسهم - جبهة الشعب - فيصرخ فى وجه هؤلاء المزيفين فيقول:

فيا جبهة الشعب أين الحقوق فإن الرعاية لها يرقبون
وقولى لباريس ما فى الشمال سوى أمة لم تشأ أن تهون
وما فى الجزائر إلا نوائب يجرى بها الدهر كالمنجنون

ويدعو إلى الثورة ضد الاحتلال الفرنسى فيقول:

الشعب ضج من المظالم فانشدوا حرية تحميه واستقلالاً
لا أمن إلا فى ظلال مرفرف حرلنا عال ينير سبيلنا

ويستمر الشاعر فى ثورته فإذا به يلتفت إلى أذئاب الاستعمار الذين قبضوا ثمن خيانتهم وترفعوا عن مواطنهم ويخاطب أحدهم:

قف حيث شعبك مهما كان موقفه أولاً فإنك عضو منه منحسم

تقول أضحى شتيت الرأى منقسما وأنت عنه شتيت الرأى منقسم
أعدى عدى القوم من يعزى لهم نسبا ويسمع القدح فيهم وهو يبتسم

وهو من المؤمنين بقوة الشعب وبصلابة إرادته الخلاقة حيث يقول:
وإذا أراد الشعب نال مراده ولو أنه كالنجم عز منالا
وله شعر كثير كله يدعو إلى الثورة وإلى الوحدة العربية.

والشاعر محمد اللقاني كذلك يدعو إلى الثورة فيقول:
ألا فدع التغزل في غوان فتلك طريقة المستهترينا
فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا
وهو يمهّد للثورة عن طريق مكافحة الأمراض الاجتماعية ومن ذلك
قوله:

بنى الجزائر هذا الموت يكفينا لقد غلت جبال الجهل أيدينا
بنى الجزائر هذا اللهو أوقعنا في سوء مهلكة عمت نواديننا
بنى الجزائر هيا استيقظوا فلکم أذاقنا اللهو والإهمال تهويننا
أما شعر الشباب فأقل صناعة وتعملا من شعر الشيوخ أمثال محمد
العيد آل خليفة ومفدى زكريا واللقاني والطيب العقبي، فكان هؤلاء متأثرين
بصياغة الرصافي والزهاوي في العراق، وبروح حافظ وشوقي في مصر،
وبعمق مطران والزركلی في سوريا.

فالشعر عند شعراء الجيل تعبير صادق عن واقع حياة الناس اليومية
وانعكاس لما تحس به الأنفس من أحاسيس ومشاعر؛ مؤدى بلغة بسيطة
يفهمها أكثر عدد ممكن من الناس، ومن ذلك قول صالح باويه:

دمدم الرعد وهزتنا الرياح حطموا الأغلال وامضوا للسلاح
حطموها واهتفوا ملء الأثير يا فرنسا اشهدى اليوم الأخير

أقسمت أمي بقيدي: بجراحي
أقسمت أن تغسل الجرح وتغدو
أقسمت أن تحمل المدفع مثلي
سوف لا تمسح من عيني دموعي
شعلة تضرم أحقاد الجموع
أن ترش الدرب في السهل الخصيب

ويقول محمد الجديدي من ديوان «أغاني العبد»:

إن كان هذا اليوم لقائنا
وغداً نعود مظفرين لبلدة
وغداً نعود مع المواكب والبلوا
والشعب يشدو هازجاً مترنماً
واليك مني يا بلاد تحية
فغداً يكون لقاءنا بالوادي
وغداً أعانق تربتي وبلادي
يهتز من فرط اللقاء والحادى
والأم والأبناء في إسعاد
ملاً تحن إلى لقاء الأنداد

ويقول صالح الخرفي من قصيدة «تحية الجزائر» والتي ألقاها في مؤتمر
الأدباء العرب في الكويت سنة ١٩٥٩م:

من منبر الأوراس حتى المجمع
فانظر هنا تجد البطولة منبرا
لم ترو غلتنا المنابر فارتقي
تلك الذرى كم زجرت برصاصها
قسم موطأة المتون لثائر
فالأضاد والرشاش قد نطقا معا
وترى البطولة في الجزائر مدفعا
نا للخطابة أطلساً متمنعا
فأوت لنا منه الخطيب المصقعا
روى صنوبرها دما فتضرعا

ويقول عبد الكريم العقون:

بنى وطني أعيّدوا مجد قوم
وأدوا ما عليكم من حقوق
وفكّوا قيده لا تتركوه
أقاموه على أقوى عماد
لشعبكم وأدراوا كل عاد
يعاني كل ظلم واضطهاد^(١)

ومن قصيدة «أنا» للشاعر الجزائري مفدى زكريا صاحب ديوان «اللهب
المقدس» ونشيد الثورة الجزائرية «قسماً بالنازلات»:

أنا حطمت مزهري لا تسلى
وسلوت ابتسامي: لا تسلمني

(١) راجع مجلة الأعلام العراقية عدد يوليو ١٩٦٥ - من مقال للشاعر الجزائري محمد الجديدي
بعنوان «الثورة في الشعر الجزائري».

غاض نبع النشيد، وانقطع الوحى ، وضاع الغناء، وأغفى المغنى
 ونبت بى من الفنون ظنونى يوم أن خاب فى بنى العم ظنى
 أنا من ردد الخلود نشيدى وشدا الكون للبقاء بلحنى
 أنا من ألهب الشعور بشعر أزل كالعارض المرجحى
 أنا من علم القنابل والرشاش فى السباح أن توقع وزن
 أنا من ألهم المجاهد روحا فانبهرى للوغى ببيد ويغنى
 أنا من خلد الجزائر فى الدنيا ومن لقن ابنها كيف يبنى
 أنا من أسكر الوجود بأنغامى ومن هز عطفه بالتغنى
 أنا من هدهد الشراع على نهر دماها بصادحات وفنى
 أنا إن كنت شاعر الثورة الكبرى فى (خلفها) لا أغنى
 وإذا بالمصير هنا قوم فبشق الصفوف لست أهنى
 كنت (للوحدة) النداء المدوى كيف للخلف أرهف اليوم أذن
 مذ تراءى الشقاق حطمت كاسا قى على مبسمى وأحرقت دنى
 مذ رأيت السفين يحرفها اليم لسوء المصير اغرقت سفنى
 مذ رأيت الغصون ينعى بها اليوم تجافيتها وودعت غصنى
 وتقززت من زهور رباهما قرفا- بعد أن أصبت بنتن
 ورأيت الرؤوس طافت بها حى الكراسى ونالها مس جن
 فتخيرت فى الرقى (سورة الإخلاص) منذ بات غيرها ليس يغنى
 أهذا المصير يا شعب ترضى؟ أيها الشعب.. أنت.. إياك أعنى؟
 أنت من هد للطواغيت ركنا أفيرضى بنوك تقويض ركن
 أدماء بالأمس غسلن عارا تسفك اليوم طوع خزى ولعن
 وطنى أنت جنة أفترضى أن يسود النفاق جنات عدن؟
 فاعصف اليوم بالألى فى المبادى قلبوا كالزمان ظهر المجن
 وارع عهد الشهيد إن دماه جرفت فى طريقها كل ضغن
 ودع الدوح للبلابل تشدو وابعث الشعر بالإخلاص يهنى
 فرحقى (وحدق) وشعرى طيرى بسوى عيد (وحدق).. لا أغنى

ولما أبعد الأمير خالد بن الأمير عبد القادر الجزائري، إلى الإسكندرية
تقمصه الشاعر الجزائري محمد السعيد الزاهري فقال على لسانه:

قضيت حياتي مدججاً ومؤوباً	ولكن كأني رمت عنقاء مغرباً
بلوت مراس الحادثات فلم أجد	خييراً بعقبى الدهر إلا محرباً
إذا جر صرف الحادثات إلى العلا	فأهلاً بصرف الحادثات ومرحبا
تركت ورائي بالجزائر، من إذا	تذكرتهم زاد الفؤاد تلهباً
وما همني خطب سوى أنني أرى	هلال بلادي للأفول مصوباً
ألا في ذمام الله يا خير مرشد	إلى حيث خيم للفخار وطنباً
لئن كنت في أفق الجزائر كوكباً	فقد لحت في الإسكندرية كوكباً
أما كان قرن الشمس عند شروقها	شبهها بقرن الشمس تقصد مغرباً
فدنياك ذا جأش قوى ثباته	إذا ما خطوت الدهر تنشب غلباً
إلى الآن لم تلق السلاح، ولم تكن	لتلقى أيا مقدام من بعد ذى الظبى
فأنت أخو العلياء والبطل الذى	إذا جد جد، زاد منه تقرباً

ولأبى يقظان قصيدة ودع بها إبراهيم طيفيش عندما حكم عليه بالنفى
إلى مصر عام ١٩٢٣ وعنوان القصيدة: (تهنئة بنفى) منها:

راموا الإساءة جفوة وسفالة	لكنهم قد أحسنوا إحساناً
ونفوه من رق إلى حرية	ومن الملمات إلى الحياة عياناً
قد أوصدوا أبواب تونس عنه بل	فتحوا له أبواب مصر مجاناً
قد أبعدوك فقربوك إلى الرجاء	ل فنلت عطفاً بينهم وحناناً
قد صغروك فعظموك وأنزلوا	ك منازل العظماء فقم شكراناً
خفضوك جهلاً منهم لكنهم	رفعوا علاك لترفع الأوطاناً

ويقول أبو اليقظان من قصيدة له^(١):

(١) من رواد الصحافة العربية في الجزائر، ومن كتبها وشعرائها، قيت هذه القصيدة بمناسبة
خروج الشيخ صالح بن يحيى والشيخ محمد الرباحي من السجن سنة ١٩٣٩.

إن الحياة خطيبة فتانة
كأس العذاب لأجلها مستعذب
والحزن أنس، والبكا ضحك لها
والأسر دون نوالها حرية
ما قام للأحرار مجد باذخ
فيه غدا في مصر يوسف جالسا
لولاه، ما نبت (لهوجو) غرسة
فالسجن إن كانت مغبته العلا
السجن مجمرة تفوح بفضلها
لولا السوار لما بدا شوق، ولا

وصداقها في النفس والأهوال
والموت عيش فيه كل كمال
والعسر يسر فيه كل نوال
والكفيد إطلاق من الأغلال
إلا وكان^(١) من الأساس العالي
فوق السرير متوجا بجلال
كلا ولا نجحت بذور جمال^(٢)
نعم المهاد، مهاد جل رجال
قيم الرجال، رخيصها والغالي
كانت لدينا لفته للال

ويقول الشاعر الجزائري رمضان حمود^(٣):

سمعت بأن السجن أضيق من قبر
فماذا يفيد القصر والقلب حائر
ومن لم يذق طعم الردى بنضاله

فألفيت قعر السجن أحسن من قصر
وماذا يضر السجن من كان ذا قدر
سيشكو الأذى والدمع من عينيه يجرى

١٠ - وإذا كان العالم العربي قد شهد خلال القرن العشرين أحداثاً كبرى، أثرت في حياته وتفكيره، وفي سير الأدب العربي وتطوره، تأثيراً كبيراً. فإن الحربين العالميتين الكبيرتين كان لهما صدى مدو، وأثر عميق، في الثقافة والفكر والأدب، وقيام الحركات الوطنية في شتى أنحاء الوطن الإسلامي ترك انطباعات كبيرة في أذهان الأدباء والشعراء وحملة الثقافة العربية في كل مكان، وقيام المدارس والمعاهد والجامعات، وكثرة

(١) الضمير يرجع إلى الأسر.

(٢) الشاعر توهم دخول هوجو السجن، وهو غير صحيح، وكذلك السيد جمال الدين الأفغاني لم يدخل السجن.

(٣) شاعر جزائري معاصر توفي في شرح الشباب سنة ١٩٢٩ أنظر ترجمته في «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» تأليف الهادي السنوسي - الجزء الأول.

الرحلات، وتبادل الثقافات والآراء في شتى جوانب المعرفة والفن، واحتلال الصحافة والإذاعة والفيلم والكتاب مكانتها الضخمة في التوجيه والتثقيف، كل ذلك أثر في تطور الأدب، في أفكاره وموضوعاته، وخیالاته وأسلوبه ومذاهبه، في مختلف البلاد العربية، على تفاوت في درجة هذا التطور، وفي مدى تأثير الأدب بهذه العوامل والأسباب.

وقد انتقل الأدب في مصر من المرحلة الاتباعية، التي كان يمثلها شعر البارودي ونثر المنفلوطي، إلى المرحلة التجديدية التي يصورها في الشعر صبري وشوقي، وحافظ وشكري ومطران وأبو شادي، والمازني والعقاد وناجي وعلى محمود طه؛ ويمثلها في النثر طه حسين وتوفيق الحكيم ومصطفى صادق الرافعي وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات ومحمود تيمور.

وتأثرت الشعوب والأدباء العرب بهذه التطورات السريعة في الفكر المصري والأدب المصري، فحذا الأدباء في كل مكان حذو أدباء مصر، في الثقافة والآداب والفنون، فالتيجاني يوسف بشير تأثر بمدرسة شعراء أبولو تأثراً واضحاً، والشابي استمد أصوله الفكرية والفنية من مدرستي أبولو والمهجر، ومحمد العلوي والصقلي من شعراء المغرب العربي ينزعان في شعرهما متزع على محمود طه في شعره الرومانسي، وينحو عبد الله إبراهيم منحى الدكتور طه حسين في تفكيره وأدبه، والكثير من أدباء المغرب العربي يتأثرون أدب طه حسين أو هيكمل أو المازني أو أبي شادي أو العقاد أو الزيات، والأدب في المغرب - كما يقول الأديب المراكشي الاستاذ زياد - مدين ومتأثر إلى حد كبير بتوجيهات الأدب العربي في مصر، ورواد الفكر المصري المعاصر، ودعاة النهضة الثقافية الحاضرة، ومن عناصر هذه النهضة يستمد أدباء المغرب أصول نشاطهم الأدبي.

ومع أننا نرى تأثيرات مهيمنة في شعر بعض الشعراء المراكشيين مثل: عبد الله الحسين الشرقاوي وعبد الكريم التوائي، فإننا بجانب ذلك نلاحظ أثر مصر الثقافي والأدبي واضحاً في الانتاج الفكري والأدبي في المملكة المغربية.

وإذا كنا نعد من رواد القصة في مصر توفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعبد الرحمن الشرقاوي وثروت أباظة، ففي المغرب نستطيع أن نعد من نظرائهم: عبد الله إبراهيم وعبد الرحمن الفاسي صاحب قصتي «الكاهنة» و«عمى بوشتاق» والذي ينحو منحى الأديب اللبناني كرم ملحم كرم في القصة والبحث الأدبي، وعبد الخالق الطريس صاحب قصة «فاطمة» وعبد المجيد بن جلوان صاحب قصة «في الطفولة» وسواهم:

وفي البحث الأدبي نرى طه حسين وأبا شادي وأحمد أمين ومندور ومصطفى السحرقي وسواهم في مصر، ونرى عبد الرحمن الفاسي وأبا القاسم الزياني، وعبد الكريم بن زيدان، وهو مؤلف «تاريخ الدولة العلوية في المغرب» وعباس بن إبراهيم صاحب تاريخ أغمات الذي يشابه كتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، وعلال الفاسي صاحب كتاب «النقد الذاق» و«الحركة الاستقلالية في المغرب».

وفي فن المقالة الذي تزعمه في مصر المازني وزكي مبارك وأحمد أمين والزيات والرافعي، وسواهم، نرى بجوارهم في المغرب أمثال: عبد الرحيم غلاب رئيس تحرير مجلة «رسالة المغرب» وسواه.

وشعراء المدرسة الرومانسية في مصر مثل أبي شادي وحسن كامل الصيرفي، وإبراهيم ناجي وعلى محمود طه، يتقبل خطاهم في المغرب: عبد القادر حسن صاحب ديوان «أحلام الفجر» ومحمد بن إبراهيم، ومحمد مكوار، ومحمد الحلوي، وعبد السلام العلوي الذي فتن بشعر أبي شادي إلى حد كبير، بينما نجد في المغرب كذلك متابعين لخطى المدرسة المصرية الكلاسيكية الحديثة الممثلة في شعر: الجارم، والأسمر، والجندي، وعزيز أباظة، وذلك من أمثال: الحاج محمود الناصري، وعلال الفاسي، وأبي جندار، وسواهم.

ولا ريب أن عزلة المغرب العربي قد باعدت بينه وبين تقبل الاستعمار الفكري والثقافة الغربية في الأدب، وساعد على ذلك تأثير جامعة القرويين في

فاس، وكلية ابن يوسف في مراكش، وثانويتي فاس والرباط، ثم جامعة الرباط.

ويرجع تاريخ النهضة الأدبية الجديدة في المغرب إلى عام ١٩٢٧، وهو العام الذى تولى فى أواخره جلالة الملك محمد الخامس العرش العلوى فى المملكة المغربية وتولى قيادة النهضة الوطنية والاجتماعية والثقافية فى بلاده، والجامعة الجديدة التى أمر جلالتة بإنشائها، ورعاها من بعده جلالة الملك الحسن ستكون بلا شك حلقة اتصال بين الماضى والحاضر، وستعمل على الاقتباس من تاريخ مراكش وحضارتها العقلية لدعم أصول النهضة الثقافية الجديدة ومقوماتها.

وإذا كان أدباء المغرب العربى اليوم يتابعون التطور السريع الذى تسير فيه الآداب العربية، ويرون آثار المدارس الأدبية المختلفة، الكلاسيكية والرومانسية والواقعية، وينصتون إلى الآراء الجديدة فى النقد والأدب والشعر والقصة والتمثيلية والمقالة والدراما، فإن من الضرورى دعم هذه اليقظة الأدبية الملحوظة عن طريق تبادل الزيارات والرحلات، وتشجيع الثقافات الجامعية، وإنشاء المطابع، والعناية بنشر المخطوطات، وتفهم تراثنا الأدبى بجانب الآداب الحديثة كافة.

والكتاب والصحيفة اليوم هما المدرسة التى يتشقف فيها الشعب بمختلف طبقاته، وجدير بالكتاب العربى الذى ينشر فى القاهرة، وسواها من العواصم العربية، أن يشق طريقه إلى المغرب العربى ليعمل على رفع المستوى الثقافى والوعى الفكرى.

والبعد المكانى بين الرباط والقاهرة بلد الأزهر والجامعات ضئيل، بجانب تقاربهما الروحى والفكرى واللغوى، والروابط القومية بين الأمتين تستمد من الدين والتاريخ والدم قوتها.

إن ازدهار الأدب ونهضته فى بعض أنحاء العالم العربى يجب أن يعم أثره فى كل إقليم عربى، وخاصة فى المغرب، لتستكمل الملكات نحوها،

والمواهب قوتها، وليصبح للأدب رسالة، ولينتقل الأدب من الذاتية إلى القومية والإنسانية، وليستعيد الأدب صلته بحاضره وبمشاعر أمته.

ويقرر الأستاذ عبدالله كنون في كتابه «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» أن المغرب العربي لم يشهد تحولاً فكرياً في منتصف القرن التاسع عشر أو حتى في مطلع العشرين، على نحو ما تم للمشرق العربي. ذلك بأن المغرب ضربت عليه عزلة أقصته عن التيارات المثيرة للفكر، سواء في ذلك تيارات الغرب الأوروبي أم تيارات الشرق العربي. ومن ثم فقد جاء فجر النهضة في المغرب متأخراً عنه في الشرق نصف قرن أو يزيد.

إلا إن العقد الثاني من القرن الحالي، شهد فجراً للنهضة يلقي ضياءه على المغرب وقد عمل على ذلك أسباب منها الاهتمام بالتعليم الحديث، والدعوة السلفية الإصلاحية على يد أبي شعيب الدكالي، وهبوب رياح الدعوة الإسلامية الإصلاحية من الشرق والحماية الفرنسية التي أثارت في النفوس نخوة كان لا بد من التعبير عنها ولما جاء فجر النهضة في المغرب كان الانتقال الذي تلاه سريعاً. فوسائل النقل والمواصلات التي تحسنت كثيراً في الأربعين أو الخمسين سنة الماضية، ساعدت على النقلة السريعة حتى لا نقول الطفرة. وأخذ التعبير عن خوالج النفس يتنوع عما كان عليه من قبل، فأصبح يعتمد المقالة والشعر والقصة والتمثيلية. وتنوعت محتوياته عما كانت عليه من قبل، وسهلت لغته، وإن لم تكن، على القارئ إذا تعمد الكاتب تيسيرها.

ويظل الشعر ديوان العرب الأفضل، وتظل عنايتهم به تحتل المكان الأول في أساليب تعبيرهم والأستاذ كنون يؤكد هذا، ولذلك فهو حريص على أن يوضح تطور الشعر غرضاً ولغة وأسلوباً. فهو يقول في ذلك: «وقامت النهضة الحديثة فهزت الشعر هزاً تناول بنيانه من القاعدة، فكان الشعر الحر والشعر المنثور، فضلاً عن اندفاع الشعراء. في نظم قصائدهم على أكثر من بحر وبمختلف القوافي هذا في قالب، وفي المحتوى ظهرت فنون من القول وصور من البيان، لم يكن للشعر العربي بها عهد كالشعر القصصي والتمثيلي، وامتد النفس في وصف الطبيعة والتعبير عن أدق المشاعر الإنسانية والعواطف

القلبية، واختفت الموضوعات الشعرية القديمة أو كادت، وما بقي منها لاقتضاء المناسبات الاجتماعية بقاءه، صار وسيلة لبث الأفكار الإصلاحية وبعث الروح الوطنية.

وقد مرت^(١) على الأدب المغربي حقبة من تاريخه، كان فيها من أقوى الآداب العربية، إذ كان الوارث الشرعي للآداب الأندلسية الرفيعة؟

واليوم نريد لهذا الأدب أن يتصل حاضره بماضيه، وأن يواصل أداء رسالته الإنسانية، حياً نابضاً واسع الخطوات، حتى يواكب المغرب الحديث، ويسايره في تطوره، وجل المثقفين في المغرب يتوقون إلى حياة أدبية أفضل.

ومن الوسائل الكفيلة ببعث الأدب المغربي:

١ - إحياء الأدب المغربي القديم بصفة خاصة، والاتصال بالأدب العربي القديم بصفة عامة، فإذا كان الاطلاع على التاريخ السياسي القومي يذكى الروح الوطنية، ويدعم المشاعر القومية، فإن الاطلاع على تاريخ الأدب القومي ينه الأمة إلى شخصيتها الأدبية، ويلهب في أفرادها الشعور بالمجد الأدبي القديم، ومن ثم يشعرون بمسؤوليتهم الخاصة، إذ يجدون أنفسهم أمناء على هذه الوديعة الغالية؛ ثمار قرائح الأجداد التي اسلموها إلينا، لتكون غذاء لعقولنا، ومتعة لنفوسنا، وأساساً نبني عليه بناء رقيقاً في الأدب والثقافة.

٢ - فتح نافذة أخرى على الآداب الأجنبية، سواء بطريق مباشر أو عن طريق الترجمة، حيث نجد أنفسنا أمام طرق في التفكير ليست كطرقنا، وأنماط في الذوق ليست كأنماطنا، وأصناف في الشعور ليست كأصنافنا، وألوان في الأداء الفني ليست كألواننا، فنطعم بكل ذلك أدبنا ونلقحه ونغذيه، فإذا المدارك تتسع، والآفاق ترحب وتمتد، وإذا العناصر الإنسانية تجد سبيلها إلى أدبنا من طريق واسع.

(١) من مقال لعبد العلل الوزاني (فاس) - نشر في مجلة دعوة الحق المغربية بعنوان «دراسات حول الأدب المغربي الحديث».

٣ - تقوية البرامج الأدبية في المدارس الثانوية وفي كلية الآداب، وفي سائر المعاهد التي تخرج الطليعة من أبناء هذا الجيل، فالمدرسة والمعهد والكلية هي العصب الحى في جسم الأمة، وهى التى تخرج الأدباء وتكونهم، وتتيح الفرصة للمثقف أن يكون أديباً، بما تهدف إليه من تعليم طرق التفكير، وتربية الذوق الفنى، وإعطاء القدرة على النقد والمقارنة والموازنة والبحث والاستنباط، وكلها أسلحة لا غنى للأديب عنها.

٤ - ترك الكسل العقلى، والإقبال على القراءة التى لا تقل ضرورة عن الخبز اليومى، وعن الهواء والشمس والنار، القراءة التى تهز الأعماق هزاً، وتعيد خلق الإنسان من جديد، وتنقله من أرضيته إلى آفاق رحبية، القراءة التى تصنع الرجال، وتؤثر فى الأحداث، وتغير التاريخ، وتعرف الإنسان بنفسه وبالمعالم المحيط به، وبالدور الذى خلق ليلعبه على مسرح هذه الحياة.

١١ - ومن الشعر المغربى قول عبد السلام العلوى:

وجهك الوضاح للقلب	نعيم وهناء
تركن الروح إليه	فتناجيهما السناء
ويغيم الفكر حيناً	فإذا هو ذكاء
فهو فى الأفراح فيض	وهو فى الحزن عزاء
كلما أظلم أفقى	شع لى منه ضياء
لحظك الساجى لأعصا	بى هدوء وسكون
أنهل الراحة منه	إن أمضتنى الشجون
وأرى فيه رشادى	إن رمت بى الظنون
فإذا غاض شعورى	كان لى منه معين
وإذا ما حار لى	جاءنى منه اليقين

ولعبد الكريم سكيرج حول تعليم الفتاة:

ما للفتاة تغيرت أحوالها	وتضاعفت مع وضعها أهوالها
فكأنها شعرت بهضم حقوقها	لما تصدر فى العلا أمثالها

فبكت وقالت ليس لي من غير
 ما لابنة الغرب التفوق وهي من
 لويعتني قومي بتربيته ارتقت
 أو بالجهالة ظن قومي عفتي
 إن السق لم تحتفل بتأديب
 وإذا المعارف هذبت أخلاقها

وللشاعر إدريس الجاي من قصيدته «صلاة من وحي الهجرة»:

نبي الله، نور العالمينا
 متى زلت بنا قدم، وتهنا،
 لأنك، يا رسول الله هدي
 لأنك، يا حبيب الله، تحنو
 وما ذكر اسمك المحبوب إلا
 ونحن، المؤمنين، وإن ضللنا
 قرون كم مضت تتلو قرونا
 ونذكر، كل عام هجرة الف(م)
 وأشرق نور أحمد حين وافى(م)
 فما نقرت بيثرب أو تسفنت
 لغير محمد بنشيد حب
 جنود الله لم ترها عداه
 نبي الله، ما هاجرت تبغى
 وسيف الله لم يقطع رؤوسا
 وتلك، وأيم رب، كان أولى
 نبي الله، نورك ما توارى
 وحبل الله حبلك ما قطعنا
 وما زلنا الشفاعة منك نرجو
 أكرم من أهين فقال: يا رب: (م)

قبسنا من ضيائك، إذ عمينا
 ترقبنا بيمينك والجبينا
 وكفك تمسك المتعثرينا
 وترأف بالعباد المذنبينا
 وصلينا عليك مسلمينا
 نرى في نورك الحق اليقيننا
 وأجيال مضت في الغابرينا
 دى نصره النصر المبينا
 المدينة داخلا كالظافرينا
 دفوف، أوحنا جرقبل حيننا
 وإجلال، لهادي العالمينا
 وكيف، ونوره يعشي العيوننا؟
 نجاتك، بل نجاة المسلمينا
 سوى من ركبت في الغاشميننا
 لها ألا تطول هنا سنينا
 وما كنا بغيرك مهتديننا
 ولا زلنا به متمسكيننا
 وكنا للنفوس الظالمينا
 غفرانا لقوم جاهلينا

وأحلم قادر، لم يسط يوما على من كان بالبطش القمينا
وأعلم من إليه الله أوحى وما درس العلوم ولا الغنونا
وأكمل خلق رب الكون خلقا وأصدقهم إذا حلفوا بيميننا
وأجلهم إذا غضبوا لحق وأجلهم إذا حنوا حنيننا
وللشاعر ابن دفعة محمد من قصيدة له بعنوان «هذا أنا»:

لمن العبير يضوع من ثغر الزهر؟

لمن الشعاع يرف في وجه القمر؟
لمن الشدى الوهان، والصف، انتشر؟
وأنا وحيد هائم.. دامي الوتر
وبزورقي المنكوب تهت عن البحر
وغرست في الرمل مركبي حتى غبر
شجن حياقي.. تموج بالغم والكدر
أمسى.. شيخ واجم يروى الذكر
وغدى.. ظنون لن يكون لها أثر
واليوم.. زنجى لاشيء ينتحر

وللشاعر إدريس الجاى، من «الرباط» في عيد العرش الملكى^(١):

طرب الكون، وهل من عجب؟ يوم عيد العرش عيد الطرب
يا عذارى الأرز في أعلى الذرى ونخيلاً باسقاً في السبب
وطيور الروض في أفنانها رتل كل نشيد أعذب
ورياحين الربى، هدهدها طائف الانسام بين العشب
وفرشاها مفتونا بها وصدى الشلال حلو الصخب
طاولى، تيهى، ارقصى، ميسى، اعزفى امرحى، هيمى، وطيرى وثبى
عمت الفرحة شعباً مخلصاً لمليك عبقرى أنجب

(١) مجلة دعوة الحق - فبراير سنة ١٩٦٤م.

اسمه الوضاء طغراء لنا
وكما تسطع شمس في الضحى
يا شريفاً عطره من يثرب
يا الذى، إن سار، حفت ركبته
حمل الأقباس في دارتها
زين العرش سناء مثلاً
(حسن)، نعم المسمى، حسب
اجتباها الله والشعب هنا
حيثما تسأل في الشرق وفي (م)
طيب الأرض شذا سمعته
خير من يفخر إن قال: أنا!

خطها المجد بماء الذهب
أشرقت منه سماء المغرب
نور الأفاق يا نور النبى
هالة الله، وأبهى موكب
صيد ما زيغ، وشم يعرب
زينت أعلامنا بالكوكب
طاهر مثل عريق النسب
عز منا المجتبى والمجتبى
الغرب، لا تسمع إلا: أحب
وعرفناه بفصل أطيب
خير من قال: نعم: كان أبى!

وللشاعر محمد الخمار، من «فاس» من قصيدة بعنوان «إلى راهبة»:

إن من شعرك الحزين سواد المعبد الجاثى قبلة البريه
إن من عينيك انبعاث حياة وسنى في شموعه القدسيه
إن في ثغرك الجميل تراتيل صلاة قديمة أبدية
أنت... يا مبعثاً جديداً تسامى في جلال «المريم المجدليه»
سبحه تلك في يديك تهادت أم قلوب سلبتها العاشقين؟
وصلينا أم حلية ترصيعها، ومسرحة أم فتنة تكتسبنا
لا تظنيها تحجب الحسن عنا، قد تزيد البساطة الحسن حيناً
خالد الحسن ما البساطة تعلية جمالاً وروعة وفتونا
أى فجر بعثته رائع الأفق بنفسي، وأى لحن جديد؟
أى شط فتحتته لشرعى بعد طول التجديف والتشريد
أى حلم خلقتة أخضر الدرب لقلبي، وأى وهم وليد
هى دنيا جعلتها ملء كفى وإلهام وانبعاث وجود
اتركيني فيها بلا ذكر اثم ينمحي لو نسيت لا تبتيلاً
أتكون السماء أصغر منه وثرى هذى الأرض عرضاً وطولاً؟

إن عرفت الله الشديد عقاباً فاعرف فيه مسامحاً وجميلاً
فالذي شرعه ودينه عفو، لا يرى في الوجود إنساً ثقيلاً
وللشاعر محمد غربي، من «الرباط» من قصيدة بعنوان «جمال
الأطلس»:

يا لابساً ثوب النجم	وم لأنت منها كوكب
بل أنت فوق ترابنا	أبهى النجوم وأثقب
لم ترض منزلة السماء	لأن أرضك أطيّب
فتركت فوقك سحبها	تبكي عليك وتندب
ونزلت من عليائها	وبك الجبال ترحب
فإذا بكتك سحابة	وغدت تسوح وتسكب
فلأن حبك قاهر	وفراق مثلك يصعب
لو لم تكن في البحر أم	واج تجيء وتذهب
لحسبت ثلجك مثله	ولو أنه لا يصخب
لو كنت في اليمن القد	يم لما تهدم مأرب
ولكنت تمنع سيله	أبدأ، فلا يتسرب
منك استمد ثباته	وإرادة لا تغلب
وعزيمة مثل الحد	يد، شبابتنا المتوثب
وطنى الحبيب أحبه	حياً يزيد ويدأب
ماذا تريد العين بع	د جماله أو تطلب؟
فيه العيون ترقرت	ثراء ليست تنضب
فيه الروابي تكتسى	حلل الربيع وتعجب
فيه الطيور تغرد	اللحن الجميل وتطرب
فيه السماء تشع بالد	ون العجيب وتخلب
فيه الأراضي تنتج	الخير الكثير وتخصب
فيه الكرامة أمة	تلد الرجال وتنجب
تلد الشباب الباسل الشه	م الذي لا يرهب!

طوبى لكم يا زائرين فإن هذا المغرب
ما هذه أرض ولكن جنة أو أرحب

١٢ - والصلات الفكرية والأدبية بين طرابلس والقيروان معروفة ووطيدة وخاصة في عهدي الأغالبة والصنهاجين، وكذلك الصلات بين القيروان ووهران وتاهرت وتلمسان مشهورة؛ وبين فاس والقيروان رحم موصولة، والأولى بلد إدريس بن عبد الله الكامل الحسنى، والثانية بلد عقبة بن نافع.

وفي أواسط القرن الثالث وفدت من القيروان أم البنين وفاطمة الفهرية فأسست بها جامع القرويين سنة ٢٤٥، فكان الصنو الغربي لجامع عقبة بن نافع وليت الحكمة الاغلبى، كما أسست أختها مريم الجامع العتيق الآخر لعدوة الأندلسيين في هذه المدينة المباركة^(١).

ولئن^(٢) ظفرت مدينة فاس بما ظفرت به من عمران واسع وازدهار شامل فإن من عوامل ذلك ما نالته وهى في ميعة الصبا من شقيقتها القيروان، إذ لم يمض على تأسيس مدينة فاس إلا زمن قليل حتى وفد عليها عدد كبير من أهل القيروان أكرم المولى إدريس وفادتهم وأسكنهم بالجانب الغربى فعمروا هذا الجانب واختصوا به حتى أطلق عليه المؤرخون إشارة إلى ساكنيه إسم عدوة القيروان الوافدين على عدوة القرويين تمييزاً لها عن عدوة الأندلسيين فبرزت من أهل المدينة سيدة فاضلة هى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى المعروفة بأم البنين وبنت من مالها الخاص مسجد القرويين الذي ما لبث أن أصبح حوضاً من حياض المعرفة ومورداً من موارد العلم طبقت شهرته الآفاق وسارت بذكره الركبان وأصبحت بفضلها مدينة فاس مركزاً ثقافياً وحضرياً في العالم، فأمه الناس من مختلف الأقطار والأمصار، ولم تنقطع الصلات بين مدينة فاس بعد انتشار عمرانها وبين مدينة القيروان بل بقى الارتباط بينهما

(١) من خطبة للرئيس التونسي بورقيبة في فاس بحضور الملك الحسن الثانى في ٢٦/١٠/١٩٦٥ م.

(٢) راجع مجلة دعوة الحق (رجب ١٣٨٥ - نوفمبر ١٩٦٥) من خطبة للملك الحسن الثانى ملك المغرب ألقاها في ٢٦/١٠/١٩٦٥ م.

وثيقاً على مر العصور في سائر الميادين ولا سيما ميدان العلم والثقافة، هذا علاوة على ما كان بين القطرين الشقيقين التونسي والمغربي بصفة عامة من تبادل وصلات.

وكان لعلماء القرويين جولات موفقة وصلوات ظاهرة، وهل يذكر الفقه دون أن يذكر أبو عمران الفاسي والدارس ابن اسماعيل وأبو الحسن الصغير؟ وهل يذكر النحو دون أن يذكر ابن أجروم الذي صارت المقدمة المنسوبة إليه عنواناً للنحو وعلماً له؟ وهل يذكر الشعر التاريخ دون أن يذكر ابن أبي زرع والجزائي والفشتالي؟ وهل يذكر الشعر والأدب دون أن يذكر الجراوي وابن حبوس وابن الخطيب والمقرئ.

وقد ربطت بين فاس وبين القيروان أواصر التعاون العلمي زمنياً طويلاً.

١٣ - وفي عام ١٩٦٠ أنشئ اتحاد كتاب المغرب للعمل من أجل تكتيل جهود العاملين في الحقل الفكري والأدبي؛ وكان الأدباء المغاربة قد اجتمعوا في يونيو عام ١٩٦٠ في كلية الآداب بالرباط وأسفر الاجتماع عن تكوين هذا الاتحاد ويضم أدباء ومفكرين من ليبيا وتونس والجزائر، ومراكش بهدف جمع شمل الأدباء والمفكرين المغاربة وتقوية الصلات بينهم حتى يتغلبوا على مشكلات النشر، وإتاحة الفرصة للمواهب الصاعدة لتشق طريقها في أمل واطمئنان، وبلورة الاتجاه الفكري والأدبي في بلدان المغرب العربي للإنطلاق بالمقومات الفكرية القومية وربطها بالتيارات الفكرية والأدبية العالمية.

وقد احتفل المغرب الشقيق بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على تأسيس جامعة القرويين بمدينة (فاس) منذ أعوام.

وقد توجه فضيلة شيخ الجامعة الإسلامية في ليبيا إلى المغرب ليشترك باسم جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، في إحياء هذه الذكرى، وألقى فضيلته في الاحتفال بحثاً قيماً عن جامعة القرويين «والدور

الذى قامت - وتقوم به - منذ تأسيسها».

وتحدث عن الفتن التى منى بها الإسلام، واضطرت «آل البيت» إلى التوزع فى أنحاء العالم الإسلامى، يطلبون النجاة، وينشدون الأنصار، ويدعون للإسلام، وقد استطاع فريق من هؤلاء المهاجرين أن يقيموا بالمغرب دولة إسلامية هى دولة الأدارسة (١٧٢ - ٣٧٥ هـ) ذات الحضارة الزاهرة، ومن أيادىها البيض تأسس جامع القرويين ٢٤٥ - ٨٥٩ م. وظلت هذه الجامعة قروناً متعاقبة «موثلاً الطلاب، وكعبة العلماء ومجمع الفقهاء» وتوالت عليها البعثات من البلدان العربية والإسلامية، وتخرج على علمائها كثير من الأفاضل، الذين خدموا الثقافة الإسلامية والشعوب المسلمة. كما وفدت إليها البعثات من البلدان الأوروبية «فقبسوا من تعاليمها» مما كان له النصيب الأوفر فى نهضة أوربا وحضارتها القائمة؛ وتعثرت الجامعة بعض الفترات خلال تاريخها الطويل بفعل الظروف القاسية ولكنها غالبت المحن وظلت تواصل مهمتها لتحقيق القيم الممثلة فى التراث العربى الإسلامى، وتلقى من المسئولين الاهتمام والرعاية والتأييد.

الفصل الثاني

النزعات الأدبية الحديثة في مصر

١ - الأدب المصرى الحديث الذى يبتدىء بقيام الثورة العرابية عام ١٨٨٢م، والذى بشر به محمد عبده وحمل راية الشعر فيه البارودى مجدداً وملقحاً له بالشعر العباسى وبلاغته، والذى لم يكن يعرف الأدباء والدارسون منهجاً فى دراسته غير المنهج القديم الذى سار عليه الشيخ سيد بن على المرصفى، حتى نقل حسن توفيق العدل بعد عودته من ألمانيا منهج المستشرقين فى دراسات تاريخ الأدب ونقده.. هذا الأدب قد تعددت بيئاته ومدارسه فى مصر منذ مطلع القرن العشرين.

فمن بيئة الأزهر خرج: المنفلوطى، وحمزة فتح الله، والغاياتى، وعبد الرحمن البرقوقى، وطه حسين، وعبد العزيز البشرى، ومصطفى عبد الرازق، وعلى عبد الرازق، وزكى مبارك، والأسمر.

ومن بيئة مدرسة القضاء الشرعى: خرج عبد الوهاب النجار، وأحمد أمين، وأمين الخولى.

ومن بيئة دار العلوم: خرج عبد العزيز جاویش، والشيخ الحضرى، والجحارم.

ومن مدرسة المعلمين العليا: خرج عبد الرحمن الشكرى وإبراهيم المازنى والدكتور أحمد زكى، ومحمد فريد أبو حديد.

ثم قامت الجامعة وخرج من صفوفها: الدكتور هيكل ومنصور فهمى وأحمد ضيف، وعبد الحميد بدوى، ثم توفيق الحكيم، والدكتور محمد مندور، ومصطفى السحرى، وإسماعيل أدهم، ومحمد لطفى جمعة، وشوقي ضيف، وسواهم.

وكانت هناك مدرسة أدبية أخرى خرجت من بيئة الصحافة وفي مقدمتها العقاد.. ومن الصحف المشهورة جريدة اللواء التى صدر العدد الأول منها فى أول يناير عام ١٩٠٠، والجريدة التى أصدرها لطفى السيد، ومجلة البيان التى أصدرها عبد الرحمن البرقوى عام ١٩١١ وتوقفت عن الصدور عام ١٩٢٣، ومجلة الزهور التى كان يصدرها أنطون الجميل، وسواها.

وكان هناك جماعات من أعلام الأدب فى مصر تتلمذت عليها هذه الطبقات، وفى مقدمتهم: محمد وإبراهيم المويلحيان، وعبد العزيز جاويش، وعلى يوسف، وسيد المرصفى، ومحمد المهدي، ومحمد السباعى، ثم مصطفى المنفلوطى.

وقد أثرت هذه الحركة الأدبية فى النثر، الذى انتقل من الأسلوب القديم الذى كان يمثل عبد الله فكرى فى رسالته «السفر إلى المؤتمر» وتوفيق البكرى فى كتابه «صهاريج اللؤلؤ»، ومحمد المويلحى فى كتابه «حديث عيسى ابن هشام» إلى الأسلوب الاجتماعى الوجدانى ممثلاً فى كتابة المنفلوطى، ثم طه حسين.

وأحدثت طبقة رجال الصحافة أثراً كبيراً فى تطور أساليب النثر وفى مقدمتهم: عبد القادر حمزة، وأنطون الجميل، وصروف، وجورجى زيدان، وخليل مطران، وأحمد حافظ عوض، وسواهم؛ وكان لمجلة المقتطف (١٨٧٦ - ١٩٥٣)، ولمجلة الهلال (١٨٩٢ -)، ثم للرسالة ومجلة أبولو ومجلة المعصور لإسماعيل مظهر، ومجلة الثقافة، كما كان للسياسة أثر عميق فى النهضة الأدبية.. وقامت فى الهلال والسياسة عام ١٩٢٥ معركة حول القديم

والجديد. اشترك فيها الرافعي وطه حسين وسلامة موسى ورفيق العظم وسواهم. . وقد نشأت المدرسة الجديدة في الشعر والنثر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة كما ذهب إليه بعض الكتاب، أو عام ١٩٣٢ هـ كما أرجح.

وفي القصة تطور أسلوبها من السجع ممثلاً في حديث عيسى بن هشام للمويلحي إلى أسلوب متحرر ممثلاً في زينب هيكل، وفي قصص محمود تيمور وطاهر لاشين وإبراهيم المصري.

وكان إحياء التراث القديم والأخذ من الآداب العربية منبعين أصيلين من منابع الأدب في مطلع القرن العشرين.

وكان الشعر بعد البارودي يتجه إلى الجانب الاجتماعي الذي مثله حافظ وشوقي.

وقد ظهرت مدرسة شعراء الديوان: العقاد وشكري والمازني عام ١٩١٣ تندد بمدرسة شوقي وحافظ وتدعو إلى التجديد على أوسع نطاق وظهر الجزء الأول من ديوان شكري عام ١٩١٣ والجزء الأول من ديوان المازني عام ١٩١٤، والجزء الأول من ديوان العقاد عام ١٩١٦، كما ظهر الجزء الأول من الديوان عام ١٩٢١، ويجعل بعض الكتاب شكري بدء المدرسة الحديثة المعاصرة في الشعر، من حيث يجعل العقاد نفسه هو بدء هذه الإنطلاقة. . ومهما كان فقد انفصل شكري عن هذه المدرسة، ولذلك نقده المازني في الجزء الأول من الديوان، ثم تنكر عام ١٩٣٠ لآرائه التي أعلنها في هذه المدرسة ووقف العقاد وحده.

ولكن فريقاً من النقاد يجعلون مطران هو بدء حركة التجديد في الشعر وكان ديوانه، أو الجزء الأول منه قد صدر عام ١٩٠٨، ويعتد الدكتور أبو شادي بمطران اعتداداً كبيراً، ويتابعه في ذلك مندور والسحرق. . وقد ظهر أول ديوان لأبي شادي ممثلاً لاتجاهات أستاذه مطران في الشعر والتجديد فيه عام ١٩١٢ م.

ومن يعتدون بشكري رمزي مفتاح في «رسائل النقد» وأنور الجندی في

«نزعات التجديد في الأدب العرب المعاصر».

وقامت معارك جديدة حول الشعر وحول حافظ وشوقي، وكان من أبطالها العقاد وطه حسين وسواهم.

وفي عام ١٩٢٥ قامت في اهلل معركة حول القديم والحديث اشترك فيها: سلامة موسى وطه حسين وهكل كما ذكرنا سابقاً. . وقامت من قبل معركة بين طه حسين ورفيق العظم في السياسة حول حديث الأربعاء وآراء طه حسين فيه.

وفي عام ١٩٣٢ ظهرت مدرسة أبوللو ومدرستها الشعرية بريادة الدكتور أحمد زكى أبو شادى؛ وكان من أنصاره في هذه المدرسة الدكتور إبراهيم ناجى ومصطفى السحرى وسواهما وتعد مدرسة أبوللو انتصاراً للمدرسة الرومانسية في الشعر المعاصر التى كان من أعلامها: مطران وشكرى والمازنى والعقاد، ومثلها أتم تمثيل الدكتور أحمد زكى أبو شادى والدكتور إبراهيم ناجى. وتابعهم في هذه الحركة الشاب والتيجانى بشير، وكان من أنصارها السحرى ومن الذين تابعوها الصيرفى وصالح جودت ومختار الوكيل وعبد العزيز عتيق وجيللة رضا، وسواهم. . وقد أثرت هذه المدرسة في طبقة الكلاسيكيين فظهرت الكلاسيكية الجديدة ممثلة في شعر محمود غنيم وعلى الجندى ومحمد الأسمر ومحمود أبو الوفا وعزيز أباطة وعبد الله شمس الدين وسواهم.

واستمر صدى مدرسة أبولو إلى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ حيث ظهرت المدرسة الواقعية ممثلة في شعر: كمال عبد الحليم صاحب ديوان «إصرار» والفيتورى والجيلى وتاج السر ومحمى الدين فارس وسواهم. .
٢ - ويقسم أبو شادى المدارس الشعرية المعاصرة في العالم العربى إلى ثلاث مدارس رئيسية:

٢ - المدرسة الكلاسيكية المجددة تحت الراية الابتداعية وهى التى كان يتزعمها مطران، ومن أعلامها: الأخطل الصغير، وبدوى الجيل،

والشاعر القروى، وشفیق المعلوف، وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة،
وعبد الرحمن شكرى، وإبراهيم ناجى، وسواهم.

٢ - المدرسة التجديدية المتطرفة، ومن أعلامها: نزار قباني، ونازك الملائكة.
٣ - المدرسة الوسط التي تحفل أشد ما تحفل بالموسيقى الاتباعية وبجزالة
الألفاظ وبالصيغ العريقة الماثورة، والإشراق الغامر، ويمثل هذه المدرسة
عزيز أباظة، وكان يمثلها من قبل على محمود طه.

ونستطيع نحن أن نقسم الشعراء إلى مدارس هي:

١ - المدرسة الكلاسيكية وفي مقدمتها: البارودى وحافظ وشوقى والجارم
والجندي وغنيم والأسمر ومحمد بدر الدين وسواهم.

٢ - المدرسة الرومانسية، وفي مقدمتها: مطران وشكرى والعقاد المازنى وأبو
شادى وإبراهيم ناجى.

٣ - المدرسة الواقعية وشعراؤها عديدون من شعراء الشباب اليوم، وفي
مقدمته؛ محمد مفتاح الفيتورى وكمال عبد الحليم وكيلانى سند؛
وسواهم.

٣ - مدرسة مطران:

في عام ١٩٠٨ أصدر مطران الجزء الأول من ديوانه، فكان فاتحة لدعوة
التجديد في الشعر المصرى الحديث.. ويصور خليل مطران رأيه في التجديد
في الشعر فيقول: أريد التجديد يتمثل في التفكير بمعناه البعيد الغور الذى هو
منبع الابتكار، ليحل ذلك التفكير تدريجاً محل الخيال المشتت الذاهب في
تشيت الذهن ضروب المذاهب، الخيال الذى يصدر عن الحقيقة غالباً هي
مصدر كل جمال ثابت..

ومذهب مطران في الشعر يجمعه قوله في تصدير «ديوان الخليل»: هذا
شعر عصرى، وفخره أنه عصرى، وله على سابق الشعر مزية زمانه على
سالف الدهر.. هذا شعر ليس ناظمه بعبد ولا تحمله ضرورات الوزن أو
القافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح، وينظر فيه

إلى جمال البيت ذاته وفي موضعه وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها، مع ندور التصور، وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعر الحر، وتحري دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر.

وقد تتلمذ أحمد زكي أبو شادي وشعراء مدرسة أبولو على وجه العموم في الشعر والنقد على مطران، فنظم أبو شادي الشعر القصصي والتمثيلي، ولقح شعره بأخيلة ومعاني الشعراء الأوربيين ودعا إلى التجديد في الشعر دعوة جريئة، وكان أكثر شعرائنا فهماً لأصول الأدب والشعر والنقد، كما كان أعظمهم دعوة إلى التجديد، وإلى الشعر المرسل والحر، وأنشأ جمعية أبولو ومجلتها الشعرية الذائعة.. وكان أبو شادي يعد مطران أول شاعر ابتداعى في الأدب العربي الحديث.. ويسط أبو شادي شعوره الشديد بأستاذية مطران له في الشعر في ديوانه «أنداء الفجر» إذ يقول: فما نشوء الشعر المرسل ولا الشعر الحر، ولا ما بلغناه من الحركة التحريرية للنظم، ولا ما نتناوله من الموضوعات الإنسانية والعالمية إلا الرقى الطبيعي لرسالة مطران، وأول تعاليم مطران ترك النفس على سجيتها، وترك التصنع.. ويؤمن أبو شادي بأن مذهب في الشعر هو وحده التطور الطبيعي لمذهب مطران. وقد زاد أبو شادي على أستاذه تطور لغته وأخيلته وتعايره ومثله العليا وتجاوبه مع الطبيعة. ويقول أبو شادي: إن الشخصية الفنية الحرة هي أهم ما يقدره مطران، وهي ما تعودت أن أقدره في ذاتي وفي غيري، وهذه الشخصية الحرة هي روح شعري، وقد عشت تلميذاً على الطبيعة وعلى الثقافة الإنسانية.. ويقول أبو شادي في أنداء الفجر: إن مذهبي في الشعر يمثل الإطار الطبيعي للتعاليم الفنية التي تشربتها نفسي الصبية من مطران.

ومطران هو رائد الحركة الابتداعية في الشعر الحديث، ويقول الدكتور مندور عنه في محاضراته عن خليل مطران: «مطران شاعر رومانتيكي أصيل».

٤ - مدرسة شعراء الديوان:

في عام ١٩١٣ كان عبد الرحمن شكري وإبراهيم عبد القادر المازني

وجلس محمود العقاد يتلاقون على أفكار جديدة في الأدب والشعر والنقد وإعلان الخصومة الأدبية على المدارس القديمة، وأخرج شكرى ديوانه الأول عام ١٩٠٩، وأصدر المازنى ديوانه الأول عام ١٩١٣، وتبعهما العقاد فأخرج ديوانه الأول عام ١٩١٦. . وفى عام ١٩٢١ ترك شكرى هذه المدرسة. . ولما صدر الجزء الأول من الديوان فى أبريل عام ١٩٣١ كان من ضمن بحوثه مقالة عن شكرى بقلم المازنى وعنوانها صنم الألاعيب، وفى عام ١٩٣٠ ترك المازنى هذه المدرسة وتنصل من آرائه فيها. . وصار العقاد وحده هو الذى يمثل هذه المدرسة.

والجزء الأول من الديوان تناول فيه العقاد والمازنى كلا من شوقى وشكرى بالنقد اللاذع المرير.

ويقص الدكتور رمزى مفتاح قصة شكرى مع المازنى والعقاد فى كتابه رسائل النقد الذى أخرجه عام ١٩٢٩، ووصف شكرى فيه بأنه زعيم الشعراء المجددين أو زعيم مدرسة الجديد، وأنه رأس المدرسة الحديثة وقال عن العقاد والمازنى إنها تلميذان لشكرى. . وكذلك فعل مختار الوكيل فى كتابه «رواد للشعر الحديث».

والشعراء الثلاثة: شكرى والعقاد والمازنى ممن أثر الأدب الإنجليزى فى أخيلتهم ومعانيهم وفى شعرهم عامة. . والشعر عند شكرى هو وصف الحالات النفسية والمواقف العاطفية والإحساسات المختلفة وكل ما يتفاعل به العقل المفكر مع الشعور الحى المثقف، وقصائد شكرى صور كاملة لرسم النفس وحالاتها، والوحى أو الهاتف عند شكرى معناه استكمال المعنى فى ذهن الشاعر ونضوجه فى نفسه واستيفاء الإحساس به.

والشعر عند مدرسة الديوان تغلب عليه النزعة الوجدانية بينما تغلب على مدرسة خليل مطران النزعة الموضوعية.

والعقاد لا يقر لشوقى بأية موهبة فى الشعر كما تطالع ذلك فى الديوان بجزأيه، إنه لا يريد أن يعترف بشاعر لا تطالعنا شخصيته ومزاجه الخاص

ونظرتة إلى الحياة وفلسفته فيها من خلال شعره، ولا تتكامل وحدة القصيدة في شعره.

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيراً عن وجدان الشاعر وحياته الباطنية، أى أن يكون صورة لنفسه، وصادراً عن نفس الشاعر وطبعه. إن مدرسة الديوان تدعو إلى صدق الشاعر في الإحساس والتعبير.

وقد مات المازن في أغسطس عام ١٩٤٩، ومات شكرى عام ١٩٥٩م.

٥ - مدرسة أبوللو:

في عام ١٩٣٢ كون أبو شادى مدرسة أدبية سماها «مدرسة أبولو» نسبة لإله الشعر عند الإغريق، وأصدر مجلة أدبية خاصة بالشعر ونقده، وسماها «مجلة أبولو».

وكانت رسالة مدرسة أبولو هي الثورة على القديم، والدعوة إلى الحرية الفكرية والأدبية والفنية، وإلى تمثيل الشعر لخلجات النفوس وتأملات الفكر ونبضات الأفئدة وهزات العواطف والمشاعر.. وكانت مجلة أبولو أول مجلة تقف نفسها على الشعر العربى المعاصر، من أجل النهوض به وإحياء روح الشعر الأصيل، وتهذيبه مما علق به من أوهام التقليد والصنعة والابتذال.. ورسالة الشعر عنده هي أداء رسالة «الشعر بالشعر للشعر».

وقد ظل أبو شادى يعلن الثورة على التقليد والجمود والرجعية، ويدعو إلى الأصالة والفطرة وإلى الوحدة التعبيرية، وإلى التناول الفنى السليم للفكرة والموضوع والمعانى، وأسمى رسالة للشعر عنده هي النهوض بالإنسانية عن طريق هذا الفن الجميل.. ويرى أبو شادى أن الطلاقة الفنية هي صفة فطرية في كل فنان موهوب.

وكان أبو شادى من أشد الشعراء تحمساً وفهماً للتجديد ودعوة إليه،

وحرصاً عليه، وقد طاف بكثير من بلاد أوربا، وقرأ الآداب العالمية، ووقف على الفكر الإنساني في مختلف العصور، وله ثلاثة وعشرون ديواناً شعرياً، وهي ثروة ضخمة لا مثيل لها في الشعر الحديث.

وأغراض مدرسة أبولو هي كما رسمها وحددها أبو شادي:

- ١ - السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً.
- ٢ - مناصرة النهضة الفنية في عالم الشعر.
- ٣ - ترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً والدفاع عن كرامتهم.

وكانت عضوية الجمعية مفتوحة للشعراء خاصة والأدباء عامة في جميع الأقطار العربية.

وفي سبتمبر عام ١٩٣٢ صدر العدد الأول من مجلة أبولو في القاهرة وظلت تصدر أعدادها كل شهر حتى توقفت عام ١٩٣٥، وتولى أبو شادي رئاسة تحرير المجلة؛ وسكرتيرية الجماعة، واختير لرياسة الجماعة أحمد شوقي، ولما توفي شوقي في الرابع عشر من أكتوبر ١٩٣٢ اختير مطران رئيساً لها.

وكان من أعضائها: أحمد محرم، وإبراهيم ناجي، وعلى محمود طه، ومحمود أبو الوفا، والصيرفي، ومصطفى السحرقي وسواهم.

هذه أهم مدارس الأدب ومذاهب الشعر في مصر، وقد كان ولا يزال لها صدى عميق في الأدب والشعر في شتى أنحاء العالم العربي.

ذيل الكتاب :

أولاً

الحركة الثقافية المعاصرة في السودان^(١)

- ١ -

منذ أن قام الإمام الأكبر الثائر، محمد أحمد المهدي بثورته الوطنية الكبرى في السودان عام ١٨٨١م، ضد النفوذ الاستعماري الغربي؛ وتاريخ السودان الثقافي يحفل بتطورات كبيرة، تستمد جذورها من حركة المهدي ودعوته وانتصاراته.

فقد قامت الخلايا بكثرة في السودان، وصارت من أهم المراكز الثقافية في جميع أنحائه، وكانت تناقش فيها مسائل الدين والعلوم والتصوف على أوسع نطاق، ويقوم بالتدريس فيها علماء متصوفون، يدرسون لتلاميذهم شتى ألوان الثقافة الإسلامية.. ومن أشهرهم الإمام الشيخ محمد البدوي تلميذ الإمام المبدي الكبير، وحامل دعوته ورسالته، وشيخ العلماء الأول في السودان بعد ثورة المهدي.. وقد درس في الأزهر على الشيخ عليش والشيخ العدوي وسواهما، وصار إماماً في مذهب مالك، ومرجعاً في الحديث، وحجة في سائر علوم الدين.. واشترك في الثورة المهدية، وكافح من أجلها، ولما انتهت الثورة اختارته حكومة السودان شيخاً لهيئة العلماء.. وأقام في منزله يلقي على طلابه المحاضرات والدروس، وكان من أنبه تلاميذه السيد الإمام عبد الرحمن

(١) لصلة السودان بليبيا الوثيقة طول عصور التاريخ، أثبتنا هذا الفصل هنا، وإن كانت السودان ليست من دول الشمال الإفريقي بداهة..

المهدي، وكان الشيخ يكرمه ويحبه ويجلسه عن يمينه، ويتوسم بفراسته أنه سوف يصبح زعيم السودان بعد والده الإمام، وتوفي الشيخ رحمه الله في أم درمان عام ١٩١١ ورثاه الشعراء بمرث بليغة، ومن بينهم الشاعر السوداني الشيخ محمد سعيد العباسي.

وقد تطورت هذه الحركة الثقافية إلى إنشاء المعهد العلمي بأم درمان ١٩١٢ ليكون أزهر السودان الجديد، واستعان المعهد بمناهج الأزهر وأساتذته للقيام بمهامه العلمية والإسلامية، ووفد كثير من طلابه على الأزهر يرتشفون من ينابيعه، وتلا ذلك إنشاء كلية للشريعة وأخرى للغة العربية فيه.. وتولى رياسته قبل سنوات شيخ جليل من شيوخ الأزهر السودانيين، وهو الشيخ محمد المبارك.. ومن معهد أم درمان تخرجت أجيال من شباب السودان الحر المثقف؛ ومن بين من درسوا فيه، وتخرجوا منه أعلام الفكر السوداني؛ ومن الشعراء المشهور التيجاني يوسف بشير (١٩١٢ - ١٩٣٧).

وقد تطور المعهد وفروعه والكليات التي قامت معه، وتكون من ذلك كله الجامعة الإسلامية التي صدر قانون بإنشائها عام ١٩٦٦، وتحتوي على كلية الشريعة وكلية الآداب، وكلية أصول الدين، وكلية البناات الإسلامية.

وكان ذلك كله معززاً للتيار الثقافي الإسلامي الذي انتشر في ربوع السودان منذ أوائل الفتح الإسلامي حتى اليوم، وهو التيار الذي أضاء شعلة الثقافة الإسلامية في هذه البلاد، وتثقف عليه أجيال العلماء السودانيين، والشباب السوداني في كل عصر وجيل، وعزز اتصال الفكر السوداني في قديمه التليد بالأزهر الشريف وثقافته.

وهذه الثقافة الإسلامية الأزهرية عريقة في السودان، منذ انتشر الإسلام في ربوعه، وخاصة بعد فتح السلطان الناصر بن قلاوون لدنقلة في التاسع من يونيو عام ١٣١٨م، وقد صحب هذه الثقافة الشعر والأدب، اللذان ازدهرا في مدنه بعد قليل.. وفي القرن الحادي عشر الهجري نجد عالماً سودانياً من خريجي الأزهر، يقف في سنار ليمدح أحد ملوك الفونج، وهو

السلطان بادي أبو دقن (١٦٤٣ - ١٦٧٨م)، وذلك في قصره بعاصمته الجميلة.. فيقول:

أيا راكبها يسرى على متن ضامر إلى صاحب العلياء والجود والبر
ويطوى إليه شقة البعد والنوى ويقتحم الأوعار في المهمة القفر
وينهض من مصر وشاطئ نيلها وأزهرها المعمور بالعلم والذكر
لك الخير إن وافيت «سنار» قف بها وقوف محب وانتهاز فرصة الدهر
وألْق عصا التسيار في صرح أفقها تجرد كل ما تهوى النفوس من البشر

وكانت مواطن هذه الثقافة الإسلامية قديماً في السودان، تتمثل في سنار ودارفور والفاشر وسواها من مدنه، وكانت مملكة الفور في دارفور تهتم بنشر الثقافة الدينية، ومن علماء دارفور إبان ذلك جماعات درست في الأزهر، وتزودت بثقافته.. ولعلماء سنار ودارفور منذ عهد بعيد وطلابها رواقان في الأزهر يسميان رواق السنارية، ورواق دارفور.. ومن الأدباء المشهورين في مملكة الفور محمد ود عماري من متخرجي الأزهر، وكان كاتب سلطان دارفور محمد الفضل أثناء فتح محمد علي للسودان.

- ٢ -

وقد حاول المستعمرون الإنجليز منذ آخر القرن التاسع عشر فصل السودان عن عروبه وثقافته الإسلامية، وانتشر المبشرون الأوروبيون في شتى أرجائه، وانتشرت الثقافة الإنجليزية وفرضت على برامج التعليم فيه.

وتلا هذا التطور الثقافي إنشاء المستعمرين الإنجليز لكلية غوردون لتخريج طبقة تقترب من الغرب وثقافته، وإنشاؤهم كذلك لكثير من المدارس الأجنبية في السودان.. وكانت برامج المدرسة في كلية غوردون تخرج معلمين للإدارة، والتعليم فيها بالإنجليزية.. وقد دعا خريجوها إلى قومية الأدب السوداني والثقافة السودانية، ونشروا فصولاً عديدة في مجلة حضارة السودان

والنهضة السودانية ومجلة الفجر، بينوا فيها أهمية الثقافة الغربية وحتمية التأثير بها. . ومنذ قليل صارت كلية غوردون نواة الجامعة السودانية الجديدة. .

ولما خرج الجيش المصرى من ربوع السودان، وبدأ الإنجليز يعملون على نشر ثقافتهم ولغتهم، كان لا بد لمصر من أن تقوم بإنشاء العديد من المدارس فى المدن السودانية لتقاوم تيار «التغريب» وبما أنشئ المدرسة الثانوية المصرية بالخرطوم التى صارت اليوم فرعاً لجامعة القاهرة بعاصمة السودان الشقيق.

- ٣ -

ومن هذين التيارين الثقافيين تكونت عقلية الشباب السودانى، التى أبدعت الأدب السودانى الحديث شعره ونثره.

وفى مقدمة شعراء السودان وأدبائه اليوم الشاعر الكبير محمد أحمد المحجوب رئيس وزراء السودان الحالى.

الشعر فى السودان

- ١ -

تستحكم وشائج العروبة فى السودان الشقيق منذ الاتصال السياسى والحربى بين شعب السودان، وقواد الفتح الإسلامى فى مصر، من عبدالله بن أبى السرح (أمير مصر بعد عمرو بن العاص) إلى عبدالله بن الجهم (أمير مصر فى عهد المأمون) إلى ما تلا ذلك من عصور وأحداث وصلات تجارية وعسكرية.

وفى التاسع من يونيو ١٣١٨ م فتح السلطان الناصر بن قلاوون ملك

مصر مدينة دنقلا في شمال السودان، وقضى على قواتها العسكرية، فتم فتح شمال السودان، وانتقل من الوثنية إلى الإسلام، وهاجرت القبائل العربية المختلفة من ربيعة ومضر فاستقرت فيه، واستقرت معها فيه اللغة العربية والثقافة العربية والأدب العربي بجميع فنونه وألوانه، شعراً ونثراً.

وبدأ المجتمع السوداني يسمع الشعراء ينشدون شعرهم في المدح والتصوف والحكمة والفخر والوصف والغزل وسوى ذلك من ضروب الشعر.

واستمرت هجرة العرب من الحجاز ومصر وشمال إفريقيا ومن الأندلس بعد زوال الحكم الإسلامي من ربوعها متصلة إلى السودان؛ فزاد بذلك حظ الشعر قوة وثناء في هذا القطر الشقيق.

وقد وجدت الآداب والشعر مجالاً خصباً لها في سنار عاصمة مملكة الفونج، ثم في دار فور عاصمة مملكة الفور. . وخاصة بعد زيادة الاتصال الأدبي بين مصر والسودان، حيث كثرت هجرة العلماء من السودان إلى الأزهر في مصر، ومن مصر إلى السودان فأثرت اللغة والأدب والشعر بذلك خير إثراء.

- ٢ -

ولما قامت الثورة المهدية في السودان تدعو إلى الدين وإلى نبذ طاعة الأتراك الطغاة وصنائعهم من المستعمرين، بقيادة الزعيم السوادي الإمام المهدي الأكبر قام الشعراء يبشرون بدعوته، ويمجدون جهاده، وقد مدح الشيخ الحسين الزهراء المهدي بقصائد طويلة. . ولما توفي الإمام المهدي الكبير بعد فتح الخرطوم والقضاء على غوردون، وذلك في الثاني والعشرين من يونيو ١٨٨٦م رثاه الشعراء بأبلغ العبرات^(١).

(١) الإمام المهدي هو محمد بن أحمد بن عبد الله الحسيني (١٨٤٣ - ٢٢ من يونيو ١٨٨٥) مال إلى التصوف من صغره، ونبغ في العلوم الشرعية، ثم شاهد فساد الحكم التركي، وآثاره تغلغل الاستعمار الأوربي في أفريقية، فترجم الحركة الإسلامية في السودان، واتصل بحكام العالم.

يقول الشيخ إبراهيم شريف الدولابي يرثي المهدي:

ودعا إلى الدين الخفيف مجاهدا	بالسيف والانذار والتبشير
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا	تأخذك لومة لائم مدحور
هو مجمع البحرين بحر شريعة	طام ويحجر حقيقة مسجور
والله أكرمه بطيب تحية	يحدوها موسى كلسم الطور
قد كان قوام الدجى متبتلا	متواصل الإحسان غير فخور
طلق المحيا خاشعا متواضعا	كهف الفقير وجابر المكسور
تبكى المساجد والمحارب فقده	ومواطن الأذكار والتذكير
يا آل بيت المصطفى صبراً وإن	جل المصاب وعز عن تصبير

ويقول الشيخ إسماعيل الكردفاني يصف قبة المهدي:

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا	ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا
ولاحت بأنوار الهداية شمسها	فأشرق فيها الكون وانقشع الردي
ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث	خير السورى طه المشفع أحدا
إمام له فى كل مجد وسودد	مأثر فضل ما أجل وأعجدا

ويقول محمد بن الطاهر المجذوب يرثي المهدي:

ليبك له الدين الخفيف وملة	أبان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا هديا يتمنا بفقده	فقدناك يا شمسا دهانا غابها

وكان عمر البنا شاعر الثورة المهدية، ومن أبرز شعراء السودان، وهو شاعر بليغ، قوى الديباجية، رصين العبارة.

= الإسلامى بشرح لهم حقيقة الحالة فى بلاده ودعا إلى وحدة الصفوف وإلى فتح باب الاجتهاد فى الشريعة وكتابه «العبادات» مشهور، وقد أعلن الثورة ضد الاستعمار وقاومه مقاومة عنيفة، وهزم جيوشه حتى آخر رمتى فى حياته، واستمرت الدعوة المهدية متصلة فى عهد عبدالله بن محمد التعايشى من بعده، ثم تولى ابنه عبد الرحمن المهدي بعده حركة الدعوة المهدية إلى أن نال السودان استقلاله وتوفاه الله فى الرابع والعشرين من مارس عام ١٩٥٩، فتولى زعامة طائفته من بعده الصديق المهدي.

وهكذا كان للثورة المهدية أبلغ الأثر في الشعر، فقد أوجدت فيه حركة فنية واسعة النطاق بين الشعراء السودانيين، فمنهم من نظم القصائد في تأييد الدعوة المهدية، ومنهم من نظمها في تمجيد شخصية الإمام، ومنهم من مجد انتصارات المهدي العسكرية، ومنهم من وصف المعارك والوقائع، إلى غير ذلك من موضوعات الشعر.

وبذلك وبهذا الحدث الوطني الجليل قامت في الشعر السوداني مدرسة شعرية كلاسيكية محافظة تشبه مدرسة البارودي في مصر، وتتأثر خطاها، طابعها ديني غالباً، وظهرت بذلك شخصية الشاعر السوداني لأول مرة مستقلة واضحة المعالم والسمات والخصائص... وعكف الشعراء على أنفسهم بعد انتهاء الثورة المهدية، وقضاء الإنجليز عليها عسكرياً؛ وتخرج على أيدي هذه المدرسة كثير من الشعراء من بينهم عبدالله عمر البنا، وأحمد صالح، وصالح عبد القادر، وسواهم.

وكان للثقافة المصرية وللأدب المصري والشعر المصري المنزلة الأولى في السودان حتى عام ١٩٢٤، ففي هذا التاريخ انفرد الإنجليز بالسودان بعد جلاء الجيش المصري، وأخذ الإنجليز يعملون على بث الفرقة بين مصر والسودان، وعلى نشر ثقافتهم ولغتهم في المدارس؛ وظهرت خلال ذلك المدرسة الشعرية الثانية ذات الاتجاه الإبداعي، وشعراؤها يتفاوتون في نزعاتهم الثقافية، فمنهم من ظل يتأثر الشعر العربي القديم، ومنهم من تأثر بالمدارس الابتداعية الحديثة في مصر كمدرسة مطران ومدرسة شعراء الديوان ومدرسة أبولو، ومنهم من رجع إلى الأخيلة الغربية، وكان الشاعر عبد الملك حمزة طمبل أول شاعر إبداعي في حركة الشعر في السودان، وهو أول من دعا في مقالاته في مجلة النهضة عام ١٩٢٧ إلى إبراز الطابع السوداني في الشعر وإلى أهمية الثقافة الغربية، وقد جمع هذه المقالات في كتاب نشره عام ١٩٢٨ بعنوان (الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه) وقد تأثر طمبل بآراء النقاد المصريين، وأفاد منهم، وحمل على شعراء السودان وهاجم افتتاحهم القصائد بالغزل ووصف الناقة ودعا إلى العناية بالمضمون، وطالب بالاهتمام بالمعنى لا

بالمبنى، ودعا أدباء السودان إلى الصديق والإخلاص؛ وقد حمل الدعوة بعده محمد أحمد محجوب، وله بحث عن الحركة الفكرية في السودان.

ثم جاء التيجاني يوسف بشير صاحب ديوان إشراقة، ويوسف التني الذي أصدر عام ١٩٣٨ ديوانه الأول، وفي عام ١٩٥٥ أصدر ديوانه الثاني «السراثر».

وفي تأييد النزعة القائلة بوجوب خلق أدب قومي سوداني يقول المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم في كتابه «نفثات اليراع»: «يجب أن يكون للسودان أدب خاص يحمل طابع شمس المشرق، وطغراء بدره الوضيء، ويخص بعنايته الحياة السودانية وحدها».

وظهرت دواوين عدة قبل الحرب العالمية الثانية تمثل الاتجاه الرومانسي، ومنها: إشراقة للتيجاني، الشاطئ الصخري لحسين منصور، دموع وأشواق للشاعر حسن عزت، الحرية والجمال للشاعر جعفر حامد البشير، وسواها.

ثم ظهر أخيراً ديوان ألحان وأشجان للشاعر السوداني محمد محمد علي...

وبقيام الحرب العالمية الثانية قامت مدرسة ثالثة من مدارس الشعر السوداني المعاصر، هي مدرسة الواقعيين، ومنهم: محيي الدين فارس، محمد الفيتوري، الجبلي عبد الرحمن، تاج السر، وسواهم من الشعراء الذين تأثروا بالشعر المصري والمهجري، وغلب على مضمون شعرهم الميل إلى النزعة الواقعية، وقد ظهر لهؤلاء الشعراء عدة مجموعات شعرية تمثل مذهبهم في الشعر، ويغلب على مضامينهم النزوع إلى الحرية والانطلاقة والثورة، وتأييد حركات المقاومة وتأييد الاستعمار وعصره البائد.

وهكذا نرى أن الثورة المهدية، وهي ثورة وطنية كبيرة، كانت الشرارة الأولى التي أطلقت الشعر السوداني من قيوده، وسارت به خطوات كبيرة في سبيل التحرر والقوة والثراء، وكانت إلهاماً قوياً، وكان صداها عنيماً في أذهان

الشعراء السودانيين... وقد استمرت ملهمة موحية للشعراء في القطر الشقيق.. فمجدها التيجاني وسواه، وجعلوها نقطة الارتكاز في تاريخ السودان.. وكانت بداية الأدب الحديث هناك كما كانت الثورة العربية بداية الأدب الحديث في مصر، والدعوة السنوسية أو سمها بـ «الثورة السنوسية» بداية الأدب الحديث في ليبيا.

ونحن لا نجحد عوامل كثيرة أخرى في الشعر السوداني، من مثل: البيئة الأدبية في السودان، وأدب مصر، وأدب المهجر، وعروبة السودان، والثورات الوطنية في السودان التي قامت امتداداً للثورة المهدية، مثل ثورة الشريف محمد الأمين، وثورة السلطان علي دينار عام ١٩١٦ وثورة الدلنج عام ١٩١٧، وثورة علي عبد اللطيف عام ١٩٢٤، ثم ثورات الشباب الوطنيين في سبيل طرد الإنجليز من ربوع السودان.

ونقول أخيراً إن الشعر السوداني لا زال يتابع خطواته في سبيل التجديد والقوة والحرية.

التيجاني بشير

الوحدة بين شمال الوادي وجنوبه، ليست شيئاً من صنع التاريخ؛ ولكنها حقيقة خالدة من صنع الله، وشعور أبدي بروابط الفكر والروح والآمال والآلام؛ وحنين متصل إلى الحرية والقوة والمجد، كما يعبر عن ذلك شاعر السودان بل شاعر الوادي، المرحوم التيجاني بشير، أبلغ تعبير، فيقول:

عادني اليوم من حديثك يا مصـ	ر رثى، وطوفت بي ذكرى
وهفا باسمك الفؤاد، ولجت	بسمات على الخواطر سكرى
من أتى صخرة الوجود ففرا	ها؛ وأجرى منها الذي كان أجرى
هو من صاغنا على حرم النـ	ل وشطآنه دعاء وشكرا
إنما مصر والشقيق الأخ السـ	دان كانا لحافق النيل صدرا

حفظاً بحمد القديس، وشاداً منه صيتاً، ورفعاً منه ذكراً
كلما أنكسروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعاً وفكراً

ويعبر في قصيدة أخرى عن هذه الوحدة الوثيقة، فيقول:

مصر دين الشباب: في الحضر الرا فيه والبدو، من قرى وبقاع
حذا الموت في سبيلك يا مصر ر لنشء عن الحمى دفاع

وهذا الشعور الملتهب في نفس الشاعر بوحدة الوادي، ألهمه روائع
الآيات في النيل، نهرنا الخالد؛ يقول من قصيدته «في محراب النيل»:

إن عبدنا فيك الجلال فلما نقض حق الزيادة عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نب ل بلاء الحدود في صون غابك

ويشبه حبيه بالنيل تشبيهاً جيداً، في قصيدته «أنت أم النيل؟» فيقول:

أنت يا فاتني أم النيل زخا را؟ بنفسي كليكما من شيبه
غننا السحر من شواطئه الخض ر، وغن الزمان من ماضيه
واذكر سالفاً مجيداً على الدهر ر، عزيزاً على كرام بنييه

ويركب الشاعر زورقاً يسبح به في النيل، فتتقاذفه الأمواج، حتى
ليشرف على الهلاك، فيقول يخاطب النيل:

رفقا بمن آواك إلهامه وصاغ في صدرك وحى الجمال
آماله يا نيل... أحلامه شبابه الغض الوريث الظلال

ويكرر ذلك، فيناجي النيل في بشر وحب وأمل، فيقول من قصيدته
«الزورق الأخضر»:

الله في زورق من غافل يا نيل لم يظفر بربان
شراعه الحب، ومجدافه قلبان طفلان غريران
احفظ صبييه، وباركهما للحب يا نيل وألحان

وهكذا كان يغرّد التيجاني، الشاعر المؤمن بوحدة الوادي، والذي أذاب

نفسه أحياناً ساحرة، كان يبعث بها الحياة والأمل في قلوب المصريين
والسودانيين على السواء... وهذه إحدى خصائص شاعرية التيجاني، ابن
النيل الطموح، وشاعر الوادي المغرد.

والتيجاني يمثل فكرة جديدة في الشعر السوداني الحديث، فقد طفر
الشعر في السودان على يديه من عهد الأناشيد العامة، والمعارضات الأدبية
للقدماء، إلى طور الاستقلال والذاتية والنضوج الفنى؛ وأصبح الشعر
السوداني بفضل عبقريته، تعبيراً واضحاً متميزاً جليلاً، عن البيئة والمجتمع
والشعب، وحياة الأمة وآمالها وآلامها، وثورتها في سبيل الحرية والعزة
والكرامة... وتلك خاصية «ثانية» لشاعرية الشاعر؛ ومن ثم انتظم شعره
النزعات الوطنية الحرة، كما انتظم الكثير من أوصاف الطبيعة والاستغراق
الذهني في مشاهدتها، والتبتل الصوفي في محرابها، كما في قصائده: «الخرطوم
مدينة الشعر والجمال»؛ و«توق في الصباح»، وتوق جزيرة مشهورة أمام
الخرطوم، و«من أغوار القلب»، وقد وصف فيها استقبال روحه للربيع وجماله
الأبدى، وتحدث فيها كذلك عن حبه وأحبابه.

وللتيجاني شعر وجداني كثير، يمثل نزعات نفسه، وخلجات قلبه،
وأعمق مشاعره وهواجسه، ويتمثل هذا الشعر الوجداني في غزله وحبه، وفي
أحاديثه عن نفسه وآلامه.

أما شعره في الغزل فتصوره قصائد كثيرة في ديوانه، من أجملها «نعيم
الحب»، ومن «وراء النافذة»، و«النائم المسحور»، و«في الموحى» التي يصف
فيها نشوته الروحية بساعات لقاء في الظلام، و«القمر المجنون»، وقد تحدث
فيها عن حبيبة له تسمى «قمرًا»، أحبها وأحبته، ثم تزوجت قسراً سواه،
فدفع بها الحب إلى الجنون، وقصيدته «جمال وقلوب»، وهي رائعة حقاً في
تصوير مشاعر محب وامق، ويقول فيها:

وعبدناك يا جمال وصفنا لك من أنفاسنا هياماً وحباً
ووهبنا لك الحياة وفجرنا لنا يناعها لعينيك قربى

من ترى وزع المفاتن يا حسـ ن، ومن ذا أوحى لنا أن نحبا؟
من ترى وثق العرى بين مسحـ رين أسماهما جمالا وقلبا
وأما شعره عن نفسه فكثير متصل في الديوان؛ ومنه قصائده الجميلة:
«الخلوة» وقد وصف فيها طفولته وهو يحفظ القرآن في المكتب، والمعهد
العلمي» ويصور فيها حياته العلمية الأولى في معهد أم درمان، وبدء ظهور
نزعات الشك في تفكيره، و«قلب» وقد تحدث فيها عن قلبه ومنازعه وخطراته
العميقة، «وهوى وفقر» وقد تحدث فيها عن فقره وهواه وصنيع دنياه معه،
ويؤلم الشاعر ضياع عبقريته وأدبه في وطنه فينظم في ذلك قصيدته «الأدب
الضائع».

وفي قصيدته «إلى» التي يصور فيها أحاديث نفسه، يقول:

ويا مهيض الجناح كم أمل تبغى، وكم في السماء تطلب؟
تود مصر الزمان، وهى لما يأمل منها الشباب مطلب

ويكاثره غنى مترف، فينظم في ذلك قصيدته «قلب من ذهب» ويقول
منها:

أينا يزحم الوجود جناحيـ ه، وتمشى الحياة بين ضميره
لى دنيا الفنون والوحى والإلـ هام من صدقه ومن مسحوره

وفي قصيدته «نفس» يصف نفسه الحرة الأبية، فيقول:

سبحانك اللهم نفـ س كلها عطف ولين
وتر من الناي المقدـ س من بقايا المرسلين
من قدس داجية الشعوـ ر، وطهر واضحة الجبين
من كل سحر في الوجوـ د، وساحر في العالمين
من مهبط الروح العزيزـ ز، وعنصر الجسم المهين
صيغت فكانت حرة أبدا على مر السنين

وتسود شعره الوجداني نزعة واضحة من القلق الفكري والروحي، مما يبدو واضحاً في قصيدته «يؤلني شكى» ويقول فيها:

أشك، يؤلني شكى، وأبحث عن برد اليقين، فيفنى فيه مجهودى
أشك لا عن رضا منى، ويقتلنى شكى، ويذبل من وسواسه عودى

ويقول في مطلع قصيدته «حيرة»:

بين اثنتين أسر أم أبكى قيس اليقين وجذوة الشك؟
وللتيجاني شعر وصفى، من أروع قصيدته «فجر في صحراء» وقصيدته
«طفل» التي وصف فيها قدرة الله الباهرة في خلق الإنسان.. ومن أبدع شعر
الرثاء في شعره قصيدته الطويلة «دمعة على طفل».

ومن أظهر خصائص التيجاني في شعره، نزعته الصوفية العميقة المشوبة
بموسيقى غنائية رائعة، ويصف الشاعر حياته الصوفية الأولى في صباه، في
قصيدته «الصبي العابد» التي يقول فيها:

كنت بين الصبا نعمت بإيما ن رضى؛ وأين عهد صبايا؟
فلبت الهدى، وعوجلت في النور، وقد كنت صادقاً في هدايا
تاه منى الصبا، وضلت سنون بعد في منطق كثير القضايا
ومضى الشك ساليقين، فله فؤاد تأكلته الرزايا

والشاعر في قصيدته «الصوفي المعذب»، مؤمن عميق بالإيمان، وحدة
الوجود مذهبه، وهداية السماء نبراسه، وفي أسرار الكون تفكيره.. ويقول
منها:

الوجود الحق ما أو سع في النفس مداه
والسكون المحض ما أو ثق بالروح عراه
كل ما في الكون يمشى في حناياه الإله
هذه النملة في رق لها رجع صداه

هو يحيا في حواشيه ها، وتحيا في ثراه
وهي إن أسلمت الروح تلقته يداها
لم تمت فيها حياة الله إن كنت تراه

ويؤكد الشاعر نزعتَه إلى التصوف في قصيدته «قلب الفيلسوف» التي يقول في آخرها:

في موضع السر من دنياى متسع للحق، أفتأ يرعاني وأرعاه
هنا الحقيقة في جنبى، هنا قبس من السموات في قلبى، هنا الله
وللتيجانى نزعات فلسفية عميقة في شعره، فهو يتخذ من ينبوع الوحي طريقه إلى المعرفة، ويؤمن بمذهب الشك، لأنه السبيل إلى الحقيقة؛ ويرى في الدين دافعاً للبشرية نحو الخير والمثل العليا، وأن المعركة الأبدية بين العلم والجهل متصلة؛ ونهايتها من غير شك انتصار العلم؛ كما يقول في قصيدته «اليقظة» التي تحدث فيها عن أحرار الفكر، وعن العقل الإنسانى وتطلعه إلى كشف المجهول من أسرار الحياة.

وبعد، فإن شعر التيجانى يمثل عقلاً نفذ إلى أعماق الوجود والحياة، وثقافة واسعة استمدتها من اطلاعه على كتب التصوف والفلسفة؛ كما يمثل شخصية أدبية مستقلة في التفكير والتعبير، وفي خصائص الشاعرية والبيان، وفي خيالات الشعر وأسلوبه ووحدة القصيدة فيه.

ولقد قرأ الشاعر طويلاً في مصادر الأدب العربى القديم والحديث على السواء؛ قرأ للجاهلين والإسلاميين والمحدثين؛ كما قرأ لشوقي وحافظ ومطران؛ وشكرى وأبى شادى وناجى والصيرفى، وعلى محمود طه والهمشرى والعقاد، وشعراء المهجر وسواهم... ولكنه لم يقلد في الشعر أحداً، ولم يعارض في قصائده شاعراً قديماً أو حديثاً؛ وذلك ينم عن ملكات شعرية مطبوعة، متصلة بنباع الإلهام الصادق في نفسه.

ولقد مهد التيجانى بشعره لمدرسة جديدة في الشعر السودانى المعاصر.

وفى عمر الزهور، وإشراقه الشباب، مات الشاعر عام ١٩٣٧، عن خمسة وعشرين عاماً؛ ولم يترك وراءه سوى مقالات قصيرة فى الأدب والنقد، كانت تنشرها له المجلات الأدبية فى مصر والسودان، ولم تجمع بعد فى كتاب؛ وغير ديوانه الصغير «إشراق» الذى يحتوى على ست وستين قصيدة، تمثل أجمل الإلهامات الشعرية، وأجل الآيات المعبرة عن شاعرية موهوبة، لها منزلتها فى تاريخ الشعر السودانى الحديث.. وصمتت إلى الأبد هذه القيثارة الساحرة.

ثانياً

الثقافة العربية فى صقلية

تلاقت الثقافة الإغريقية والرومانية^(١) فى صقلية، وقد رحل أفلاطون إلى سيراكوزا عاصمة صقلية عام ٣٦٦ ق م بدعوة من دنيس حاكمها لتطبيق أفكاره فى المدينة الفاضلة فيها.

وقد فتح أسد بن القرات صقلية عام ٢١٢ هـ: ٨٢٧ م، ودخلها معه عدد كبير من العلماء والفقهاء والشعراء، وكان هو عالماً فقيهاً، وتلميذاه: أبو يحيى أحمد بن محمد بن قديم، ويزيد بن محمد الجمعى من الراسخين فى علوم الدين.

ولأبى زيد القيروانى (٩٩٦ م) فضل نشر مذهب مالك فى صقلية، وكتابه الرسالة مشهور. وكان لقضاة الإسلام فى الجزيرة أثر كبير.

ولإبان الحكم الإسلامى العربى لصقلية كان فى مدينة بالرمو وحدها أكثر من ٣٠٠ مسجد، وفى كل مسجد إمام يعلم الناس ويرشدهم ويفتيهم، وكانت بالرمو تحاكى القيروان وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة فى العناية بالثقافة الإسلامية والعربية.

وبدأت المحاولات لإجلاء المسلمين عن الجزيرة عام ١٠٣٨ م على يدى

(١) استولى الرومان على الجزيرة عام ٢١٥ ق م من قرطاجنة.

جورجيو مانياتشي، وعززها عام ١٠٦٠ م روجيروا النورماندى المعروف عند العرب باسم روجار، ودانت الجزيرة كلها لحكم النورماند بعد ثلاثين سنة من الحروب، وبدأت هجرة النخبة الممتازة من أهل الأدب والشعر وأصحاب المذاهب الدينية والفكرية والسياسية، الذين هاجروا إلى مختلف العواصم الإسلامية، ومن بينهم: ابن حديس وقد هاجر إلى الأندلس، وابن القطاع (١٠ من صفر ٤٣٣ هـ: ١٠٤١ م - ٥١٥ هـ) وقد هاجر إلى مصر عام ٥٠٠ هـ، وهو من بنى الأغلب ملوك صقلية من قبل الفاطميين وكان إماماً في اللغة وشاعراً، وله كتاب في تاريخ الجزيرة، وكتاب «الدرة الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة» وسواهما.

وقد شجع النورمانديون الثقافة العربية في الجزيرة، فنجد روجار الثانى يشجع الإدريسي (١٠٩٩ - ١١٦٦) الجغرافى العربى فيؤلف له كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»، وللمستشرق البلغارى بوريس نيتلوف دراسة عنه.

وفى العصر الحديث بدأ الاهتمام بالدراسات العربية بجزيرة صقلية فى القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى على أيدى أنطونيو داميكو، وجان باتيستا، وفرانشيسكو طارديا وسواهم، من مثل جوزيبى فيللا؛ وعمل الفونسو ابرولدى على إنشاء كرسى جامعى فى جامعة بالرمو للغة العربية كان ممن شغله نالينو، ويشغله حالياً المستشرق أومبرتو رنزيثانو، وللكاتب المشهور روزاريو جريجوريو (المتوفى عام ١٨٠٩ م) عدة مؤلفات عن تاريخ العرب فى الجزيرة، وكذلك فعل سلفاتورى مورشو (المتوفى عام ١٩٢٩ م) وله كتاب عنوانه: «بالرمو القديمة» يحتوى على وصف للمدينة فى القرن الثانى عشر الميلادى. وميكيلى آمارى أعظم المستشرقين الصقليين (١٨٠٦ - ١٨٩٠) وله كتاب «المكتبة العربية» فى صقلية وطبع عام ١٨٥٧ هـ على نفقة الجمعية الشرقية الألمانية، ثم ترجمه إلى الإيطالية، وكتاب «تاريخ مسلمى صقلية» فى ثلاثة أجزاء، وترجم كذلك من العربية إلى الإيطالية كتاب سلوان المطاع لابن ظفر (الذى هو من مواليد صقلية فى القرن الثانى عشر الميلادى). ومن

تلامذته المستشرق سكاباريللى (المتوفى ١٩١٩ م). وقد حقق ديوان ابن حمديس وترجمه إلى الإيطالية ترجمة لم تنشر بعد، وترجم كذلك إلى الإيطالية رحلة ابن جبير؛ ومن تلامذة آملوى كذلك المستشرق لاجومينا، وقد نشر فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة بمكتبات صقلية ومن بينها ٢٩ مخطوطاً عربياً، وكذلك كتاب الملل والنحل للشهرستانى، ويشغل أومبرتو ريزيتانو منصب مدير معهد الدراسات الشرقية فى جامعة بالرمو حالياً. . ولحسن حسنى عبد الوهاب بحث عن الحكم العربى لصقلية، ولأمين الخولى بحث نشره فى المقتطف ١٩٢٣ عن المدينة العربية فى صقلية، ولأحمد توفيق المدنى الجزائرى كتاب عنوانه «المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا» نشره عام ١٩٤٥، ولعلى مصطفى المصراتى كتاب بعنوان «أسد بن الفرات فاتح صقلية».

وقد نشر إحسان عباس ديوان ابن حمديس، وله كتاب عنوانه «العرب فى صقلية».

ونشر عبد الغنى المنشاوى ومصطفى السقا «ترجمة لابن حمديس الصقلى» عام ١٩٢٩ م.

وأعادت كلية الآداب بالرمو عام ١٩٥٩ كرسى اللغة العربية بعد أن كان قد ألغى من نحو ١٥ عاماً، وانهقدت فى أكتوبر ١٩٦١ فى بالرمو ندوة للدراسات الصقلية الشرقية.

ثالثاً

طرابلس في القرنين السابع والثامن

١ - في عهد الحفصيين قام الرحالة التونسي التجاني^(١) (٦٧٠ هـ - ٧٢٤ هـ) برحلة إلى طرابلس في صحبة أحد ملوك بني حفص في أوائل القرن الثامن الهجري، وقد سجل مشاهداته في هذه الرحلة في كتابه المطبوع بتونس «رحلة التجاني».

وعندما دخل إقليم طرابلس، ودخل زوارة وصفها بأنها أكثر بقاع الأرض ظباء؛ وتحدث عن زواغة وكرم أهلها وأشار إلى آثارها القديمة؛ وعن صبرة (صبراتة)، وعن زاوية أولاد سهيل^(٢)؛ وعن زاوية أولاد سنان، وعن زنزور^(٣)، وعن الأربطة والمساجد على ساحل البحر الأبيض الليبي.

ويدخل طرابلس فيروعه جمالها ورياضها حتى إنها سميت المدينة البيضاء، كما يروعه ضخامتها، ويتحدث عن مسجد العشرة^(٤)، ويعجب بحمام المدينة مع صغره، وبنظافة شوارعها وطول اتساعها واستقامتها، وأكثرها

(١) من أسرة علمية مشهورة ولد بتونس، ونشأ نشأة علمية عالية وخدم ملوك الحفصيين، وسار في صحبة الأمير الحفصي أبي يحيى زكريا بن اللحياني لزيارة تونس وطرابلس في آخر جمادى الأولى عام ٧٠٦ هـ وعاد من هذه الرحلة عام ٧٠٨ هـ: ١٣٠٨ م.

(٢) كان أبوهم سهيل كريماً مضافاً وتوفي عام ٦٧٣ هـ.

(٣) توفيت للأمير الحفصي ابنة ودفنت في زنزور أثناء هذه الرحلة.

(٤) سمي بذلك لأن عشرة من كبار أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة وتدير أمر البلد قبل تملك الموحدين لها عام ٥٥٥ هـ.

يخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها؛ ويصف العناية بسور المدينة واحتفال أهلها بينائه؛ ويذكر تاريخ المدينة في الإسلام، وفي خرزون الزناتيين وحكمهم. ويذكر بعض علماء طرابلس، ومنهم ابن أبي الدنيا (٦٠٦ - ٦٨٤ هـ)، وأبو علي الحسن بن معمر الهواري (٦٠٩ - ٦٨٢ هـ)؛ كما يذكر كثيراً من قصائد الشعراء ورسائل الأدباء.

ويتحدث عن شيخ علماء طرابلس في ذلك الوقت، وهو الإمام الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم، ويصفه بأنه نال من المعارف ما اشتهى، وقد حضر التجاني درسه بمسجد مجاور لداره، ويقول: إنه رأى رجلاً متضلعا من العلم، ذاكراً بالمذهب ذكراً لا يجاريه فيه أحد، وله عناية بحفظ كلام القرويين في المذهب، واعتماده في الأصول على كلام الإمام أبي المعالي وكلام الغزالي، ويقول التجاني إنه تتلمذ عليه، وإن الشيخ أجازته بإجازة طويلة ذكر فيها شيوخه الذين تلقى عليهم. ويتحدث عن ضريح الشيخ محمد بن عبد الوهاب القيسي الزاهد، وعن قبر أبي إسحاق إبراهيم الجدابي الفقيه وأعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغة وعروضاً ونظماً ونثراً.

٢ - وفي الرحلة المغربية^(١) لمحمد العبدري البلسي الرحالة الذي قام برحلته في ٢٥ من ذي القعدة عام ٦٨٨ هـ.

والعبدري يذكر سلامة اللغة في ليبيا حيث لم يصبها من الوهن ما أصابها في المغرب، ويقول: وعرب برقة اليوم أفصح عرب رأيناهم؛ وعرب الحجاز فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره وهم إلى الآن على عربيتهم لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ويذكر شواهد لحرص أهل برقة على سلامة لغتهم، ويتحدث عن معاملتهم في التجارة، وعن تقاليدهم وعاداتهم^(٢).

(١) نشرت في تونس بمطبعة البعث التي أنشأها الأستاذ أبو القاسم كرو بتحقيق أحمد بن جدو.
(٢) كتب الأستاذ نجم الدين غالب السكيب سلسلة مقالات عن هذه الرحلة وعن ليبيا كما رآها هذا الرحالة المغربي، وقد اعتمدنا على مقالاته إذ لم يقع الكتاب في يدينا.

خاتمة الكتاب

- ١ -

بين الأزهر وليبيا صلات قديمة وحديثة، فإليه كان يحج طلاب العلم من أبناء ليبيا في القديم والحديث، وفيه كان يشغل وظائف التدريس بعض أبناء ليبيا في مختلف العصور، ومن علمائه من هاجر إلى أرض ليبيا العربية المسلمة يفيد الناس، ويتصدر حلقات العلم في مدن ليبيا العريقة الخالدة.

والأزهر، منذ انشائه كان حامياً للدين، وحارساً للغة، يذود عنها طغيان الملحدين، وكيد الكائدين، وكان علماؤه منارة الدنيا، ومصابيح الهداية؛ وإذا كان الإسلام قد شرق وغرب، وأنجد وأتهم، وركز صواه وأعلامه في كل قطر، وفي كل مكان، دان أو بعيد، فإن الفضل في ذلك كله يرجع إلى الأزهر، قبله المسلمين ومبائهم، إذ كان يفد إليه الطالب، ويقصد إليه الراغب، ويمتحن بدلوه منه كل ظامئ... وبهذا كله صارت صلات المسلمين وروابطهم بعضهم ببعض، تنبعث منه، وتلتقي عنده، وتتوثق لديه، وتقيم صروحها عليه؛ وكان المسلمون، وإن تناءت ديارهم، وتباعدت أوطانهم، يلتفون جميعاً حوله، ويتجهون كلهم إليه، ويعلقون عليه الآمال الكبار... وإن تلك الصورة القديمة، التي نقلها إلينا التاريخ عن عناية المسلمين بالأزهر، وبذلهم كل شيء للتمكين له، ومعاونته في أداء رسالته، لتدل دلالة صادقة على ما كان له من مكانة مرموقة في قلب كل مسلم، وعلى ما علقوا عليه من عظام الآمال في خدمة الإسلام والمسلمين. وحاضر الأزهر

متصل بماضيه، منبعث من قديمه التالد، ومجده العريق. ولسوف يظل منارة
شياء في مصر، يرتفع به مجدها، ويتصل به فخارها، ويخلد به ذكرها؛ فهي
به وطن المسلمين، ومعقد آمالهم، ومقل رجائهم وما منا - نحن الذين عشنا
في أروقتة طلاباً وأساتذة - إلا وقد نهل من معين الأزهر، واهتدى بنوره،
وقبس من ضيائه، وغرف من تياره.

- ٢ -

ولما أنشأت ليبيا الجامعة الإسلامية في البيضاء، التي أطلق عليها اسم
جامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية، تيمنا باسم جده الإمام الأكبر محمد
ابن علي السنوسي رائد الدعوة السنوسية؛ كان لا بد أن تقوم بينها وبين الأزهر
صلات علمية وثيقة، وكان من مظهر التعاون بينهما أن تولى أساتذة جامعة
الأزهر التدريس في كليات الجامعة الإسلامية الثلاث الجديدة: الشريعة
وأصول الدين واللغة العربية.

وندبني الأزهر للسفر إلى البيضاء للتدريس في كلية اللغة العربية هناك
فشددت الرحال في خريف عام ١٩٦٣ إلى ليبيا، ووصلت إلى البيضاء في
التاسع عشر من نوفمبر عام ١٩٦٣، وظلت ثلاثة أعوام في البيضاء أدرس
لطلبي في الكلية تاريخ الأدب العربي القديم والحديث، والنقد، والأدب
المقارن، ونصوص الأدب، والأدب المهجري؛ وعهد إلى لأول مرة في تاريخ
الكلية القيام بتدريس الأدب الليبي.

- ٣ -

وكانت مهمة شاقة، فليس في الثقافة العربية كتب في تاريخ الأدب
العربي في ليبيا، ولا يعرف عن الأدب الليبي شيء حتى عصر الحركة
السنوسية، وكل ما يعرف عنه هو التراث الشعري للأدباء الليبيين المعاصرين.
وقد وجدت من تشجيع شيخى الجامعة الإسلامية لي، فضيلة الأستاذ

الشيخ منصور المحجوب، ثم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الديباني، ومن تشجيع عمداء الكليات الثلاث لى: الشيخ محمد جوان، والشيخ مصطفى التريكى، والشيخ إبراهيم رفيدة عميد كلية اللغة العربية، ما حفزنى إلى مضاعفة الجهد فى كتابة فصول تاريخ الأدب العربى فى ليبيا لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية، ووفق تقسيمات جديدة لم يسبقنى إليها باحث.

لقد نشر للأستاذ الحاجرى كتاب «الحياة الأدبية فى ليبيا» فى القاهرة عام ١٩٦٢، ولكنه بحث عن الشعر الليبى منذ عصر الدعوة السنوسية أى فى المائة عام الأخيرة، وعلى الرغم من قصر هذه المدة فإنه لم يشمل كل جوانب الحركة الأدبية فى هذه الفترة، وللأسف لم أطلع عليه إلا عام ١٩٦٦ حين وقعت لى نسخة منه، وكنت قد انتهيت من كتابة كتابى جملة.

وكتب الأستاذ محمد الصادق عفيفى كتاباً عن «شعراء ليبيا»، وكتب كذلك دراسة عن الشاعر رفيق، ونشر ديوانه، كما كتب الأستاذ على مصطفى المصراتى البحاث اللبى عدة كتب، عن بعض الشخصيات الأدبية الليبية البارزة، وكتب الأستاذ طاهر الزاوى كتاباً فى أعلام ليبيا، وفى هذه الكتب وغيرها طالعت، وإليها رجعت، ثم واليت الاطلاع على الكتب المؤلفة فى التاريخ العام لليبيا فى القديم والحديث، ومن بينها مجموعة الطيب الأشهب وغيره فى تاريخ الحركة السنوسية، وأخذت أقرأ فى شتى المصادر والمراجع القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، حتى تجمعت لى هذه المادة الى نشرتها فى كتابى «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم».

وبالإضافة إلى ذلك أفدت من رحلاتى فى مدن برقة، ومن مخطوطات مكتبة الإمام السنوسى المحفوظة فى مكتبة الجامعة الإسلامية بالبيضاء، ومما أعارنى إياه فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم رفيدة شيخ كلية اللغة العربية فى البيضاء، وكان لمكتبة حسن الخراز فى البيضاء فضل وأى فضل بما أمدتنى به من شتى المطبوعات الحديثة عن ليبيا، وبما حرصت عليه من تجميع شتى المجلات والصحف الليبية لى.

لقد كان شبه معجزة أن أستطيع كتابة هذه الفصول الجديدة كل الجدة عن ليبيا وتاريخها الفكرى والثقافى والأدبى؛ وكان مما ضاعف من عزيمتى فى كتابتها ما شعرت به من الحب، وصلات المودة لهذا الوطن الإسلامى العربى، مما دفعنى إلى العمل ليل نهار، لإنجاز هذه المهمة، التى ألقيتها أنا وحدى على عاتقى الضعيف، والتى أخذت منى مجهوداً كبيراً طيلة عدة سنوات.

ولولا فضل الله ورعايته وتوفيقه لوقفت من حيث بدأت، إذ كنت كمن يحاول أن يخط فى الماء، أو أن يستضىء بالظلماء؛ أو أن يستهدى بالآثار فى رمال الصحراء.

وبقى طبع الكتاب، وقد كان مشكلة، أن أجد له ناشراً لطوله، وظللت أبحث عن ناشر، وبخاصة بعد انتهاء ندى إلى ليبيا فى صيف عام ١٩٦٦ م، وأخيراً رأيت أن أقوم كذلك بطبعه، متحملاً ما يجب أن أتحملة فى سبيل نشره، من أعباء مادية، كما تحملت أعباء الفكرية.

ولا أجد ما أقوله إلا أن أحمد الله على توفيقه، وأضرع إليه أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، فهو أكرم مأمول، وأجل مسئول، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب؟

محمد عبد المنعم خفاجى

الهرم فى صيف عام ١٩٦٨ م

مصادر الكتاب

- أولاً -

١ - كتب عن ليبيا:

- ١ - وثائق عن نهاية العهد القره مانلى - تأليف إسماعيل كمالى (بالإيطالية)، وتعريب وتحقيق مصطفى بازامة - دار لبنان بينى غازى ١٩٦٥م.
- ٢ - المجلد فى تاريخ ليبيا - مصطفى بعيو - الإسكندرية ١٩٤٧م.
- ٣ - ليبيا فى العصر العثمانى الثانى - جوزيف كاكيا - ترجمة يوسف العسلى القاهرة ١٩٤٦م.
- ٤ - تاريخ ليبيا العام - ابن مسعود.
- ٥ - ليبيا العربية - ابراهيم حقى.
- ٦ - ليبيا الحديثة - فؤاد شكرى.
- ٧ - ليبيا - حسن محمود وآخرين من سلسلة شعوب العالم.
- ٨ - ليبيا بين الماضى والحاضر - حسن سليمان محمود - القاهرة ١٩٦٢م.
- ٩ - قضية ليبيا - محمود الشنبطى.
- ١٠ - طرابلس الغرب لراسم رشدى - طرابلس ١٩٥٣م.
- ١١ - جلاء الكرب عن طرابلس الغرب - محمد عثمان الحشائشى - مخطوط بدار الكتب المصرية.
- ١٢ - رفع الستار لمحمد الأخضر العيساوى.
- ١٣ - دراسات فى التاريخ اللوى - مصطفى بعيو.
- ١٤ - المهدي السنوسى - للأشهب.

- ١٥ - السنوسى الكبير - للأشهب .
- ١٦ - إدريس السنوسى للأشهب - القاهرة .
- ١٧ - الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية - للإمام الأكبر محمد بن على السنوسى .
- ١٨ - برقة لنقولا زيادة - دار العلم للملايين .
- ١٩ - برقة العربية للطيب الأشهب - القاهرة .
- ٢٠ - تاريخ الفتح العربى فى ليبيا - طاهر الزاوى .
- ٢١ - أعلام ليبيا - طاهر الزاوى .
- ٢٢ - فى صحراء ليبيا - أحمد حسنين باشا .
- ٢٣ - حاصر طرابلس الغرب ١٩٣٧ - بغداد .
- ٢٤ - البطش والكرب فى برقة وطرابلس الغرب - الفرات ١٩٤٢ م .
- ٢٥ - شكيب أرسلان والقضية الليبية - محمد رجب الزائدى - البيضاء ١٩٦٤ م .
- ٢٦ - شكيب أرسلان د . الشرباصى - جزآن - القاهرة .
- ٢٧ - عمر المختار للزاوى ١٣٥٢ هـ - القاهرة .
- ٢٨ - الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس - عمر البارونى .
- ٢٩ - ميلاد دولة ليبيا - فؤاد شكرى .
- ٣٠ - السنوسية دين ودولة - فؤاد شكرى .
- ٣١ - التذكار لابن غلبون القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٣٢ - المنهل العذب لأحمد النائب الأنصارى - جزآن - نشر الفرغانى بطرابلس .
- ٣٣ - العهد العثمانى الأول فى طرابلس - عمر البارونى .
- ٣٤ - أعلام من طرابلس - للمصراق .
- ٣٥ - الفتاوى الكاملية لمحمد كامل بن مصطفى - ط ١٣١٢ هـ .
- ٣٦ - ابن غلبون مؤرخ ليبيا - على المصراق .
- ٣٧ - الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهى .
- ٣٨ - ليبيا المجاهدة - محمد رجب الزائدى نشر دار الكتاب الليبى بينغازى .

- ٣٩ - مجلة رسالة الباكستان عدد خاص عن ليبيا - يوليو ١٩٥٧ م.
- ٤٠ - مجلة القلم الجديد العدد الحادى عشر الصادر فى عمان ١٩٥٣ م.
- ٤١ - حقيقة ليبيا - سامى حكيم ١٩٦٨ القاهرة.
- ٤٢ - موسوعة جغرافية الممالك الإسلامية المستقلة فى القارة الإفريقية، باللغة الفارسية، بقلم د. حسنى كنىلى بجامعة طهران - العدد الأول. وقد صدر عن ليبيا فى ٦٥ صفحة، ويشتمل على ٢٣ صورة و ٥ خرائط ملونة، وتناول الكلام على: حدودها، مساحتها، سكانها، تاريخ استقلالها، مناخها، ماؤها، أوضاعها الاقتصادية، حالتها الطبيعية، تقسيماتها الإدارية.

٢ - كتب عن الأدب الليبى:

- ١ - إبراهيم الأسطى عمر - لعل مصطفى المصراتى.
- ٢ - رفيق شاعر الوطنية - محمد الصادق عفيفى.
- ٣ - رفيق شاعر الوطن - خليفة محمد التليسى.
- ٤ - أحمد رفيق - رسالة مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة - لعبد المولى البغدادى.
- ٥ - رفيق لعبد ربه الغناى.
- ٦ - نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان - لأحمد النائب الأنصارى - جزآن.
- ٧ - الشعر والشعراء فى ليبيا - محمد الصادق عفيفى - القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٨ - الحياة الأدبية فى ليبيا - طه الحاجرى - ١٩٦٢ القاهرة.
- ٩ - جبران والشاب محمد خليفة التليسى.
- ١٠ - المجتمع الليبى من خلال أمثاله الشعبية - على مصطفى المصراتى.
- ١١ - لمحات أدبية فى نصف قرن - للمصرتى.
- ١٢ - صحافة ليبيا فى نصف قرن - للمصرتى.
- ١٣ - أحلام وثورة - ديوان - على صدقى عبد القادر.
- ١٤ - صرخة - ديوان - على صدقى عبد القادر.

- ١٥ - زغاريد ومطر بالفجر - ديوان - على صدقى عبد القادر.
- ١٦ - ديوان البهلول تحقيق طاهر الزاوى - طبع بالقاهرة. وهو تخميمة على القصيدة العياضية.
- ١٧ - ديوان ابن زكرى - القاهرة - ١٣١٠ هـ.
- ١٨ - ديوان أحمد الشارف - بيروت - نشر على المصراقي.
- ١٩ - ديوان رفيق - طبع ليبيا جزآن.
- ٢٠ - ديوان رفيق - مطبعة الرسالة بالقاهرة.
- ٢١ - ديوان البهلول - طبع استامبول.
- ٢٢ - قصة مرسال - على مصطفى المصراقي.
- ٢٣ - ديوان البارونى - القاهرة ١٩٠٩ م.
- ٢٤ - البلبيل والوكر - للشاعر إبراهيم الأسطى عمر - تحقيق الأستاذين عبد الباسط سليمان الدلال، عبد اللطيف محمد شاهين.
- ٢٥ - شعر الطبيعة - للسحرق.
- ٢٦ - البحر لا ماء فيه - مجموعة قصصية - أحمد إبراهيم الفقيه - طبع ليبيا.
- ٢٧ - الجدار - مجموعة قصصية يوسف الشريف.
- ٢٨ - القصص القومى - زعيمة البارونى.
- ٣ - كتب عن الدول العربية والإسلامية وعن الرحلات:
- ١ - الإحاطة فى أخبار غرناطة - لسان الدين بن الخطيب.
- ٢ - الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية لسليمان البارونى.
- ٣ - الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية.
- ٤ - الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية - لابن قنفذ.
- ٥ - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية - محمد الزركشى.
- ٦ - تاريخ الموحدين والحفصيين لابن الشعاع.
- ٧ - أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير.
- ٨ - أخبار المهدي بن تومرت للبيذق.
- ٩ - بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد - ليحيى بن خلدون.

- ١٠ - واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي هو الثاني (٧٦٠ - ٧٩١) من ملوك الدولة الزيانية.
- ١١ - نظم الدر والعقيان في ذكر شرف بني زيان للحافظ التنسي.
- ١٢ - الخلاصة النقية في أمراء إفريقية - لمحمد الباجي.
- ١٣ - خلاصة تاريخ العرب لسيديو - مترجم.
- ١٤ - نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش.
- ١٥ - الرحلة الورتلائية للحسين الورتلاني.
- ١٦ - رحلة ابن جبير.
- ١٧ - رحلة ابن بطوطة.
- ١٨ - الرحلة المغربية للعبدري - مخطوط جامع الزيتونة - تونس رقم ٥٠٩٣^(١).
- ١٩ - الحلل السندسية في الأخبار التونسية - تونس ١٢٨٧ هـ.
- ٢٠ - رحلة العياشي أبو سالم - نشر فاس - مجلدان.
- ٢١ - رحلة التجاني لعبد الله بن محمد التجاني (أدى فريضة الحج عام ٧٠٨ هـ).
- ٢٢ - الرحلة الناصرية لأحمد بن ناصر المراكشي.
- ٢٣ - الأزهار الرياضية - سليمان الباروني - القاهرة.
- ٢٤ - قصيدة نفيسة الجمان في فتح وهران لمحمد أبي راس.
- ٢٥ - خلاصة تاريخ تونس - حسن حسني عبد الوهاب.
- ٢٦ - تاريخ الجزائر - جزآن. مبارك الميلي - طبع الجزائر.
- ٢٧ - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى - نشر جعفر ومحمد الناصري - الدار البيضاء ١٩٥٤ م - ٩ مجلدات.
- ٢٨ - الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى - ط القاهرة ١٣١٠ هـ ٤ مجلدات.
- ٢٩ - تاريخ المغرب من الفتح العربي حتى قيام الأغالبة والرسامين والأدارسة - د. سعد زغلول.

(١) طبعته دار البحث بتونس لصاحبها الأستاذ أبو القاسم كرو بتحقيق أحمد بن جدو.

- ٣٠ - ملامح المغرب العربي - للصياد - دار المعارف بالقاهرة.
- ٣١ - فتح العرب للمغرب - حسين مؤنس ١٩٤٧ - القاهرة.
- ٣٢ - البربر لعثمان الكعك.
- ٣٣ - داخل إفريقية لجون جنتر مترجم.
- ٣٤ - الفتوحات الإسلامية - لدحلان - جزآن.
- ٣٥ - عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس - محمد عبد الله عنان.
- ٣٦ - المجالس والمسائرات - ٣ أجزاء - مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة.
- ٣٧ - شرح لمعة من أخبار المعز - مخطوط بجامعة القاهرة.
- ٣٨ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة - جزآن - مصر ١٢٨٧ هـ.
- ٣٩ - أخبار ملوك بني عبيد - طبع الجزائر ١٣٤٦ هـ.
- ٤٠ - كنوز الفاطميين - ١٩٤٠ م.
- ٤١ - عبقرية الفاطميين للأعظمي - طبع بيروت.
- ٤٢ - الفن الإسلامي في مصر ج ١ عام ١٩٣٥ م.
- ٤٣ - قصة الحضارة - مترجم.
- ٤ - كتب في طبقات الرجال وفي التراجم:
- ١ - طبقات علماء إفريقية لأبي العرب التميمي.
- ٢ - طبقات علماء إفريقية لمحمد الخشني.
- ٣ - إنباه الرواه للقفطي - طبع دار الكتب المصرية.
- ٤ - بغية الوعاة للسيوطي - طبع القاهرة.
- ٥ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - لمخلف - مجلدان - القاهرة ١٣٥٠ هـ.
- ٦ - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية - جزء أول تأليف أبي بكر المالكي - نشر حسين مؤنس ١٩٥١ م.
- ٧ - طبقات علماء إفريقية وتونس - محمد الرعيثي.
- ٨ - نزهة الألبا للأنباري (٥٧٧ هـ) - طبع مصر ١٢٩٤ هـ.

- ٩ - المقرئ للطيب الجنحاني - طبع تونس ١٩٥٥ م.
 - ١٠ - المقرئ لمحمد عبد الغنى حسن - طبع القاهرة.
 - ١١ - أسد بن الفرات - على مصطفى المصراق.
 - ١٢ - ابن حمديس الصقلي على المصراق.
 - ١٣ - ابن حمديس الصقلي - عبد الغنى المنشاوى طبع القاهرة.
 - ١٤ - الأعلام للزركلى - ١٠ أجزاء - الحلبي بالقاهرة.
 - ١٥ - أبو الحسن الحصرى - محمد المرزوقى - تونس ١٩٦٤ م.
 - ١٦ - حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها - للياغى - بيروت.
 - ١٧ - ابن رشيق لعبد الرؤوف مخلوف - القاهرة.
 - ١٨ - ابن خلدون محمد عبد الله عنان.
 - ١٩ - تاريخ جوهر الصقلي - القاهرة ١٩٣٣ م.
- ٥ - تاريخ:

- ١ - تاريخ أبي الفدا - طبع القسطنطينية ١٢٨٦ هـ.
- ٢ - تاريخ الطبرى طبع بولاق - «تاريخ الأمم والملوك».
- ٣ - تاريخ ابن الأثير - الكامل - طبع المنيرة ١٣٥٧ هـ.
- ٤ - التاريخ الكبير لابن عساكر - مخطوط.
- ٥ - تاريخ غزوات العرب.
- ٦ - تاريخ الإسلام السياسى، حسن إبراهيم - ٤ أجزاء.
- ٧ - إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى جنوبا - حسن إبراهيم - القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٨ - المعجب للمراكشى (٦٦٩ هـ) - ليدن ١٨٨١ م.
- ٩ - آثار البلاد للقزوينى - جوتنجن ١٨٤٩ م.
- ١٠ - البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى - ليدن ١٨٤٨ - نشر دوزى - ٣ أجزاء.
- ١١ - المغرب فى حلى المغرب والمشرق فى حلى المشرق - لابن سعيد (٦٧٣ هـ) - ليدن ١٨٩٨ .. والجزء الخاص بالأندلس تحقيق الدكتور

- شوقي ضيف - طبع دار المعارف ١٩٥٣ م.
- ١٢ - كنوز الفاطميين - زكى محمد حسن - القاهرة - ١٩٤٠ م.
- ١٣ - المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكرى (٤٨٧ هـ) باريس ١٩١١ م.
- ١٤ - نزهة المشتاق للإدريسى - طبع روما.
- ١٥ - تاريخ ابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر - ط مصر ١٩٣٦ م.
- ١٦ - نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار - محمود الصفاقسى.
- ١٧ - تجارب الأمم لمسكويه - الجزء الأول - ط مصر ١٩١٤ م.
- ١٨ - طبقات الأمم لصاعد الأندلسى.
- ١٩ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى - ط القدس ١٣٥٠ هـ.
- ٢٠ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر.
- ٢١ - الحلل السندسية - شكيب أرسلان.
- ٢٢ - بغية الملتبس للضبي.
- ٢٣ - حسن المحاضرة للسيوطى - ط القاهرة جزآن.
- ٢٤ - تاريخ اليعقوبى لابن اليعقوبى.
- ٢٥ - تاريخ الخلفاء للسيوطى.
- ٢٦ - مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى.
- ٢٧ - الفخرى لابن الطقطقى.
- ٢٨ - السلوك للمقرئزى - طبع القاهرة.
- ٢٩ - الخطط والآثار للمقرئزى القاهرة ١٣٣٦ هـ.
- ٣٠ - مروج الذهب للمسعودى.
- ٣١ - العالم العربى - نجلاء عز الدين.
- ٣٢ - الشرق العربى والخلافة العثمانية لضياء الدين الرئيس.
- ٣٣ - الدولة العثمانية والشرق العربى لمحمد أنيس.
- ٣٤ - البلاد العربية والدولة العثمانية لساطع الحصرى ١٩٥٧ م.
- ٣٥ - محاضرات فى تاريخ الأمم والإسلام - محمد الخضرى - ٣ أجزاء.
- ٣٦ - تاريخ مصر الإسلامى : إلياس الأيوبى.

- ٣٧ - صفوة الزمان فيمن ولي مصر من أمير أو وال أو سلطان - للصفوى - مخطوط بمكتبة المؤلف.
- ٣٨ - دولة بني قلاوون في مصر - ط دار الفكر العربي بالقاهرة.
- ٣٩ - المنتظم لابن الجوزي ط حيدر آباد الدكن.
- ٤٠ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر - مخطوط بدار الكتب المصرية.
- ٤١ - كتاب الدول المنقطعة لابن ظافر - مخطوط - دار الكتب.
- ٤٢ - مسالك الأمصار للعمري - دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م.
- ٤٣ - تاريخ ابن الوردي - ط مصر ١٢٨٥ هـ.
- ٤٤ - مسالك الممالك للأصطخري - ط ليدن ١٩٢٧ م.
- ٤٥ - قصة الحضارة ترجمة زكي نجيب ومحمد بدران - ط لجنة التأليف بالقاهرة - تأليف ديورانت.
- ٤٦ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم ميتز - ترجمة أبو ريذة.
- ٤٧ - حضارة العرب - لوبون - ترجمة زعيتز - ط الحلبي ١٩٤٥ م.
- ٤٨ - الطريق إلى مكة - محمد أسد.
- ٤٩ - القوميات - لأمين الريحاني.
- ٥٠ - اليقظة العربية - لأمين سعيد.
- ٥١ - تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان - أجزاء - مترجم - طبع بيروت ١٩٤٨ م.
- ٥٢ - حاضر العالم الإسلامي تعليق الأمير شبيب أرسلان.
- ٥٣ - الدولة العربية المتحدة - ١٩٣٨ القاهرة.
- ٥٤ - تاريخ الجبرق عجائب الآثار لعبد الرحمن الجبرق ١٣٢٣ هـ.
- ٥٥ - الصلة لابن بشكوال الأندلسي.
- ٥٦ - الضوء اللامع للسخاوي.
- ٥٧ - الديباج المذهب لابن فرحون.
- ٥٨ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- ٥٩ - حضارة الإسلام في دار السلام لجميل نخلة.
- ٦٠ - يقظة العرب - جورج أنطونيوس - ترجمة الركابي.

- ٦١ - تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان - ط الهلال ١٩٣١م .
- ٦٢ - عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - العينى الحنفى .
- ٦٣ - تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ط الشام - المطبوع منه ٥ أجزاء فقط .
- ٦٤ - تاريخ العرب - فيلب حتى - بيروت ١٩٤٩م .
- ٦٥ - أخبار الدول للقرمانى - ط حجر بغداد ١٨٨٢م .
- ٦٦ - خلاصة تاريخ العالم - مترجم .
- ٦٧ - أحسن التقاسيم للمقدسى - ط ليدن ١٩٠٦م .
- ٦٨ - معجم الأنساب ترجمة زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود - تأليف زامباور .
- ٦٩ - تاريخ العرب لسيدىو - ترجمة زعيترو - ط الحلبي ١٩٤٨م .
- ٧٠ - تاريخ الدولة العلوية فى المغرب لعبد الكريم بن زيدان .
- ٧١ - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى لبروكلمان ج- ٣ ط ١٩٤٦م .
- ٧٢ - أعلام النبلاء - ٧ أجزاء طبع دمشق .
- ٧٣ - تاريخ أغمات - لعباس بن إبراهيم .
- ٦ - من مصادر الأدب والنقد والثقافات وموسوعات المؤلفين :

- ١ - كتاب الأغاني لأبي الفرج .
- ٢ - كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه .
- ٣ - كتابه اليتيمة للثعالبي - ٤ أجزاء تحقيق محيى الدين عبد المجيد .
- ٤ - زهر الآداب للحصرى - ٤ أجزاء .
- ٥ - نفح الطيب للمقرئ - ٤ أجزاء - القاهرة - بولاق ١٢٩٧ هـ .
- ٦ - المقدمة لابن خلدون - ط التجارية .
- ٧ - البيان والتبيين للجاحظ - طبع الخانجى بالقاهرة .
- ٨ - الحيوان للجاحظ - طبع الحلبي بالقاهرة .
- ٩ - ديوان الهذليين - طبع دار الكتب المصرية .
- ١٠ - خريدة القصر للعماد الأصفهاني .

- ١١ - خريدة القصر - قسم شعراء المغرب - طبع ١٩٦٦ م.
- ١٢ - العمدة لابن رشيق - طبع الخانجي ١٩٠٧ .
- ١٣ - كشف الظنون - خليفة حاجي - مجلدان .
- ١٤ - معاهد التنصيص للعباسي - تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
- ١٥ - جذوة المقتبس للحميري - القاهرة .
- ١٦ - خزانة الأدب للبغدادى - ط القاهرة .
- ١٧ - خزانة الأدب للحموى - طبع القاهرة ١٢٩١ هـ .
- ١٨ - منهاج البلغاء لحازم - طبع تونس ١٩٦٦ م .
- ١٩ - رسائل البلغاء - محمد كرد على - القاهرة ١٩٣٤ - ٣ مجلدات .
- ٢١ - معجم المؤلفين لكحالة - ١٥ مجلداً - دمشق ١٩٦١ م .
- ٢٢ - وفيات الأعيان لابن خلكان مصر ١٢٢٩ هـ .
- ٢٣ - سر الفصاحة لابن سنان - طبع الخانجي ١٩٣٢ م .
- ٢٤ - الموازنة للأمدى .
- ٢٥ - الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك .
- ٢٦ - شعر الفتوح الإسلامية للنعمان القاضى - القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٧ - المقدمة الأدبية لابن عاشور - تونس ١٩٥٧ م .
- ٢٨ - فوات الوفيات لابن شاکر - تحقيق محيى الدين عبد الحميد - مجلدان - القاهرة ١٩٥٢ م .
- ٢٩ - درة الحجال نشر الرباط ١٩٤٠ م - مجلدان .
- ٣٠ - أبو الحسن حازم القرطاجنى وفن المقصورة - حولىة كلية آداب عين شمس - عام ١٩٥١ م .
- ٣١ - تص المقصورة فى نفس المصدر عام ١٩٥٣ م .
- ٣٢ - الأمالى لأبى على القالى - ط دار الكتب المصرية .
- ٣٣ - الفهرست لابن النديم .
- ٣٤ - نهاية الأرب للنويرى - دار الكتب المصرية .
- ٣٥ - صبح الأعشى للقلقشندى - ط دار الكتب المصرية .

- ٣٦ - المستطرف للأبشهى - ط القاهرة.
- ٣٨ - الكشكول للعامل.
- ٣٨ - عصر المأمون لأحمد رفاعى - ٣ أجزاء.
- ٣٩ - فجر الإسلام لأحمد أمين.
- ٤٠ - ضحى الإسلام لأحمد أمين.
- ٤١ - ظهر الإسلام لأحمد أمين.
- ٤٢ - دائرة المعارف الإسلامية - مترجمة إلى العربية.
- ٤٣ - دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى.
- ٤٤ - دائرة معارف البتسانى.
- ٤٥ - معجم البلدان ليقاوت الحموى - ط السعادة ١٩٠٦ م.
- ٤٦ - معجم الأدباء ليقاوت الحموى ط أحمد رفاعى.
- ٤٧ - النجوم الزاهرة - ابن تغرى بردى - طبع دار الكتب.
- ٤٨ - بغية الوعاة للسيوطى - القاهرة.
- ٤٩ - ديوان تميم - ط دار الكتب المصرية.
- ٥٠ - الفكر الإسلامى - محمد البهمى - ١٩٦٠ م.
- ٥١ - المجددون فى الإسلام لعبد المتعال الصعيدى.
- ٥٢ - قدماء ومعاصرون لسامى الدهان ١٩٦٦ م.
- ٥٣ - التصوف الإسلامى - لزكى مبارك.
- ٥٤ - تاريخ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى - توفيق الطويل - ١٩٤٦ م.
- ٥٥ - الإسلام والتجديد فى مصر - آدمز - ترجمة عباس محمود.
- ٥٦ - الحركات الإصلاحية - جمال الدين الشيال ١٩٥٨.
- ٥٧ - مشاهير الشرق - جورجى زيدان ١٩٢٢ م.
- ٥٨ - زعماء الإصلاح - أحمد أمين.
- ٥٩ - تيارات أدبية - إبراهيم سلامة - ط القاهرة.
- ٦٠ - المثل السائر لابن الأثير - ط مصر ١٣١٢ هـ.
- ٦١ - الذخيرة لابن بسام - ط كلية آداب القاهرة ١٩٣٩ م.

- ٦٢ - قصة الأدب في العالم - ط مر ١٩٤٣ - أحمد أمين وزكى نجيب محمود.
- ٦٣ - الثقافة العربية - للعقاد.
- ٦٤ - معجم ما استعجم للبكرى ط القاهرة ١٩٤٥ م.
- ٦٥ - عمالقة الأدب - ٣ أجزاء.
- ٦٦ - نشوار المحاضرة للتونخى - ط هندية ١٩٢١ م.
- ٦٧ - النثر الفنى لزكى مبارك - دار الكتب المصرية ١٩٣٤ م.
- ٦٨ - من أدبنا المعاصر - لأحمد أمين.
- ٦٩ - فيض الخاطر - لأحمد أمين.
- ٧٠ - وحى الرسالة - لأحمد حسن الزيات.
- ٧١ - مقاصد الشريعة لطاهر بن عاشور - تونس.
- ٧٢ - القرآن إبراهيم أبو الخشب.
- ٧٣ - الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين - كامل السوافيرى - ١٩٦٤ م - القاهرة.
- ٧٤ - منازع الفكر الحديث لجود ترجمة البسام وعباس فضلى.
- ٧٥ - أبحاث فى ماضى المسلمين وحاضرهم - إسحاق موسى الحسينى.
- ٧٦ - الإسلام والفلسفات المعاصرة - محمد البهى.
- ٧٧ - الإسلام والحضارة - محمد خلف أحمد.
- ٧ - مراجع فى تاريخ الأدب العربى:
- ١ - تاريخ الأدب العربى فى العصرين الأموى والعباسى إبراهيم رفيدة ومحمد عبد المنعم نجفاجى بالاشتراك - القاهرة ١٩٦٦ م.
- ٢ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان - ٤ أجزاء.
- ٣ - الأدب العربى وتاريخه - لمحمود مصطفى - ٣ أجزاء.
- ٤ - تاريخ الأدب العربى للزيات.
- ٥ - تاريخ الأدب العربى لبروكلمان - ترجمة د. عبد الحليم النجار.
- ٦ - لباب الثقافة والأدب - محمد أحمد حماد - طبع القاهرة ١٩٦٢ م.
- ٧ - الاتجاهات الأدبية - محمد أنيس المقدسى.

- ٨ - المفصل في تاريخ الأدب العربي - جزء آن - ط القاهرة.
- ٩ - تاريخ آداب العرب - للرافعي ٣ أجزاء.
- ١٠ - المنتخب - ٤ أجزاء - طه حسين وآخرون.
- ١١ - التوجيه الأدبي - طه حسين وآخرون.
- ١٢ - الشعر المعاصر - مصطفى السحرقي.
- ١٣ - الشعر المصري بعد شوقي - حلقة أولى وثانية - محمد مندور.
- ١٤ - في الأدب الحديث - عمر الدسوقي - جزآن.
- ١٥ - بلاغة العرب في الأندلس لأحمد ضيف.
- ١٦ - شعراء الجزائر في العصر الحاضر.
- ١٧ - أحاديث عن الأدب المغربي الحديث - عبدالله كنون.
- ١٨ - رسائل النقد - رمزي مفتاح.
- ١٩ - نزعات التجديد في الأدب العربي المعاصر - أنور الجندى.
- ٢٠ - حديث عيسى بن هشام.
- ٢١ - شعر اليوم للسحرقي.
- ٢٢ - جولة مع أدباء شمال إفريقيا - فوزي الميلادي.
- ٢٣ - الاتجاهات الشعرية في السودان - محمد النويهي - نشر معهد الدراسات العربية.
- ٢٤ - مراكز الثقافة في المغرب - للكعك.
- ٢٥ - شعراء السودان.
- ٢٦ - الديوان جزآن للعقاد والمازني.
- ٢٧ - الأدب السوداني لعبد الملك بدوي.
- ٢٨ - الشعر الحديث في السودان لعبد بدوي.
- ٢٩ - نفثات اليراع لمحمد عبد الرحيم.
- ٣٠ - رواد الشعر الحديث في مصر للدكتور مختار الوكيل.

٨ - شعر ودواوين:

- ١ - أدباء من الجزائر - إبراهيم الكيلاني - اقرأ عدد ١٩٢.

- ٢ - شعراء الجزائر في العصر الحاضر - للهادي السنوسي .
- ٣ - ديوان اللهب المقدس - مفدى زكريا .
- ٥ - ديوان حازم القرطاجنى - بيروت م .
- ٦ - الشوقيات .
- ٧ - ديوان ابن حمديس - ط روميه ١٨٩٧ م .
- ٨ - ديوان ابن خفاجة الأندلسى - جمعية المعارف - مصر .
- ٩ - ديوان المتنى - شرح العكبرى - تحقيق السقا .
- ١٠ - ديوان ابن هانء الأندلسى .
- ١١ - ديوان حافظ إبراهيم .
- ١٢ - أطياف الربيع لأبى شادى - ١٩٣٤ م .
- ١٣ - ديوان المازنى .
- ١٤ - ديوان العقاد .
- ١٥ - ديوان شكرى .
- ١٦ - ديوان ناحى .
- ١٧ - ديوان الرصافى .
- ١٨ - ديوان الزهاوى .
- ١٩ - ديوان الكاظمى .
- ٢٠ - ديوان غنيم - دار المعارف بالقاهرة .
- ٢١ - ديوان مصطفى صادق الرافعى .
- ٢٢ - ديوان محرم .
- ٢٣ - ديوان الربيع - إلياس فرحات - سان باولو ١٩٥٤ م .
- ٢٤ - ديوان نبض الوجدان - حافظ جميل - بغداد ١٩٥٧ م .
- ٢٥ - ديوان الناصرى - بتحقيق الأستاذين : هلال ناجى ، وعبدالله الجبورى
جزآن .
- ٢٦ - ديوان إشراقة - التيجانى بشير .
- ٢٧ - ديوان الشاطئ الصخرى - حسين منصور .
- ٢٨ - ديوان دموع وأشواق - حسن عزت .

- ٢٩ - ديوان الحرية والجمال - جعفر حامد .
 ٣٠ - ألحان وأشجان - محمد محمد على .
 ٣١ - المطرب من أشعار أهل المغرب - لابن دحية - تحقيق الأبيارى .
 ٣٢ - الشعر والشعراء فى السودان - لأحمد أبى سعد .

٩ - كتب فى اللغة :

- ١ - الأزمنة والأنواء لابن الأجدابى - طبع دمشق .
 ٢ - تهذيب الأزهري - طبع القاهرة .
 ٣ - الصحاح للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور العطار - طبع القاهرة .
 ٤ - كفاية المتحفظ لابن الأجدابى - طبع القاهرة .
 ٥ - لسان العرب لابن منظور - طبع بولاق .
 ٦ - القاموس المحيط - ٤ أجزاء - الحلبي بالقاهرة .

١٠ - كتب للمؤلف :

- ١ - قصة الأدب المعاصر - ٤ أجزاء .
 ٢ - الأزهري فى ألف عام - ٣ أجزاء .
 ٣ - قصة الأدب فى الأندلس - جزآن - طبع بيروت ١٩٦٢ م .
 ٤ - قصة الأدب فى مصر - ٥ أجزاء - طبع القاهرة .
 ٥ - رائد الشعر الحديث - جزآن - طبع القاهرة .
 ٦ - التصوف الإسلامى - جزآن - القاهرة .
 ٧ - التراث الروحى - القاهرة .
 ٨ - بين الأدب والنقد - بالاشتراك .
 ٩ - مواكب الحرية فى مصر - القاهرة .
 ١٠ - النقد العربى الحديث ومذاهبه - طبع القاهرة .
 ١١ - الأدب العربى الحديث ومذاهبه - طبع القاهرة .
 ١٢ - أدباء المشرق .
 ١٣ - الشعر والتجديد .
 ١٤ - البناء الفنى للقصيدة العربية .

ثانياً

صحف ومجلات

- مجلة الهدى الإسلامى - ليبيا - تصدرها الجامعة الإسلامية.
- مجلة ليبيا الحديثة.
- مجلة ليبيا المصورة.
- مجلة الإذاعة الليبية.
- مجلة قورينا تصدرها كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية.
- مجلة المرأة الليبية.
- مجلة الفنون الليبية.
- مجلة الأفكار الليبية.
- مجلة صوت المربي الليبية.
- مجلة صوت ليبيا.
- مجلة المعرفة الليبية.
- مجلة عمر المختار.
- مجلة الرواد الليبية.
- مجلة هنا طرابلس الغرب.
- جريدة الأسد الإسلامى أصدرها فى القاهرة سليمان البارونى وصدر العدد الأول منها بتاريخ ١٢/٨/١٩٠٧ م.
- مجلة المنهل مكة المكرمة.

مجلة الحج مكة المكرمة .	مجلة أبولو - القاهرة .
مجلة القلم الجديد الأردنية	مجلة الفكر المعاصر - القاهرة .
عدد يوليو ١٩٥٣ م .	مجلة الشهر - القاهرة .
مجلة الكتاب العراقية .	مجلة المجلة - القاهرة .
مجلة الأقلام العراقية .	مجلة المقتطف - القاهرة .
مجلة دعوة الحق المغربية .	مجلة الثقافة - القاهرة .
مجلة المعرفة السورية .	مجلة الكتاب - القاهرة .
مجلة العرفان - صيدا بلبنان .	مجلة الكتاب العربي - القاهرة .
مجلة الفكر التونسية .	مجلة المسرح - القاهرة .
مجلة الآداب البيروتية .	مجلة القصة - القاهرة .
مجلة الأديب البيروتية .	مجلة الشعر - القاهرة .
مجلة الرسالة المصرية .	مجلة الرسالة الجديدة - القاهرة .
مجلة الأزهر - القاهرة .	

وجميع الصحف الليبية اليومية والأسبوعية والشهرية والنصف الشهرية،
ومن بينها: الرائد - الحرية - الحقيقة - الزمان - العمل - برقة الجديدة -
طرابلس - طرابلس الغرب - الرقيب - الفجر - الأمة - اليوم - فزان - جريدة
الليبي - جريدة العدل الطرابلسية .

المحتويات

تصدير للدكتور إبراهيم رفيدة	٥	الفصل الاول: الأحداث السياسية في	
مقدمة المؤلف	٩	هذه الحقبة	٧١
تمهيد	١١	الفصل الثاني: اللغة العربية في عهد	
		الفاطميين	٧٥

القسم الاول

تمهيد: ليبيا والليبيون	١٩	الباب الرابع: في ظلال الموحدين والخفصيين	
الباب الاول: اللغة العربية في ليبيا في		الفصل الاول: لمحة تاريخية	١١١
عهدى الامويين والعباسيين		الفصل الثاني: أشهر العلماء والأدباء	١١٧
الفصل الاول: النشاط العربي في ليبيا		الفصل الثالث: أشهر مفكرى هذا	
في هذا العهد	٣٥	العصر	١٣٠
الفصل الثاني: العرب الأولون في ليبيا		الباب الخامس: في عصر الأتراك	
والمأثور من بلاغتهم	٤٤	العثمانيين	
الفصل الثالث: مقومات الأدب في ليبيا		الفصل الاول: لمحة تاريخية	١٤٩
في هذا العصر	٤٧	الفصل الثاني: أشهر العلماء والأدباء	١٦٥
الباب الثاني: في عهد الأغالة		الفصل الثالث: الأدب العربي في هذا	
الفصل الأول: ليبيا العربية في عهد		العصر	١٧٤
الأغالة	٥٣	الفصل الرابع: أشهر شعراء هذا	
الفصل الثاني: الادب في ليبيا في عهد		العصر	١٧٨
الأغالة	٦٤		

القسم الثاني

تمهيد	٢٠١	الفصل الاول: أعلام الأدباء والشعراء	
الباب الثالث: الشعر في عهد الأغالة	٦٦	في نهاية العهد العثماني	٢٠٣
الباب الثالث: في العصرين الفاطمي			
والصنهاجي			

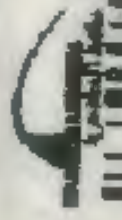
الفصل الثاني: بناء الدولة الحديثة في ليبيا	٢١٥	الفصل الثاني: كفاح ليبيا وبطولاتها في شعر الشعراء العرب المعاصرين	٣٢٧
الفصل الثالث: أعلام العلماء في هذا العصر	٢٣٦	الفصل الثالث: الشعر الليبي المعاصر	٣٣٧
الفصل الرابع: متى ظهر الأدب الحديث في ليبيا؟	٢٤٢	الفصل الرابع: أشهر شعراء هذا العصر	٣٥٥
الفصل الخامس: مقومات الأدب الليبي الحديث	٢٤٦	الباب الثاني: الآداب العربية في دول المغرب العربي	
الفصل السادس: الحركة الأدبية وتطورها في هذا العصر	٢٥٣	الفصل الأول: الآداب الحديثة في دول المغرب العربي	٤٣٧
الفصل السابع: بعض سمات الأدب الحديث	٢٦٠	الفصل الثاني: النزعات الأدبية الحديثة في مصر	٤٦٧
الفصل الثامن: النثر في الأدب الليبي الحديث	٢٦٦		
الفصل التاسع: من أعلام الأدباء مختارات	٢٧٤		
	٢٧٨		

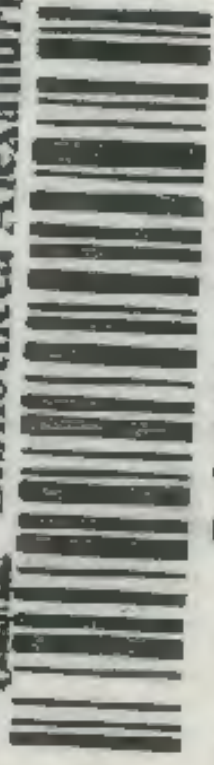
ذيل الكتاب

الحركة الثقافية المعاصرة في السودان	٤٧٧
الثقافة العربية في صقلية	٤٩١
طرابلس في القرنين السابع والثامن	٤٩٤
خاتمة الكتاب	٤٩٧
المصادر والمراجع	٥٠١
الفهرس	٥١٩

القسم الثالث

تصدير	٢٨٧
الباب الأول: الشعر الليبي الحديث	
الفصل الأول: صور من الشعر الليبي الحديث	٢٩٣

 Bibliotheca Alexandrina



0460112